المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

مكانة أهل البيت عليهم السلام
في الإسلام والأمّة الإسلامية

٢٧٦٤/

مجموعة مختارة من الأبحاث المقدّمة
للمؤتمر الدولي الرابع عشر للوحدة الإسلامية
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

إعداد
محمّد مهدي نجف

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

هوية الكتاب

اسم الكتاب ..... مكانة أهل البيت عليهم السلام في الإسلام والأُمّة الإسلامية
إعداد ..... محمّد مهدي نجف
الناشر ..... المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
الطبعة ..... الأُولى / ١٤٢٢ هـ
المطبعة ..... سرور
عدد النسخ المطبوعة ١٠٠٠

المحتوىٰ

المقدّمة ٥

الشيخ محمّد مهدي نجف.

الإمامة وأهل البيت عليهم السلام / القسم الأوّل: النظرية ١٧

آية الله السيّد محمّد باقر الحكيم.

الوحدة الإسلامية حول محور المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام ٧١

آية الله الشيخ محمّد علي التسخيري.

أهل البيت عليهم السلام المرجع العلمي والفكري بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله ١٠٧

آية الله الشيخ جعفر السبحاني.

أهل البيت عليهم السلام والسُنّة النبويّة ١٢١

آية الله الشيخ محمّد مهدي الآصفي.

المرجعية العلمية الإسلامية لأهل البيت عليهم السلام ١٥٣

عبد الكريم عمارة الجزائري.

أوّل محكمة تمييز في دولة الإسلام ١٨٩

المحامي الشيخ مصطفىٰ ملص.

أهل البيت عليهم السلام والمرجعية العلمية للأُمّة الإسلامية ٢٢١

شذىٰ الخفاجي.

أهل البيت عليهم السلام والمرجعية العلمية للأُمّة الإسلامية ٢٤٩

عبد الحليم إبراهيم المنسي (العزمي).

حبّ أهل البيت عليهم السلام عند المذاهب الإسلامية ٢٨٩

الشيخ أحمد الزين.

حبّ أهل البيت عليهم السلام بين الادّعاء والانتماء ٣٠١

كريم النوري.

حبّ أهل البيت عليهم السلام ٣٣١

الدكتور أبو عبد الله غلام الله.

الغلوّ والموقف الإسلامي ٣٣٧
باسم العابدي ـ سعد المنصوري.
أهل البيت عليهم السلام في الكتاب والسُّنّة ٣٨٣
الأُستاذ السيّد عبد الرؤوف.
الأئمّة دعاة الوحدة الإسلامية ٤٢٣
السيّد باقر الموسوي المهري.
الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام وحرصهم على مصلحة الأُمّة والوحدة الإسلامية ... ٤٣٣
شهاب الدين الحسيني.
أهل البيت عليهم السلام نقطة التقاء المسلمين ٤٧٩
الدكتور زهير سليمان.
العلاقة بين أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأئمّة المذاهب الإسلامية ٥٢٧
مُنى عبد الأمير.
وحدة إسلامية.. من أين نبدأ؟ ٥٥٧
صالح أحمد عاشور.
الوحدة الإسلامية وأثرها على الأُمّة الإسلامية ٥٦٣
الشيخ حسن أحمد أبو سبيب.
أهل البيت عليهم السلام ومصلحة الأُمّة ٥٧٣
الشيخ حسن البغدادي.
الوحدة وأثرها في الأُمّة الإسلامية ٥٨٣
سعيد بن ناصر المسكري.
أهل البيت عليهم السلام في الكتاب والسُّنّة النبوية ٥٨٩
محمّد مقصود أحمد الجشتي القادري.
دولة الأدارسة ٦٠٣
خزعل غازي.
الأُصول التاريخية بالمشرق ولآل البيت بالمغرب ٦٢٣
د. عبد الهادي التازي.
الحمّاني العلوي.. شاعر من سلالة الهاشميّين ٦٤١
حيدر محلّاتي.

المقدّمة

الشيخ محمّد مهدي نجف

المعاون الثقافي

للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة علىٰ رسول الله ﷺ، أمين الله علىٰ وحيه وعزائم أمره، الخاتم لما سبق، وعلىٰ آله البررة الخيرة، الصفوة الطاهرة، خزّان العلم وأبوابه التي منها يؤتىٰ...

في كلّ عام وفي الفترة ما بين الثاني عشر والسابع عشر من شهر ربيع الأوّل ـ حيث تقارن هذه الأيام المباركة ذكرىٰ ميلاد النبيّ الأكرم صلّىٰ الله عليه وآله وميلاد سبطه الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام ـ يعقد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية مؤتمره العالمي تحت عنوان: «**المؤتمر العالمي للوحدة الإسلامية**» يشارك فيه عدد كبير من العلماء والمفكّرين الإسلاميين من مختلف أقطار العالم علىٰ اختلاف مذاهبهم وجنسياتهم لبحث ودراسة السبل العلمية والعملية الكفيلة لإقامة الوحدة بين الأُمّة والتقريب بين مذاهبها.

وقد عقد المجمع العالمي في العقد الأوّل من تأسيسه عشرة مؤتمرات ابتداءً من المؤتمر الخامس حتّىٰ الرابع عشر منه، وقد طبعت بعض البحوث والمحاضرات التي أُلقيت في المؤتمر في كُتب مستقلّة باللغتين العربية والفارسية، وها هو الآن يعدّ العدّة لعقد مؤتمره الخامس عشر برعاية أمينه العام الجديد

سماحة آية الله الشيخ محمّد علي التسخيري حفظه الله حيث أولاه اهتماماً خاصّاً.

والكتاب الماثل بين يديك ـ أيّها القارئ الكريم ـ مجموعة قيّمة من البحوث التي قدّمت لأمانة المؤتمر الرابع عشر للوحدة الإسلامية باللغة العربية والذي كان موضوعه: «مكانة أهل البيت عليهم السلام في الإسلام والأُمّة الإسلامية» تضمّن عدّة محاور منها:

١ ـ أهل البيت في الكتاب والسُنّة.

٢ ـ المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام في الأُمّة الإسلامية.

٣ ـ أهل البيت والصحابة الكرام.

٤ ـ محبّة أهل البيت عند المذاهب الإسلامية.

٥ ـ أئمّة أهل البيت وأئمّة المذاهب الإسلامية.

٦ ـ أئمّة أهل البيت واهتمامهم بمصالح الأُمّة والوحدة الإسلامية.

٧ ـ أئمّة أهل البيت عند فرق الشيعة.

٨ ـ الحكومات الهاشمية في التاريخ: «الأدارسة، الفاطميون، الزيدية في مختلف المناطق و...

٩ ـ مكانة أهل البيت عند الفرق المتصوّفة.

١٠ ـ طبقات العلماء والشعراء من أهل البيت.

١١ ـ أنساب الأشراف وتاريخ نقابتهم.

١٢ ـ الغلاة والنواصب في التاريخ الإسلامي.

وقد حاولنا في هذا المجلّد عرض ما كتب في بعض هذه المحاور، وليس بالضرورة أنّ البحث المذكور يمثّل رأي المجمع وإنّما هو رأي شخصي لصاحب المقال.

كما اختتم المؤتمر أعماله بالبيان التالي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

البيان الختامي
للمؤتمر الدولي الرابع عشر للوحدة الإسلامية

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ محمّد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين. قال الله تعالىٰ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ﴾.

انعقد المؤتمر الدولي الرابع عشر للوحدة الإسلامية بدعوة من قبل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران من تاريخ ١٧ ربيع الأوّل إلىٰ ١٩ ربيع الأوّل ١٤٢٢ الموافق ١٠ ـ ٢٠٠١/٦/١٢ الميلادي. وقد اجتمع في طهران لعقد هذا المؤتمر كوكبة من علماء الأُمّة ومثقّفيها وبعض السياسيين والإعلاميين من الأقاليم الإسلامية ومن سائر الأقطار للبحث عن الوسائل الكفيلة بتحقيق الوحدة الإسلامية لمواجهة التحديات الصعبة التي تواجهها أُمّتنا الإسلامية الكبيرة في تاريخها المعاصر، إيماناً منهم بأنّ وحدة هذه الأُمّة هي أساس قوّتها وعزّتها وقدرتها علىٰ مواجهة العدوان تحت راية التوحيد.

وبدأ المؤتمرون أعمالهم بلقاء ولي أمر المسلمين سماحة آية الله السيّد علي الخامنئي حفظه الله وقد كان اللقاء حافلاً بأفكار بنّاءة ألقاها سماحته فيهم لإعادة مجد هذه الأُمّة وشموخها من جديد والسبل التي تضمن إعادة الدور القيادي لهذا الدين ولهذه الأمّة على وجه الأرض.

وقد انعقدت جلسات المؤتمر حول المحور الرئيسي الذي اختاره عنواناً لجدول أعماله في هذه السنة وهو: «مكانة أهل البيت في الإسلام والأُمّة الإسلامية».

وقد توقّف المؤتمر طويلاً حول عنوان حبّ ومودّة أهل البيت ودعا إلى تعميق وتأكيد هذا الحبّ استجابة لأمر الله سبحانه في كتابه الكريم ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾.

وأكّد المؤتمر أنّ مودّة أهل البيت عليهم السلام هي من عوامل تقارب المسلمين ووحدتهم وقد جمعنا الله تعالى على حبّه وحبّ رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأهل بيته وأوليائه الصالحين.

وأنّ هذه المودّة التي دعا إليها القرآن الكريم وتضافرت عليها الروايات الصحيحة من رسول الله ﷺ تضع أهل البيت عليهم السلام موضع الشاهد والقدوة والأُسوة في حياة هذه الأُمّة... وبذلك يجب أن تتحوّل هذه المودّة من حالة عاطفية إلى حالة سلوكية في حياة هذه الأُمّة.

وقد توقّف المؤتمر طويلاً حول المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام والتي أكّدها رسول الله ﷺ في حديث الثقلين الشهير الذي رواه الإمام مسلم في الصحيح والكثير من أصحاب الصحاح وثقات المحدّثين وتعدّدت في ذلك الروايات عن رسول الله ﷺ في أكثر من موضع ممّا يدلّ على أنّ رسول الله ﷺ كان يهتم بتحقيق المركزية والمرجعية لأهل البيت في حياة هذه الأُمّة

ليكونوا أماناً لهم من مضلّات الفتن.

كما توقّف المؤتمر عند فقه أهل البيت عليهم السلام ودعا المذاهب الفقهية الإسلامية إلىٰ الانفتاح علىٰ هذا الفقه، كما صنع من قبل نفر من كبار شيوخ العلم والفقه من أئمّة المسلمين رحمهم الله، أمثال شيخ الأزهر الأسبق الإمام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله، وقد اكسب انفتاح باب الاجتهاد في مدرسة أهل البيت منذ أكثر من ألف سنة هذا الفقه مادّة علمية غزيرة وأُصولاً محكمة ومتينة في الاستنباط الفقهي وقدرة فائقة علىٰ تقعيد القواعد الفقهية.. ولهذه الأسباب يجدر بفقهاء المسلمين الانفتاح علىٰ فقه أهل البيت إلىٰ جانب فقه سائر المذاهب.

ودعا المؤتمر إلىٰ الاهتمام بتاريخ سادات أهل البيت وعلمائهم ودورهم في إصلاح هذه الأُمّة ونشر الإسلام وحفظ ثغور المسلمين والالتفات إلىٰ هجرتهم الواسعة إلىٰ أطراف العالم الإسلامي وسائر الأقطار الأُخرىٰ شرقاً وغرباً وتقويم ما حقّقته هذه الهجرة من خيرات وبركات للإسلام والمسلمين.

وأكّد المؤتمر الاهتمام بإحياء علم الأنساب وإحصاء سادات أهل البيت وإعادة نقابات البيت النبوي علىٰ الطريقة المألوفة في التاريخ الإسلامي. كما أكّد علىٰ ضرورة إنشاء مركز وثائقي يتكفّل بضبط شجرات الأشراف وإيجاد مكتبة عامّة ترتبط بذلك.

وقد اهتمّ المؤتمر (وهو يدرس قضية الوحدة الإسلامية) بموضوع الغزو الثقافي الذي يمارسه الغرب في العالم الإسلامي مهدّداً وحدته وأمنه الفكري وتراثه الحضاري مستخدماً في هذا السبيل كلّ الوسائل الإعلامية الحديثة. ولأجل هذا يوصي المؤتمر بإنشاء مؤسّسات إعلامية وثقافية وعلمية كبيرة لمواجهة تحدّيات المؤسّسات الإعلامية والثقافية الغربية، مضاهية لحجم وقدرة تلك المؤسّسات العاملة في الغرب.

وقد دعا المؤتمر المسلمين، شعوباً وحكّاماً وأنظمة وقيادات إلىٰ أن يدعموا بكلّ إمكاناتهم السياسية والاقتصادية والإعلامية الانتفاضة الفلسطينية التي تعبّر عن إرادة الشعب الفلسطيني وإرادة الأُمّة الإسلامية في تحرير فلسطين والمسجد الأقصىٰ...

وعلىٰ المسلمين جميعاً أن يعملوا ما في وسعهم لدعم هذه الانتفاضة وإيقاف المجازر البشرية الرهيبة التي تقوم بها إسرائيل بأبشع الصور التي لم يعرف مثلها في التاريخ البشري.

ونحن علىٰ يقين من أنّ المسلمين إذا وقفوا وقفة قوية موحّدة تجاه الدعم الأميركي السياسي والإعلامي والاقتصادي والعسكري غير المحدود للعدو الصهيوني فإنّ ذلك سيضطرّ أمريكا لتغيير سياستها الداعم لإسرائيل وكما يضطرّ العدو الصهيوني إلىٰ أن يكفّ عن العدوان اللامحدود تجاه الشعب الفلسطيني ويتراجع عن موقفه المتعنّت كما انسحب بالأمس من جنوب لبنان تحت ضربات المقاومة الإسلامية.

وقد أولىٰ المؤتمر اهتماماً خاصّاً بقضية المسلمين في البلقان والشيشان وأفغانستان وسائر المناطق، وما يجري عليهم من ويلات داعياً الأُمّة الإسلامية بالاهتمام بهذا الأمر والسعي لرفع معاناتهم من قتل وتشريد.

وإذ يسجّل المؤتمر بارتياح حالة التوافق والتقريب بين المسلمين يدعو إلىٰ المزيد من توظيف الحوار الموضوعي والعلمي في معالجة الخلافات الفكرية والفقهية والثقافية فيما بين المسلمين بروح من التسامح والأُخوّة محذّراً من إثارة المسائل الخلافية في الأجواء غير العلمية وغير ذات الاختصاص.

وفي الختام نسأل الله تعالىٰ أن يرفع عن هذه الأُمّة التي تحمل اليوم لواء التوحيد، ما حلّ بها من الكوارث والمحن كما نسأله تعالىٰ أن يوحّد كلمتهم تحت

لواء التوحيد ويرصّ صفّهم ويربط علىٰ قلوبهم ويجعلهم أئمّة وسادة وقادة علىٰ وجه الأرض ويعزّ بهم الإسلام وأهله ويذلّ بهم الكفر وأهله.

كما أدّد المؤتمرون علىٰ الشكر للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية لعقد هذا المؤتمر الكبير للبحث حول مكانة أهل البيت بين المسلمين.

كما شكروا الجمهورية الإسلامية الإيرانية قائداً وحكومة وشعباً علىٰ هذه الدعوة المباركة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحور الأوّل

المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام في الأمّة الإسلامية

أهل البيت عليهم السلام في الحياة الإسلامية

(١)

الإمامة
وأهل البيت عليهم السلام
القسم الأول: النظرية

آية الله السيّد محمّد باقر الحكيم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

تقديم:

البحث الذي نريد أن نتناوله هو الحديث عن النظرية الإسلامية في موقع أهل البيت عليهم السلام في الرسالة الإسلامية : (الإمامة).

وهٰذا الموضوع من الموضوعات المهمة، حيث نشير في البداية إلىٰ مفهوم (الإمامة)، ثمَّ إلىٰ أبعاد النظرية الإسلامية فيها.

نظرية الإمامة:

وفيما يتعلق ببيان (النظرية)، يلاحظ بأن الرسالات الإلهية السابقة كانت تعتمد في إدامتها واستمرارها وبقائها علىٰ مجموعة من الأنبياء الذين يأتون بعد كل نبي من الأنبياء أُولي العزم، يتحملون مسؤولية هٰذه الرسالة علىٰ مستوىٰ الإدامة والتطبيق والتفسير، ولكن الرسالة الخاتمة التي هي أعظم هٰذه الرسالات وأفضلها، وأراد الله لها الإستمرار والبقاء إلىٰ آخر الحياة البشرية، يلاحظ فيها أنها رسالة لا يوجد فيها نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لما نص عليه القرآن من قوله تعالىٰ ﴿ *مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...* ﴾[1]، وكذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتواتر عنه صلى الله عليه وآله لدىٰ المسلمين من قوله لعليٍّ عليه السلام :

---

١ ـ الأحزاب : ٤٠.

(... أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّاأنه لا نبيّ بعدي)[1].

إذن، فهٰذه الرسالة ـ من ناحية ـ هي أعظم الرسالات الإلهية، وأُريد لها الإستمرار والدوام أكثر مما أُريد للرسالات الإلهية الأخرىٰ، ومن ناحية أخرى فهل نجد أن هٰذه الرسالة لم توضع لها ضمانات للإستمرار والبقاء، كما وضعت ضمانات للرسالات السابقة التي جاء بها الأنبياء أُولو العزم، حيث كانوا يقومون بمهمة إدامة زخم تلك الرسالة ومتابعة الإشراف علىٰ تطبيقها ودعوة الناس إليها؟، أو أنَّ الله تعالىٰ وضع ضمانة من نوع آخر؟

هٰذا السؤال هو الذي يفرض الحديث عن وجود الإمامة، وموقع ودور أئمة أهل البيت عليهم السلام منها، وأنَّ الله تعالىٰ شاء أن يكون استمرار الرسالة الخاتمة عن طريق (الامامة)، وأن تكون هٰذه الإمامة في أهل البيت سلام الله عليهم.

وهٰذا الموضوع وإن كان يحتاج إلىٰ بحث وشرح واسع، ولكن سوف أشير إليه في حدود الإثارة وبعض خطوطه العامة فيما يأتي من البحث ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ حيث نحاول معالجة سؤالين حوله :

الأول : ما هي ضرورة وجود الإمامة في الرسالة الخاتمة.

الثاني : لماذا كان استمرار الإمامة في الرسالة الخاتمة في خصوص أهل البيت عليهم السلام ؟ ولم يوضع هٰذا الدوام بصيغة أوسع وأشمل من هٰذه الأسرة الشريفة وهم (أهل البيت)، ووضعت الإمامة والإختصاص في خصوص (آل النبي محمد صلى الله عليه وآله).

وجواب كل واحد من هٰذين السؤالين يحتاج إلىٰ بيان بعدين :

---

١ ـ البحار ٢١ : ٢٠٨، حديث ١، مستدرك الحاكم ٣ : ١٠٩، صحيح البخاري ٣ : ٥٨، راجع كتاب المراجعات : ١١٩، مراجعة رقم ٢٨، وقد ذكر فيه مصادر علماء المسلمين.

أحدهما : تفسير هٰذه الظاهرة، لأن الظواهر الإلهية والإسلامية بصورة عامة ليست ظواهر اعتباطية، أو مجرد قضايا تعبدية، وإنما هي ظواهر لابد أن تكون وراءها حكمة ومصالح تفسر هٰذه الظواهر، وهو بُعد من البحث ذو طابع جديد نسبياً.

والبعد الآخر : هو الإستدلال بالطرق العلمية المتبعة على ثبوت هٰذه الظاهرة في الإسلام واختصاصها بأهل البيت عليهم السلام.

ولكن سوف نقتصر في البحث على البعد الأول لاستمرار النبوة وهو التصور النظري لها.

فأولاً : نحتاج بالنسبة إلى النظرية أن نتبين دور الإمامة وضرورتها في الرسالة الخاتمة من أجل ملأ هٰذا الفراغ الرسالي، ببيان خصوصيات ما يملأ فراغ ضرورة استمرار الرسالة، حيث أُريد لهٰذه الرسالة الخاتمة أن تكون رسالة أبدية تنتهي بعمر البشرية.

وثانياً : نحتاج أن نتبين اختصاص أهل البيت عليهم السلام بهٰذا الدور دون غيرهم من الناس، وتفسير هٰذا الاختصاص، وهل أنه هو مجرد اصطفاء غيبي دون وجود تفسير له علاقة بحركة البشرية والحياة الاجتماعية، أو أن هٰذا الإصطفاء له علاقة بهٰذه الحياة البشرية، ومن ثمَّ وجود الإرتباط بين الأمر الأول والثاني.

وسوف نتناول ذلك كله في مدخل وفصلين.

أما المدخل : فهو في بيان مفهوم (الإمامة).

الفصل الأول : في ضرورة (الإمامة) وموقعها في الرسالة الإسلامية.

الفصل الثاني : في اختصاص (الإمامة) بخصوص (أهل البيت عليهم السلام).

نظرية الإمامة

المدخل

مفهوم الإمامة:

أشرنا في التقديم، إلىٰ أنَّ مفهوم الإمامة في الثقافة الإسلامية العامة الرسمية المعروفة يتبادر منه الولاية والحكم، ويمثل هٰذا الفهم لهٰذا المفهوم تصوراً تحريفياً لمفهوم الإمامة، إذا أردنا أن نرجع فيه إلىٰ المصادر الإسلامية الأصيلة، كالقرآن الكريم والسنة النبوية.

ولعل السبب في هٰذا التحريف لهٰذا المفهوم هو فرض الأمر الواقع في التاريخ الإسلامي، وجعله مبرراً لاستنباط هٰذا المفهوم وتحريفه، حيث أن مدرسة تبرير الأمر الواقع فرضت نفسها علىٰ الكثير من المفاهيم والتلقي والاستنباط للنصوص الإسلامية، وما يعبر عنه بالإجتهاد في مقابل النص، أو التفسير بالرأي، وذلك بتحميل النص العناصر الذاتية والميول الخاصة أو الظروف السياسية والاجتماعية وتفسيره بها، بحيث يتحول الأمر الواقع والسلوك الخاص لهٰذه الجماعة وتلك حقيقة يقاس ويفهم بها النص الإسلامي.

بدل أن يؤخذ النص الإسلامي بصورة موضوعية، ويفهم من خلال مداليل الكلام لغة، ومن خلال القرائن الحالية والمقالية التي أحاطت به، ويصبح بذلك ـ مع الأسف ـ السلوك الاجتماعي للإنسان مفسراً وموجهاً للنص الإسلامي، بدل أن يكون النص الإسلامي هادياً وموجهاً للسلوك الاجتماعي.

وقبل الإستغراق بذلك، يحسن بنا الرجوع إلىٰ النصوص القرآنية التي تعتبر أفضل مصدر لفهم مدلول (الإمامة)، ثم نستعين بالنصوص النبوية في هذا الفهم، لنخرج بذلك بمفهوم صحيح عن (الإمامة).

ولعل أفضل نص يمكن أن نتعرف من خلاله علىٰ مفهوم الإمامة، هو الآية الكريمة التي تحدثت عن جعل الإمامة لإبراهيم عليه السلام، والذي تؤيده مجموعة نصوص قرآنية أُخرىٰ.

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

حيث يمكن أن نفهم من هٰذا النص عدة أبعاد لمفهوم الإمامة :

الأول : أنَّ الإمامة هي هداية الناس إلىٰ الله تعالىٰ من خلال تقدمهم في المسيرة الربانية عملياً.

وهٰذا ما يدل عليه مفهوم الإمامة لغة، وتؤكده مجموعة من الآيات الكريمة التي تحدثت عن الإمامة، وقرنت الإمامة بالهدىٰ، قوله تعالىٰ في معرض حديثه عن قصص إبراهيم عليه السلام وولده : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[2]. وقوله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[3]، وكذلك ما ورد في سورة الأنعام في معرض الحديث عن الأنبياء منذ نوح عليه السلام إلىٰ عيسىٰ عليه السلام : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

١ ـ البقرة : ١٢٤.

٢ ـ الأنبياء : ٧٣.

٣ ـ السجدة : ٢٤.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾[١].

ويبدو من هذه الآيات الكريمة أنَّ الهداية ليست مجرد الموعظة والإرشاد وبيان الحقائق الإلهية، (بل هي الهداية التي تقع بأمر الله تعالىٰ. وهذا الأمر هو الذي بين حقيقته في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾)[٢]. ولعله بذلك كانت هذه الإمامة مجعولة من قبل الله تعالىٰ ﴿ ... إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ... ﴾[٣].

الثاني: أنَّ الإمامة عهد إلهي إلىٰ عباده الصالحين ـ كما تصرح بذلك الآية الكريمة ـ ﴿ ... قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾، ويفهم ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿ ... إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ... ﴾، والسر في ذلك ـ ما أشرنا إليه ـ من أنها هداية بأمر الله تعالىٰ.

ولذلك لابد أن نفترض فيها جانب من الاصطفاء والإجتباء من ناحية كما تشير إليه الآيات الكريمة التي تحدثت عن الاصطفاء، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤].

كما افترضنا فيها ـ في الوقت نفسه ـ درجة خاصة من الهداية العملية، بحيث تكون هداية بأمر الله تعالىٰ، لا بأمر الإنسان ومبادراته واجتهاداته وفهمه للدين، من

---

١ ـ الآية: ٨٩ ـ ٩٠.

٢ ـ يس: ٨٢ ـ ٨٣. الميزان ١: ٢٧٢.

٣ ـ البقرة: ١٢٤.

٤ ـ آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

خلال الإكتساب للعلم والتفقه في الدين وقيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالث : أنَّ الإمام لا يمكن أن يكون ظالماً ـ كما تصرح بذلك الآية الكريمة ـ ﴿ ...لاَ يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾، ولابد أن يكون انتفاء الظلم عن الإمام بدرجة عالية لما تقتضيه عدة قرائن حالية ومقالية، ثم تناولها في أبحاث التفسير[1]، ترجع في نهايتها :

إما إلىٰ مناسبات الحكم والموضوع، حيث أن السؤال أو الطلب من إبراهيم عليه السلام لإمامة ذريته، إنَّما يتناسب مع سؤال أو طلب الإمامة للمؤمن من ذريته، وحين يأتي النفي لوصول العهد إلىٰ الظالم فهو نفي للظالم المؤمن، وهٰذا يدل علىٰ النقاء المطلق.

أو إلىٰ أنَّ طبيعة هٰذه الهداية الربانية العملية التي تكون بأمر الله تعالىٰ وباصطفائه وجعله، إنَّما تناسب الإنسان الذي يكون سعيداً ومهتدياً بذاته، دون أن يكون بحاجة إلىٰ هداية غيره، وهٰذا يعني بلوغ درجة العصمة العالية التي تؤهله لهٰذه الهداية.

أو أن هٰذا الجعل الإلهي للإمامة والهداية الخاصة بعد الابتلاء والامتحان، إنَّما يتناسب مع هٰذا المستوىٰ العالي الراقي من التكامل الإنساني، والذي تمَّ تأكيده بقوله تعالىٰ : ﴿ ...لاَ يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

الرابع : أنَّ الإمامة هي مرتبة عالية أعلىٰ من درجة النبوة التي كان عليها إبراهيم عليه السلام عند مخاطبته بهٰذا الجعل الإلهي، كما يبدو ذلك من بعض القرائن القرآنية من مخاطبته بها بعد الإبتلاء والامتحان، وهو ما تحقق بعد النبوة، ومن

---

١ ـ يمكن مراجعة بحث هٰذه الآية في كتاب تفسير الميزان ١ : ٢٧٣ ـ ٢٧٤، للعلامة الطباطبائي قدس سره.

سؤال أو طلبه الإمامة لذريته، ولم تكن له ذرية إلّا في آخر عمره.

وهو ما تشير إليه الآيات الكريمة التي تحدثت عن الأنبياء السابقين، من أنَّ هٰذا الجعل كان بعد نبوتهم، وما تنص عليه بعض الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، مثل ما رواه الكافي عن الصادق عليه السلام: ((*إنَّ الله عز وجل اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وأن الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: ﴿...إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾، قال عليه السلام: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿...وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قال عليه السلام: لا يكون السفيه إمام التقيّ*))[1].

وعندما تكون الإمامة أعلىٰ درجة من النبوة، فلابد أن تجتمع فيها أبعاد النبوة ومسؤولياتها بأعلىٰ درجاتها، بل يمكن أن نقول: بأن الإمامة تمثل تطوراً وسمواً في حركة النبوة، يتناسب مع تطور الإنسان في إدراكه وفهمه للحياة والمشاكل التي تواجهه في هٰذا الفهم، وتطور المجتمع الإنساني في علاقاته ومشاكله الحياتية، بحيث يتحول دور النبي فيها من دور الإخبار وبيان الحقائق وحمل الرسالة الإلهية إلىٰ الناس وإبلاغها لهم، إلىٰ دور أعظم وهو: دور التجسيد العملي الاجتماعي لهٰذه الرسالات، بحيث يصبح هادياً لهم من خلال ذلك أيضاً، ودور التزكية والتطهير والتعليم وإقامة الحق والعدل بين الناس، وحل مشاكلهم والحكم في ما يختلفون فيه.

الخامس: إنَّ هٰذه الإمامة هي إمامة عالمية وللناس جميعاً، وليس خاصة بالقوم والجماعة أو المنطقة والإقليم، بل هي للناس ﴿*...إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ*

---

١ ـ وروي هٰذا المعنىٰ بأسانيد أخرىٰ عن الباقر والصادق عليهما السلام، وللعلامة الطباطبائي رحمه الله بحث روائي جميل ومفيد حول هٰذا الحديث، الميزان ١: ٢٧٦ ـ ٢٧٩.

إِمَامًا ... ﴾.

وهٰذا جانب آخر من تطور النبوة في مساحة عملها وحركتها الخارجية، وليس في آفاقها النظرية، إذ يمكن أن نفترض أنَّ النظرية كانت عامة، ولكن لم تأخذ طريقها إلىٰ الواقع من خلال حركة النبوة الخارجية.

وهٰذا البعد يلقي بظلاله علىٰ محتوىٰ ومفهوم هٰذه الإمامة، بحيث تكون قادرة علىٰ الوفاء بجميع هٰذه الحاجات الإنسانية.

أبعاد الإمامة في نظر أهل البيت عليهم السلام :

وانطلاقاً من هٰذا الفهم للنصوص القرآنية، يمكن أن نلخص أبعاد الإمامة في نظر أهل البيت عليهم السلام، بحيث تمثل نظرية الإمامة في مدرسة أهل البيت :

الأول : بُعد الاصطفاء والإجتباء والإختيار من قبل الله تعالىٰ للإمام، كما هو الحال في النبوة ـ أيضاً ـ وذلك من أجل القيام بالمهمات الخاصة التي اصطفىٰ الله سبحانه وتعالىٰ من أجلها الأنبياء والأولياء، والتي أشار إليها القرآن الكريم في مواضع عديدة مثل : الشهادة والهداية وإبلاغ الرسالات والبشارة والإنذار والتزكية والتعليم وإقامة القسط والعدل بين الناس.

ولكن الإمامة في الحالات التي تنفصل فيها عن النبوة، قد تكون أدنىٰ من النبوة في بعض هٰذه المجالات، كمجال إبلاغ أصل الرسالة الإلهية عن الله تعالىٰ، ولأنَّها ميزة النبوة، وهي أرقىٰ من النبوة في بعض المجالات الأُخرىٰ كالتزكية والتعليم وإقامة القسط والعدل بين الناس.

وهٰذا البعد يمكن أن نفهمه من الجعل والاصطفاء للأنبياء، كما ذكرنا سابقاً.

الثاني : الاستمرار والامتداد لمهمات الرسالة الإلهية، عندما لا يتسع زمان الرسول صاحب الشريعة للوفاء بالقيام بمهماته كاملة، لأن عمر الرسول ـ عادة ـ

يكون أقصر من عمر الرسالة، وبذلك قد تستمر الرسالة من خلال الأنبياء التابعين للأنبياء أولو العزم، أو من خلال الأئمة عندما تنقطع النبوة، كما في الرسالة الخاتمة، أو عدم الحاجة إليها في بُعد الإبلاغ.

ويمكن معرفة هٰذا البُعد من آية (إمامة إبراهيم عليه السلام)، فيما تبادر إلى ذهن إبراهيم من بقاء الإمامة واستمرارها، مما أثار السؤال عن استمرارها في ذريته، حيث جاء الجواب الإلهي مؤكداً لذلك، كما سوف نشرحه في توضيح النظرية.

الثالث: الإمتياز بالعلم والأخلاق والصفات الروحية المكتسبة ـ عادة ـ من خلال الممارسة والتجربة والامتحان والابتلاء، بحيث يكون المتقدم في ذلك على أهل زمانه، فهو أعلمهم وأفضلهم في صفات الكمال.

وليس من الضروري أن تكون هٰذه الصفات مكتسبة، بل قد تكون منحة إلهية ـ كما سوف نشير ـ ولكن من الضروري أن تكون ثابتة فيه، ليكون مؤهلاً لهٰذه الإمامة.

وهٰذا البُعد يمكن أن نستفيده مما أشارت إليه الآية وغيرها، من أنَّ هٰذا الاستحقاق بسبب هٰذا التأهيل: ﴿*وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا* ...﴾، إذ يفهم منه أنَّ الابتلاء بالكلمات كان السبب في هٰذا الجعل والتأهيل له.

وكذلك ما ورد من قوله تعالىٰ: ﴿*وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟* ...﴾، حيث يفهم منه أنَّ الصبر كان وراء هٰذا الاستحقاق.

ويؤكد ذلك ما يفهم من الآية وورود التصريح به، وفي روايات أهل البيت عليهم السلام، من أن الإمامة أعلىٰ درجة من النبوة.

الرابع: الولاية والحكم والإدارة لشؤون الناس، لإقامة الحق والعدل والقسط بينهم، لأنَّ من يتقدم الناس في هٰذا الأمر، ويتصدىٰ له منهم ويتحمل

مسؤوليته بالاصطفاء الإلهي له، لابد أن يكون مستحقاً لهذه الولاية والإدارة والحاكمية.

وهو بُعد يمكن أن نستنبطه من الآية الكريمة، ومن الآيات الأُخرى التي أكدت وجوب الطاعة للرسول ولأولي الأمر، وذكرت قيام الناس بالقسط والحكم فيما يختلفون فيه هدفاً لإرسال الرسل وبعثة الأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾[2].

الخامس: وجوب الحب والولاء والمودة الخاصة والتقديس والتعظيم للإمام بما يتناسب مع مواصفاته الإيمانية الممتازة ومسؤوليته الإلهية الخطيرة، كما تشير إلى ذلك الآيات الكثيرة التي دلت على حب الرسول، وأنه حب لله تعالى وولائه وتقديسه وتعظيمه...

السادس: أنَّ الإمامة والإمام يمثل التكامل الإنساني في مسيرة البشرية، والهدف الذي خلق الله الإنسان على الأرض من أجل تحقيقه والدرجة العليا في المصير الأخروي، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة وتذكره بصورة أوضح آية جعل الخلافة للناس على الأرض، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[3]، وكذلك الآيات التي تتحدث عن السبب في خلق الإنسان والجن، قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا

---

١ ـ الحديد: ٢٥.

٢ ـ البقرة: ٢١٣.

٣ ـ البقرة: ٣٠.

لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

وذلك لأنَّ الإمام هو الذي يتقدم مسيرة الإنسانية كلها ليهديها إلى هذه الأهداف، فلابد أن يكون المثال الكامل الذي نقتدي به في هذا الطريق.

إنَّ هذه الأبعاد التي يمكن أن نستنبطها من القرآن الكريم تمثل أبعاد نظرية أهل البيت عليهم السلام. وهو موضوع بحثنا الذي سوف نتناوله ـ بإذن الله ـ بقسميه :

الأول : استعراض النظرية وتصورها.

الثاني : الاستدلال عليها.

والله ولي التوفيق والسداد

---

١ ـ الذاريات : ٥٦.

نظرية الإمامة

الفصل الأول

ضرورة الإمامة :

السؤال الأول : لماذا كان من الضروري أن تستمر الرسالة الإسلامية من خلال (الإمامة)، مع أن هذه الرسالة هي رسالة خاتمة، ثم لماذا لم يكن هذا الإستمرار بهذه الصورة في الرسالات السابقة، بل كان من خلال النبوات التابعة؟

أما عدم الإستمرار من خلال النبوات التابعة، فلأن الاستمرار للنبوة في الرسالات السابقة كان أمراً طبيعياً، وذلك للوصول بالرسالة والإنسانية معاً إلى مرحلة التكامل الرسالي والإنساني، فكان من الضروري أن يأتي أنبياء تابعون للرسالة الإلهية التي يرسل الله تعالى بها نبياً من الأنبياء أولي العزم، لأن الرسالات الإلهية كانت تتعرض إلى التحريف فيها لدرجة تفقدها دورها الرسالي المطلوب من ناحية، كما أن الرسالات لم تبلغ التكامل الرسالي المفروض الذي بلغته في الرسالة الخاتمة من ناحية أخرى، والإنسانية لم تبلغ مرحلة التكامل الرسالي في ثبات الأصول والمبادىء الأساسية للرسالات الإلهية في مسيرتها من ناحية ثالثة. فنحتاج إلى هذه النبوات التابعة التي قد يندمج فيها دور النبوة والإمامة في بعض الأحيان، وقد ينفصل حسب طبيعة المرحلة والزمان، فنشاهد :

أنبياء دون إمامة لإبلاغ الرسالة وبيان أو كشف ما تعرضت له من تحريف.

أو أوصياء دون نبوة، ليكون دورهم هو مواصلة دور النبوة السابقة المحدود.

أما في الرسالة الخاتمة وبعد فرض تكاملها الرسالي والإنساني معاً، سواء على مستوى النظرية أو ثبات الأصول والمبادىء الأساسية للرسالة، فنحن لسنا بحاجة إلى أنبياء تابعين يبلغون الرسالة، ولذا أنقطعت النبوة في الرسالة الإسلامية[١].

وأما لماذا كان هٰذا الإستمرار من خلال خط الإمامة في الرسالة الخاتمة دون النبوة؟

فقد أشرنا في حديثنا إلى أن الحاجة في الرسالة الخاتمة إلى الإستمرار والبقاء ـ بسبب أهميتها وجلالتها وسموها وامتيازاتها على الرسالات السابقة ـ أكثر من الحاجة بالنسبة إلى الرسالات السابقة، لأنها الرسالة الأهم والأعظم، فكيف لا تحتاج إلى من يتابعها، مع أن الرسالات الأقل إحتاجت إلى مثل هٰذه المتابعة؟!

ولكن هٰذه المتابعة ليست على مستوى مواصلة إبلاغ الرسالة، أو المحافظة عليها من التحريف، والسبب في ذلك :

إما على مستوى إبلاغ الرسالة، فإنَّ الرسالة قد أصبحت من حيث مضمونها ومحتواها الرسالي رسالة خاتمة وكاملة، ولا تحتاج عندئذ إلى متابعة على مستوى (الأنبياء) لبيان أصل الرسالة وتثبت الأصول لها، لأن النبي ﷺ أكملها في بلاغها وعرضها على الناس، وقد صرح القرآن الكريم بذلك : ﴿ ...*ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا* ... ﴾[٢]، إذن، فالرسالة الخاتمة من هٰذه الناحية لا تحتاج إلى إكمال ومتابعة على مستوى البلاغ

---

١ ـ عالجنا هٰذا الموضوع في بحثنا حول خصائص الرسالة الإسلامية (العالمية، الخاتمية، الخلود)، ولمزيد من التوضيح يمكن مراجعة البحث المذكور.

٢ ـ المائدة : ٣.

والتبشير والإنذار الذي يتحمله الأنبياء التابعون عادة، لمعالجة الإنحرافات وتثبيت الأصول والأسس، نعم قد تحتاج إلىٰ إكمال بيان بعض التفاصيل، ولكن ذلك وحده لا يفسر الحاجة إلىٰ (الإمامة) ودورها الكبير في النظرية الإسلامية.

وأما علىٰ مستوىٰ المحافظة عليهامن التحريف، فقد شاء الله سبحانه وتعالىٰ أن تختص الرسالة الإسلامية من بين الرسالات الأخرىٰ بضمانات ووسائل الحفظ من الضياع والتحريف المطلق في مضمونها، وذلك من خلال عدة عناصر أساسية ومهمة، يأتي في مقدمتها القرآن الكريم، والمحافظة عليه من التحريف والزيادة والنقصان، ببركة قيام النبي صلى الله عليه وآله بتدوينه، وكذلك وجود العدد الكبير من الصحابة الأفذاذ الصالحين وفي مقدمتهم الإمام علي عليه السلام، الذين تمكنوا من حفظ القرآن في الصدور، وغير ذلك من الأسباب الغيبية أو المادية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]، ولاشك أن لوجود أهل البيت عليهم السلام دور مهم وعنصر أساس ـ أيضاً ـ في ذلك[2].

وهي بذلك لم تعد بحاجة إلىٰ نبوات تابعة كما ذكرنا.

ولكن مع ذلك كله، تبقىٰ الرسالة الإسلامية الخاتمة بحاجة إلىٰ وجود متابعة لهاعلىٰ مستويات أخرىٰ مهمة، ومن أجل ذلك كان وجود الإمامة وإستمرار الرسالة من خلالها ضرورة لازمة.

ولتوضيح ذلك، أشير إلىٰ ثلاث نقاط رئيسية، لابد من الإهتمام بها ومتابعتها وبحثها بدقة :

---

١ ـ الحجر : ٩، عالجنا هذا الموضوع في بحث ثبوت النص القرآني من كتابنا علوم القرآن : ٩٩.

٢ ـ أشرنا إلىٰ هذا الدور في بحث التفسير عند أهل البيت عليهم السلام الذي نشر جانب منه في كتابنا علوم القرآن : ٣٠٧.

الإمامة والإختلاف في العبادة:

النقطة الأولىٰ : أن الأنبياء عندما يرسلهم الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ عباده كانوا يقومون بمهمات ذات بعدين رئيسيين :

أحدهما : البلاغ والإنذار لهؤلاء الناس فيبيّنوا الرسالة بتفاصيلها المطلوبة، وهٰذا ما قام به رسول الله ﷺ في الرسالة الخاتمة، وقام به الأنبياء السابقون ـ أيضاً ـ في الرسالات الأخرىٰ.

ثانيهما : مواجهة ظاهرة الإختلاف في المجتمع الإنساني والعمل علىٰ حله، لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ ...فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ... ﴾[1].

وتدخل مهمة التزكية والتطهير ومهمة التعليم، كنتيجة لهاتين المهمتين الرئيسيتين.

إذن، قضية الإختلاف هي قضية مهمة جداً يواجهها الأنبياء في عملهم وحركتهم ويتحملون مسؤولية حلها.

والإختلاف هنا هو أختلاف في المثل العليا التي يتخذها هٰؤلاء الناس للعبادة وفهمهم للحياة والكون وحركتهم الاجتماعية، حيث يتخذ هٰؤلاء الناس لهم الآلهة المصطنعة ـ والمثل المحدودة، أو التكرارية[2]، والأسماء المزيفة المستلهمة من القوىٰ الموجودة في هٰذا الكون، أو الشهوات والأهواء والميول، أو الطغاة والمستكبرين والمترفين، أو من تقليد الأباء والأجداد ـ يعبدونها من

---

١ ـ البقرة : ٢١٣.

٢ ـ إصطلاح إستخدمه الشهيد الصدر ﷺ في بحثه حول المجتمع الإنساني من بحوث التفسير الموضوعي، عندما طرح فكرة المثل الأعلىٰ في العبادة، محاظرات التفسير الموضوعي : ١٨٤، طبعة دار التعارف.

دون الله.

ولما كان عمر الرسول محدوداً ـ عادة ـ لا يستوعب الزمان الكافي لحل هٰذا النوع من الأختلاف خارجياً، بحيث يمكّنه من إزاحة جميع العوائق والموانع التي تقوم أمام الرسالة في حركتها الاجتماعية والإنسانية، تصبح الرسالة بحاجة إلىٰ قيادة (معصومة) للحركة الاجتماعية وإدامة العمل لحل هٰذا النوع من الإختلاف، وهٰذه الحاجة ثابتة في كل الرسالات الإلهية، فكيف إذا كانت الرسالة رسالة خاتمة طويلة الأمد، يراد لها أن تعم الأرض كلها، وتزيل جميع الآلهة المصطنعة، والأمثلة التي يبتدعها الإنسان وتنتصب في وسط طريق التكامل الإنساني.

لذا كانت الحاجة قائمة لوجود القائد وهو الإنسان الكامل الذي نعبر عنه بـ(الإمام)، ليقود خارجياً معركة تحرير الإنسان من كل هٰذه الآلهة والقيود، وتحقيق العبادة المطلقة لله تعالىٰ، دون غيره من الآلهة، وهو المثل الأعلىٰ للحق، لأن معركة التحرير هٰذه تحتاج إلىٰ شخص يتصف بالاستيعاب الكامل والرؤية الواضحة للرسالة من ناحية، والشعور العالي بالمسؤولية أمام الله تعالىٰ في إدامة المعركة من ناحية ثانية، والإدارة القوية في إدارة المعركة التي تعتمد علىٰ جهاد النفس من ناحية ثالثة.

وهٰذا السبب هو ما أشار إليه الشهيد الصدر رحمه الله في حديثه حول ضرورة الإمامة بعد الرسول، وقد أعطىٰ الإمامة مضموناً شاملاً، يتحد مع النبوة أحياناً، عندما تكون الحاجة إلىٰ النبي والقائد معاً، ويفترق عنها أحياناً أخرىٰ، عندما تكون الحاجة إلىٰ القائد وحده، ولكنه علىٰ أن يرتبط بهٰذه المهمة الخاصة وهي قيادة المعركة، وهو ما عبر عنه الشهيد الصدر رحمه الله بقيادة المعركة التي يواجهها الأنبياء في المجتمعات الإنسانية، لإزالة كل الأمثلة المزيفة والآلهة المصطنعة الذي يخترعها الإنسان ويبتدعها، سواء كانت هٰذه الأمثلة المصطنعة والآلهة

المزيفة عبارة عن طواغيت يحكمون بين الناس أو كانت شهوات وهوىٰ يتحكم في مسيرة هٰؤلاء الناس، أو كانت أفكار منحرفة يختلقها الإنسان ويبتكرها، فيجعلها مثالاً له يقتدي ويهتدي به، فيتحول إلىٰ إله يعبده من دون الله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ...﴾[1]، فهي معركة إزاحة هٰذه الآلهة المصطنعة عن طريق الهدىٰ والصلاح والخير الذي يقوده الأنبياء[2].

وهٰذه المعركة عمرها أطول من عمر النبي، فإن عمر الرسول مهما طال زمانه، لا يستوعب زمان الإختلاف، لأن الله تعالىٰ جعل قضية الإختلاف بين الناس سنّة من السنن الطبيعية التي تحكم حركة التاريخ في كل الأدوار، فقضية الأختلاف، قضية قائمة لا يختلف فيها زمان عن زمان، ولا تنتهي هٰذه القضية إلا بنهاية حركة البشرية، أو بلوغها سن الرشد الاجتماعي، والقرآن الكريم يشير إلىٰ ذلك ـ أيضاً ـ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ...﴾[3].

إذن، فالمعركة ضد الإختلاف تحتاج إلىٰ من يقودها، وزمنها أطول من زمن النبي، ولو كانت هٰذه المعركة تنتهي بزمن النبي كان يمكن للنبي أن ينهي المعركة ولا نحتاج إلىٰ من يقودها من بعده، ولكنه لما كانت هٰذه القضية هي سنّة تحكم حركة التاريخ، فنحتاج إلىٰ من يقود هٰذه المعركة ، معركة إزاحة الآلهة المزيفة والمصطنعة أمام الحركة التكاملية للإنسان.

وقيادة هٰذه المعركة تارة تكون من قبل نبي يقوم بدور الإمام ـ أيضاً ـ كما في

---

١ ـ النجم : ٢٣.

٢ ـ التفسير الموضوعي : ١٩٥ ـ ١٩٦.

٣ ـ هود : ١١٨ ـ ١١٩، ولعل في الاستثناء إشارة إلىٰ سن الرشد هٰذا.

كثير من الأنبياء السابقين التابعين، وأخرىٰ تكون من قبل الإمام الذي لا يتصف بعنوان النبوة لعدم الحاجة إليها، ولما كانت الرسالة الإسلامية هي الرسالة الخاتمة، الكاملة، المحفوظة، ونبوة محمد صلى الله عليه وآله لا نبوة بعدها، اقتضىٰ أن يكون الدور للإمامة التي لا تتصف بالنبوة.

والشواهد التاريخية علىٰ هٰذه الحقيقة عديدة تؤكد النظرية التي أشارت إليها الآيات القرآنية المذكورة، وهٰذه الآيات تكفي أن تكون شاهداً ودليلاً عليها، ولكن الواقع التاريخي شاهد ـ أيضاً ـ علىٰ هٰذه الحقيقة، فإن ظاهرة الأختلاف ظاهرة قائمة وثابتة في التاريخ الإنساني ـ كما ذكرنا ـ كما أنها ظاهرة ثابتة في التاريخ الإسلامي في زمن النبي وبعده، ولا يمكن لأحد من الناس أن ينكرها أو يخفيها، فهٰذه القضية ليست مجرد قضية نظرية، وإنما هي قضية ذات واقع قائم في المجتمع الإنساني والإسلامي كله، وهٰذا هو ما نواجهه ـ أيضاً ـ في هٰذا العصر والزمان.

الإمامة والإختلاف في التأويل:

النقطة الثانية : إن الرسالات الإلهية تواجه ـ عادة مع غض النظر عن الإختلاف الأول الذي ذكرناه في النقطة الأولىٰ ـ بعد ثبوتها ورسوخ أقدامها نوعاً آخر من الإختلاف وهو الإختلاف في تفسير هٰذه الرسالة، وفهم مداليها وتأويلها وتجسيد المصاديق الخارجية فيها، وهٰذا نوع آخر من الإختلاف، أشار إليه القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة التي تحدث فيها عن أهل الكتاب وما اختلفوا فيه من تأويل الكتاب، منها قولهُ تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾[1]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[2]، كما أن بعض الآيات القرآنية أشارت ـ أيضاً ـ إلىٰ كلا النوعين من الإختلاف، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

وهٰذا النوع من الإختلاف هو معركة أخرىٰ تخوضها الرسالات الإلهية ـ عادة ـ وهو غير الإختلاف الناشيء من تحريف أصل الرسالة بمعنىٰ ضياع بعض معالمها المهمة، والذي حفظ في الرسالة الإسلامية، فهو تحريف في التطبيق والفهم، ويحتاج ـ أيضاً ـ إلىٰ قيادة معصومة في فهمها الكامل للرسالة وفهم مضمونها وآفاقها، وفي معرفتها لتفاصيلها التي لايمكن ـ عادة ـ للنبي أن يبينها لجميع الناس ـ كما تدل علىٰ ذلك شواهد كثيرة[4] ـ وكذلك معصومة في حرصها

---

١ ـ البقرة: ١٧٤ ـ ١٧٦.

٢ ـ الجاثية: ١٦ ـ ١٧.

٣ ـ البقرة: ٢١٣.

٤ ـ ذكرنا هٰذه الحقيقة مع بعض شواهدها في بحثنا عن التفسير في زمن النبي (علوم القرآن) وفي بحثنا الآخر عن التفسير عند أهل البيت، وسوف نتناول هٰذا الموضوع مرة أخرىٰ بصورة تفصيلية في البحث عن المرجعية الفكرية لأهل البيت عليهم السلام.

علىٰ الرسالة وقيمها ومُثلها ومبادئها وصبرها واستقامتها في هٰذا الطريق، وتحمّلها لمسؤوليتها وأعبائها.

وقد كان يتم ذلك ـ أيضاً ـ عن طريق النبوات التابعة من الرسالات الإلهية الأخرىٰ، أو الأوصياء الذين كانوا يتحملون هٰذا الدور من الإمامة ـ أيضاً ـ وأما في الرسالة الخاتمة فقد تمحّض هٰذا الأمر في دور الأمامة.

وهٰذا النوع من الإختلاف هو الذي يفسر لنا ما ورد في أحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عندما كان يتحدث مع علي عليه السلام، وغيره عن مستقبل الايام في التاريخ الإسلامي وتطورات الأحداث فيه، حيث كان يتحدث هناك عن معركتين إحداهما علىٰ (التنزيل) كان يقودها رسول الله صلى الله عليه وآله في مواجهة المشركين وأهل الكتاب، ومعركة أخرىٰ هي معركة علىٰ (التأويل) الذي كان يخبر الرسول عن دور الإمام علي عليه السلام في قيادتها، فقد روىٰ سعيد بن المسيب، عن سعيد بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله قال: *((يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبي بعدي، تقضي ديني وتنجز عدتي وتقاتل بعدي علىٰ التأويل كما قاتلت علىٰ التنزيل، يا عليّ حبّك إيمان وبغضك نفاق ولقد نبّأني اللّطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة، معصومون مطهّرون، ومنهم مهديّ هٰذه الأمة، الّذي يقوم بالّدين في آخر الزمان كما قمت به في أوله))*[1].

إذن، فهٰذه المعركة هي قضية حقيقية قائمة في التاريخ الرسالي والتاريخ الإسلامي وقد ذكرها القرآن الكريم علىٰ مستوىٰ تاريخ الأنبياء ـ أيضاً ـ وأكدتها

---

١ ـ البحار ٣٦ : ٣٣١، حديث ١٩٠، وقد ورد مضمون القتال علىٰ التأويل والقتال علىٰ التنزيل في عدد من النصوص التي رواها الفريقان، راجع تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٧ ـ ١٣٦، ومستدرك الصحيحين ٣ : ١٢٢، قال الحاكم : هٰذا حديث صحيح.

الأحداث التي جرت بعد رسول الله ﷺ كحقيقة من الحقائق التاريخية، أخبر بها رسول الله ﷺ في مستقبل الأيام.

الإمامة والولاية:

النقطة الثالثة : إن الرسالة الخاتمة إمتازت بإمتيازات عديدة لم تشبهها فيها الرسالات الإلهية السابقة وكان من جملة الإمتيازات في الرسالة الخاتمة ـ كما ذكرنا سابقاً ـ هو أن الله تعالىٰ شاء أن يحفظ هٰذه الرسالة بمضمونها الرسالي بصورة كاملة من خلال القرآن الكريم، ولذا لم تحتاج إلىٰ النبوات التابعة، أما الرسالات السماوية الأخرىٰ فقد تعرضت للتحريف والضياع، لأسباب يطول الحديث فيها[1].

وكان أحد الإمتيازات المهمة ـ أيضاً ـ هو أنها تمكنت من أن تقيم الدولة الإسلامية (الكيان السياسي الإسلامي) في المجتمع الإنساني في عصر صاحب الرسالة وبعده.

فقد دعت الرسالات السابقة إلىٰ إقامة الحق والعدل بين الناس وإلىٰ تحكيم ما أنزل الله تعالىٰ بين الناس، كما دعت الرسالات الإلهية الأُخرىٰ إلىٰ ذلك، فقد قال القرآن الكريم في سياق الحديث عن نزول التوراة : ﴿ ...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾، وقال في سياق الحديث عن نزول الإنجيل : ﴿ ...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾، كما قال في سياق الحديث عن نزول القرآن الكريم :﴿ ...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ

---

١ ـ لا أريد أن أتعرض هنا إلىٰ جميع إمتيازات الرسالة الخاتمة علىٰ الرسالات السابقة، وقد أشرت إلىٰ بعض هٰذه الإمتيازات في بحث (العالمية والخاتمية والخلود) في رسالة الإسلام، ولكن أريد أن أشير هنا إلىٰ الإمتيازات التي هي محل الشاهد في بحثنا هٰذا.

﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[١].

إذن، فقضية الدعوة إلىٰ إقامة الحكم بين الناس ليست خاصة بخصوص الرسالة الإسلامية، بل أن قضية إقامة الحكم بما أنزل الله بين الناس هي قضية ترتبط بكل الرسالات الإلهية.

ولكن شاء الله تعالىٰ في حركة وتاريخ هٰذه الرسالات الإلهية أن يقوم الحكم بين الناس كحالة سياسية اجتماعية خارجية، نعبّر عنها بقيام الدولة الإسلامية، شاء الله تعالىٰ أن يقوم ذلك في خصوص تاريخ الرسالة الخاتمة، دون بقية الرسالات الأخرىٰ.

فنوح عليه السلام لم يتمكن من تحقيق قيام دولة إسلامية، ولو بمستوىٰ الإسلام الذي جاء به نوح عليه السلام.

كما أن إبراهيم عليه السلام وهو شيخ الأنبياء لم يتمكن أن يقيم هٰذا الكيان السياسي الإسلامي، وموسىٰ عليه السلام شاء الله تعالىٰ أن يقبضه إليه قبل أن يتمكن من إقامة هٰذا الكيان السياسي الإسلامي، بعد أن كان قد مهد له بإخراج بني إسرائيل من سلطة فرعون، وجاء بألواح التوراة، ليحقق ذلك، ولكنهم رفضوا الإستمرار في المسيرة ودخول الأرض المقدسة، لتحقيق هٰذه المهمة الإلهية الصعبة، فكتب الله عليهم أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة[٢].

وكذلك الحال في النبي عيسىٰ عليه السلام، حيث رفعه الله قبل أن يحقق هٰذا الهدف الإسلامي العظيم.

ولم يتمكن الحواريون من أن يقوموا بذلك ـ أيضاً ـ فولدت الرهبانية والإنعزال، وانحرفت المسيحية علىٰ يد بولس، عندما تحولت إلىٰ الحكم

---

١ ـ المائدة : ٤٤ و ٤٥ و ٤٧.

٢ ـ وقد أشار إلىٰ ذلك القرآن الكريم في سورة المائدة الآيات ٢١ ـ ٢٦.

والسلطان والقيصرية.

وشاء الله تعالىٰ أن يكون ذلك من امتيازات نبوة محمد ﷺ.

إذن، فهٰذا من الامتيازات الخاصة التي امتازت بها الرسالة الإسلامية[1].

إذن، فعندما تكون من خصائص هٰذه الرسالة وجود هٰذه الدولة، فهٰذه الدولة تحتاج إلىٰ قيادة تقودها، وهٰذه القيادة لابد أن تكون في منذ البداية معصومة،

---

١ ـ هٰذا بحث عميق وفيه الكثير من التفاصيل، وقلت انني أشير هنا إلىٰ العناوين الكلية.

ومن هٰذه التفاصيل تفسير ظاهرة قيام الدول التي أقامها بعض الأنبياء، كداود وسليمان عليهما السلام، وغيرهما من الأنبياء الذين أقاموا دولاً. وأشار القرآن الكريم إلىٰ ذلك، عندما يتحدث عن تفضيل ونعم الله علىٰ بني إسرائيل بقوله تعالىٰ: ﴿... إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ...﴾، المائدة: ٢٠، فأن بعض هٰؤلاء الأنبياء أقاموا دولة، ولكن هٰذه الدولة التي أقاموها تختلف بحسب مضمونها وهويتها وخصوصياتها عن هٰذه الدولة الإسلامية التي أقامها النبي ﷺ، ليس بحسب سعتها ودائرة وجودها وتفاصيلها، بل بحسب الهوية والمضمون ـ أيضا ـ وهٰذا بحث أشرت له بصورة موجزة ـ أيضاً ـ في بحث (العالمية والخاتمة والخلود) كصفات للرسالة الإسلامية.

ولكن بصورة اجمالية يمكن أن نقول: إن الدول التي أقامها هٰؤلاء الأنبياء أقاموها من خلال التحولات البشرية للقدرة والسلطان، فهي دولة ملك سلطان يمكّنه الله تعالىٰ من القدرة في المجتمع، فيقيم حكم الله تعالىٰ، لا أنها دولة أقيمت منذ البداية علىٰ أساس الحركة التغييرية للمجتمع الإنساني الذي تقودها الرسالة التي جاء بها هٰذا النبي، والصراع السياسي والتغيير في المجتمع الإنساني، لإقامة حكم الله في الأرض.

فقد مكّن الله تعالىٰ داود عليه السلام كقائد عسكري من أن يمسك بالقدرة، فيقيم ـ بطبيعة الحال ـ حكم الله، ولذا توجه إليه الخطاب الإلهي ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ...﴾، ص: ٢٦، فمن الطبيعي أن يحكم بين الناس بالحق.

إذن، فكانت هناك قدرة بموجب طبيعة حركة انتقال السلطة بين الناس، ومن بعد هٰذه القدرة أقيمت هٰذه الدولة.

أما النبي ﷺ فقد أقام دولةالإسلام كمشروع طرحه منذ البداية، ثم أسسه وأقام دعائمه.

لتتخذ الدولة صيغتها الإسلامية الكاملة في التطبيق، المتميزة عن الصيغ الأخرىٰ، وهٰذا إنما يتحقق من خلال الإمامة.

لأن مثل هٰذه الدولة، ومثل هٰذه التجربة لا يمكن أن تقاد وبصورة كاملة وصحيحة، بحيث تحقق كل الأهداف التي جاءت بها الرسالة، إلّا بمثل هٰذه القيادة التي نعبّر عنها بالإمامة.

وهنا ينفتح أمامنا باب بحث الخلافة الإلهية، فأن بحث الخلافة الذي هو من الأبحاث الكلامية المهمة التي يتناولها علماؤنا، ويستدلون فيها علىٰ تشخيص من يتولىٰ الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ويقوم بإدارة هٰذه الدولة، هٰذا البحث فيه بعدان :

بُعد يرتبط بالجانب العقائدي وهو إستمرار الرسالة في الإمامة وعصمة هٰذه الإمامة كعصمة الرسالة وهو ما نريد أن نشير إليه في هٰذه الحديث، وبُعد آخر يرتبط بالجانب التاريخي والسياسي والنصوص التي وردت في ذلك، والتحولات الاجتماعية والظروف السياسية التي اقترنت بهٰذا الموضوع، وهٰذا البعد له حديث آخر غير هٰذا الحديث[1].

إذن، فنحن عندما نتحدث عن موضوع الخلافة، وأن هٰذه الخلافة لابد أن يقوم بها الإمام المعصوم، وتكون تجسيداً واستمراراً للحكم الإلهي النبوي، عندما نتحدث عن هٰذا الموضوع، لا نتحدث عن أمر تاريخي قد يقال عنه : أنّه ذهب مع الزمن وانتهىٰ وقته، وإنما نتحدث عن أمر عقائدي، يرتبط بفهمنا للإسلام وللرسالة الإسلامية، ولتكامل هٰذه الرسالة، وهٰذا قضية مهمة جداً.

إذن، فالنقطة الثالثة في ضرورة الإمامة، هي ضرورة وجود قيادة معصومة للحكم الإسلامي والكيان السياسي.

---

١ ـ سوف نتناوله بشيء من التفصيل، عندما نتحدث عن (الولاية) ودور أئمة أهل البيت في قيادة الحكم الإسلامي.

لأن هٰذا الكيان السياسيي من أجل أن يكون قادراً علىٰ تطبيق الحق والعدل علىٰ البشرية بصورة كاملة ودقيقة، تتناسب مع الهدف الكبير لهٰذه الرسالة الإسلامية، لابد له من وجود قائد معصوم لهٰذا الكيان السياسي الإسلامي حتىٰ يمكن تحقيق هٰذا الهدف الكبير، ولذلك نعتقد بظرورة الإمامة المعصومة من أجل تحقيق هٰذا الهدف[1].

العصمة والإمام المهدي:

نحن نعتقد أنه بسبب عدم تولي الإمامة المعصومة لقيادة الحكم الإسلامي لتحقيق هٰذا الهدف العظيم في إقامة الحق والعدل الكامل، شهد التاريخ الإسلامي هٰذا القدر الكبير من الإنحراف في مجال تطبيق العدل والحق، بحيث جعل الرسالة الإسلامية كلها في موضع الشك والريب بسبب الظلم والاستبداد والطغيان الذي مارسه كثير من الحكام المسلمين في عدة قرون من الزمن، في العهود الأموية والعباسية والعثمانية، ولولا الفترة القصيرة للقيادة المعصومة لرسول الله ﷺ وللإمام علي عليه السلام التي تمكنت أن تبين الوجه الناصع الحقيقي لطبيعة الحكم الإسلامي، لكان مواجهة هٰذه الشبهة واقعياً وعملياً أمراً عسيراً، ولاسيما وأن فترة الخلافة الأولىٰ بعد رسول الله التي كانت تتسم بالإعتدال النسبي، شهدت الإضطراب والتذبذب في صيغة الحكم الإسلامي، وفي النتائج المروعة التي انتهت إليها في مقتل الخليفة الثالث، ومن هنا كانت وجود فكرة الإمام المنتظر (عج) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، فكرة مطروحة منذ البداية في الرسالة الإسلامية وهي مما يجمع عليها المسلمون،

---

١ ـ وهٰذا هو ما أشار إليه الشهيد الصدر في حديثه السابق عن المجتمع الإنساني، في بحوث التفسير الموضوعي.

وذلك من أجل تحقيق هٰذا الهدف الكبير في الحكم والانتشار علىٰ مستوىٰ العالم البشري، وفي الكيف علىٰ مستوىٰ التطبيق الكامل للحكم الشرعي، وعندئذٍ تكون كل المساعي التي بذلها أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم بعيدون عن قيادة الحكم الإسلامي والتجربة الإسلامية، وكذلك كل المساعي الأخرىٰ التي بذلها ويبذلها العلماء المجاهدون والمؤمنون في طول التاريخ الإسلامي، كل هٰذه المحاولات إنما هي تمهيد لظهور هٰذه الدولة المباركة الكريمة التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

نظرية الإمامة

الفصل الثاني

الإمامة في أهل البيت عليهم السلام

أما جواب السؤال الثاني : وهو أنه إذا سلمنا بضرورة استمرار خط الإمامة بعد الرسالة الخاتمة، فلماذا كان خط الإمامة مستمراً في خصوص أهل البيت عليهم السلام، وهذه الأسرة الشريفة الطيبة الطاهرة، هل أن القضية مجرد قضية تشريف وتكريم لرسول الله صلى الله عليه وآله، فجعلت الإمامة في أهله وأسرته، أو أن هناك شيئاً أهم وأعظم وأوسع من ذلك بالنسبة لاستمرار الإمامة في أهل البيت عليهم السلام ؟

كان يمكن أن يفترض نظرياً أن يكون الأئمة المعصومون في أسرة ووسط آخر غير هذا البيت الشريف، كما عرفنا في التاريخ الإنساني والرسالي وجود أسر وجماعات أخرىٰ كان فيها أئمة معصومون، كما هو الحال في إسحاق وإسماعيل من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وكما في الأنبياء من ذرية يعقوب الذي يسمىٰ في القرآن الكريم بإسرائيل، فأن هؤلاء كانوا يتصفون بالعصمة ـ أيضاً ـ وكان بعضهم له دور الإمامة في حركته الرسالية، ومن ثم فلماذاكان إختصاص الإمامة في خصوص أهل البيت عليهم السلام ، فهل أن القضية ـ كما أشرنا ـ هي قضية تكريم وتشريف لرسول الله صلى الله عليه وآله باعتباره الرسول الخاتم، فأراد الله تعالىٰ أن يكرّمه ويشرّفه بذلك، ويجعل ذلك نعمة منه سبحانه وتعالىٰ علىٰ هذا العبد الصالح الذي أفنىٰ كل وجوده في سبيل الإسلام وفي سبيل الله وفي سبيل تكامل مسيرة الإنسان، أو أن تكون القضية

تعويض إلهي عن الجهود التي بذلها في سبيل الله والحق والعدل والإنسانية، كما قد يفهم ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ...﴾[1]، فيكون أجراً له علىٰ ذلك، وإنما اختص هٰذا الأجر به دون بقية الأنبياء الذين أكد القرآن علىٰ أنهم لا يبغون أجراً علىٰ رسالتهم إلا الإيمان بالله تعالىٰ، لأن النبي صلى الله عليه وآله قد بذل جهداً لم يبذل مثله أحد من الأنبياء، وقد تحمل من الآلام والمحن ما لم يتحمله أحد قبله ولا بعده... أو أن هناك شيئاً آخر غير موضوع التكريم والتشريف[2]؟

هنا يمكن أن نشير بهٰذا الصدد إلىٰ عدة نقاط ـ أيضا ـ مع قطع النظر عن الروايات التي وردت في هٰذا الموضوع والإستدلال علىٰ إمامة أهل البيت عليهم السلام من خلال النصوص الشريفة التي دلت علىٰ إمامتهم[3].

التكريم والتشريف:

النقطة الأولىٰ: هي قضية التكريم والتشريف التي أشرنا إليها في طرح السؤال، حيث نلاحظ من خلال القرآن الكريم ومسيرة التاريخ الرسالي لكل الرسالات الإلهية أن الله تعالىٰ شاء بلطفه وكرمه وفضله علىٰ أنبيائه بأن يجعل من

---

١ ـ الشورىٰ: ٢٣.

٢ ـ هٰذا البحث ينفعنا ـ كما سوف نتبين ذلك ـ في تفسير ظاهرة اصطفاء ذرية إبراهيم وآل عمران وغيرهما أيضاً.

٣ ـ هٰذا البحث سوف نتناوله في محله الخاص، وهو القسم الثاني من هٰذا الموضوع. وهو بحث كلامي عقائدي له أساليبه وأدلته وبراهينه الخاصة به ـ أيضاً ـ وإنّما نريد في هٰذا البحث أن نفسر هٰذه الظاهرة، ظاهرة تعيين الإمامة وتشخيصها في خصوص أهل البيت عليهم السلام تفسيراً ينسجم مع الأطر العامة التي جاء بها الإسلام، وأكدها القرآن الكريم، وترتبط ـ أيضاً ـ بمسيرة الإنسان وتكامله.

ذرياتهم أئمة وهداة يقومون بهٰذا الواجب الإلهي تكريماً لهم ونعمة منه تعالىٰ عليهم، وكان هٰذا التكريم في الوقت نفسه رغبة وأمنية من أمنيات الأنبياء أنفسهم، تعبر عن حالة فطرية في الإنسان الكامل هي الإتجاه والرغبة إلىٰ البقاء والإستمرار من خلال ذريته الصالحة، وقد أكد هٰذه الحقيقة الفطرية القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة في عدة مواضع[1].

إذن، فهٰذه القضية هي قضية ترتبط بكلا الجانبين، الجانب الإلهي الخالق المنعم الكريم الجواد المتفضل علىٰ أنبيائه، المجيب لدعائهم وندائهم، وبالجانب الإنساني العبودي، المتمثل بهٰؤلاء الأنبياء الذين أخلصوا لله تعالىٰ في العبودية ـ أيضاً ـ فأنه من جملة إخلاصهم وإحساسهم بالعلاقة الأكيدة مع الله تعالىٰ، إنهم كانوا يتمنون علىٰ الله ويرجون منه ويدعونه في أن يجعل من ذرياتهم أئمة وهداة، يضمن لهم البقاء والإستمرار في عبوديتهم لله تعالىٰ ودورهم ومهمتهم في الحياة الإنسانية.

فهٰذا إبراهيم عليه السلام وهو شيخ الأنبياء، عندما خاطبه الله تعالىٰ وابتلاه بكلمات من عنده، فجعله إماماً للناس ﴿ *وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا* ... ﴾، كان أول شيء يطرحه علىٰ الله تعالىٰ ويرجوه منه، أو يسأل عنه، عندما يحمّله الله تعالىٰ هٰذه المسؤولية، هو أن تكون هٰذه الإمامة في ذريته ـ أيضاً ـ ﴿ ... *قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ* ﴾[2].

وكذلك الحال في إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يقيمان دعائم البيت ﴿ *وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ*

---

١ ـ هٰذا بحث قرآني واجتماعي مهم يرتبط بدراسة علاقة الإنسان بذريته، وشعوره بالبقاء والخلود من خلالها.

٢ ـ البقرة : ١٢٤.

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، هؤلاء في البداية يطلبون القبول من الله تعالىٰ لهذا العمل العظيم، ثم يدعوانه تعالىٰ أن يكونا مع ذريتهما من المسلمين المهتدين المنيبين إليه المقبولين لديه، ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

ثم لا يكتفون بأن تكون هذه الذرية ذرية مسلمة مهتدية مقبولة. بل تترقىٰ هذه الدعوة بأن يطلبوا أن تكون هذه الذرية ذرية تتحمل مسؤولية النبوة والرسالة ـ أيضاً ـ ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفتخر ويقول: (أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام)[2]، يعني كان يرىٰ نفسه في تحمله لهذه الرسالة إن ذلك كان إستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام عندما كان يرفع القواعد في البيت.

الإمامة في الذرية سنّة:

النقطة الثانية: إننا نلاحظ في دراستنا لتاريخ الأنبياء والمرسلين، أن هذا التكريم قد تحول إلىٰ سنّة من السنن الواضحة في التاريخ الرسالي، وذلك عندما نرجع إلىٰ القرآن الكريم ومفاهيمه وآياته وتصوره لحركة الرسالات الإلهية والأنبياء، ومن ذلك ما نقرأه في قوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ

---

١ ـ البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩.

٢ ـ البحار ١٢: ٩٢، حديث ١.

﴿ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]، فعندها نجد أن القرآن الكريم يتحدث عن إبراهيم عليه السلام وكيف جعل الله تعالىٰ في ذريته النبوة، ويذكر مجموعة من أسماء الأنبياء من ذريته بدون ترتيب زماني. ثم يشير إلىٰ أمرين يمكن أن نفهم منهما هذه السنة التاريخية :

أحدهما : الإنتقال بالإشارة إلىٰ نوح عليه السلام ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ليربط هذا التاريخ بما قبل إبراهيم عليه السلام .

ثانيهما : تعميم النعمة على الآباء والذريات والأخوان، مما يفهم منه القانون العام ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ﴾.

وهكذا ما ورد في سورة مريم، عندما تحدث القرآن الكريم عن مجموعة من الأنبياء : إبراهيم وبعض ذريته وإدريس قبل إبراهيم ثم يختم الحديث بالقانون العام ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[2].

والشيء نفسه ـ أيضاً ـ يذكره القرآن الكريم في سورة الحديد، ولكن على نحو الإشارة، وذلك عندما يتحدث عن نوح وإبراهيم عليهما السلام، حيث جعل في ذريتهما النبوة، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[3].

---

١ ـ الأنعام : ٨٣ ـ ٨٧.

٢ ـ الآية : ٥٨.

٣ ـ الآية : ٢٦.

وموارد أخرىٰ لا يسع المجال لتفصيلها.

إذاً فهٰذه من السنن التي كانت تحكم مسيرة الرسالات الإلهية، فلا نرىٰ غرابة في أن هٰذه السنّة تجري ـ أيضاً ـ في هٰذه الرسالة الخاتمة، بل هي امتداد لسنّة إلهية، شاء الله أن يجعلها حاكمة علىٰ مسيرة الأنبياء والمرسلين منذ بداية الرسالات الإلهية وإلىٰ نهايتها.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الإمامة بدأت من نوح عليه السلام ـ كما يذهب إلىٰ ذلك العلامة الطباطبائي قدس سره وأستاذنا الشهيد الصدر قدس سره ـ فقد نرىٰ أن التأكيد في القرآن الكريم علىٰ نوح وإبراهيم عليهما السلام، وجعل النبوة في ذريتهما، إنما هو إشارة إلىٰ قضية الإمامة واستمرارها في ذرية هٰذين النبيّين، ولا سيما أن النبي صلى الله عليه وآله هو ـ أيضاً ـ من ذرية إبراهيم عليه السلام، حيث أنه ينتمي إلىٰ إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ونبينا هو دعوة إبراهيم عليه السلام، وبذلك تصبح القضية مرتبطة تماماً بهٰذه السلسلة المباركة للأنبياء من ناحية، وهٰذه السنّة التي كتبها الله تعالىٰ في الرسالات الإلهية، وهي سنة التكريم والتشريف لهم، والنعمة الإلهية عليهم.

حكمة الإمامة في الذرية:

النقطة الثالثة : التي يمكن أن يشار إليها بهٰذا الصدد وهي أن قضية التشخيص في أهل البيت عليهم السلام، ليست مجرد عملية تكريم وتشريف وفضل ونعمة أنعم بها الله تعالىٰ علىٰ أنبياءه، بل أن وراء ذلك أموراً أخرىٰ، يمكن أن نلاحظها عندما نريد أن ندرس هٰذه الظاهرة؟ وهي أمور ذات أبعاد : غيبية، وتاريخية، ورسالية، وإنسانية.

وهٰذه الأبعاد التي يمكن أن نلاحظها من خلال دراستنا للقرآن الكريم ومراجعتنا ومطالعتنا للرسالة الإسلامية قد تفسر النقطتين السابقتين، ببيان الحكمة

في هٰذا التكريم الإلهي وهٰذا الإتجاه الفطري في الإنسان الذي تحول إلىٰ سنة في مسيرة الأنبياء، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

البعد الغيبي:

أما ما يتعلق بموضوع البعد الغيبي، فهنا نلاحظ أن الله تعالىٰ خلق الإنسان بصورة وحقيقة ميزه فيها علىٰ بقية المخلوقات، وجاء التعبير عن ذلك بالنفخ فيه من روح الله، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[1]، فالإنسان ليس موجوداً مادياً متمحضاً في الجانب المادي فقط، وإنما فيه عنصر غيبي، وهٰذا العنصر الغيبي امتياز، شاء الله تعالىٰ أن يتعامل معه ـ أيضاً ـ من خلال الغيب، بمعنىٰ أن هناك الكثير من الأسرار في حركة الإنسان وحركة التاريخ الإنساني ترتبط بالغيب، ولم يشأ الله تعالىٰ أن يكشف هٰذه الأسرار للإنسان في هٰذا العالم، ولكن قد يكون لهٰذه الأسرار أثر في تكامل حركة الإنسان في حياته الدنيوية التي لها إرتباط ـ أيضاً ـ بالغيب في هٰذا العالم المشهود، وكذلك التكامل في حياته الأخروية، لأن الحياة المادية الدنيوية لهٰذا الإنسان هي حياة محدودة، والحياة الحقيقية ـ كما يعبر القرآن الكريم ـ إنما هي الحياة الآخرة، ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[2]، وهي الحياة الممتدة الطويلة الأبدية الخالدة، وهٰذه الحياة الحقيقية هي حياة غيبية.

فهناك الكثير من الأسرار ذات العلاقة بالإنسان، وحياة هٰذا الإنسان لم تكشف لهٰذا الإنسان، ولها تأثير في حياته في العالم الآخرة، بل ومن خلال حركة

---

١ ـ السجدة: ٩.

٢ ـ العنكبوت: ٦٤.

الإنسان ـ أيضاً ـ في هٰذه الدنيا.

وهٰذا الأمر لابد أن نؤكد عليه دائماً في تفسير الكثير من الظواهر الإنسانية، فانه لا يمكن أن نفسر الظواهر الإنسانية بالتفسيرات المادية فقط، لوجود الجانب الغيبي في الإنسان، ومن ثم فلابد أن نفترض وجود جانب من التفسير يرتبط بهٰذا الغيب.

وهٰذا الأمر ليس مجرد فرضية واحتمال عقلي، وإنما يمكن أن نجد له شواهد من القرآن الكريم ـ أيضاً ـ فقد أشار القران الكريم إلىٰ هٰذا الجانب الغيبي في الإنسان وحركته التكاملية ـ كما ذكرنا ـ ومن ثم فيمكن أن نفترض في أهل البيت عليهم السلام ـ كما ورد في النصوص والروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم السلام ـ وجود أسرار غيبية ترتبط بجعل الإمامة بأهل البيت عليهم السلام، لها تأثير في حركة الإنسان وتكامل هٰذه الحركة.

أما الشواهد القرآنية التي تتحدث عن ارتباط الحركة التكاملية للإنسان بالغيب، فهو ما نلاحظه في مجموعة من المؤشرات :

الأول : ما ذكرناه من أن الله تعالىٰ خصّ الإنسان من دون جميع الكائنات بهٰذا الوصف الخاص وهو أنه نفخ فيه من روحه.

إذن، فهٰذا الإنسان موجود ومخلوق يختلف عن بقية الكائنات التي لم توصف بمثل هٰذا الوصف، وترتبط بالله تعالىٰ هٰذا الربط في جانب الخلقه.

الثاني : ما يشير إليه القرآن الكريم في مجال خلق الإنسان من أن الله تعالىٰ عندما خلق الإنسان، أخذ عليه عهوداً ومواثيق في عالم الغيب، وليس في عالم الشهود والعالم المادي فقط، كما يبدو ذلك من القرآن الكريم، قال تعالىٰ : ﴿ *وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ*

﴿بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1]، يعني أن الله تعالىٰ انتزع من ظهور هٰؤلاء الناس ذريات، ثم بعد ذلك أشهدهم علىٰ الحقيقة العظمىٰ في هٰذا الكون والحياة وهي (الربوبية).

وهٰذه الشهادة التاريخية، لا ندركها الآن كأفراد نعيش الحالة المادية، فلا ندرك ونتذكر هٰذا الجانب من الشهادة والعهد والميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ بني آدم في ذرياتهم، وشهدوا واعترفوا بذلك، وأنه سوف يحاسبهم الله تعالىٰ في يوم القيامة ـ أيضاً ـ علىٰ هٰذه الشهادة، لئلا يقول الإنسان في يوم القيامة إني كنت غافلاً عن ذلك، فتكون الحجة لله.

نحن الآن لاندرك ذلك بصورة مشهودة، فهو أمر غيبي في خلق الإنسان، نعم قد ندرك بفطرتنا وبوجداننا هٰذه الحقيقة المعبرة عن هٰذا الجانب الغيبي وهٰذا الإعتراف بالحقيقة الإلهية، عندما تكون الفطرة سليمة، ولكن هٰذا المشهد الذي يشير إليه القرآن الكريم في هٰذه الآية الكريمة لا نحس به في حالتنا المادية ـ وإن كنا ندرك الحقيقة في وجداننا وفطرتنا، من خلال إيماننا بالله تعالىٰ والإعتراف بالربوبيه له تعالىٰ ـ وإنما هو مشهد غيبي يتحدث عنه القرآن الكريم في أصل خلق الإنسان، ومن ثم فهناك عنصر غيبي يتحكم في هٰذا الجانب.

الثالث : والذي يمكن أن نستنبطه من القرآن الكريم ـ أيضا ـ هو حديث القرآن الكريم الواسع والكثير، الذي يمتد في عدد كبير من الآيات والمناسبات والآفاق حول (الإصطفاء) و (الإجتباء) في حركة التاريخ.

القرآن الكريم في آيات كثيرة ومنها قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ

---

١ ـ الأعراف : ١٧٢.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١]، يتحدث عن ظاهرة الإصطفاء كظاهرة غيبية، وقضية من القضايا الإلهية الغيبية التي لا تخضع للتفسيرات المادية سارية ـ أيضاً ـ في حركة التاريخ، اصطفىٰ الله تعالىٰ آدم اصطفاءاً خاصاً، واصطفىٰ نوحاً، ثم اصطفىٰ إبراهيم وآل إبراهيم، ثم اصطفىٰ عمران وآل عمران، وكذلك أكد القرآن الكريم أن هـذا الإصطفاء ليس أمراً واقفاً علىٰ هٰذه الأسماء وهٰذه الجماعات، وإنما هو قضية ذات إمتداد في الذرية، ذرية بعضها من بعض، يعني حركة تاريخية تتحرك في التاريخ الإنساني، يمكن أن نسميها حركة الإصطفاء، وكذلك قد تكون حركة في الأسرة أو في الجماعة والأمة.

إذن، فلماذا لا يمكن أن نفترض وجود هٰذه الحركة وهٰذا العامل الغيبي في إصطفاء الله تعالىٰ لآل محمد صلى الله عليه وآله، وهو ـ أيضاً ـ ما يشير إليه القرآن الكريم في مثل قوله تعالىٰ: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢]، ويتم تأكيد ذلك ـ أيضاً ـ في آية المباهلة وغيرها.

إذن، فيمكن أن يكون هٰذا سرّاً من الأسرار الإلهية الغيبية التي لهـا دلالات معروفة ـ كما سوف نشير إلىٰ بعضها ـ ولكن لها ـ أيضاً ـ دلالات وآثار في حركة التاريخ، وتكامل الإنسان الدنيوي لا نعرفها في فهمناالمـادي المـحدود لحـركة التاريخ، ويكون لها ـ أيضاً ـ أبعاد في مستقبل حياة الإنسان الأخروية.

البعد التاريخي:

البعد الثاني: البعد التاريخي، وقد أشار الشهيد الصدر رحمه الله ـ في ما كتبه

---

١ ـ آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤، وهناك آيات عديدة، يمكن أن يجدها الباحث في مادة الإصطفاء، والإجتباء، وغيرها، في المعجم المفهرس.

٢ ـ الأحزاب: ٣٣.

حول خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ـ إلىٰ هٰذا البعد التاريخي، إذ يذكر إننا نلاحظ في تاريخ الأنبياء والرسالات الإلهية أن الله تعالىٰ اختار الأوصياء والقادة ـ كما يعبّر الشهيد الصدر قدس سره ـ من أولئك الأقربين للأنبياء من أقاربهم أو ذرياتهم، وهٰذا نص كلامه : (في تاريخ العمل الرباني علىٰ الأرض نلاحظ أن الوصاية كانت تعطىٰ غالباً لأشخاص يرتبطون بالرسول القائد إرتباطاً نسبياً أو لذريته[1].

وهٰذه الظاهرة لم تتفق في أوصياء النبي محمد صلى الله عليه وآله فحسب، وإنما هي ظاهرة تاريخية اتفقت في أوصياء عدد كبير من الرسل ويشير الشهيد الصدر قدس سره كشاهد علىٰ هٰذه الحقيقة إلىٰ الآيات القرآنية، كقوله تعالىٰ :

﴿ *وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ* ... ﴾[2]، وكذلك قوله تعالىٰ : في الآيات السابقة ٨٣ ـ ٨٧ من سورة الأنعام.

إذن، فهٰذه ظاهرة تاريخية، ومن ثم فقد طبقت ـ أيضاً ـ علىٰ رسالة النبي صلى الله عليه وآله، بأعتبار أن الرسالة الخاتمة وإن كانت هي رسالة كاملة وبكمالها تتميز علىٰ الرسالات السابقة، ولكن هٰذه الرسالة الخاتمة هي في الحقيقة إمتداد لتلك الرسالات الإلهية، والنبي صلى الله عليه وآله جاء من أجل أن يصدِّق تلك الرسالات، ثم يهيمن عليها، وقد ورد في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله ما يؤكد ذلك، وأن ما تشهده هٰذه الرسالة الخاتمة يتطابق تماماً مع ما شهدته الرسالات السابقة حتىٰ جاء التعبير في مقام التطبيق الكامل قوله صلى الله عليه وآله : *(لتركبن سنّة من كانت قبلكم حذو النعل*

---

١ ـ الإسلام يقود الحياة / خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء : ١٦٦، كما في لوط عليه السلام الذي كان يرتبط بإبراهيم، أو في يوشع الذي كان يرتبط بموسىٰ، أو يرتبطون به وبذريته، كما هو الحال في إسحاق وإسماعيل ويعقوب وذرية يعقوب التي أشرنا إليها.

٢ ـ الحديد : ٢٦.

بالنعل...)[١].

إذن، فإذا كانت هٰذه الظاهرة هي ظاهرة تاريخية في الرسالات الإلهية، وهو أن تكون الوصاية في أقرباء النبي القائد، فلماذا تختلف الرسالة الإسلامية ـ بعد فرض ضرورة الإمامة واستمرارها ـ عن هٰذه الظاهرة التاريخية التي هي موجودة في كل الرسالات الإلهية؟!

ولكن هٰذه الظاهرة التاريخية تحتاج إلىٰ تفسير تاريخي، ولعل ذلك ـ والله العالم ـ لأحد أمرين :

الجذر التاريخي ودوره:

الأمر الأول : أن الوصي والإمام عندما يكون له هٰذا الجذر التاريخي والإرتباط النسبي بالرسالة، يكون إحساسه بالإنتماء إليها وشعوره بالمسؤولية تجاهها، متجذراً بدرجة عالية جداً، وذلك حينما يرىٰ في نفسه فرعاً من شجرة طيبة أصيلة، تمتد في جذورها الرسالية عبر القرون في التاريخ الرسالي والإنساني، وتمده بالعزم والإرادة والصبر والصمود والقدرة علىٰ تحمل المحن والآلام والشدائد والإنتصارات والتقدم والبركة الإلهية التي شهدتها هٰذه الشجرة الطيبة في تاريخها.

ويؤكد هٰذا التفسير عدة مؤشرات، يمكن أن نلاحظها في القرآن الكريم :

الأول : تأكيد القرآن الكريم علىٰ الجذر التاريخي للرسالة الإسلامية، مع

---

١ ـ البحار ٢٨ : ٨، حديث ١١، عن تفسير القمي، وجاء هٰذا الحديث في كتب الفرقين إما بلفظه أو بمضمونه، مثل مجمع البيان ٥ : ٤٩، وكمال الدين : ٥٧٦، طبعة مكتبة الصدوق، وصحيح البخاري : باب ٥٠ من كتاب الأنبياء، وصحيح مسلم الحديث ٦ من كتاب العلم، سنن بن ماجه باب ١٧، من كتاب الفتن ... الخ.

أن الرسالة الإسلامية هي أفضل الرسالات الإلهية، وهي الرسالة المهيمنة عليها ـ كما ذكرنا ـ وهي الرسالة الخاتمة، ورسولها أفضل الأنبياء على الإطلاق. ومع ذلك كله كان القرآن الكريم يؤكد على هذا الجذر التاريخي والإنتماء للأنبياء السابقين، ولا سيّما إبراهيم عليه السلام الذي ينسب إليه القرآن الكريم الإسلام في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١].

بل أن إبراهيم عليه السلام هو الذي سمى الأمة الخاتمة بهذا الأسم منذ البداية، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[٢].

الثاني: ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]، فقد ذكرنا سابقاً أن وجود رسول الله كان بدعوة من إبراهيم عليه السلام، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفتخر بأنه كان دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام.

---

١ ـ البقرة: ١٣١ ـ ١٣٣.

٢ ـ الحج: ٧٨.

٣ ـ البقرة: ١٢٩.

الثالث : ذكر القرآن الكريم لقصص الأنبياء وتأكيده أن أحد الأهداف لذلك هو تثبيت النبي، كما طلب الصبر والثبات منه تأسياً بالأنبياء السابقين ﴿ *فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ...* ﴾[1].

الأمر الثاني : أن سنة الله في التاريخ تكامل الرسالات الإلهية تدريجياً. وهي تمر عبر الرسالات المتعددة التي يكمل بعضها بعضاً. كذلك الحال في تكامل الرسل والأنبياء والمرسلين. فانها يمكن أن تكون ـ أيضاً والله العالم ـ سنة تمر عبر التكامل في الجذر التاريخي للحركة الوراثية للنبي والاستمرار في الذرية وأهل البيت.

وهذه السنة هي سنة قائمة في كثير من مظاهر الطبيعة ومخلوقاته عزّ وجلّ، فالشجرة الطيبة القوية المثمرة هي الشجرة ضاربة الجذور في الأرض، بخلاف الشجرة الخبيثة.

وكذلك الكلمة الطيبة التي هي كالشجرة الطيبة التي ضربها الله مثلاً لها، فأنها هي التي تكون لها أصول وجذور.

قال تعالى : ﴿ *أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* ﴾. وهذا بخلاف الكلمة الخبيثة، فهي كالشجرة الخبيثة، قال تعالى : ﴿ *وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِن قَرَارٍ* ﴾[2].

---

١ ـ الأحقاف : ٣٥

٢ ـ إبراهيم : ٢٤ ـ ٢٦.

البعد الرسالي:

البعد الثالث : البعد الرسالي، وما يترتب على ذلك من تحقيق مصالح الرسالة وإعداد الأفراد لمهماتها ومسؤولياتها، وتحمل أعبائها الثقيلة.

فقد عرفنا في جواب السؤال الأول أن عمر الرسول ـ عادة ـ يكون أقصر من عمر الرسالة وأعبائها ومهماتها، وهذا ما شاهدناه ـ أيضاً ـ في الرسالة الإسلامية. فقد كان عمر رسول الله ﷺ محدوداً بالنسبة إلى أعبائها ومهماتها، حيث توفي رسول الله بعد مضي ثلاث وعشرين سنة من البعثة الشريفة، وبالرغم من الجهود المضنية التي بذلها، والإنجازات العظيمة التي حققها في هذه المدة القصيرة، فقد بقيت أعباء الرسالة الإسلامية العالمية قائمة وموجودة إلى حد كبير في مجال التفهيم والتوضيح وفي مجال التطبيق والتنفيذ، حيث لم تتجاوز المساحة التي انتشر فيها الإسلام الجزيرة العربية، من حيث الحركة والقدرة والسيطرة. وأن كان قد خاطب رسول الله بها الأقوام المجاورين للجزيرة، أو دخل في بعض المعارك العسكرية معهم.

بل كانت بعض الجيوب والمناطق في الجزيرة العربية نفسها لا زالت غير مستكملة في التفاعل مع الرسالة الإسلامية. كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك في الحديث عمن يطلق عليهم اسم الأعراب. من أولئك الناس الذين كانوا يعيشون في البوادي ولم يتعلموا الإسلام أو يتخلقوا بأخلاقه.

أو المؤلفة قلوبهم من ضعفاء الإيمان والإعتقاد من العرب الجاهليين الذين استسلموا للواقع السياسي والاجتماعي للهيمنة الإسلامية والنصر الإلهي، فأعلنوا دخولهم في الإسلام، وإن لم يدخل الإيمان قلوبهم. قال تعالى : ﴿*قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى*

قُلُوبِكُمْ...﴾[١].

أو اولئك المنافقين الذين أظهروا الإسلام، ولكن أضمروا الكفر والعصيان والتمرد، ويشير القرآن الكريم إلىٰ هٰذه النماذج في كثير من الموارد، ومنها في سورة التوبة والحجرات والمنافقين.

وأفضل شاهد علىٰ هٰذه الحقيقة السياسية والاجتماعية هو ما شاهده المسلمون من حركة الإرتداد بعد وفاة رسول الله مباشرة في بعض مناطق الجزيرة العربية، أو مواقف بعض الأشخاص والجماعات السلبية من أهل بيته عليهم السلام.

وإذا كان الوضع الثقافي والسياسي في الجزيرة العربية بهٰذه الصورة، فكيف الحال في خارجها؟

ومع هٰذا الوضع لا يمكن أن نفترض بأن مهمات الرسالة قد انتهت بنهاية عمر الرسول صلى الله عليه وآله، وإكمال عملية البلاغ العام.

نعم يمكن أن نقول بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أنهىٰ مهمة التبيين وإقامة الحجة ومهمة التأسيس وإقامة القواعد الاجتماعية، وإيجاد الجماعة الإنسانية التي يمكنها أن تتحمل هٰذه الأعباء بصورة عامة.

وعندئذٍ، فلابد من وجود الإمامة، لتحمل هٰذه الأعباء الثقيلة الأخرىٰ بعده، كما ذكرنا سابقاً.

ولكن تحمل هٰذه الأعباء الثقيلة يحتاج إلىٰ إعداد كامل يتناسب مع طبيعة وحجم هٰذه الأعباء الضخمة التي سوف يتحملها هٰؤلاء (الأئمة) بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وهنا يمكن أن نقول بأن عملية الإعداد هٰذه التي يراد إنجازها من أجل تحمل هٰذه الأعباء، إنما يمكن أن تتم في داخل البيت الرسالي بصورة أفضل

---

١ ـ الحجرات : ١٤.

وأكمل من إنجازها في خارج البيت الرسالي.

وهٰذا ما أشار إليه الشهيد الصدر ﷺ في قوله : (فاختيار الوصي كان يتم عادة من بين الأفراد الذين انحدروا من صاحب الرسالة ولم يروا النور إلا في كنفه وفي إطار تربيته، وليس هٰذا من أجل القرابة بوصفها علاقة مادية تشكل أساساً للتوارث، بل من أجل القرابة بوصفها تشكل عادة الإطار السليم لتربية الوصي وإعداده للقيام بدوره الرباني.

وأما إذا لم تحقق القرابة هٰذا الإطار، فلا أثر لها في حساب السماء قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

فالذرية عادة تكون قابلة ومهيئة للإعداد الرسالي بصورة أفضل في حركة التاريخ الإنساني[2].

---

١ ـ البقرة : ١٢٤، الإسلام يقود الحياة / خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء : ١٦٧.

٢ ـ صحيح أنه قد نشاهد ـ أحياناً ـ في داخل البيت الرسالي أشخاصاً يشذّون عن المسيرة وعن الإرتباط بالرسالة، كما يذكر القرآن الكريم بعض النماذج.

ومن هٰذه النماذج ابن نوح ﷺ، عندما يذكره القرآن الكريم كنموذج لخروج ولد لرسولٍ عن أهداف الرسالة ومسيرتها.

ونموذج آخر يذكره القرآن الكريم، له بعد آخر من الخروج وهو أب إبراهيم ـ كما يعبّر عنه القرآن الكريم ـ الذي قد يكون هدف القرآن الكريم من التأكيد عليه هو تفسير موقف (أبي لهب) من النبي ﷺ باعتباره قريباً لرسول الله وعمه، ومع ذلك خرج على هٰذه الرسالة، وهو الشخص الوحيد الذي ذكره القرآن الكريم بالاسم من المشركين، أو أراد به بعض أقرباء الرسول الذين كانوا بمستوىٰ الأعمام في الحالة النسبية والإرتباط برسول الله ﷺ.

ونموذج ثالث يذكره القرآن الكريم هو زوج نوح ولوط، كمثل لما يمكن أن تقفه الزوجة من صاحب الرسالة، فانها وإن لم تكن من ذريته وبيته، ولكنها عادة ما تكون ﷺ

الإعداد والواقع التاريخي:

وهٰذه الفكرة إذا أردنا أن ننظر إليها من خلال الواقع التاريخي الذي عاشته الرسالة الإسلامية، نراها ـ أيضاً ـ فكرة متطابقة تماماً مع هٰذا الواقع التاريخي، حيث نرىٰ أن الوصي الذي كان هو الإمام علي عليه السلام قد احتضنه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو طفل صغير، حيث تذكر بعض النصوص أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد تكفله بالتربية قبل البعثة، من خلال التخفيف من مسؤوليات الإنفاق ـ أو المسؤوليات الاقتصادية إذا صح التعبير ـ عن أبي طالب.

وبدأ الرسول صلى الله عليه وآله في هٰذه المرحلة بتربية علي عليه السلام، وبذلك ـ أيضاً ـ يجمع المسلمون ـ تقريباً ـ أن علياً عليه السلام كان أول من أسلم، وأنه لم يعرف في حياته عبادة الأصنام أو عبادة غير الله سبحانه وتعالىٰ، وهٰذا أمر يجمع عليه المسلمون، ولذلك عندما يذكر اسمه جمهور المسلمين، يخصونه بدعاء (كرّم الله وجهه)، وهم بذلك يشيرون إلىٰ هٰذه الخصوصية لعلي عليه السلام، وهٰذه الخصوصية إنما كانت ـ أيضاً ـ بحسب النظر إلىٰ الظروف التاريخية ومن هٰذه الزاوية، بسبب إعداد رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام.

طبعاً، العنصر الغيبي، في الإصطفاء والإعداد ـ كما ذكرنا ـ قائم في نفسه مع العناصر الأخرىٰ، ولكن من هٰذه الزاوية وهٰذا الجانب نرىٰ ـ أيضاً ـ هٰذه الحقيقة قائمة.

مضافاً إلىٰ ذلك، ما تشير إليه النصوص التاريخية وتؤكده روايات بعض

تحت تأثير عمله.

ولكن بصورة عامة وإجمالية يفترض بأن عملية الإعداد عندما يراد إنجازها بصورة كاملة، تكون أسهل وأفضل وأكمل في دائرة البيت الرسالي من إنجازها في خارج دائرة البيت الرسالي.

الأشخاص ـ حتىٰ ممن لم يكن يميل إلىٰ عليّ عليه السلام من الناحية الروحية والنفسية ـ من إعداد رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام علمياً ومعنوياً، فيما كان يسايره في ليله ونهاره، لأن علياً عليه السلام كان قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله، بحيث كان يأخذ منه العلم والأخلاق في كل مناسبة، بل في كل وقت.

والكلمة معروفة عن النبي صلى الله عليه وآله، وعن عليّ عليه السلام بهٰذا الشأن، أما عن النبي، فهي عندما قال: *(أنا مدينة العلم وعلي بابها)*[1]، وأما عن عليّ عليه السلام، فهي عندما قال: *(علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب)*[2].

هٰذه الحقيقة إذا أردنا أن ننظر إليها من الناحية التاريخية والمادية، نراها كانت قائمة من خلال هٰذا الإقتراب في دائرة عليّ عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله، حيث تربىٰ في حضن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن عمه، تزوج من ابنته، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يدخل إلىٰ بيت عليّ كما يدخل إلىٰ بيته، وعليّ يدخل علىٰ رسول الله كما يدخل إلىٰ بيته.

هٰذه العلاقة كانت موجودة بدرجة عالية، الأمر الذي أثار ـ أحياناً ـ غيرة بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله أو حساسية، أو أي تعبير آخر يمكن أن نقوله أو نعبر عنه

---

١ ـ البحار ٢٨ : ١٩٩، حديث ٦، وجاء في مستدرك الصحيحين ٣ : ١٢٦، عن ابن عباس ما لفظه، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب، قال الحاكم : هٰذا حديث صحيح الإسناد، وكذلك جاء في كنز العمال ١١ : ٦٠٠، حديث ٣٢٨٩٠، و٦١٤، حديث ٣٢٩٧٨، و٣٢٩٧٩، و١٣ : ١٤٧، حديث ٣٦٤٦٣.

٢ ـ البحار ٢٦ : ٢٩ ـ ٣٠، حديث ٣٦ و ٣٧، و٣٣ عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، في تفسير الفخر الرازي الكبير، في ذيل تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ ان الله اصطفىٰ آدم ونوحاً... ﴾، (آل عمران : ٣٣)، قال : علي عليه السلام : علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم واستنبطت من كل باب ألف باب، قال : فاذا كان حال المولىٰ هكذا فكيف حال النبي (صلى الله عليه وآله)، وكذلك جاء الحديث في كنز العمال ١٣ : ١١٤، حديث ٣٦٣٧٢.

في هٰذا المقام بصورة مناسبة[١].

إذن، فمن الناحية الواقعية والخارجية ـ أيضاً ـ نشاهد بأن التاريخ يؤكد علىٰ هٰذه العملية وهٰذه الفكرة والنظرية، وكان لها واقع خارجي في الرسالة الإسلامية من خلال إعداد عليّ عليه السلام، وقد تحدث عليّ عليه السلام شخصياً فيما روي عنه ذلك، كما تحدث أئمة أهل البيت ـ أيضاً ـ عن ذلك، وهو ما سوف نشير إليه ـ إن شاء الله ـ في بعض الأبحاث الآتية.

الإعداد والنظام العام:

ومن الطبيعي ـ أيضاً ـ أن نفترض، كما نفترض في عقائدنا بأن هٰؤلاء الأئمة يمكن أن تتحقق لهم الإمامة دون هٰذا الإعداد، لإن الله تعالىٰ قادر علىٰ كل شيء، ولا يمنعه شيء من إلهام الأشخاص والأفراد ـ لحكمة ـ بكل المعلومات دون ذلك الإعداد السابق، هٰذا الشيء يمكن أن نفترضه، وفيه الكثير من الواقع والحقيقة بالنسبة إلىٰ الكثير من الأفراد الذين عرفهم التاريخ[٢]، ولكن في الوقت نفسه يمكن أن نفترض أن النظام العام في الحركة الإجتماعية للإنسان يراد لها أن تسير في الكثير من الموارد، حسب النظام العام، وليس من المفروض لها دائماً أن تكون

---

١ ـ لهٰذه البيوت الطاهرة خصوصيات، قد يعجز الإنسان عن اختيار الألفاظ المناسبة المؤدية تجاهها، عندما يريد أن يتحدث عن بعض علاقاتها، ولكن علىٰ أي حال التاريخ يشهد في كثير من النصوص، بأن هٰذا الإقتراب من عليّ عليه السلام، وعناية رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام في هٰذا الجانب ـ جانب الإعداد والتعليم والتأهيل لتحمل هٰذه المسؤولية ـ كان يثير في كثير من الأحيان الحسد أو الغيرة أو غير ذلك من الإنفعالات حتىٰ في دائرة الأشخاص القريبة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ ـ مثل يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء، ومثل الإمام الجواد والإمام الهادي عليهما السلام وغيرهما.

خارجة عن النظام العام، إلا بقدر الحاجة إلىٰ هٰذا الإستثناء، كما هو الحال في موارد المعجزة مثلاً، وهٰذا يعني أنه مادام الإعداد ممكناً حسب النظام العام، فسوف يتم كذلك ويكون الإستثناء عند الحاجة والضرورة، فيتم الإعداد من خلال نظام آخر وهو النظام الغيبي.

إذن، فالطريق الطبيعي للإعداد الأفضل والتأهيل الأكمل إنما يكون في دائرة البيت القريب،

ويمكن أن نرىٰ هٰذا الشيء في معالم أخرىٰ من التاريخ، وفي مفردات وصور عديدة.

وهٰذه الظاهرة نراها قد تجسدت ـ أيضاً ـ في الأسر العلمية الشريفة في تاريخ جماعة أهل البيت عليهم السلام، حيث قامت بأعمال شريفة في هٰذا التاريخ، وتحملت مسؤوليات كبيرة في مختلف أدوار التاريخ.

فأننا عندما ننظر إلىٰ تاريخ ما بعد الغيبة الصغرىٰ، بل حتىٰ في تاريخ زمن أئمة أهل البيت عليهم السلام نلاحظ أن هناك ظاهرة كانت موجودة وقائمة في جماعة أهل البيت، وهي ظاهرة وجود الأسر العلمية، مثلاً أسرة زرارة بن أعين، هٰذه الأسرة كانت تعّرف كأسرة بحيث كان جميع رجالها ثقات، أو أسرة بني فضّال هٰذه الأسرة كانت ـ أيضاً ـ تعّرف كأسرة، أو أسرة الأشعريين الذين أقاموا أسس العلم في مدينة قم المقدسة، أمثال سعد الأشعري وأسرته، وهكذا نلاحظ أسرة بني بابويه الذين كان لهم دور عظيم جداً كأسرة، حيث عندما نرجع إلىٰ التاريخ نجد أن هٰؤلاء يمثلون عدداً كبيراً جداً من العلماء والفضلاء الذين كانوا يتحملون هٰذه المسؤوليات، وهكذا يتسلسل هٰذا الأمر، ولا أريد الآن أن أطيل الحديث في ذكر الشواهد، ولكن عندما يرجع الإنسان إلىٰ التاريخ، يجد أن هٰذا الأمر كان من الأمور الواضحة جداً في جماعة أهل البيت عليهم السلام وفي علماء أهل البيت، بحيث

كانت هناك أسر علمية تتوارث هذا العلم جيلاً بعد جيل حتى أوصلت هذا العلم إلى هذا العصر، وهذا التوارث إنما كان باعتبار هذه الخصوصية، وهي إن عملية الإعداد والتربية والتأهيل في إطار البيت الواحد تكون أسهل مما تكون هذه القضية في خارج البيت الواحد[1].

البعد الاجتماعي:

البعد الرابع : البعد الاجتماعي، وهو ما يترتب على الإختصاص بأهل البيت من مصالح اجتماعية في التأثير على حركة الأمة وهدايتها وارتباطها بالرسالة الإسلامية وصاحبها، حيث أن هذه الإمامة التي تريد أن تقوم بهذه المسؤوليات الكبيرة أو الضخمة في المجتمع الإنساني تحتاج إلى مؤهلات اجتماعية، كما تحتاج إلى المؤهلات الروحية والفكرية.

كما أن الناس في حركتهم الاجتماعية والروحية والنفسية يتأثرون بمثل هذا العامل الإنساني، وينظرون إلى الشرف والإصالة في الإنتماء وتكامل الأسرة والعائلة والعشيرة والقبيلة نظرة معنوية وإنسانية واجتماعية خاصة.

أما بالنسبة إلى حاجة الإمامة إلى المؤهلات الاجتماعية، فهو من الأمور التي يشار إليها في أبحاث علم الكلام.

---

١ ـ في العصور المتأخرة كانت هناك أسر علمية أخرى من قبيل أسرة آل بحر العلوم، وإسرة آل كاشف الغطاء، أسرة آل شيخ راضي، وآل الجواهري، وآل الصدر، وآل شبر، وهكذا أسرة الشيخ الأنصاري ـ من بناته ـ وقبلهم الشيخ المجلسي، والوحيد البهبهاني، وغيرهم الكثير.

ولا ينبغي أن يذهب الظن إلى أن هذا الاعداد لايمكن أن يتم إلّا من خلال ذلك، بل قد نجد في التاريخ أشخاص متميزين في التقوى والعلم والشجاعة لم يعرفوا بأنهم من أبناء هذه الأسر، ولكن المقصود أن الأسرة تمثل عاملاً طبيعياً للاعداد.

من قبيل أن لا يكون في النبي أو الإمام نقص في الأعضاء مخلاً بوضعه الاجتماعي، أو أن لا يكون النبي أو الإمام وضيعاً في المجتمع الإنساني أو من عائلة وضيعة وغير شريفة، أو ممتهنا لحرفة ومهنة وضيعة، إلىٰ غير ذلك من القضايا التي يشار إليها في علم الكلام عند الحديث عن مواصفات الأنبياء والأئمة الذين يتحملون هٰذه المسؤولية.

وأما بالنسبة إلىٰ تفاعل الناس وتأثرهم بهٰذا العامل الاجتماعي، فهو أمر مشهود في تاريخ الأمم والمجتمعات الإنسانية السابقة واللاحقة يتفاضلون فيه، ويفتخرون ويتأثرون به، لأنه عامل إنساني واقعي في الحركة التاريخية وله تأثير إيجابي في حركة الأمم وبناء المجتمع، وإن لم يكن من العوامل المؤثرة في تكامل الإنسان كفرد عند الله تعالىٰ، أو مما يدخل في حسابه يوم القيامة، كما تشير إلىٰ ذلك النصوص الدينية، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[1]، ولكنه علىٰ أي حال من العوامل المؤثرة في حركة التاريخ الإنساني والعلاقات الإنسانية[2].

خلفيات البعد الاجتماعي:

ولعل مرجع هٰذا العامل إلىٰ عدة قضايا، نفسية، واجتماعية، وفطرية.

اما القضية النفسية، فهي تأثر الإنسان روحياً بمعالم العز والشرف والكرامة والمنجزات العلمية والاجتماعية.

---

١ ـ المؤمنون: ١٠١.

٢ ـ تذكر بعض النصوص استثناءاً في التأثير لنسب رسول الله ﷺ في يوم القيامة، وهو أمر يحتاج إلىٰ بحث علمي واجتماعي لهٰذه النصوص، لا مجال له في حديثنا في الوقت الحاضر.

وأما القضية الاجتماعية، فهي ـ ما أشرنا إليه في البعد الثالث ـ من أن التأهيل والإعداد في بيوت الشرف والكرامة والعز والطهارة، يكون بصورة طبيعية لتحمل المسؤوليات. وإنها تنبت الشرف والكرامة والعز والطهارة بموجب السنة والقاعدة القرآنية ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ... ﴾[1]. وهو أمر يدركه الناس من خلال رؤيتهم للتاريخ وحركة النظام العام للمجتمع الإنساني، وإن كان قد يشذ بعضهم عن هذه القاعدة.

ولذا ورد التأكيد في الإسلام، في عدة موارد على هذا الإتجاه في الزواج وفي المشورة، وفي المصاحبة والصداقة والمعاشرة.

وأما الجانب الفطري، فهو يرتبط بنظرة الإنسان الفطرية التي أكدتها الشريعة الإسلامية، وهي أن تكامل المجتمع الإنساني بصورة عامة يقوم على تكامل الأسرة والعائلة والقبيلة.

وهذا بحث اجتماعي مهم له مجال آخر، ولكن بنظرة إجمالية يمكن أن نقول: أن الإسلام يرى أهمية تكامل الأسرة وارتباطها وامتدادها التاريخي في القبيلة والعشيرة. وإن ذلك هو الطريق الأفضل لتكامل المجتمع الإنساني بصورة عامة، إذا أردنا تنظيم هذا المجتمع بصورة صحيحة ومحكمة وقوية.

إذن، فهذا الإنتماء يعطي الوصي والخليفة والإمام موقعاً (اجتماعياً) متميزاً في الحركة الاجتماعية، ولعل ذلك أحد العوامل والأسباب في هذا الإمتداد.

* * *

١ ـ الأعراف: ٥٨.

الوحدة الإسلامية
حول محور المرجعية العلمية
لأهل البيت عليهم السلام

آية الله الشيخ محمّد علي التسخيري
رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية
الجمهورية الإسلامية الإيرانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل:

ظلّ موضوع المرجعية العلمية للمسلمين محوراً للنقاش والبحث طيلة مئات من السنين، وكانت أهمّية هذا الموضوع تزداد كلّما ابتعد المسلمون زمنياً عن عصر صدر الإسلام، وتحديداً عصر النصّ القرآني والنبوي. وكان من شأن اتّفاق المسلمين على مساحة مشتركة في هذا المجال أن يشكّل أحد أهمّ محاور الوحدة الإسلامية.

وإذا كان القرآن الكريم وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسُنّته المحورين الأساسيّين اللذين يشكّلان الإطار الذي يجمع المسلمين في داخله، فإنّ المرجعية العلمية التي تفسّر القرآن الكريم، وتكشف عن وجوهه، وتحسم حالة الاختلاف حول أحكامه في الجانبين العقيدي والفقهي، وكذا الحال بالنسبة للسُنّة النبوية الشريفة، هذه المرجعية العلمية هي أهمّ قضية ظلّت حائلاً دون اتّفاق المسلمين في البعد العلمي للاختلاف.

وفي هذا البحث نحاول استئناف الحوار العلمي حول هذه المرجعية العلمية، مع افتراض أنّها تتمثّل في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ أنّ طرح هذا الافتراض في مدخل البحث سيحصر موضوع البحث في دائرة واضحة في معالمها، ويحول دون تشتّت محاور البحث وتشظّي خطّته.

ولا شكّ أنّ هذا الافتراض مبني على أُسس رصينة سنأتي عليها في فقرة

المرجعية العلمية للمسلمين في القرآن والسُنّة؛ لأنّ القرآن والسُنّة هما المصدران المقدّسان اللذان يحتجّ بهما المسلمون على اختلاف فرقهم ومذاهبهم.

ومن هنا فمنهج البحث يقوم على محاولة إثبات محورية مرجعية أهل البيت عليهم السلام العلمية، وقد سعينا لاستخدام الموسوعات الحديثية والفقهية والتاريخية لأهل السُنّة أكثر من استخدامنا لكتب الشيعة. وذلك لسبب موضوعي، إذ أنّ الشيعة يعتقدون بما لا يقبل الشكّ بالمرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام، فهو القاعدة التي قام عليها مذهبهم. ومن هنا سيكون الحديث باتّجاه مذاهب المسلمين الأُخرى للبحث معاً، وفي إطار حوار علمي معمّق حول الاتّفاق على شكل ومضمون المرجعية العلمية التي يُجمع عليها المسلمون.

وهذا الاكتشاف المشترك سيؤدّي آلياً إلى تجاوز الخلاف التاريخي. والتركيز على المساحات المشتركة التي تجمع المسلمين في الحاضر والمستقبل. فضلاً عن رفع الحيف عن جزء كبير من المعارف الإسلامية التي ظلّ القسم الأكبر من المسلمين يتجاوزها ولا ينتفع بها. برغم أنّها بحر لجّي من العلوم والمعارف.

وستعتمد خطّة البحث مجموعة محاور. يشكّل كلّ محور منها محطّة من الاستدلالات التي تخرج بنتيجة علمية تنقل البحث آلياً إلى المحور اللاحق الذي سيحوّل النتيجة باتّجاه التكامل، وفقاً للمنهج الاستقرائي الذي سنتحدّث عنه في الخاتمة.

المرجعية العلمية للمسلمين في القرآن والسُنّة:

ونقصد بالمرجعية العلمية ـ كما أشرنا ـ النقطة المشتركة التي يتّفق عليها المسلمون، وتنتهي عندها مسائل الاختلاف بين المسلمين، ولا سيّما في المجالين العقيدي والفقهي. وهي المرجعية التي تكشف عن حقائق القرآن الكريم

والسُنّة النبوية، بالصورة التي تحسم خطوط التقاطع بين المسلمين.

وبما أنّ القرآن الكريم والسُنّة الشريفة هما المصدران المقدّسان لدى المسلمين كافّة، فسنترك القرآن والسُنّة ينطقان بنوعية هذه المرجعية وباسمها وصفاتها. ولسنا هنا بصدد الدخول في المباحث الأُصولية بشأن حجّية الأدلّة، لأنّنا سوف لن نخرج عن المساحات المتّفق عليها، ولا سيّما في ما يرتبط بالحديث الشريف وحجّيته ودلالة بعض النصوص.

ومن خلال استقراء ما ورد في القرآن الكريم والسُنّة الشريفة من نصوص حول هذه المرجعية، وجدنا أنّ النصوص لا تشير إلى مرجعية أُخرى غير مرجعية أهل البيت عليهم السلام، وإن كانت هناك بعض الأحاديث الضعيفة التي يختلف فيها المسلمون، ولذا تجاوزناها إلى ما يتّفقون عليه. وبالنظر لضيق المساحة المحدّدة للبحث، فسوف نستعرض أدلّة القرآن والسُنّة استعراضاً سريعاً بالصورة التي لا تطيل البحث ولكنّها تفي بالغرض. ونبدأ أوّلاً ببعض آيات القرآن الكريم المفسّرة بالسُنّة الشريفة.

١ ـ يقول تعالى: ﴿*فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون*﴾[١]. جاء في تفسير ابن جرير الطبري بسنده عن جابر الجعفي: لمّا نزلت هذه الآية، قال عليّ: «نحن أهل الذكر»[٢].

ويقول الحارث: سألت عليّاً عن هذه الآية: ﴿*فاسألوا أهل الذكر*﴾، فقال: «والله إنّا لنحن أهل الذكر، نحن أهل الذكر، نحن أهل العلم، ونحن معدن التأويل والتنزيل»[٣].

---

١ ـ سورة النحل / الآية ٤٣، وسورة الأنبياء / الآية ٧.

٢ ـ تفسير القرآن لابن جرير الطبري / ج ١٧ ص ٥.

٣ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ـ للحاكم النيسابوري ـ / ج ١ ص ٤٣٢، ح ٤٥٩.

٢ ـ يقول تعالىٰ: ﴿*وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم*﴾[١]. جاء عن الإمام عليّ عليه السلام في خطبة له: «أين الّذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى»[٢].

٣ ـ يقول تعالىٰ: ﴿*ومن عنده علم الكتاب*﴾[٣]. عن أبي سعيد الخدري قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الآية، قال: «ذاك أخي عليّ بن أبي طالب»[٤].

٤ ـ يقول تعالىٰ: ﴿*إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً*﴾[٥].

وفي تفسير هذه الآية يقول الرسول صلى الله عليه وآله: «أنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب»[٦]. وقال صلى الله عليه وآله: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون»[٧].

وآية التطهير هذه تؤكّد العناية الإلٰهية الخاصّة بأهل البيت عليهم السلام وإبعادهم عن الزلل والانحراف؛ ليشكّلوا نماذج إنسانية سامية يتمّ الرجوع إليها عند اختلاف المرجعيات الثانوية.

والمناقب ـ لابن شهرآشوب ـ / ج ٤ ص ١٧٩.

١ ـ سورة آل عمران / الآية ٧.

٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤، والمناقب ـ لابن شهرآشوب ـ / ج ١ ص ٢٨٥.

٣ ـ سورة الرعد، الآية ٤٣.

٤ ـ شواهد التنزيل ج ١ ص ٤٠٠ ح ٤٢٢، والأمالي ـ للصدوق ـ / ج ٣ ص ٤٥٣ وغيرهما.

٥ ـ سورة الأحزاب / الآية ٣٣.

٦ ـ انظر: دلائل النبوة ـ للبيهقي ـ ج ١ ص ١٧٠، البداية والنهاية ـ لابن كثير ـ ج ٢ ص ٢٥٧، المعجم الكبير ـ للطبراني ـ ج ١٢ ص ٨١ ح ١٢٦٠٤ وغيرها.

٧ ـ انظر: ينابيع المودّة ـ للقندوزي الحنفي ـ ج ٣ ص ٢٩١ ح ٩، فرائد السمطين ـ لإبراهيم الجويني ـ ج ٢ ص ١٣٣ ح ٤٣٠ وغيرهما.

٥ ـ يقول تعالىٰ: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ*﴾[١].

روى عبد الله بن عبّاس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عندما سئل عن هذه الآية: ومن هم القربىٰ؟ قال: «عليّ وفاطمة وأبناها»[٢].

وعن سعيد بن جبير أنّهم: «قربىٰ آل محمّد»[٣].

وهذه الآية تشدّ القلوب والعقول إلىٰ آل البيت، وتؤكّد أنّ محبّتهم الحقيقية هي أجر الرسالة. وموالاتهم ـ في البعد العلمي كحدّ أدنى ـ هي المودّة الحقيقية، وربّما يستفاد من الآية الكريمة: ﴿*قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله*﴾[٤] التلازم بين الاتّباع والمودّة.

٦ ـ يكشف حديث الكساء عن المقصود بأهل البيت عليهم السلام.

يروي ابن عبّاس: (... أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ثوبه فوضعه علىٰ عليّ وفاطمة وحسن وحسين وقال: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[٥].

وعن أُمّ سلمة: «لمّا نزلت هذه الآية: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فجلّل عليهم كساءً خيبرياً، فقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، اللّهمّ أذهب عنهم الرجس

---

١ ـ سورة الشورىٰ / الآية ٢٣.

٢ ـ فضائل الصحابة ـ لأحمد بن حنبل ـ ج ٢ ص ٦٦٩ ح ١١٤١، والمعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ٤٧ ح ٢٦٤١، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ـ لعبد الرحمن السيوطي ـ ج ٧ ص ٣٤٨ وغيرها.

٣ ـ الصحيح ـ للبخاري ـ ج ٤ ص ١٨١٩ ح ٤٥٤١، والسُنن ـ للترمذي ـ ج ٥ ص ٣٧٧ ح ٣٢٥١، والمسند ـ لابن حنبل ـ ج ١ ص ٦١٤ ح ٢٥٩٩ وغيرها.

٤ ـ سورة آل عمران / الآية ٣١.

٥ ـ المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ١٤٣ ح ٤٦٥٢، المسند لابن حنبل، ج ١ ص ٧٠٨ ح ٣٠٦٢، وتاريخ دمشق لابن عساكر، ج ١ ص ١٨٥ ح ٢٥٠ وغيرها.

وطهّرهم تطهيراً. قالت أُمّ سلمة لرسول الله ﷺ: ألستُ منهم؟ قال: أنت إلى خير»[١].

وقد رواه عن أُمّ سلمة: عطاء بن يسار، أبو سعيد الخدري، أبو هريرة، حكيم بن سعد، شهر بن حوشب، عبدالله بن المغيرة، عطاء بن أبي رباح. عمره ابن أفعى، وعلي زين العابدين عليه السلام.

كما روى الحديث عن عائشة كلّ من: صفية بنت شيبة، العوام بن حوشب، عن التيمي وجميع بن عمير، وقد روته على النحو التالي: «خرج النبيّ ﷺ غداةً وعليه مرطٌ مُرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[٢].

وقد روى حديث الكساء جمع كثير من الصحابة أيضاً، منهم: أبو سعيد الخدري، أبو برزة، أبو الحمراء، أبو ليلى الأنصاري، أنس بن مالك، براء بن عازب، ثوبان، جابر بن عبدالله الأنصاري، زيد بن أرقم، زينب بنت أبي سلمة، سعد بن أبي وقّاص، صبيح مولى أُمّ سلمة، عبدالله بن جعفر، عمر بن أبي سلمة، عمر بن الخطّاب وغيرهم.

وتنصّ رواياتهم على أنّ قصد النبيّ ﷺ من أهل البيت هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. ومعظم أسانيد هذه الروايات منقولة من صحاح أهل

---

١ ـ انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ١٥٨ ح ٤٧٠٥، ج ٢ ص ٤٥١ ح ٣٥٥٨، السُنن الكبرى لأبي بكر البيهقي، ج ٢ ص ٢١٤ ح ٢٨٦١، والمعجم الكبير، ج ٣ ص ٥٢ ح ٢٦٦٢ وغيرها.

٢ ـ انظر: صحيح مسلم،ج ٤ ص ١٨٨٣ ح ٢٤٢٤، والسُنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٢١٢ ح ٢٨٥٨، وتفسير الطبري م ١٢ ج ٢٢ ص ٦ وغيرها.

السُنّة وموسوعاتهم الحديثية[١].

٧ ـ ويكشف حديث الثقلين أيضاً عن المقصود بأهل البيت عليهم السلام وهم العترة، وعن مرجعيتهم الشاملة يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «انّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٢].

وفي رواية أُخرى أنّه قال صلى الله عليه وآله: «إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[٣].

وحديث الثقلين جعل أهل البيت عدلاً للقرآن. وقد رواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله أكثر من (٣٣) صحابياً، منهم: أبو أيوب الأنصاري، أبو ذرّ الغفاري، أبو سعيد الخدري، أبو شريح الخزاعي، أبو قدامة الأنصاري، أبو هريرة، أُمّ سلمة، أنس بن مالك، خزيمة ذو الشهادتين، سعد بن أبي وقّاص، زيد بن ثابت، سلمان الفارسي، عبد الرحمٰن بن عوف، عبدالله بن عبّاس، عمر بن الخطّاب، وعمرو ابن العاص[٤].

ومن خلال حديث الثقلين يستدلّ بعض علماء أهل السُنّة علىٰ أنّ المرجعية

---

١ ـ انظر: محمدي الري شهري، أهل البيت في الكتاب والسُنّة، ص ٢٧ ـ ٥٠.

٢ ـ انظر: صحيح مسلم، ج ٤ ص ١٨٧٣ ح ٢٤٠٨، سُنن الدارمي، ج ٢ ص ٨٨٩ ح ٣١٩٨، مسند ابن حنبل ج ٧ ص ٧٥ ح ١٩٢٨٥، والسُنن الكبرىٰ ج ١٠ ص ١٩٤ ح ٢٠٣٣٥، فرائد السمطين، ج ٢ ص ٢٣٤ ح ٥١٣، وسُنن الترمذي، ج ٥ ص ٦٦٣ ح ٣٧٨٨.

٣ ـ المستدرك علىٰ الصحيحين، ج ٣ ص ١١٨ ح ٤٥٧٦، خصائص الإمام أمير المؤمنين للنسائي ص ١٥٠ وغيرهما.

٤ ـ انظر: صحيح مسلم، ج ٤ ص ١٨٧٤ ح ٣٦ و ٣٧، سُنن الترمذي، ج ٥ ص ٦٦٢ ح ٢٧٨٦ و ٢٧٨٨، سُنن الدارمي، ج ٢ ص ٨٨٩ ح ٣١٩٨، مسند ابن حنبل، ج ٤ ص ٣٠ ح ١١١٠٤ وعشرات المصادر الأُخرىٰ.

المقصودة في الحديث هي مرجعية الفقه، وحسب تعبيره: «لا يدلّ على إمامة السياسة وأنّه أدلّ على إمامة الفقه والعلم»[١]، ولا نريد هنا الدخول في نقاش حول دلالة الحديث، ولكن نكتفي بالحد الأدنى المتّفق عليه بين الفريقين وهو الدلالة على إمامة أهل البيت العلمية.

ويقول أحد الباحثين بأنّه جمع (١٨٥) مرجعاً من عيون مراجع أهل السُنّة ذكرت بأكملها نصّ: «كتاب الله والعترة» وأنّ المقصود بالعترة أهل البيت الّذين سمّاهم الرسول ﷺ أكثر من مرّة كما في دلالة هذا الحديث وحديث الكساء[٢].

٨ ـ عن انس بن مالك، قال الرسول ﷺ لعليّ عليه السلام: «أنت تبيّن لأُمّتي ما اختلفوا فيه بعدي»[٣]، والحديث واضح الدلالة على المرجعية العلمية لأهل البيت.

٩ ـ عن سلمان الفارسي، قال الرسول ﷺ: «أعلم أُمّتي من بعدي عليّ ابن أبي طالب»[٤].

١٠ ـ يقول الرسول ﷺ مخاطباً السيّدة فاطمة الزهراء: «أما ترضين أنّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً»[٥].

١١ ـ عن عبدالله بن عبّاس، قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف»[٦].

١٢ ـ عن أبي ذرّ الغفاري، قال رسول الله ﷺ: «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم

---

١ ـ الشيخ محمّد أبو زهرة، الإمام الصادق، ص ١٩٩.
٢ ـ أحمد حسين يعقوب، الخطط السياسية لتوحيد الأُمّة الإسلامية، ص ٣٥١.
٣ ـ مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٢؛ وقال الحاكم النيسابوري أنّه حديث صحيح على شرط الشيخين. وانظر أيضاً: كنز العمّال للمتّقي الهندي، ج ٦ ص ١٥٦.
٤ ـ كنز العمّال، ج ٦ ص ١٥٦، وكنوز الحقائق للمناوي، ص ١٨.
٥ ـ كنز العمّال، ج ٦ ص ١٥٣.
٦ ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٣ ص ١٦٢ ح ٤٧١٥.

كسفينة نوح في قومه، فمن ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»[١].

١٣ ـ يقول الإمام عليّ عليه السلام: «إنّا نحن أهل البيت أعلم بما قال الله ورسوله»[٢].

١٤ ـ يقول الإمام عليّ عليه السلام: «... نحن شجرة النبوّة، ومحطّ الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم»[٣].

١٥ ـ عن جابر بن سمرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش»[٤].

١٦ ـ وعن عبدالله بن مسعود أنّهم سألوا الرسول صلى الله عليه وآله عن عدد خلفاء الأُمّة فقال: «اثنا عشر، كعدّة نقباء بني إسرائيل»[٥].

وهناك عدد كبير من الأحاديث الصحيحة من مصادر الفريقين تشير إلى المعنى نفسه مع اختلاف في الألفاظ، وبناء على ذلك فإنّ المسلمين بأجمعهم متّفقون على أنّ عدد الأوصياء أو الخلفاء أو النقباء والأُمراء والأئمّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله هو اثني عشر، وكلّهم من قريش، وأنّهم معيّنون بالنصّ كما هو مقتضى تشبيههم بنقباء بني إسرائيل، وأنّ هذه الأحاديث أكّدت بقاء هؤلاء الأئمّة ما بقي الدين الإسلامي أو حتّى تقوم الساعة، كما هو مقتضى رواية مسلم في صحيحه.

---

١ ـ فرائد السمطين، ج ٢ ص ٢٤٦ ح ٥١٩، ينابيع المودّة، ج ١ ص ٩٤ ح ٥، المستدرك على الصحيحين، ج ٣ ص ١٦٣ ح ٤٧٢٠، المناقب لابن المغازلي، ص ١٣٢ ـ ١٣٤ وغيرها.

٢ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٦ ص ٢٤٠.

٣ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

٤ ـ انظر: صحيح مسلم، ج ٣ ص ١٤٥٣ ح ١٠، مسند ابن حنبل، ج ٧ ص ٤١٠ ح ٢٠٨٦٩، ومسند أبي يعلى، ج ٦ ص ٤٧٣ ح ٧٤٢٩ وغيرها.

٥ ـ انظر: مسند ابن حنبل، ج ٢ ص ٥٥ ح ٣٧٨١، المستدرك على الصحيحين، ج ٤ ص ٥٤٦ ح ٨٥٢٩، والمعجم الكبير، ج ١ ص ١٥٨ ح ١٠٣١٠ وغيرها.

وهذه الأحاديث كانت مأثورة في بعض الصحاح والمسانيد قبل أن يكتمل عدد الأئمّة «من عليّ وحتّى المهديّ»، فمن المستحيل ـ اذن ـ أن تكون أحاديث موضوعة بعد اكتمال العدد المذكور فضلاً عن جميع رواة الأحاديث من طرق أهل السُنّة هم من الموثوقين لديهم[١].

وعموماً فإنّ حجّية ما استعرضناه من آيات وأحاديث، يترتّب عليه واقع عملي، وهو الواقع الذي ندعو المسلمين جميعاً إلى صياغته وبلورته، دون أن يفقد أي مذهب إسلامي خصوصيّاته.

مصادر علم أهل البيت عليهم السلام :

إنّ دلالة القرآن الكريم والسُنّة الشريفة على طهارة أهل البيت عليهم السلام ومرجعيّتهم العلمية ـ من خلال النصوص الواردة ـ وافية جدّاً. ويقول السيّد الحكيم: بأنّ ما ورد من انسجام واقعهم التاريخي مع طبيعة ما فرضته أدلّة حجّيتهم من العصمة والأعلمية، وبخاصّة في ما يرتبط بالأئمّة الّذين لا يمكن إخضاعهم للظروف الطبيعية المتعارفة، ولا سيّما الأئمّة الثلاثة: الجواد والهادي والعسكري، هو خير ما يصلح للتأييد، فتعميم السُنّة ـ إذن ـ لهم هو في محلّه.

وهنا يمكن الاستشهاد بدليل عقلي يسوقه الخليل بن أحمد الفراهيدي حول الإمامة: «استغناؤه عن الكلّ وآحتياج الكلّ إليه دليل إمامته»، وهو دليل يمكن تعميمه على إمامة جميع الأئمّة، إذ لم يحدث في التاريخ أن احتاج أحد من الأئمّة إلى معرفة شيء من شخص آخر، أو أنّه درس عند شخص آخر، عدا المعصوم الذي سبقه[٢].

---

١ ـ السيّد محمّد تقي الحكيم، الأُصول العامّة للفقه المقارن، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.
٢ ـ المصدر السابق، ص ١٧٩.

وهذا الحديث يقود إلى موضوع مهم للغاية يرتبط بالمصادر التي استقى منها أهل البيت علومهم، لا سيّما وأنّ النصوص التاريخية لم تشر إلى أنّهم درسوا عند أحد. ومن خلال عدد من الروايات الصحيحة نستنتج أنّ مصادر علوم أهل البيت تنحصر في أربعة فقط:

١ ـ القرآن الكريم: هناك العديد من الروايات تؤكّد أنّ أهل البيت عليهم السلام اختصّوا بمعرفة حقائق القرآن الكريم ـ كما هي ـ ووجوهه وغاياته. ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّ المراد من قوله تعالى: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١]. وكذلك قول الإمام عليّ عليه السلام نفسه: «أنا هو الذي عنده علم الكتاب»[٢]. وقول الإمام الحسين عليه السلام: «نحن الّذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه»[٣]. وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليّ يعلّم الناس من بعدي تأويل القرآن ما لا يعلمون»[٤]. وقول عليّ عليه السلام مؤكّداً ذلك: «سلوني عن كتاب الله. فإنّه ليس من آية إلّا وقد عرفت بليلٍ نزلت أم بنهار، في سهل أم جبل»[٥].

وما روي عن عبدالله بن مسعود: «إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا له ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن»[٦]. ويطلب الإمام علي عليه السلام من المسلمين أن يستنطقوا القرآن، برغم صعوبة ذلك، إذ

---

١ ـ شواهد التنزيل، ج ١ ص ٤٠ ح ٤٢٢.
٢ ـ رواه سلمان الفارسي. بصائر الدرجات لأبي جعفر الصفّار القمّي، ص ٢١٦ ح ٢١
٣ ـ رواه الأصبغ بن نباتة. المناقب لابن شهرآشوب ج ٤ ص ٥٢.
٤ ـ رواه أنس بن مالك. شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٩ ح ٢٨.
٥ ـ انظر: الطبقات الكبرىٰ ج ٢ ص ٣٣٨، تاريخ الخلفاء لعبد الرحمن السيوطي، ص ٢١٨، تاريخ دمشق لابن عساكر، ج ٣ ص ٢١ ح ١٠٣٩ وغيرها.
٦ ـ انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، ج ١ ص ٦٥ وينابيع المودّة، ج ١ ص ٢١٥ ح ٢٤.

يقول: «ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطق، ولكن أُخبركم، ألا أنّ فيه علم ما يأتي»[١]. وتحصر مجمل هذه الروايات فهم القرآن حقّ فهمه بآل البيت عليهم السلام. وبأنّه المصدر الأوّل لعلمهم، وأنّهم مرجعية المسلمين في استنطاق القرآن.

٢ ـ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: وهو المصدر الثاني لعلومهم عليهم السلام. ولعلّ أشهر حديث يستدلّ به في هذا المجال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»[٢].

وفي رواية أُخرى: «أنا دار العلم وعليّ بابها»[٣].

أو: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها»[٤].

وقد روى الحاكم عن بريدة الأسلمي قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب: «إنّ الله تعالى أمرني أن أُدنيك ولا أُقصيك، وأن أُعلّمك وأن تعي، وحقّ على الله أن تعي، فنزل قوله تعالى: ﴿وتعيها أُذن واعية﴾[٥]»[٦].

وعندما كان الإمام علي عليه السلام يُسأل عن مصدر علمه الذي أذهل الجميع كان يقول: «... وما سوى ذلك فعلمٌ علّمه الله نبيّه فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري

---

١ ـ نهج البلاغة، خطبة ١٥٨.

٢ ـ رواه مجاهد عن عبدالله بن عبّاس، وقال الحاكم أنّه حديث صحيح الإسناد، انظر: المستدرك على الصحيحين، ج ٣ ص ١٢٦ ـ ١٢٧، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد بأربع طرق، ج ٤ ص ٣٤٨، ج ٧ ص ١٧٢، ج ١١ ص ٤٨ ـ ٤٩، ورواه ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ص ٢٢، والمتّقي الهندي في كنز العمّال، ج ٦ص ١٥٢، وغيرها من المصادر التي ذكر قسماً منها الفيروز آبادي في كتابه فضائل الخمسة في الصحاح الستّة، ج ٢ ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

٣ ـ كما في الرياض النضرة للمحبّ الطبري، ج ٢ ص ١٩٣ وغيره.

٤ ـ انظر: صحيح الترمذي، ج ٢ ص ٢٩٩، تاريخ بغداد أو مدينة السلام للخطيب البغدادي، ج ١ ص ٢٠٤، كنز العمّال للمتّقي الهندي، ج ٦ ص ٤٠١.

٥ ـ سورة الحاقّة / الآية ١٢.

٦ ـ كفاية الطالب للكنجي، ص ٤.

وتضطمّ عليه جوانحي»[١].

وتحدّث بعض الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أورث علمه الإمام عليّ عليه السلام وأنّ الإمام عليّ عليه السلام أورثه ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، ثمّ أورثه كلّ إمام للإمام الذي يليه. ففي جواب رسول الله صلى الله عليه وآله حين سأله الإمام علي: «ما أرثُ منك يا رسول الله؟» قال صلى الله عليه وآله: «ما ورّث الأنبياء من قبل: كتاب ربّهم وسُنّة نبيّهم»[٢].

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله علّم رسوله الحلال والحرام والتأويل، وعلّم رسول الله علمه كلّه عليّاً»[٣].

ويؤكّد الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّ علمهم لا يمثّل رأيهم، بل وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: «لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نفتيهم بآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأُصول علم عندنا نتوارثها كابر عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم»[٤].

٣ ـ الإمام الذي سبقه: فالإمام لا يأخذ علمه إلّا من الإمام الذي سبقه، ولا يتعلّم إلّا عنده، وهذا العلم هو إرث حصري بهم، برغم أنّهم يعلّمون منه بعض تلامذتهم بمقدار استيعابهم. وهناك نصوص كثيرة في هذا المجال[٥].

٤ ـ الخبرة والتجارب الشخصية: لا شكّ أنّ لكلّ إمام من آل البيت عليهم السلام

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨.

٢ ـ كنز العمّال، ج ٥ ص ٤١.

٣ ـ المناقب لابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٣٦٦، وعيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ١٤٣ ح ١٠.

٤ ـ بصائر الدرجات، ص ٣٠ ح ٤، والاختصاص للشيخ المفيد، ص ٢٨٠، وهناك حديث للإمام الصادق عليه السلام بالمضمون نفسه رواه أبو داود بن يزيد في بصائر الدرجات، ص ٢٩٩.

٥ ـ معظم هذه النصوص وردت في الموسوعات الحديثية الشيعية، كالكافي للكليني، والتهذيب، والاستبصار للطوسي، وبحار الأنوار للمجلسي وغيرها. وهذه القضية من القضايا التي تمثّل أساساً مهمّاً في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

تجربة شخصية في الحياة، أكسبته خبرة عملية معينة، وهذه التجارب تتعلّق بدور كلّ إمام في بناء الحياة الإنسانية، وهي أدوار تتكامل مع بعضها وتمثّل إرادة واحدة وغاية واحدة، برغم أنّ لكلّ دور وسائله وعناصره الخاصّة[1]. فالإمام علي عليه السلام ـ مثلاً ـ خبر العمل السياسي، وفنون الحرب، ووعىٰ بدقّة السُنن الإلٰهية والقوانين الاجتماعية، ووقف علىٰ حركة الطبيعة وعلومها، ولا سيّما أنّه دخل هذه المعتركات منذ صباه وحتّى استشهاده، أي أنّها تجربة أكثر من (٥٠) عاماً من العمل السياسي والحروب والحركة الاجتماعية والوعي العلمي الفريد. وهي تجربة ورثها الأئمّة الآخرون. وهذا البعد المهمّ ضروري للغاية لفهم الطبيعة البشرية لأهل البيت عليهم السلام، وأنّهم عبيد الله، ولكن حباهم الله بنعمة خاصّة دون الآخرين.

... والحقيقة أنّ ظاهرة الغلو في أهل البيت عليهم السلام كان سببها الأساس الفهم غير الحقيقي لشخصية أهل البيت عليهم السلام وطبيعة علومهم، فكان هذا الفهم الناقص يؤدّي إلىٰ ذهول لدى بعض المسلمين، ويحوّلهم إلىٰ مغالين، نتيجة ما يشاهدونه لدى أهل البيت عليهم السلام من علوم تحيّر العقول، وكرامات وقابليات تستعصي علىٰ البشر.

ومن هنا كان الإمام عليّ عليه السلام يؤكّد حقيقية بشرية أهل البيت، وأنّهم لا يعلمون الغيب مباشرة، وإنّما علمهم هو فضل من الله تعالى ورثوه من رسول الله صلى الله عليه وآله. فيقول الإمام عليّ عليه السلام: «علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلّا الله، وما سوى ذلك فعلمٌ علّمه الله نبيّه فعلّمنيه»[2]، وكان الإمام عليّ عليه السلام يلعن أهل الغلوّ، وكذا الحال مع باقي أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وليس أدلّ علىٰ ذلك من مقولة للإمام

---

١ ـ انظر: أئمّة أهل البيت عليهم السلام وحدة هدف وتنوّع أدوار، للسيّد محمّد باقر الصدر.
٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨.

الصادق عليه السلام: «فوالله، ما نحن إلّا عبيدُ الذي خَلَقَنا وآصطفانا، ما نقدر على ضرّ ولا نفع، وإن رحِمنا [الله] فبرحمته، وإن عذّبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجّة، ولا معنا من الله براءة، وإنّا لميّتون ومقبورون، ومنشرون ومبعوثون، وموقوفون ومسؤولون»[1].

على أنّا لا نجد ما يمنع من أن يمنّ الله عليهم ويلهمهم الصواب في القضايا المتنوّعة.

المكانة العلمية لأهل البيت عليهم السلام في الواقع الإسلامي:

ظلّ المسلمون على مختلف تياراتهم ومدارسهم الكلامية والفقهية ينظرون لأهل البيت عليهم السلام، نظرة خاصّة تميّزهم عن غيرهم من الصحابة والتابعين والفقهاء، الأمر الذي تغصّ به كتب الحديث والفقه والتاريخ؟ ولولا السياسة المزيّفة التي مارسها بعض الحكّام، في العهدين الأُموي والعبّاسي، لبقيت مكانة أهل البيت راسخة في عقول المسلمين وقلوبهم، إذ سعت هذه السياسة المنحرفة إلى تزييف الحقائق والتحايل على الواقع؛ من أجل حرف الأنظار عن أهل البيت ومرجعيتهم.

ولكي لا يطول بنا المقام نستعرض هنا جزءاً من الشهادات التي أدلى بها كبار الصحابة والتابعين الفقهاء بحقّ أهل البيت عليهم السلام، بالصورة التي تعكس تطابقاً كاملاً بين الواقع الذي جسّده أهل البيت عملياً، والنصوص الواردة في القرآن والسُنّة، ونظرة المسلمين الموضوعية لأهل البيت عليهم السلام.

وإذا تجاوزنا عصر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى عصر الخلفاء، فسنرى أنّ البداية كانت مع الخليفة الأوّل أبي بكر، برغم الملابسات المعقّدة التي شابت

---

١ ـ رواه عبد الرحمن بن كثير، رجال الكشّي، ص ٤٩١.

الواقع الإسلامي منذ وفاة رسول الله ﷺ. فأبو بكر رجع إلىٰ الإمام عليّ عليه السلام في موضوع قتال أهل الردّة، وفي كثير من الأحكام الشرعية[١].

أمّا الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب فكان أكثر الخلفاء تعبيراً عن هذه الحقيقة، إذ كان دائم الرجوع إليه في المسائل العقائدية والفقهية والاجتماعية والسياسية[٢]، حتّى أنّ مقولات عمر التاريخية في عليّ بن أبي طالب تُظهر أنّ عمر كان من أكثر المسلمين إعجاباً بالإمام عليّ، وانبهاراً بشخصيته وعلمه، وإيماناً بدوره ومكانته وموقعه، يقول عمر: «أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن»[٣]، «لولا عليّ لهلك عمر»[٤]، «أنت [يا عليّ] خيرهم فتوى»[٥]، «اللّهمّ لا تنزل بي شدّة إلّا وأبو الحسن إلىٰ جنبي»[٦]، «أبا حسن! لا أبقاني الله لشدّة لست لها ولا في بلد لست فيه»[٧]، «يا ابن أبي طالب! فما زلتَ كاشف كلّ شبهة وموضع كلّ حكم»[٨]، «أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن»[٩]، «لا أبقاني الله بعدك يا علي»[١٠]، وذلك لأنّ الإمام عليّ عليه السلام كان ينجد عمر في المشاكل العقائدية والفقهية التي تعترضه أو التي يحرجه فيها المسلمون وغير المسلمين.

---

١ ـ انظر: الرياض النضرة للمحبّ الطبري، ج ٢ ص ٢٢٤، و ج ٢ ص ١٩٥، وكنز العمّال ج ٣ ص ٣٠١ و ج ٣ ص ٩٩.

٢ ـ أورد ذلك معظم كتب الحديث والتاريخ، ولا سيّما الصحاح والسنن والمسانيد، ممّا يطول تفصيله.

٣ ـ المستدرك على الصحيحين، ج ١ ص ٤٥٧.

٤ ـ السُنن للبيهقي، ج ٧ ص ٤٤٢، وهذه المقولة رواها كثير من كتب الحديث والتاريخ.

٥ ـ الطبقات لابن سعد، ج ٢ ق ٢ ص ١٠٢.

٦ ـ كنز العمّال، ج ٣ ص ٥٣.

٧ ـ المصدر السابق، ج ٣ ص ١٧٩.

٨ ـ المصدر السابق، ج ٣ ص ١٧٩.

٩ ـ نور الأبصار للشبلنجي، ص ١٧١.

١٠ ـ الرياض النضرة، ج ٢ ص ١٩٧.

ومن الأحداث الجديرة بالذكر في هذا المجال، حادثة كتابة التاريخ، إذ أنّ عليّ بن أبي طالب هو الذي أشار على الخليفة عمر بن الخطّاب أن يبدأ بكتابة التاريخ من اليوم الذي هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ المدينة، ففعل ذلك عمر[١]. وكذلك رجع إليه في أن يقود الجيش الذي فتح إيران والجيش الذي قاتل الروم، وسنأتي علىٰ ذلك في فقرة قادمة.

وكذا الحال مع عثمان بن عفّان الذي رجع إليه في كثير من المسائل العقائدية والفقهية، بالصورة التي نصّت عليها كتب الحديث والفقه والتاريخ[٢].

وكانت عائشة أيضاً تحيل كثيراً من يسألها في الأحكام الشرعية إلىٰ الإمام عليّ، ومن أقوالها المأثورة في هذا المجال: «عليك بابن أبي طالب لتسأله»[٣]، «ائت عليّاً فإنّه أعلم بذلك منّي»[٤].

وروى الحاكم بسنده عن قيس بن أبي حازم أنّ الصحابي سعد بن أبي وقّاص نهر رجلاً تعرّض للإمام عليّ عليه السلام فقال عنه: «ألم يكن أوّل مَن أسلم؟! ألم يكن أوّل مَن صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله ؟! ألم يكن أعلم الناس؟!»[٥].

وإنّ التاريخ ليشهد أنّ لقب الإمام صار من أشهر الألقاب لعليّ، وهناك العديد من الشهادات أيضاً في الإمام الحسن والإمام الحسين، وعلي بن الحسين

---

١ ـ أخرجه البخاري في تاريخه، ورواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين، ج ٣ ص ١٤.

٢ ـ انظر: الموطّأ لمالك بن أنس، ص ٣٦ وص ١٧٦، سنن البيهقي، ج ٧ ص ٤١٩، مسند الشافعي، ص ١٧١، مسند ابن حنبل، ج ١ ص ١٠٠، وص ١٠٤، تفسير ابن جرير، ج ٢٥ ص ٦١ وغيرها.

٣ ـ انظر: سُنن النسائي، ج ١ ص ٣٢، سُنن ابن ماجه، ص ٤٢، ومسند ابن حنبل ح ١ ص ٩٦، ص ١٠٠، ص ١١٣، ص ١١٧، ص ٢١٠، ص ١٣٣، ص ١٤٦، وص ١٤٩.

٤ ـ المصادر السابقة نفسها.

٥ ـ رواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين بسنده عن قيس بن أبي حازم، ج ٣ ص ٤٩٩.

وباقي الأئمّة أيضاً، ولعلّ من المناسب هنا ذكر أبيات من ميمية الفرزدق في مدح أهل البيت عليهم السلام، وتحديداً الإمام علي بن الحسين (زين العابدين):

من معشرٍ حبّهم دينٌ وبغضهمُ ... كفر وقربهم منجى ومُعتصمُ
مقدّم بعد ذكر الله ذكرهمُ ... في كلّ بدءٍ ومختومٌ به الكلمُ
إن عُدّ أهل التقى كانوا أئمّتهم ... أو قيل مَن خير أهل الأرض؟ قيل همُ[1]

وكذلك رائية أبي نوّاس التي يمتدح فيها أهل البيت عليهم السلام، يقول:

مطهّرون نقيّات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذُكروا
فالله لمّا برئ خلقاً فأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيّها البشرُ
فأنتم الملأُ الأعلىٰ وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السورُ[2]

أمّا ميمية أبي فراس الحمداني فهي من أكثر القصائد تعبيراً عن مكانة أهل البيت، ونقتطف منها هنا ما يرتبط بالبعد العلمي:

الحقّ مهتضمٌ والدين مخترمُ ... وفيء آل (رسول الله) مقتسمُ
خلّوا الفخار لعلّامين إن سُئلوا ... ويوم السؤال وعمّالين إن علموا
لا يغضبون لغير الله إن غضبوا ... ولا يُضيعون حقّ الله إن حكموا
تُنشئ التلاوة من أبياتهم أبداً ... وفي بيوتكم الأوتار والنغمُ[3]
الركن والبيت والأستار منزلهم ... وزمزم والصفا والحجرُ والحرمُ[4]

---

١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٦ ص ٩٦.
٢ ـ عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، ج ٢ ص ١٤٣ ح ١٠، والمناقب لابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٣٦٦.
٣ ـ يقصد الشاعر هنا العبّاسيّين.
٤ ـ ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق د. محمّد بن شريفة، ص ١٩٧ ـ ٢٠٦.

وهذا التعبير يكشف ـ في حقيقته ـ عن اتّجاه الرأي العام الإسلامي في ما يرتبط بالمكانة التي يختصّ بها أهل بيت النبوّة عليهم السلام . بل إنّ هذا الاتّجاه لم يقتصر على الشعراء وعموم الناس، بل عمّ حتّى الفقهاء وأئمّة المذاهب الإسلامية، فالشافعي أنشد يقول:

آل النبيّ ذريعتي وهمُ إليه وسيلتي
أرجو بهم أُعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي[1]

وكان عدد كبير من أئمّة المذاهب الإسلامية وكبار الفقهاء قد درسوا على أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما الإمام جعفر الصادق،إذ جمع الحافظ ابن عقدة أسماء أربعة آلاف رجل من الفقهاء والمحدّثين، رووا ودرسوا على الإمام الصادق، وذكر ابن عقدة مصنّفات كثير من هؤلاء[2]..

منهم: مالك بن أنس، أبو حنيفة النعمان[3]، يحيى بن سعيد، ابن جريج، سفيان الثوري، شعبة بن الحجّاج، عبد الله بن عمرو، روح بن القاسم، سفيان بن عيينة، إسماعيل بن جعفر، إبراهيم بن طحّان، وغيرهم[4].

ولعلّ مقولة أبي حنيفة الشهيرة: «لولا السنتان لهلك النعمان»[5] ـ وهما

---

١ ـ انظر: الصواعق المحرقة لابن حجر، ص ١٠٨، ونور الأبصار، ص ١٠٥.
٢ ـ الرجال لابن عقدة الزيدي، نقلاً عن أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين، ج ١ ص ٦٦١.
٣ ـ ذكر ذلك معظم كتب الطبقات والأعلام والتاريخ، كمطالب السؤول لابن طلحة الشافعي، ص ٢١٨، والصواعق المحرقة، ص ٣٠.
٤ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم، نقلاً عن المناقب لابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٢٤٧.
٥ ـ تحفة الآلوسي، ص ٨ وغيره من المصادر التاريخية، وقصّة التقريب للسيّد محمّد تقي الحكيم ص ٩٠.

السنتان اللتان حضر فيهما دروس الإمام الصادق عليه السلام، وتتلمذ عليه ـ تشير إلى عمق التأثير العلمي لأئمّة أهل البيت عليهم السلام في الواقع الإسلامي.

ومثلها مقولة مالك بن أنس: «ما رأت عين ولا سمعت أُذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام علماً وعبادةً وورعاً»[1].

ويوضّح الشيخ أبو زهرة هذا الواقع بقوله: كان أبو حنيفة يروي عن الإمام الصادق ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة. وكان مالك يختلف إليه دارساً راوياً، ولا يزيده فضل الاستاذية على أبي حنيفة ومالك فضلاً. فالصادق لا يمكن أن يؤخَر عن نقص ولا يقدّم عليه غيره عن فضل. وهو فوق هذا حفيد علي زين العابدين عليه السلام، الذي كان سيّد أهل المدينة في عصره فضلاً وشرفاً وديناً وعلماً، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري وكثير من التابعين، كما أنّ الصادق هو ابن محمّد الباقر الذي بقر العلم ووصل إلى لبابه[2].

أُسلوب المناظرة يكشف عن علم أهل البيت عليهم السلام :

كانت حياة أهل البيت مليئة بالحوار العلمي، فهم رجال الحوار الّذين تمثّلوا آدابه وأساليبه الصحيحة بالشكل والمضمون اللذين أوضحهما القرآن الكريم، فكانت مجالسهم أو المجالس التي يحضرونها ساحة للمناظرات ومواقف للاحتجاج.

وتختلف هذه المناظرات في دوافعها باختلاف الأحداث التي أدّت إليها، فهناك مناظرات كان بعض الحكّام يهدفون إلى إحراج أهل البيت فيها، وأُخرى كانت تجري في جوّ علمي صرف هدفه إظهار الحقيقة، وثالثة كانت بطلب من

---

١ ـ تهذيب التهذيب، ج ٢ ص ١٠٤.

٢ ـ الشيخ محمّد أبو زهرة في كتاب الإمام الصادق، ص ٣.

آخرين، حكّاماً أم رواة وفقهاء، بعد أن عجزوا عن مجاراة الخصم. وقد جمع بعض المؤلّفين هذه المناظرات في كتب خاصّة نقلوها من مصادرها الأصلية[١].

والمهم في هذه المناظرات، وبكلمة أدّق ما يفيدنا في هذا البحث، هو أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام لم يُفحموا أو يُحرجوا أو يتردّدوا في أي من هذه المناظرات، برغم أنّ بعضهم (كالإمام محمّد الجواد) أُقحم في مناظرة علمية رفيعة المستوى وهو دون التاسعة من عمره ـ كما سيأتي ـ فضلاً عن المستوى العلمي الفريد الذي كانت تكشفه هذه المناظرات، ممّا يجعلها دليلاً آخر من الواقع العملي على مرجعية أهل البيت التي لا ينافسهم عليها أحد.

وأوّل من دخل في هذه المناظرات هو الإمام عليّ عليه السلام، وكان جزؤها العلم غالباً مع أصحاب الديانات الأُخرى، كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم[٢]، فضلاً عن حواره مع الغلاة، بهدف استتابتهم، ومع الّذين خرجوا على إجماع الأُمّة حول خلافته، بل كان يحثّ الأُمّة على أن يسألوه عن كلّ شيء في العقائد والأحكام والعلوم النظرية والطبيعية ولطالما ناداهم: «سلوني قبل أن تفقدوني»[٣].

وعلى سيرة عليّ عليه السلام سار ولداه الحسن والحسين عليهما السلام، فمن مناظرات الإمام الحسن الشهيرة مناظرته مع الرجل الشامي الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان، ومعه أسئلة عميقة في مضامينها كتبها له القساوسة الروم، ويريد أن يسأل بها الإمام عليّ عليه السلام ليحرجه، فأحاله الإمام عليّ على ولده الحسن عليه السلام. فأجاب الأخير عن كلّ الأسئلة الدينية والعلمية والفلسفية التي كان يحملها الرجل

---

١ ـ ومنها كتاب الاحتجاج للطبرسي.

٢ ـ مثالاً على ذلك، انظر: عرائس التيجان للثعلبي، ص ٥٦٦.

٣ ـ انظر: كتاب يحمل العنوان نفسه للشيخ محمّد رضا الحكيمي.

الشامي[١]. وعلىٰ غرار هذه المناظرة كانت مناظرة الحسن البصري مع الإمام الحسن عليه السلام حول القضاء والقدر[٢].

وللحؤول دون الإطالة في هذا المجال، سنقتصر علىٰ ذكر بعض النماذج من مناظرات الإمام جعفر الصادق، وهي كثيرة جدّاً ومطوّلة، بالنظر للفترة التاريخية الاستثنائية التي عاشها الإمام الصادق عليه السلام.

ومن هذه النماذج: مناظرته مع أبي حنيفة النعمان التي أقحمه فيها المنصور، وأحرج فيها أبو حنيفة، إذ يرويها الأخير بنفسه، يقول: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد، لمّا أقدمه المنصور بعث إليّ، فقال: يا أبا حنيفة! إنّ الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمّد، فهيّئ له من المسائل الشداد، فهيّأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إليّ أبو جعفر (المنصور) وهو بالحيرة، فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمّد (الصادق) عن يمينه، فلمّا أبصرت به دخلتني الهيبة لجعفر بن محمّد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر (المنصور)، فسلّمت عليه وأومأ لي فجلست. ثمّ التفت إليه فقال: يا أبا عبدالله (الصادق) هذا أبو حنيفة، فقال: نعم... ثمّ التفت إليّ المنصور فقال: يا أبا حنيفة! ألقِ علىٰ أبي عبدالله من مسائلك، فجعلت أُلقي عليه، فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا، فربّما تابَعَنا وربّما تابَعَهم، وربّما خالفنا جميعاً، حتّى أتيت علىٰ الأربعين مسألة، ثمّ قال أبو حنيفة: ألسنا روينا أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»[٣].

وهناك أيضاً حوار شهير بين الإمام الصادق عليه السلام مع أحد زعماء الزنادقة، في شتّىٰ العلوم الدينية والفلسفية وعلوم الديانات الأُخرى، وأدّت أجوبة الإمام

---

١ ـ الاحتجاج، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩.
٢ ـ تحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحرّاني، ص ٢٣١.
٣ ـ رواها الموفّق في مناقب أبي حنيفة، ج ١ ص ١٧٣.

الصادق عليه السلام بالزنديق إلى الإيمان ودخول الإسلام[١].

وللإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حوار معروف ومطوّل، وثّقه كثير من المؤرّخين، مع علماء ومتكلّمي النصارى واليهود والصابئة والمجوس، إذ جمعهم الفضل بأمر من الخليفة المأمون، وطلب منهم أن يتناظروا أمامه، وكانت النتيجة أن أسلم كثير من هؤلاء العلماء والمتكلّمين على يد الإمام الرضا عليه السلام[٢].

وقد استمرّ المأمون ـ بعد انتهاء المناظرة ـ في طرح أسئلته على الإمام الرضا عليه السلام في مختلف العلوم[٣]، فكان المأمون يزداد بعد كلّ جواب دهشة وذهولاً من مستوى علم الإمام، وهي دهشة كانت مشوبة بالخوف من هذا الرجل الذي قد يشكّل إجماع الناس عليه خطراً على الدولة العبّاسية.

أمّا المناظرة الأكثر إثارة ودهشة، فهي مناظرة الإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام مع يحيى بن أكثم (قاضي القضاة في عهد المأمون)، وكان الإمام الجواد حينها دون التاسعة من عمره، وكانت هذه المناظرة عبارة عن رهان بين المأمون وبطانته حول علم الإمام الجواد، وهي في الواقع امتحان أرادوا إحراج الإمام الجواد فيه مستغلّين صغر سنّه[٤]. وحين اكتمل المجلس بحضور المأمون وعدد كبير من قادة الدولة والعلماء والرواة وزعماء الأُسرة العبّاسية، طرح يحيى ابن اكثم سؤالاً قصيراً على الإمام الجواد حول حكم: «مُحرِم قتل صيداً». فأجابه الإمام الجواد عليه السلام بصيغة سؤال:

«هل قتله في حلّ أو حرم؟

---

١ ـ الاحتجاج، ص ٣٣١ ـ ٣٣٥.

٢ ـ المصدر السابق، ٤١٥ ـ ٤٢٥.

٣ ـ المصدر السابق، ص ٤٢٥ ـ ٤٣٢.

٤ ـ انظر: الأُصول العامّة للفقه المقارن للسيّد محمّد تقي الحكيم، ص ١٨٣.

عالماً كان المحرِم أو جاهلاً؟

قتله عمداً أو خطأً؟

حرّاً كان المحرم أو عبداً؟

صغيراً كان أو كبيراً؟

مبتدئاً بالقتل أو معيداً؟

من ذوات الطير كان أم من غيرها؟

من صغار الصيد أم من كباره؟

مصرّاً على ما فعل أو نادماً؟

في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار؟

محرِماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً؟».

فتحيّر يحيىٰ بن أكثم وعجز عن مجاراة الإمام.

حينها طلب المأمون من الإمام الجواد أن يفصّل أحكام كلّ تشقيق من التشقيقات التي وضعها الإمام للسؤال. فأجاب عليها الإمام الجواد بالتفصيل واحدة تلو الأُخرى. ممّا اسقط في يد يحيىٰ وبطانة المأمون ما كانوا يضمرونه للإمام الجواد (ابن السنوات التسع فقط)[1].

ولعلّ هذه المناظرة وما أسفر عنها من نتائج تكفي وحدها للدلالة على أهمّية أُسلوب المناظرات وفاعليته في الكشف عن مرجعية أهل البيت، دون أن يؤثّر في ذلك سنّ أو زمان أو مكان؟ فلا يمكن أن يكون النجاح الدائم والمطلق في المناظرات ـ التي كان كثير منها يأخذ طابع الامتحان ـ مجرّد صدفة، فالصدفة هنا مستحيلة ـ كما يقول أحد الفقهاء[2] ـ لأنّها ممكنة في حدود امتحان ما لشخص ما

---

١ ـ انظر: الصواعق المحرقة، ص ٢٠٤، الاحتجاج، ص ٤٤٤ وغيرهما.

٢ ـ السيّد محمّد تقي الحكيم في الأُصول العامّة للفقه المقارن، ص ١٨٤.

وفي مجال ما، ولكن أن يكون الامتحان في مختلف المجالات، ويتكرّر باستمرار، سواء بالنسبة لكلّ واحد من الأئمّة أو بالنسبة لجميع الأئمّة، صغارهم وكبارهم، فهو ما لا يمكن أن يكون صدفة أبداً، خصوصاً إذا لاحظنا أنّهم كانوا مصحرين بآرائهم ومرجعيتهم.

الإنتاج العلمي لأهل البيت عليهم السلام :

ترك أهل البيت عليهم السلام للأُمّة إنتاجاً علمياً ضخماً، استثمرته في ماضيها، وستبقى تنتفع به في حاضرها ومستقبلها؛ فهذا الإنتاج لم يكن لزمانه وحسب، بل هو خالد على مرّ العصور. وتمثّل إنتاج أهل البيت في أحاديثهم وخطبهم وكتاباتهم ودروسهم، وما تضمّنته من مناهج وقواعد وتعليمات وعلوم، فضلاً عن الجامعات العلمية التي أسّسوها، والطاقات العلمية التي ربّوها ورعوها وغذّوها بالعلم والمعرفة.

فعلى مستوى التأليف والتصنيف، الإمام عليّ عليه السلام نقطة الانطلاق في تاريخ الإسلام، وكانت أُولى أعماله جمع القرآن الكريم مرتّباً حسب النزول، وبيّن أسباب نزول آياته، عامّها وخاصّها، مطلقها ومقيّدها، محكمها ومتشابهها، ناسخها ومنسوخها، عزائمها ورخصها، وسُننها وآدابها. حتّى أنّ ابن سيرين قال: لو أصبت ذلك الكتاب لكان فيه العلم[1].

وروى أبو نعيم عن الإمام علي عليه السلام قوله في هذا المجال: «لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتّى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري حتّى جمعت القرآن»[2].

---

١ ـ انظر: المراجعات للسيّد عبد الحسين شرف الدين، المراجعة ١١٠.

٢ ـ حلية الأولياء، ج ١ ص ٦٧.

والمصنّف الآخر للإمام علي هو «الصحيفة»، وهو كتاب في الديات، أي الأموال المفروضة على الجنايات التي ترتكب خطأً أو شبيهاً بالعمد أي في ما لا يكون القصاص فيه[١]. وكتاب «الجامعة» هو مصنّف آخر للإمام عليّ عليه السلام، وهي أمالي للرسول كتبها الإمام، وتضمّنت ما يحتاجه الناس من أحكام شرعية وتفصيل لما جاء في القرآن الكريم.

أمّا الكتب التي جمعت إنتاجه فهي كثيرة، وأهمّها «نهج البلاغة» الذي يشتمل على منتخب من خطب للإمام علي عليه السلام وكتبه ورسائله وحكمه ومواعظه، وقد جمعها الشريف الرضي.

وكذلك «مسند الإمام عليّ» الذي يشتمل على ما رواه الإمام عليّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جمعه ابن شعيب النسائي.

والكتاب الآخر هو «غرر الحكم ودرر الكلم». ويتضمّن كلماته القصار وحكمه، وقد جمعه عبد الواحد الآمدي.

وإلى جانب مصنّفات الإمام عليّ، فإنّ بعض الموالين لمدرسته، كسلمان الفارسي وأبي ذرّ الغفاري ورافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله والأصبغ بن نباته، مارسوا التأليف والتصنيف أيضاً بتوجيه من الإمام نفسه[٢]. ويمكن مراجعة كتب الرجال للوقوف على تراجم الرجال الّذين تتلمذوا على الإمام عليّ وولديه الإمام الحسن والإمام الحسين، بيد أنّ مدّة إمامة علي بن الحسين زين العابدين. والتي بلغت حوالي ٣٥ عاماً. سمحت له بأن يبني جيلاً متخصّصاً من الرواة والفقهاء والمتكلّمين. وفيهم عدد من الصحابة والتابعين[٣].

---

١ ـ انظر: تكملة المنهاج للسيّد أبي القاسم الخوئي، ج ٢، كتاب الديات.
٢ ـ انظر: المراجعات، ص ٤١٢ ـ ٤١٣، والمناقب لابن شهرآشوب.
٣ ـ انظر: المناقب لابن شهرآشوب، ج ٤ ص ١٦١، ورجال الكشّي

وقد ترك الإمام زين العابدين رسالة رائعة هي «رسالة الحقوق» والتي تتضمّن بياناً لأنواع الحقوق وما يترتّب عليها.

والفرصة التاريخية نفسها فسحت المجال للإمام الصادق بأن يبني جامعة إسلامية في تاريخ الإسلام، كان تلامذتها كبار محدّثي وفقهاء وعلماء الأُمّة، من مختلف البلدان، كالعراق والحجاز وفارس وبلاد الشام، وقد تمكّن تلامذة الإمامين محمّد الباقر وجعفر الصادق من تصنيف وتأليف كم كبير من الرسائل والبحوث والكتب، ومنهم أبان بن تغلب روى ٣٠٠٠٠ حديث عن الإمام الصادق، وأبو حمزة الثمالي وبريد بن معاوية وأبو بصير وزرارة بن أعين ومحمّد بن مسلم وهشام بن الحكم (اشتهر من كتبه ٢٩ كتاباً)[١].

وقد بادر بعض تلاميذ الإمام الصادق إلى تدوين روايات وفتاوى الإمام الصادق عليه السلام وجمعوها في ٤٠٠ مصنّف، عُرفت بالأُصول الأربعمائة.

ثمّ برع تلامذة الأئمّة الآخرين: موسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمّد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، في التصنيف والتأليف، عبر نقل روايات هؤلاء الأئمّة وفتاواهم وتحويل توجيهاتهم إلى مصنّفات مدوّنة في مختلف المجالات والاختصاصات، ولا سيّما علوم الدين.

ومن هؤلاء أحمد بن خالد البرقي الذي ألّف نحو ١٠٠ كتاب، والحسين بن سعيد الذي ألّف ٣٠ كتاباً، والفضل بن شاذان صاحب أكثر من ٢٠٠ مؤلّف، ومحمّد العياشي الذي كتب أيضاً ما يقرب من ٢٠٠ كتاب وبحث[٢].

ولم يقتصر تعليم أهل البيت تلامذتهم على علوم الدين، بل تعدّتها إلى العلوم الأُخرى أيضاً، كما هو الحال مع علم النحو الذي علّمه الإمام علي أبا

---

١ ـ انظر: المراجعات، ص ٤١٥ ـ ٤١٩.

٢ ـ المصدر السابق، ص ٤٢٢.

الأسود الدؤلي، أو علم الكيمياء الذي برز فيه جابر بن حيّان الكوفي تلميذ الإمام الصادق عليه السلام وغيرها[١].

وقد أوضح أئمّة أهل البيت عليهم السلام كلّ ما كانت الأُمّة تحتاجه من أُصول عقيدية وفقهية وأخلاقية، وكانت آراؤهم تمثّل فصل الخطاب لكلّ اختلاف علمي ديني يحدث بين العلماء المسلمين ومذاهبهم الكلامية والفقهية، ولا سيّما في قضايا التوحيد وصفات الخالق تعالى ووصف ذاته مع صفاته، وقضايا العدل الإلهي وما يرتبط بذلك من أفعال الإنسان، ومسائل القضاء والقدر، والوسطية بين الجبر والتفويض، والبداء والتقية، وكذا القواعد الأُصولية والفقهية التي أقام عليها فقهاء مذهب أهل البيت مدرستهم. وقد كتب في هذه المجالات الآلاف من الكتب[٢].

علم أهل البيت عليهم السلام في خدمة مصالح الأُمّة:

برغم المحن القاسية التي مرّت على أهل البيت في مختلف المراحل والعهود، إلّا أنّهم ظلّوا يضحّون من أجل رعاية مصالح الأُمّة ووحدتها وتغليب هذه المصالح على أي شيء آخر، من منطلق الرسالة التي كُلّفوا بحملها. كما ظلّت علومهم هي المنار الذي يهدي الأُمّة إلى الطريق القويم.

وكانت القضية الأُولى هي قضية الخلافة، إذ صمت الإمام عليّ عليه السلام حيالها، برغم تصريحه بأحقّيته فيها، وذلك حرصاً على مصلحة الأُمّة التي كانت تعيش

---

١ ـ انظر: رجال الكشّي، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيّد حسن الصدر، مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام للسيّد عبد الحسين شرف الدين، رجال النجاشي، طبقات مؤلّفي الشيعة للشيخ آغا بزرك الطهراني وغيرها.

٢ ـ انظر: المصادر السابقة نفسها.

مرحلة تثبيت الأقدام والفتوحات وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، ولم يسمح لمن أراد أن يلوِّح بورقة الخلافة لتفريق الأُمّة، بتمرير مخطّطه، وهو ما حدث مع أبي سفيان، الذي دعاه عقيب السقيفة بأن يتصدّى للخلافة، فنهره الإمام عليّ وفضح أمره، بل إنّ الإمام عليّ لم يبخل بأية مشورة للخلفاء الراشدين. ويكفي أن نراجع الخطبة الشقشقية وكتابه إلىٰ أهل مصر الذي بعثه مع مالك الأشتر، لنقف علىٰ مجمل هذه الحقائق.

ففي كتابه إلىٰ أهل مصر قال الإمام عليّ عليه السلام: «... إنّ الله سبحانه بعث محمّداً نذيراً للعالمين ومهيمناً علىٰ المسلمين. فلمّا مضى تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزيح هذا الأمر من بعده عن أهل بيته ولا أنّهم منحّوه عنّي من بعده، فما راعني إلّا والناس علىٰ فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلىٰ محق دين محمّد، فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علَيّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان... كما يزول السراب، أو كما ينقشع السحاب. فنهضت في تلك الأحداث، حتّى زاح الباطل وزهق واطمأنّ الدين»[1].

وهذه الكلمات واضحة الدلالة تماماً علىٰ تغليب الإمام عليّ عليه السلام مصلحة الإسلام، برغم تصريحه بأحقّيته في خلافة رسول الله، ولم يقف الإمام علىٰ الحياد تجاه قضايا الإسلام، بل ظلّ في خضمّ الأحداث فاعلاً وعاملاً. ومن ذلك موقفه من حروب الردّة ومانعي الزكاة، ثمّ موقفه من التجاوزات التي قام بها بعض قادة الجيش الإسلامي خلالها. ففي كليهما تصرّف بالطريقة التي يمليها عليه موقفه

---

١ ـ نهج البلاغة، الرسالة رقم ٦٢.

الشرعي.

وفي السياق نفسه تأتي مواقفه في مرحلة خلافة عمر، فحين استشاره الخليفة في أن يخرج بنفسه لغزو الروم، فإنّ الإمام عليّ عليه السلام أشار على عمر بعدم الخروج بنفسه؛ لأنّه خليفة المسلمين ومحور وحدتهم[١]. وفعل الشيء نفسه حين استشاره عمر بأن يخرج بنفسه لقيادة جيش المسلمين المتوجّه لفتح إيران؛ لأنّه ـ كما يقول الإمام عليّ ـ لا بُدّ أن يكون القطب الذي تدور الرحا حوله، فخروجه يعني تشتّت أمر المسلمين[٢].

وفي السياق نفسه جاء صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية في إطار الظروف الاستثنائية التي مرّ بها الإمام وعانت منها الأُمّة، ثمّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ ضحّى الحسين عليه السلام بنفسه وبصحبه وأهل بيته من أجل مصلحة الأُمّة والحيلولة دون استشراء الانحراف في جسدها.

ويلفت الإمام السجّاد عليه السلام الأنظار بدعائه للجيش الإسلامي برغم خضوع هذا الجيش لقيادة الأُمويين الّذين أذاقوا أهل البيت الأمرّين، وهو دعاؤه المعروف بدعاء «أهل الثغور» الذي يقول فيه:

«اللّهمّ صلّ على محمّد وآله وحصّن ثغور المسلمين بعزّتك، وأيّد حماتها بقوّتك... وكثّر عددهم وآشحذ أسلحتهم... وألّف جمعهم، ودبّر أمرهم، وواتر بين مسيرهم، وتوحّد بكفاية مؤنهم، وأعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر... اللّهمّ أعزّ بكلّ ناحية من المسلمين على من أزاءهم من المشركين وآمددهم بملائكة من عندك مردفين»[٣].

---

١ ـ المصدر السابق، الخطبة ١٣٤.

٢ ـ المصدر السابق، الخطبة ١٤٦.

٣ ـ الإمام زين العابدين (السجّاد)، الصحيفة السجّادية، ص ٨٧ ـ ٩١.

كذا الحال مع الإمام الباقر عليه السلام الذي كان يضع علمه وخبرته تحت تصرّف الدولة الإسلامية، ومن ذلك حلّه مشكلة السكّة حين قنّنها الروم على المسلمين فأشار الإمام الباقر عليه السلام على عبد الملك بن مروان بأن يضرب السكّة باسمه.

ثمّ مواقف الإمام الصادق عليه السلام من قضايا الخلاف الكبرى بين الفرق الإسلامية في العهد العبّاسي، فكان يوجّه أصحابه وشيعته بشأن سلوكهم مع أتباع المذاهب الأُخرى، فيقول: «صلّوا في جماعتهم، وعودوا مرضاهم، وآحضروا جنائزهم وموتاهم؛ حتّى يقولوا: رحم الله جعفر بن محمّد، فلقد أدّب أصحابه، كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا»[1].

والأمر نفسه كان يحدث مع الأئمّة الآخرين، وبالإمكان مراجعة مواقفهم كما جاءت في المصادر التاريخية وفي كتب التراجم الموثّقة.

وعموماً فإنّ هذه المواقف كانت تعبّر عن نظرتهم المتفرّدة لقضايا الأُمّة وتشخيصهم الدقيق لمصلحتها العليا.

النتائج:

نخلص ممّا سبق إلى نتائج نضعها بين أيدي الباحثين والمختصّين؛ للتداول والحوار، بهدف إثرائها وبلورتها:

١ ـ إنّ القرآن الكريم والسُنّة الشريفة أكّدا مرجعية أهل البيت العلمية العامّة لكلّ المسلمين.

٢ ـ إنّ السُنّة الشريفة الصحيحة كشفت عن المقصود بأهل البيت بصفاتهم وعددهم.

---

١ ـ الفصول المهمّة في توحيد الأُمّة، للسيّد عبد الحسين شرف الدين.

٣ ـ وإنّهم لم يحتاجوا إلى أحد في حياتهم العلمية، سوى المعصوم الذي سبقهم.

٤ ـ إنّ أعلام الأُمّة ورجالات المسلمين، بدءاً بالخلفاء الراشدين وأئمّة المذاهب الإسلامية وحتّى الآن، شهدوا بأعلمية أهل البيت، وبحاجة المسلمين إلى مرجعيتهم العلمية.

٥ ـ إنّ أهل البيت وظّفوا علمهم لخدمة الأُمّة ومصالحها، برغم قساوة الظروف التي واجهتهم.

٦ ـ وبناءً على ما سبق فإنّ أهل البيت عليهم السلام مرجعية علمية عامّة للمسلمين، دون أن يؤثّر في ذلك زمان أو مكان، وهو الحد الأدنى الذي يتّفق عليه المسلمون بشأن محورية أهل البيت في الوحدة الإسلامية. فإذا كانت الإمامة السياسية لأهل البيت موضع جدل بين المسلمين، فإنّ المرجعية هي ـ وفقاً لما سبق ـ نقطة التقاء بين المسلمين[1].

واتّفاق المسلمين على هذه الحقيقة أمر في غاية الأهمّية؛ لأنّ من شأنه تقرير مصير الأُمّة في قضية طالما حاول الحكّام وحاولت السياسة التعتيم عليها طيلة مئات من السنين.

ومن المناسب هنا الإشارة إلى منهج الدليل الاستقرائي الذي استخدمه الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر لإثبات الخالق تعالى؛ لأنّه منهج يُعتمد عليه في إثبات جميع الحقائق العلمية، وهو يقوم على حساب الاحتمالات[2]. فنستخدمه

---

١ ـ لا يعني هذا ذوبان المذاهب الإسلامية في مذهب واحد، بل يعني تحديد مساحة مرجعية عامّة يلتقي عندها كلّ أتباع المذاهب الإسلامية، مع احتفاظ كلّ مذهب وفريق بخصوصياته.

٢ ـ انظر: السيّد محمّد باقر الصدر، الأُسس المنطقية للاستقراء، (ق ٣)، ص ١٣٥ فما بعدها.

هنا في إثبات كون أهل البيت الفئة التي منحت الأهلية للمرجعية العلمية لهذه الأُمّة.

ويمكن تلخيص هذا المنهج في الخطوات الخمس التالية:

أوّلاً: التعرّف على ظواهر القضية التي نريد إثباتها، من خلال التجربة والحسّ.

ثانياً: بعد ملاحظة تلك الظواهر وتجميعها، ننتقل إلى مرحلة تفسيرها، وإيجاد فرضية علمية صالحة من خلال تفسير هذه الظواهر وتبريرها، والمقصود بكونها صالحة هو أنّها إذا كانت ثابتة في الواقع فهي تستبطن أو تتناسب مع وجود جميع تلك الظواهر الموجودة بالفعل.

ثالثاً: إن لم تكن هذه الفرضية صحيحة وثابتة في الواقع، فإنّ فرصة تواجد تلك الظواهر مجتمعة كلّها ضئيلة جدّاً، أي أنّ نسبة احتمال وجودها جميعاً إلى احتمال عدمها أو عدم واحدة منها ـ على الأقلّ ـ ضئيلة جدّاً.

رابعاً: نخلص إلى أنّ تلك الفرضية صادقة، ودليل صدقها هو وجود تلك الظواهر المجتمعة معاً، والتي أحسسناها في الخطوة الأُولى.

خامساً: إنّ درجة إثبات تلك الظواهر للفرضية المطروحة في الخطوة الثانية تتناسب عكسياً مع نسبة احتمال وجود تلك الظواهر جميعاً إلى احتمال عدمها على افتراض كذب الفرضية، فكلّما كانت هذه النسبة أقلّ كانت درجة الإثبات أكبر، حتّى تبلغ في حالات اعتيادية كثيرة درجة اليقين الكامل بصحّة الفرضية[1].

ونحن في هذا البحث استخدمنا هذا المنهج استخداماً غير مباشر حيث قلنا: إنّ كلّ هذه الظواهر التاريخية الثابتة إنّما تنسجم مع الأهلية الحقيقية لهم عليهم السلام لهذه المرجعية وإلّا احتجنا إلى الكثير من الصدف التي لا يُعقل

---

١ ـ انظر: المصدر السابق: ص ٣٥٥ ـ ٤١٠ وقد عرض الشهيد الصدر هذا المنهج بصورة مبسّطة ومختصرة في كتابه (المرسل الرسول الرسالة)، ص ٢٤ ـ ٢٧.

اجتماعها. متمنّين على أهل العلم والاختصاص الانتفاع من هذا المنهج وفقاً للخطوات التي حدّدها الشهيد الصدر، في مثل هذه الموضوعات المصيرية بالنسبة للأُمّة التي تنتمي إلى الرسالة الخاتمة التي تبشّر البشرية جمعاء بالعدل والسعادة وخير الدنيا والآخرة.

النتيجة:

ونخلص من هذا البحث إلى أنّ الأُمّة الإسلامية لكي توسّع من مساحة مصادرها الأصيلة ومقدرتها على مواجهة التساؤلات الحياتية المتنوّعة، وتنسجم أكثر مع توجّهات القرآن الكريم والسُنّة الشريفة يجب أن ترجع إلى هذا التراث الضخم وتستمدّ منه ما يركّز موقعها الحضاري المطلوب.

* * *

محمّد علي التسخيري

طهران / صفر الخير ١٤٢٢ هـ

أهل البيت عليهم السلام
المرجع العلمي والفكري
بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

آية الله الشيخ جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحيم

كان للنبي الاكرم صلى الله عليه وآله رئاسة دينية تامّة في إدارة دفّة الحكم. فهو من جانب كان يدير الجيوش، ويسدّ الثغور، ويقيم الحدود، ويقسّم الفيء بين المسلمين، ويقضي بينهم. إلى غير ذلك من الأُمور التي لها صلة بالأُمور الدنيوية.

ومن جانب آخر كان يقوم بأُمور لها صلة بالأُمور المعنوية:

أوّلا: يبيّن الأحكام الشرعية كلية وجزئية، ويجيب على الحوادث المستجدّة التي لم يبيّن حكمها في الكتاب ولا في السُنّة الموجودة.

ثانياً: يفسّر القرآن الكريم فيبيّن مجملاته، ويقيّد مطلقاته، ويخصّص عموماته إلى غير ذلك ممّا يرجع إلى رفع إبهامات الكتاب.

ثالثاً: يردّ على الشبهات والتشكيكات التي يلقيها أعداء الإسلام من مشركي مكّة المكرّمة واليهود والنصارى بعد الهجرة.

رابعاً: يصون الدين من أيّ محاولة تحريفية، ومن أيّ دسّ في التعاليم المقدّسة.

ولا ريب أنّ من كان يقوم بمثل هذه المسؤوليات، يورث فقده وغيابه من الساحة، فراغاً هائلاً في الحياة الاجتماعية، وثغرة كبرىٰ في القيادة لا يسدّها إلّا إخلاف من يتحلّى بنفس المؤهّلات الفكرية والعلمية التي كان النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله يتحلّى بها ما عدا خصيصة النبوّة وتلقّي الوحي.

ومن الخطأ أن نتّهم النبيّ صلى الله عليه وآله ـ والعياذ بالله ـ بأنّه قد ارتحل من دون أن

يفكّر في ملء تلك الثغرات المعنوية الحاصلة برحيله. وهذا ما يسوقنا إلى الفحص في كلمات الرسول الأعظم حتّى نتعرّف على من عيّنه الرسول لملء هذه الثغرات.

فإذا رجعنا إلى أحاديث النبيّ ﷺ نقف بوضوح على أنّه ﷺ قد سدّ هذه الثغور بإخلاف من جعلهم قرناء الكتاب وأعداله، وأناط هداية الأُمّة بالتمسّك بهما.

وها نحن نذكر الشيء القليل الذي هو كنموذج من كلماته الكثيرة في ذلك المجال.

١ ـ روى ابن الأثير الجزري في جامع الأُصول عن جابر بن عبدالله، قال:

رأيت رسول الله ﷺ في حجّة الوداع يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: «إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

٢ ـ وأخرج مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم، قال:

قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعىٰ خمّاً بين مكّة والمدينة. وحمد الله وأثنىٰ عليه ووعظ وذكّر، ثمّ قال:

أمّا بعد: ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما: كتاب الله فيه الهدىٰ والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه.

ثمّ قال: وأهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي[1].

٣ ـ أخرج الترمذي في صحيحه عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: رأيت

---

١ ـ صحيح مسلم: ٢ / ٣٢٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة يوم عرفة على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: يا أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي[١].

٤ ـ أخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله: إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض[٢].

وهذا الحديث المعروف بحديث الثقلين رواه عن النبيّ أكثر من ثلاثين صحابياً، ودوّنه ما يربو على ثلاثمائة عالم في كتبهم في مختلف العلوم والفنون، وفي جميع الأعصار والقرون، فهو حديث صحيح متواتر بين المسلمين. وقد عيّن النبيّ صلى الله عليه وآله ببركة هذا الحديث من يسدّ هذه الثغرات ويكون المرجع العلمي بعد رحيله، وليس هو إلّا أهل بيته.

مَن هم أهل البيت ؟

وأمّا مَن هم أهل بيته الّذين هم أحد الثقلين، وأشار إليهم سبحانه في قوله: ﴿*إنّما يُريدُ الله ليُذهبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً*﴾[٣]!

فقد عرّفهم النبيّ صلى الله عليه وآله في مواطن متعدّدة، بل كان له صلى الله عليه وآله عناية وافرة بتعريفهم لم ير مثلها إلّا في موارد نادرة.

أوّلاً: صرّح بأسماء من نزلت الآية في حقّهم، حتّى يتعيّن المنزول فيه باسمه ورسمه.

ثانياً: قد أدخل جميع من نزلت الآية في حقّهم تحت الكساء ومنع من

---

١ ـ سُنن الترمذي: ١٩٩.

٢ ـ مسند أحمد: ٣ / ١٤.

٣ ـ سورة الأحزاب: ٣٣.

دخول غيرهم.

ثالثاً: كلّما خرج إلى الصلاة كان يمرّ ببيت فاطمة عليها السلام عدّة شهور، ويقول: الصلاة أهل البيت ﴿إنّما يُريدُ الله لِيُذهبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾.

ولنذكر لكلّ موطن نموذجاً:

أمّا الأوّل: أخرج الطبري في تفسير الآية عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نزلت الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ عليه السلام وحسن عليه السلام وحسين عليه السلام وفاطمة عليها السلام ﴿إنّما يُريدُ الله لِيُذهبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾.

وقد رويت في هذا المجال روايات فمن أراد فليرجع إلى تفسير الطبري والدرّ المنثور للسيوطي.

وأمّا الثاني: فقد أخرج السيوطي عن ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة، قالت: خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرجّل من شعر أسود فجاء الحسن والحسين عليهما السلام فأدخلهما معه، ثمّ جاء عليّ فأدخله معه، ثمّ قال: ﴿إنّما يُريدُ الله لِيُذهبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾.

ولو لم تذكر فاطمة عليها السلام في هذا الحديث فقد جاء في حديث آخر، حيث روى السيوطي، وقال: أخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه وابن سعد، قال: نزل على رسول الله الوحي فأدخل عليّاً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه، قال: اللّهمّ إنّ هؤلاء أهلي وأهل بيتي.

وفي حديث آخر: جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى فاطمة ومعه (أي مع رسول الله) وحسن وحسين وعليّ حتّى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه

وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وإمّا الثالث: فقد أخرج الطبري عن أنس: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يمرّ ببيت فاطمة عليها السلام ستّة أشهر كلّما خرج إلى الصلاة، فيقول: الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

اعتراف أئمّة المذاهب بأفقهية أهل البيت عليهم السلام:

إنّ كثيراً من علماء أهل السُنّة ـ قديماً وحديثاً ـ اعترفوا بأفقهية أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فها نحن نذكر هنا شيئاً قليلاً من كثير.

روى ابن عساكر في تاريخه في ترجمة السجّاد (علي بن الحسين عليه السلام) عن أبي حازم أنّه قال: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين وما رأيت أحداً كان أفقه منه[2].

وقال الشافعي: إنّ علي بن الحسين أفقه أهل البيت[3].

وقال عبدالله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم

---

١ ـ وللوقوف على مصادر هذه الروايات لاحظ: تفسير الطبري: ٢٢ / ٥ ـ ٧. والدرّ المنثور: ٥ / ١٩٨ ـ ١٩٩، والروايات تربو على أربع وثلاثين رواية، ورواها من عيون الصحابة: أبو سعيد الخدري، أنس بن مالك، ابن عبّاس، أبو هريرة الدوسي، سعد بن أبي وقّاص، واثلة بن الأسقع، أبو الحمراء أعني هلال بن حارث، ومن أمّهات المؤمنين: عائشة وأمّ سلمة. ورواه من أصحاب الصحاح: مسلم في صحيحه: ٧ / ١٢٢ ـ ١٢٣، والترمذي في سُننه، ولاحظ: جامع الأُصول ـ لابن الأثير ـ: ١٠ / ١٠٣.

٢ ـ سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٩٤.

٣ ـ شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ـ: ١٥ / ٢٧٤.

عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم كأنّه صبي بين يدي معلّمه[١].

وقال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام[٢].

ونقل الإمام الشافعي في رحلته: أنّه سمع من مالك قوله للرجل الذي أجاب على مسائله: قرأت ـ أو سمعت ـ الموطّأ؟ قال: لا.

قال: فنظرت في مسائل ابن جريح؟ قال: لا.

قال: فلقيت جعفر بن محمّد الصادق؟ قال: لا.

قال: فهذا العلم من أين لك[٣]؟

قد خرجنا بالنتيجة التالية:

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد ارتحل وقد خلّف الثقلين لترجع إليهما الأُمّة في حلّ معضلاتها ومشكلاتها، وأنّه عيّن المقصود من أهل بيته وأشاد بهم في مواقف مختلفة وعرّفهم للأُمّة، بيد أنّ هناك سؤالاً يطرح نفسه، وهو:

إنّ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرة قد ارتحلوا فأين تراثهم وعلومهم حتّى ترجع إليها الأُمّة. هب أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تعبّدنا بالرجوع إليهم والتمسّك بأحاديثهم وكلماتهم فأين أحاديثهم وعلومهم حتّى نرجع إليهم؟

الإجابة على السؤال:

والجواب عنه واضح، وهو أنّ تراث أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم ومعارفهم تتمثّل في الأُمور التالية:

---

١ ـ حلية الأولياء.

٢ ـ تهذيب الكمال: ٥ / ٧٩.

٣ ـ رحلة الإمام الشافعي: ٢٥.

الأوّل ـ كتاب عليّ:

فقد كان لعليّ كتاب خاص بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد حفظته العترة الطاهرة عليهم السلام، وصدرت عنه في مواضع كثيرة ونقلت نصوصه في موضوعات مختلفة، وقد بثّ الحرّ العاملي في موسوعته الحديثية أحاديث ذلك الكتاب حسب الكتب الفقهية من الطهارة إلى الديات، ومن أراد فليرجع إلى تلك الموسوعة.

وقال الإمام الصادق عليه السلام ـ عندما سئل عن الجامعة ـ: فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلّا فيها، حتّى أرش الخدش.

وكان كتاب عليّ مصدراً لأحاديث العترة الطاهرة يرثونه واحداً بعد آخر وينقلون عنه ويستدلّون به على السائلين.

وهذا هو أبو جعفر الباقر عليه السلام يقول لأحد أصحابه ـ أعني حمران بن أعين ـ وهو يشير إلى بيت كبير: يا حمران! إنّ في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً بخطّ عليّ عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله لو ولّينا الناس لحكمنا بما أنزل الله لم نعد ما في هذه الصحيفة.

وهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يعرّف كتاب عليّ عليه السلام بقوله: فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله من فلق فيه وخطّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه والله جميع ما يحتاج إليه الناس يوم القيامة حتّى أنّ فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة.

ويقول سليمان بن خالد: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله خطّ عليّ عليه السلام بيده، ما من حلال ولا حرام إلّا وهو فيها، حتّى أرش الخدش.

ويقول أبو جعفر الباقر عليه السلام لبعض أصحابه: يا جابر! إنّا لو كنّا

نحدّثكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [1].

وقد كان عليّ عليه السلام أعلم الناس بسُنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف لا يكون ذلك، وهو يقول: إنّي كنت إذا سألت أنبأني وإذا سكتّ ابتدأني.

وقد كان يصدر عن ذلك الكتاب إمام بعد إمام، وهذا هو ولده الإمام الحسن السبط عليه السلام يصف كتاب عليّ:

إنّ العلم فينا ونحن أهله، وهو عندنا مجموع كلّه بحذافيره، ومنه لا يحدث شيء إلى يوم القيامة حتّى أرش الخدش إلّا وهو عندنا مكتوب بإملاء رسول الله وخطّ عليّ بيده.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام لرجل شاجره في مسألة فقهية: يا هذا! لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا، أيكون أحد أعلم بالسُنّة منّا؟!

وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام للحكم بن عتيبة:

اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم ـ يميناً وشمالاً ـ فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل.

وقال عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم: شرّقا وغرّبا، لن تجدا علماً صحيحاً إلّا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت.

إلى غير ذلك من كلمات أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والتي تعرب عن علمهم بالسُنّة والكتاب، وأنّهم أعرف الناس بمواقع الكتاب والسُنّة.

---

١ ـ قد جمع العلّامة المجلسي ما ورد من الأثر حول كتاب عليّ في موسوعته بحار الأنوار: ٢٦ / ١٨ ـ ٦٦ تحت عنوان: باب جهات علومهم وما عندهم من الكتب، الحديث ١٢، ١، ١٠، ٢٠.

الثاني ـ الصحيفة السجّادية:

هذه الصحيفة المعروفة بالصحيفة السجّادية أو زبور آل محمّد من مظاهر علوم أهل البيت عليهم السلام، وهي خالدة على جبين الدهر، وأسانيدها إلى الإمام متسلسلة متضافرة، بل متواترة، وهناك وراء اتّصال الأسانيد شيء آخر وهو أنّ فصاحة ألفاظها وبلاغة معانيها وعلوّ مضامينها وما فيها من أنواع التذلّل لله تعالى والثناء عليه، والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه أقوى شاهد على صحّة نسبتها إليه، وأنّ هذا الدرّ من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهرة لا تقبل الريب. وتعدّد أسانيدها المتّصلة إلى مُنشئها؛ فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتّصلة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

الثالث ـ رسالة الحقوق:

إنّ للإمام علي بن الحسين عليه السلام رسالة معروفة باسم: رسالة الحقوق، أوردها الصدوق في خصاله بسند معتبر، كما رواها الحسن بن شعبة في تحف العقول مرسلة، وهي من جلائل الرسائل في أنواع الحقوق. يذكر الإمام فيها حقوق الله سبحانه على الإنسان وحقوق نفسه عليه، وحقوق أعضائه من اللسان والسمع والبصر والرجلين واليدين والبطن والفرج، ثمّ يذكر حقوق الأفعال، من الصلاة والصوم والحجّ والصدقة والهدي التي تبلغ خمسين حقّاً آخرها حقّ الذمّة.

الرابع ـ رسالة الإمام الرضا عليه السلام في الفرائض والسُّنن:

روى المحدّثون أنّ المأمون بعث الفضل بن سهل إلى الرضا عليه السلام فقال: إنّي أُحبّ أن تجمع لي من الحلال والحرام، والفرائض والسُّنن، فإنّك حجّة الله على

خلقه ومعدن العلم، فدعا الرضا عليه السلام بدواة وقرطاس وقال للفضل اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

«حسبنا شهادة أن لا إله إلّا الله أحداً، صمداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً»... الخ.

والرسالة مطبوعة في كتاب تحف العقول عن آل الرسول[١].

الخامس ـ رسالة الإمام الهادي عليه السلام:

روى المحدّثون عن الإمام الراشد الصابر أبي الحسن علي بن محمّد عليهما السلام رسالة في الردّ على أصل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، وقد نقلها بنصّها ابن شعبة الحرّاني في تحف العقول[٢].

هذه الرسائل هي المدوّنة من قبل الأئمّة عليهم السلام أنفسهم وهناك رسائل أُخرى بأقلامهم لم نذكرها روماً للاختصار.

وأمّا ما روي عنهم ودوّنها أئمّة أهل الحديث عبر القرون فحدّث عنه ولا حرج، ونشير إلى بعضها:

السادس ـ نهج البلاغة:

إنّ كتاب نهج البلاغة من أعرف الكتب وأشهرها عند الفريقين، وهو يتضمّن خطب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكتبه وكلماته القصار، قام بجمعها الشريف الرضي (المتوفّى عام ٤٠٦ هـ).

---

١ ـ تحف العقول: ٣٠٦ ـ ٣١١.

٢ ـ تحف العقول: ٣٣٨ ـ ٣٥٢.

وقد حذف الأسانيد وجاء بالمتون لاشتهار صدورها عن علي عليه السلام. وقد قام غير واحد من الأصحاب بالاستدراك على ما نقله الشريف الرضي. فذكروا خطباً ورسائل كثيرة، كما استخرج بعضهم أسانيد نهج البلاغة من الكتب المؤلّفة قبل الشريف الرضي، وقد قيل في حقّه: إنّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

السابع ـ أربعمائة مصنَّف لأربعمائة مصنِّف:

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد ربّوا جيلاً كبيراً من الفقهاء والمحدّثين. فدوّنوا ما وعوه عنهم في كتبهم المعروفة بأربعمائة مصنّف. ولم يزل بعضها موجوداً إلى الآن بهيئتها ووضعها.

غير أنّ كثيراً منها قد انتقل موادّها إلى الأُصول المؤلّفة على يد علماء الشيعة في الأعصار المتأخّرة وهي بين جوامع أوّلية كـ «المحاسن» لأحمد بن محمّد بن أبي خالد البرقي (المتوفّى ٢٧٤ هـ)، و«نوادر الحكمة» لمحمّد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمّي (المتوفّى ٢٩٣ هـ)، وكتاب «الجامع» لأحمد بن البزنطي (المتوفّى ٢٢١ هـ)، وكتاب «الثلاثين» للأخوين الحسن والحسين ابني سعيد بن حمّاد الأهوازي.

وبين جوامع ثانوية كـ «الكافي» للشيخ الكليني (المتوفّى ٣٢٩ هـ). و «من لا يحضره الفقيه» للمحدّث الخبير أبي جعفر الصدوق (المتوفّى ٣٨١ هـ). و «التهذيب» و «الاستبصار» للشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (المتوفّى ٤٦٠ هـ).

وبين جوامع متأخّرة كـ «الوافي» لمحمّد بن محسن الفيض الكاشاني (المتوفّى ١٠٩١ هـ)، و«وسائل الشيعة» للحرّ العاملي (المتوفّى ١١٠٤ هـ). و «بحار الأنوار» لمحيي السُنّة الشيخ محمّد باقر المجلسي (المتوفّى ١١١١ هـ).

فهذه الجوامع وغيرها التي لم نشر إليها بغية الاختصار قد احتضنت علوم أهل البيت عليهم السلام في مختلف المجالات، ومن أراد أن يتمسّك بالثقلين فهذا هو كتاب الله، وهذه هي سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي نقلها أئمّة أهل البيت عليهم السلام عنه.

وهناك نكتة جديرة بالإشارة وهي أنّه إذا كانت أئمّة أهل البيت عليهم السلام مطهّرين من الرجس، حسب تنصيص الكتاب، والمرجع العلمي بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرناء القرآن وأعداله بنفس رواية الثقلين، إلى غير ذلك من سمات ومواصفات، فلماذا غفل إخواننا أهل السُنّة عن الرجوع إليهم والاستضاءة بأنوارهم وركوب سفينتهم حتّى ينجوا من الغرق.

والعجب أنّهم رجعوا إلى كلّ صحابي وتابعي وكلّ إنسان يتّسم بالسلفية، ومع ذلك لا نرى أنّهم يتمسّكون بأحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلّا نزراً قليلاً لا يذكر.

فهم طرقوا كلّ باب حتّى باب مستسلمة أهل الكتاب كعب الأحبار ووهب بن منبّه إلى غير ذلك ولم يطرقوا باب أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

نسأله سبحانه أن يلمّ شعث المسلمين ويرزقهم توحيد الكلمة، كما رزقهم كلمة التوحيد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

* * *

قم ـ مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام

جعفر السبحاني

٤ ربيع الآخر من شهور عام ١٤٢٢هـ

أهل البيت عليهم السلام
والسنة النبوية

آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

اهل البيت عليهم السلام والسنّة النبوية[١]

بعد الايمان باللّه ورسوله واليوم الاخر.. لا يواجه المسلم أمراً يتعلق بدينه أهم من معرفة المصدر الذى يستقىٰ منه دين الله فى أُصوله وأحكامه. فان الله تعالى كلّف عبادة بامتثال أحكامه، ووضع لهم أُسساً وقوانين وتفاصيل للحرام والحلال.

ولا يكتسب أي حكم من الاحكام الشرعية صفة الشرعية والانتساب الى الله تعالىٰ ما لم يكن مستنداً الىٰ مصدر موثوق من مصادر الشريعة قد عيّنه الله تعالى لعباده.

والمصدر الاوّل:

هو القرآن الكريم فهو الهدىٰ والنور في حياة البشرية، قال تعالىٰ: ﴿*انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله*﴾[٢].

ومهما اختلف المسلمون في شيء فلا يختلفون في أنَّ القرآن الكريم هو المصدر الاول لبيان أحكام الله وحدوده.

---

١ - بحث مستل من كتاب آية التطهير لكاتب هذه السطور بتصرف وإضافات وتنقيح.
٢ - سورة النساء / ١٠٥.

والمصدر الثاني:

السنّة النبوية : وهي حديث رسول الله ﷺ وفعله وتقريره، ولمّا توفي رسول الله انقطع بوفاته الوحي وانقطع هذا المصدر المهم من مصادر التشريع وأصبح المسلمون يواجهون في حياتهم اليومية مسائل كثيرة يطلبون فيها حكم الله عزّ وجل في عباداتهم وفى شؤون الدولة التي توسعت فيما بعد.

ولم يكن رسول الله ﷺ قد بين في حياته تفصيل كل شيء ممّا يحتاجه المسلمون ولم يكن ذلك أمراً ممكناً في الفترة القصيرة المباركة التي عاشها رسول الله ﷺ في هذه الدنيا بما حفّ حياته الشريفة من متاعب كثيرة كانت تشغله وتشغل المسلمين معه.

يقول الشهرستاني: «نعلم قطعاً أن الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعدّ ونعلم قطعاً أنه لم يرد فى كل حادثة نص ولا يتصور ذلك أيضاً والنصوص اذاً كانت متناهية وما لا يتناهى لا يضبط بما يتناهى»[1].

العقبات التى أعاقت رواية الحديث:

ولم يسلم لنا كل حديث رسول الله ﷺ كما تحدث به ﷺ فقد مرّ حديث رسول الله ﷺ بمضائق وعقبات صعبة... لم يعد معها يتيسر الوصول الى حديث رسول الله ﷺ بسهولة.

فقد دأب الخليفة الثانى على منع المسلمين من تدوين حديث رسول الله ﷺ ولم يحفل الصحابة يومئذ بأمر تدوين الحديث وضبطه.

---

١ - سلم الوصول / ٩٥.

يقول امير المومنين على ابن ابي طالب عليه السلام: وليس كل اصحاب رسول الله كان يسأله - أى الرسول - عن الشيء فيفهم. وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتىٰ انهم كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابى الطارئ فيسأل رسول الله حتىٰ يسمعوا[١].

وكان يذهب مع كل صحابي يموت أو يستشهد فى ساحات القتال طائفة من العلم حتىٰ لقد خشى الناس اندثار العلم.

واستمرت هذه الحالة الى خلافة عمر بن عبد العزيز، حيث شعر بفداحة الخسارة وأمر بتدوين الحديث واتصلت حلقات التدوين من ذلك التاريخ[٢].

وكثرت القالة والوضاعون وكثر الوضع وكان للعامل السياسى الدور الاول فى أسباب الوضع حتىٰ شاع وضع الحديث علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فى حياة الصحابة والتابعين فضلاً عما حصل بعد ذلك ومخافة ان يؤدى النقد العملى لرواية الحديث الىٰ ضياع ما تبقىٰ من الآثار النبوية الشريفة اغلق المحدثون باب النقد العلمى لرواية الحديث اذا بلغ الاسناد الصحابى.

كما اغلقوا باب البحث العلمى والنقاش في ما يتعلق بالصحيحين.

ولسنا ننفى موضوعية المخاوف التى كانت تراود نفوس المحدثين فى هذه النقطة وتلك.

ولكنّنا نقول ان خطر اغلاق باب النقد العلمى فى هذه المسائل أبلغ مما يمكن أن يمس الآثار النبوية الشريفة من الاذىٰ اذا فتحنا باب النقد العلمى لرواية الحديث حتىٰ الصحابى والصحاح.

ومهما يكن من أمر نتساءل هل جعل الله تعالى فى دينه مصدراً مفتوحاً بعد

---

١ - اصول الكافي ١/٦٢.

٢ - فتح الباري للعسقلاني ١/٢٠٨.

كتاب الله وبعد وفاة رسول الله ﷺ للسنّة النبوية يرجع اليه المسلمون متى شاؤوا؟ وهل خلّف رسول الله ﷺ من بعده مورداً مفتوحاً لسنّته يهتدى به المسلمون الى شريعة الله؟ أو أنّ السنّة النبوية قد انقطعت عن المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ ولا سبيل لهم اليها الا فيما رواه الصحابة من أحاديث رسول الله ﷺ وبما يحفّ هذه الروايات من مشكلات تاريخية[1] لا تجعل الرجوع اليها ميسوراً فى كثير من الأحوال، ذلك ما نحاول الاجابة عنه في ما يأتى من هذا البحث ان شاء الله تعالى.

امامة أهل البيت عليهم السلام

والذى يقرأ بإمعان وموضوعية سيرة رسول الله ﷺ يطمئن الى انه ﷺ كان مكلفا من جانب الله تعالى بالاعداد لخلافة أهل بيته عليهم السلام من بعده فى أمته لأمور دينهم ودنياهم. وكان رسول الله ﷺ يسعى لتكريس هذا الامر لإعداد الامة للرجوع الى اهل البيت عليهم السلام من بعده يأخذون عنهم سنته وقد تكرر منه ﷺ توجيه الامة للرجوع الى اهل بيته عليهم السلام فى أكثر من موقع وفى أكثر من مناسبة وليس فى الامكان أن نستعرض كل الاحاديث والمواقف التى صدرت من النبى ﷺ بهذا الشان الا أننا نستعرض نماذج فى ذلك استعراضا سريعاً لننتقل منها الى دراسة آية التطهير ودلالاتها الواسعة.

---

١ - فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ غير معنيين بضبط الحديث وتدوينه بالشكل الذى يحفظ حديث رسول الله ﷺ من الضياع ولم يتم تدوين حديث رسول الله ﷺ الا فى وقت متأخّر جداً، اي: فى عصر عمر بن عبد العزيز، كما أن مشكلة الوضع والوضاعين كان لها دور كبير فى صعوبة الوصول الى الحديث النبوى يقول أمير المومنين على ابن ابى طالب عليه السلام: وليس كل أصحاب رسول الله كان يسأله - اى الرسول - عن الشيء فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى انهم كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابى والطارئ فيسأل رسول الله حتى يسمعوا. اصول الكافى ١: ٦٢.

من هذه النصوص :

١ - حديث الثقلين الشهير:

الذي تضافرت على روايته مجاميع الحديث النبوى من السنّة والشيعة.

«ايها الناس انّما أنا بشر اوشك أن ادعى فاجيب، وانى تارك فيكم الثقلين ما أن تمسّكتم بهما - أو ان اعتصمتم بهما -لن تضلوا ابداً، وهما كتاب الله وعترتى أهل بيتى، احدهما أثقل من الآخر، وانهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فاتقوا الله وانظروا كيف تخلفونى ـ او كيف تحفظونى ـ فيهما، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم وتوشكون أن تردوا علىّ الحوض وأسالكم حين تردون علىّ عن الثقلين كيف خلفتمونى فيهما، فمن استقبل قبلتى وأجاب دعوتى فيلستوص بهم خيراً» وقد ورد هذا الحديث الشريف فى صحيح مسلم[١] وسنن الترمذى[٢] وسنن الدارمى[٣] ومسند احمد بن حنبل[٤] وخصائص النسائى[٥] ومستدرك الحاكم[٦] وغير هذه الكتب من عشرات المصادر الروائية.

٢ - حديث السفينة:

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل اهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

---

١ - صحيح المسلم ٧/١٢٢.
٢ - سنن الترمذى ٥/٦٢٠ طبع دار الفكر.
٣ - سنن الدارمى ٢/٤٣٢.
٤ - مسند احمد بن حنبل ٣/١٤.
٥ - خصائص النسائى /٣٠.
٦ - مستدرك الحاكم ٣/١٠٩، ١٤٨، ٥٣٣.

رواه الحاكم فى «مستدرك الصحيحين»[١] على شرط مسلم، وأخرجه المتقى «فى كنز العمال»[٢] والهيثمى فى «المجمع»[٣] وأبو نعيم فى «حلية الاولياء»[٤] الى عشرات من الاحاديث الاخرى التى رواها الثقات من الرواة من الاصحاب والتابعين لهم باحسان وشيوخ اصحاب الحديث فى إمامة أهل البيت عليهم بعد رسول الله ﷺ فى شؤون الدين وكذا في شؤون القيادة والحكم.

٣ - حديث الغدير:

الذى نصب فيه رسول الله ﷺ اميرالمومنين على بن ابى طالب عليه السلام من بعده ولياً على المسلمين فى مشهد حافل من المسلمين يقدّره سبط بن الجوزى فى «التذكرة» بمائة وعشرين ألفا. وقال فيه رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلى مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله». وبايعه يومئذ على الولاية كبار الصحابة ومنهم الشيخان ابوبكر وعمر وقد روى هذا الحديث مسلم فى الصحيح والحاكم في المستدرك بشرط الشيخين.

وقد جمع العلامة الفقيه السيد مير حامد حسين اسناد هذه الروايات وحقق فى سندها ومتنها فى عشرة مجلدات [في كتابه عبقات الأنوار] كما حقّق العلامة الاميني طرق هذه الرواية فى موسوعته القيمة (الغدير) بصورة واسعة.

---

١ - المستدرك على الصحيحين ٣/٣٤٣.
٢ - كنز العمّال للمتّقي الهندي ١/١٨٦ ط الرسالة بيروت.
٣ - مجمع الزوائد للهيثمي ٩/١٦٨.
٤ ـ حلية الأولياء ٤/٣٠٦.

اعداد اهل البيت عليهم السلام للإمامة:

وكما كان رسول الله يحرص على اعداد الامة لقبول أهل بيته أئمّة من بعده يرجعون اليهم فى معرفة حدود الله تعالى واحكامه، ولمعرفة الحلال والحرام، وفى شؤون الحكم والامامة والقيادة... كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحرص على اعداد علي عليه السلام من أهل بيته للقيام بهذه المهمة من بعده.

فكان صلى الله عليه وآله يخص عليا بكثير من رعايته وعنايته، ربّاه فى بيته، وتولّى صلى الله عليه وآله تربيته بنفسه فنشأ علىٰ يد رسول الله صلى الله عليه وآله منذ نعومة أظفاره وكان أول من آمن به واقتدى به.

يقول أمير المومنين فى خطبته المعروفة بالقاصعة:

«وقد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعنى فى حجره وأنا ولد يضمنى الىٰ صدره ويكنفنى فراشه ويمسنى جسده ويشمّنى عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لى كذبة فى قول ولا خطلة فى فعل ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لى فى كل يوم من اخلاقه علما ويامرنى بالاقتداء به وقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيرى، ولم يجتمع فى بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما ارى نور الوحى وأشم ريح النبوة[1].

اذن كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعد الامة لامامة اهل البيت عليهم السلام من بعده ويعدّ اهل بيته لإمامة المسلمين.

والذى يمعن فى النصوص الواردة فى هذا الشأن عن رسول الله صلى الله عليه وآله يتأكد له أن لم يكن شأن شخصى فى ذلك وانّما هو أمر من أمر الله تعالىٰ ينفذه ويبلّغه،

---

١ - نهج البلاغة الخطبة /١٩٢.

كما كان يبلّغ سائر أوامر الله تعالىٰ.

وقد نزل في ذلك علىٰ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿*يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربّك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس*﴾[١].

فقد صرّح المحدثون ان هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ فى غدير خم فى أمر نصب عليّ بن ابى طالب وليا واماماً على المسلمين.

روى ذلك الشيخ الأمينى عن مجموعة من المصادر فى التفسير والحديث[٢].

واذا كان هذا الامر من عند الله تعالى ولم ينطق رسول الله ﷺ فى هذا الشان الخطير الّا من عند الله وبأمر من الله فلا بد أن يكون الله تعالى قد خص أهل بيت رسوله ﷺ بالعلم والفقه والعصمة ما ليس فى غيرهم ليمكّنهم من أن ينهضوا بعد رسول الله ﷺ بأمر إمامة المسلمين فى الدين والدنيا.

عصمة اهل البيت عليهم السلام ونفى الاجتهاد عنهم:

وعليه فإن الائمة من اهل البيت عليهم السلام ليس شانهم شأن سائر المجتهدين والفقهاء يخطئون حينا ويصيبون حينا وانّما عينهم رسول الله ﷺ من بعده مصدرا لتبليغ حديثه وسنّته ومرجعاً فى الدين يبلغون احكام الله تعالىٰ وسنّة رسول الله ﷺ من غير سهو او خطأ او شك او تردّد كما كان رسول الله ﷺ يبلغ احكام هذا، الدين ولذلك فمن المسامحة فى التعبير أن نقول عن فقههم «مذهب

---

١ - المائدة /٦٧.

٢ - الدر المنثور في التفسير بالماثور ٢/٩٨ وفتح القدير ٢/٥٧ وكشف الغمة /٩٤ والعمدة لابن بطريق /٩٩.

اهل البيت» كما يشيع التعبير عنه، وانما حديث اهل البيت عليهم السلام هو حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته من دون زيادة ونقص.

آية التطهير:

وليس القول بعصمة الائمّة من اهل البيت عليهم السلام استنتاجا لجملة من الاحاديث النبوية فقط - وان كان على هذا المستوى ايضاً قولاً لا يعارض ولا يرقى اليه الشك - وانما نزلت فى ذلك آية صريحة فى محكم ذكر الله وقرآنه الكريم. وذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿*إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾[1].

مفردات آية التطهير:

وسوف نستعرض الابحاث المتعلّقة بهذه الاية الكريمة من خلال مفرداتها واحدة بعد اخرى:

﴿*انما*﴾:

الاية الكريمة مصدرة بكلمة «انما» وهى من اقوى أدوات الحصر فى اللغة العربية وتفيد هذه الكلمة اثبات ما بعدها، ونفي ما عداه كما يقول «انما الفقيه عليّ» فيكون معناه اثبات الفقه لعليّ ونفيه عن غيره.

فيكون معنى الاية الكريمة اذن فى ضوء هذا التحديد اثبات التطهير لاهل البيت بارادة الله تعالى ونفى ان يكون الله تعالى قد اراد تطهير غيرهم وقت نزول هذه الاية.

---

١ - سورة الاحزاب /٣٣.

﴿يريد الله﴾:

من المعروف ان ارادة الله تعالى تأتى على نحوين (تكوينية) و(تشريعية) والتكوينية هي التي لا يمكن ان يحول شيء بين ارادته تعالى وبين ما يريد، ولا يمكن ان يختلف مراده عن ارادته تعالى ولا يمكن ان يريد وجود شيء فلا يكون... يقول عزّ شانه: ﴿*انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون*﴾[١].

والتشريعية هى التى تتخلل ارادة المكلف واختياره وبين ارادته تعالى وما يريده من أعمال المكلفين... وتتعلق هذه الارادة دائما بالافعال التى شرعها الله تعالى للمكلفين، كما ان متعلق الارادة التكوينية «الامور التكوينية».

وبعد هذا التفصيل والتقسيم للارادة فمن اى قسم من الارادة هذه الارادة التي نحن بصددها فى الاية الكريمة ﴿*يريد الله*﴾ ؟

فهل يجوز ان يكون من «الارادة التشريعية»... ؟ لا شك انّه لو كانت الارادة فى الاية الكريمة من الارادة التشريعية وكان معنى ﴿*يريد الله*﴾ ان الله تعالى يريد طهارة اهل البيت عليهم السلام وذهاب الرجس عنهم بارادتهم واختيارهم كما يريد ذلك لسائر الناس فلا تكون الاية الكريمة دالّة على عصمتهم، فليس كل ما يريد الله تعالى لعباده من طهارة، وعدل، وحق - فى تشريعه - بكائن.

الّا أنّ «الارادة التشريعية» هذه لا تنسجم مع كلمة «انما» السابقة لها بما فيها من دلالة على الحصر، فليس من ريب ان ارادة التطهير بمعناها التشريعي لا يمكن ان تكون مقتصرة على اهل البيت خاصة، فان الله تعالى يريد هذا التطهير لكل عباده. يقول تعالى: ﴿*ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم وليتم نعمته عليكم لعلّكم تشكرون*﴾[٢].

---

١ - سورة يس /٨٢.

٢ - سورة المائدة /٦.

ولا معنىٰ لحصر ارادة التطهير بناء على ذلك فى اهل البيت خاصة، ونفيها عمّن سواهم، بما ذكرنا - آنفا - للحصر من مدلول ايجابى وسلبى.

اذن فلا يمكن تفسير الارادة في الآية الكريمة بالتشريعية ولم يبق الاّ ان يكون المقصود من الارادة هنا «الارادة التكوينية» خاصّة حتّى تستقيم دلالة «انما» على معناها وتنسجم مع ما بعدها.

استحالة تخلف المراد عن ارادته تعالى:

واذا صحّ ان المقصود من الارادة فى الاية الكريمة «الارادة التكوينية» فلا يمكن ان يتخلف مراده عن ارادته تعالى فيستحيل ان يصدر عنهم رجس ،او تفارقهم الطهارة كما ذكرنا.

وهذا المعنىٰ من الارادة ينسجم مع الحصر الذي تفيده كلمة «انما» ويصح الايجاب، كما يصح السلب أيضاً. ولا يلزم من ذلك المحذور الذي ذكرناه فيما لو كانت الارادة تشريعية.

فتجب الطهارة لاهل البيت عليهم السلام . ويمتنع عليهم الرجس بحكم هذه الاية الكريمة.

﴿ليذهب عنكم الرجس﴾:

الرجس: الشيء القذر[1]، وهى حالة توجب التنفر، وهى قد تكون حالة مادية ظاهرية كما فى لحم الخنزير... يقول تعالى: ﴿*او لحم خنزير فانه رجس*﴾[2]. وقد تكون حالة نفسية كما فى قوله تعالى: ﴿*واما الذين في قلوبهم*

---

١ - المفردات للراغب /١٨٨.

٢ - سورة الأنعام /١٤٥.

مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾[١].

ويقول تعالى: ﴿*ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانما يصعّد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون*﴾[٢].

فالاية الكريمة صريحة -اذن - فى ان الله تعالى قد اذهب عنهم الرجس وواضح ان الذنوب والمعاصي من اوضح افراد الرجس. وقد اذهبها الله تعالى عن اهل بيت رسول الله ﷺ وقد علمنا ان اذهاب الرجس هذا قد تَم بمشيئة الله التكوينية ولا يمكن أن يتخلف شيء عن ارادته سبحانه وتعالى: ﴿*انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون*﴾[٣]. وعليه فلا يمكن ان يصدر عنهم عليهم السلام ذنب او معصية بحكم هذه الاية.

﴿*اهل البيت*﴾:

من هم اهل البيت عليهم السلام ؟

١ ـ يبدو ان رسول الله ﷺ كان حريصاً على تحديد وتشخيص عنوان «اهل البيت» الذى نزل فيه قرآن من الله تعالى، والمنع عن استعمال هذه الكلمة فى غير أهله وادخال من ليس منهم فيهم.

فكان ﷺ يشخصهم باسمائهم كما فى رواية عبدالله بن جعفر؛ فيقول ﷺ: «ادعو لي ادعو لي، فتقول صفية: من؟ فيقول ﷺ: اهل بيتى عليًا وفاطمة والحسن والحسين». ثم يؤكد ﷺ هذا الحصر والتشخيص بقوله «اللّهمّ هولاء آلى فصل على محمد وآل محمد» فينزل الله تعالى فيهم قرآنا محكما: ﴿*انما يريد الله*

---

١ - سورة التوبة /١٢٥.

٢ - سورة الأنعام /١٢٥، ويراجع الميزان للعلامة الطباطبائى ٣٠٩/١٦ وما بعدها.

٣ - سورة يس /٨٢.

ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[١]، ولا يخفى ما فى هذه الكلمة «اللّهمّ هؤلاء آلي» من الدلالة على حصر اهل البيت عليهم السلام فيهم ونفيه عن غيرهم لكل من عرف أساليب العرب فى الكلام.

٢ ـ وامعاناً فى تشخيصهم وتحديدهم يحصرهم صلى الله عليه وآله تحت كساء، كما فى رواية ام سلمة رحمها الله: «دعا رسول الله صلى الله عليه وآله حسناً وحسيناً وفاطمة فاجلسهم بين يديه، ودعا عليّا فأجلسه خلفه، فتجلّل هو وهم بالكساء ثمّ قال: هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا»[٢].

٣ ـ وقد روى جمع غفير من المحدثين والمفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يأذن لأمهات المؤمنين بالدخول تحت الكساء والانضمام الىٰ اهل البيت الّـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ففى رواية أن أم المؤمنين عائشة قالت للنبى صلى الله عليه وآله أنا من أهلك، قال: تنحّى فانك الى خير[٣].

وفى رواية أُخرىٰ أنّ النبي صلى الله عليه وآله منع أم المؤمنين زينب من الدخول تحت الكساء والانضمام الىٰ اهل البيت وقال لها: مكـانك فـإنّك الى خـير ان شـاء الله تعالىٰ[٤].

وتتمنى ام المؤمنين ام سلمة ان تكون هى من اهل البيت فـتقول لرسـول الله صلى الله عليه وآله: فانا معهم يا نبى الله؟ فيقول لها: انت على مكانك وانت على خير[٥].

---

١ – مستدرك الحاكم على الصحيحين ٣/١٤٧.

٢ – برواية الطبرى وابن كثير فى تفسيريهما، والترمذى فى صحيحه والطحاوى فى مشكل الآثار.

٣ – شواهد التنزيل ٢/٣٧. كفاية الطالب ٣٢٣.

٤ – فرائد السمطين ٢/١٩ وشواهد التنزيل ٢/٣٢.

٥ – وممن روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم ياذن لأم سلمة بالدخول تحت الكساء (على ما حققه

وبعد هذه التصريح والتفصيل لا يبقىٰ شك في أن آية التطهير المباركة لا تشمل امهات المؤمنين.

٤ ـ ثم يصرح رسول الله ﷺ في ذلك تصريحاً لا يترك لأحدٍ شكّاً بعده، فيقول ﷺ: «نزلت هذه الاية في خمسة فيّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة»[1].

ووثقه السيد جعفر مرتضى العاملي في بحثه القيم عن آية التطهير) هم المحدثون والمفسرون وارباب السير التالية أسماؤهم:

الدر المنثور ٥/(١٩٨) عن الطبراني، وابن مردويه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والخطيب، وفتح القدير ٤/(٢٧٩) وجامع البيان ٢٢/(٦و٧) وجوامع الجامع / (٣٧٢) والفصول المهمة للمالكي / (٨) وتأويل الايات الظاهرة ٢/(٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩)، وكفاية الطالب / (١١٢، ٣٧٢)، واسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الابصار) / (١٠٦)، وتفسير فرات / (٣٣٢، ٣٤٠)، ومجمع البيان ٨/ (٣٥٦، ٣٥٧) وأسد الغابة ٣/(٤١٣) و٢/ (١٢) و٤/(٢٩) والجامع الصحيح ٥/(٣٥١، ٦٦٣، ٦٩٩)، ومشكل الآثار ١/(٣٣١) و٣٣٦) ونور الثقلين ٤/(٢٧٠، ٢٧٧)، والبرهان (تفسير) ٣/(٣٠٩، ٣٢٥)، ذخائر العقبى / (٢١ و٢٢) وشواهد التنزيل ٢/(٢٣، ٢٤، ٣١، ٥٥ – ٥٨، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٩ ـ ٩٠)، والعمدة لابن بطريق / (٣٣، ٣٩)، والطرائف / (١٢٤ – ١٢٦)، والبحار ٣٥/(٢٠٧، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٩)، وتاريخ بغداد ٩/(١٢٦ – ١٢٧)، و١٠/(٢٧٨) وحبيب السير ١/(٣٠٤)، ٢/(١١)، وينابيع المودة / (١٠٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٩٤)، ومستدرك الحاكم ٢/(٤١٦)، وتفسير القرآن العظيم ٣/(٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥)، والمواهب اللدنّية ٢/(١٢٢)، واسباب النزول / (٢٠٣)، والتفسير الحديث ٨/(٢٦١، ٢٦٢)، ونزل الابرار / (١٠٣، ١٠٤) ومختصر تاريخ دمشق ٧/(١٣)، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/(٢٠٧)، ومناقب الامام علي لابن المغازلي / (٣٠٣، ٣٠٥) والصواعق المحرقة / (١٤١، ٢٢٧) ولباب التأويل للخازن ٣/(٤٦٦)، ومسند أحمد ٦/(٢٩٢، ٣٠٤)، والسنن الكبرى ٢/(١٥٠)، والكافي ١/(٢٨٧)، ونظم درر السمطين / (١٣٣، ٢٣٨، ٢٣٩)، وفرائد السمطين ١/(٣١٦)، وترجمة الامام الحسين من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ١/(٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٣)، وترجمة الامام الحسن من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) / (٦٦، ٦٨، ٧٠)، وسليم بن قيس / (٥٣، ١٥٠) ونفحات اللاهوت / (٨٤) وتفسير القمي ٢/(١٩٣) ومرقاة الوصول / (١٠٦)، والسيرة النبوية لدحلان ٢/(٣٠٠)، واحقاق الحق ٢/(٥٦٨).

١ – رواها الطبري في التفسير، والمحب الطبري في ذخائر العقبى، عن أبي سعيد رحمه الله.

٥ ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتلو هذه الاية الكريمة كل يوم على باب بيت الزهراء عليها السلام والحسنين عليهما السلام بمرأى ومسمع من المسلمين.

عن ابى برزة قال: «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبعة أشهر فاذا خرج من بيته اتى باب فاطمة فقال: الصلاة عليكم ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا*﴾[1].

وهى خطة اعلامية عجيبة عمل بها رسول الله لإزالة الالتباس عن «اهل البيت» فى الاية الكريمة وتحديده وحصره بشكل لا يدع مجالاً لأحد فى التلبيس او الالتباس، وادخال من ليس منهم فيهم، واخراج من كان منهم عنهم.

ولو ان الامر فى الاية الكريمة كان لا يتجاوز تكريم اهل البيت عليهم السلام لعلاقتهم برسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن الامر يقتضى مثل هذا الاهتمام والتأكيد والتركيز من رسول الله صلى الله عليه وآله باعلان اهل البيت بأسمائهم وحصرهم بهذه الأساليب المختلفة».

على محك الاختبار:

على انّ اية التطهير الكريمة وحدها كافية لتحديد اهل البيت ﴿*الّذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا*﴾ فانها صريحة فى اثبات العصمة لاهل البيت عليهم السلام.

فاذا فرضنا شمول الاية الكريمة لكل من ينتسب الى رسول الله صلى الله عليه وآله من اهل بيته وزوجاته وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وغيرهم فانّنا نواجه سؤالين يطلبان الاجابة:

ورواها ابن كثير في التفسير ٣/٤٥٨.

١ - مجمع الزوائد: ٩/٢٠٦.

١ ـ من كان يدعى من هؤلاء الآل العصمة من كل رجس وذنب؟

٢ ـ واذا اتفق الادعاء من بعضهم، فهل يصدّق عمله دعواه أم لا؟ فنراجع تاريخه وحياته لنجد هل كان فى دعواه صادقاً أم لا؟

وهذا التساؤل محك دقيق فى تحديد وتشخيص المعنيّين بالتطهير والعصمة فى الاية الكريمة.

فلم يكن فى زوجات رسول الله ﷺ وآل عقيل، وآل عباس، وآل جعفر وغيرهم ممّن ينتمون الى رسول الله ﷺ بنسب أو سبب من يدّعى العصمة وأن الله قد اذهب عنه كل رجس وطهره تطهيرا.

ولا يبقى غير الخمسة الطاهرة: رسول الله ﷺ وعلي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام وهم داخلون فى آية التطهير بالتأكيد وباتفاق الروايات تقريباً، وينبطق عليهم الشرطان السابقان:

فهم يدعون لانفسهم العصمة كما سيمرّ علينا ذكر ذلك بينما لم يتفّق لاحد من غيرهم من زوجات رسول الله ﷺ وسائر ذويه مثل هذا الادعاء.

وقد كانت دعوى العصمة معروفة منهم ومع ذلك لم يحص أحد مفارقة أو خلافاً فى المراحل المختلفة من حياتهم، رغم أنهم كانوا يعيشون فيما بين الناس وكانت أعمالهم تحت الأضواء دائماً وبمرأى ومسمع من الناس.

ولو كانت تصدر عنهم مخالفة أو مفارقة فى كلام أو عمل أو موقف لنقل الينا فيما نقل التاريخ من سلوكهم وكلماتهم.

فينحصر أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس في عصر نزول الاية الكريمة ـ اذن ـ في الخمسة الطاهرة.

نتيجة البحث في آية التطهير:

فيما يلي أهم النتائج التي نستفيدها من هذه الآية المباركة:

التنزيه من الكذب:

وأهم هذه النتائج أنهم صادقون لا يجوز التشكيك في صدقهم. فإذا صحّ عن هؤلاء الخمسة من أهل البيت عليهم السلام قول أو رواية فلا يجوز أن نشك في صدق كلامهم أو روايتهم فان تكذيبهم في قول أو رواية تكذيب لآية محكمة من كتاب الله نزلت في تنزيههم من كل رجس وتطهيرهم من كلّ ذنب وريب.

ومن هذا المنطلق الواضح القوي ننطلق في استعراض مكانة أهل البيت عليهم السلام ومراتبهم التي رتّبهم الله تعالى فيها وأشخاصهم الّذين اجتباهم الله تعالى في كلّ عصر أئمّة لعباده وهداة الى دينه.

وفيما يأتي نستعرض هذه النقاط بإيجاز:

١ ـ خلافة أمير المؤمنين وإمامته بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

وهو أمر لا يشك فيه من استعرض طرفاً من سيرة أبي الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقد كان يرى أنّه هو صاحب الحق في إمامة الأُمّة وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته، وقد علم الكل برأي الإمام عليه السلام في حقّه في الأمر. والإطالة فيه إطالة في الواضحات.

وإنّما لم يسلك عليه السلام مسلك المعارضة في حياته مع الخلفاء الّذين تولّوا الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله واحدا بعد آخر، ودافع عنهم، ونصح لهم وبذل أقصى ما يمكن من جهد فى نصيحتهم والدفاع عنهم وحفظ شؤونهم... ايماناً منه عليه السلام بأن مصلحة الاسلام الكبرى فى وحدة صف المسلمين، ووحدة موقفهم وكلمتهم فوق أى اعتبار آخر. ولا يجوز التفريط فى هذا الامر لاحد من المسلمين.

ولذلك كله زجر أبا سفيان عندما عرض عليه أن يبايعه يوم السقيفة، ويملأ

الدار خيلاً ورجلاً وردّ العباس عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله عندما عرض عليه البيعة.

٢ ـ استمرار الامامة في اهل البيت بعد علي عليه السلام.

وهذا المعنى وارد بصراحة في حديث الثقلين ـ الذي نقله متواتراً وصحّح كثيراً من أسانيده أئمّة الحديث من الفريقين ـ:

«انى تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض وعترتى اهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا علَيّ الحوض»[١].

وهذا الحديث صريح في استمرار اهل البيت الّذين جعلهم الله ائمة على خلقه وادلة على صراطه الى يوم القيامة «حتى يردا عليّ الحوض» باستمرار الثقل الاول وهو القرآن الكريم.

يقول ابن حجر الهيثمي:

وفي احاديث الحث على التمسك باهل البيت اشارة الى عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسك به الى يوم القيامة كما ان الكتاب العزيز كذلك ولهذا كانوا اماناً لاهل الارض كما يأتي ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أُمتي عدول من اهل بيتي[٢].

وقد ورد تسلسل أسماء اهل البيت الذين جعلهم الله تعالى أئمة للناس واحداً بعد الاخر وعصمهم الله من كل رجس وذنب وريب في أحاديث أهل البيت أنفسهم اجمالاً وتفصيلاً وتلميحاً وتصريحاً. وكثير من هذه الروايات وردت بطرق صحيحة.

ويكفينا ونحن نعرف خمسة منهم شملتهم آية التطهير في عصر نزولها أن نتعرف الى أسماء غيرهم ممن يخلفونهم في الامامة والعصمة عن طريقهم، ثم

---

١ ـ رسالة حديث الثقلين / اصدار دار التقريب في مصر.

٢ ـ الصواعق المحرقة / ١٤٩.

نعرف من يليهم من بعدهم فى الامامة والعصمة بواسطتهم وهكذا بالتسلسل.

حجية أحاديث أهل البيت عليهم السلام:

وهذه هى أهم المسائل التى يواجهها الانسان المسلم فى الجانب العقائدى وفى الجانب التشريعى أيضاً ومن استعراض هذه النتيجة نعرف لماذا يقتصر علماء الشيعة الامامية فى معرفة أحكام الله تعالى على مذهب اهل البيت عليهم السلام ولا يأخذون بمذهب الجمهور فى الاعتماد على اجتهاد الأئمة.

مذهب اهل البيت عليهم السلام:

وفيما يلى اذكر طائفة من النقاط التي تدخل في تكوين الإطار العام لمذهب أهل البيت عليهم السلام وإليك هذه النقاط:

أ ـ عصمة أهل البيت وتنزيههم عن الكذب:

وقد نص القرآن بعصمتهم فى آية محكمة من سورة الاحزاب، ونفى عنهم كل رجس وسوء وفحش.

وادنى مراتب العصمة العصمة من الكذب ولا يجوز لمسلم ان يشك فى صدق حديثهم وروايتهم وقد اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم وتطهيرا والكذب من أفحش الرجس الذى برأهم الله تعالى منه.

والى حد ما يتطابق الفريقان السنة والشيعة فى هذه الحقيقة فلم أصادف في ما قرأت من كتب الجرح والتعديل والرجال من كتن أئمة السنّة من لا ينزه ساحة الائمه الاثني عشر عليهم السلام من كل رجس وكذب وريب.

ب ـ اهل البيت يروون حديث رسول الله ﷺ :

وليس شأنهم عليهم السلام شأن سائر المجتهدين وائمة المذاهب الاسلامية في الاعتماد على الرأى والاجتهاد في دين الله ولا يصح تسميتهم بالمجتهدين واصحاب الرأى والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ والحالات التى يخطئ فيها لا تقل عن الحالات التى يصيب فيها حكم الله تعالى.

وأهل البيت عليهم السلام لا يدخلون قطعاً فى عداد هؤلاء المجتهدين واصحاب الاراء، ولا مذهب لهم فى الرأى والاجتهاد وانما هم ينقلون حديث رسول الله ﷺ ويحملون الينا ميراث رسول الله ﷺ ويستندون فى ذلك الى سنة رسول الله ﷺ التي انتهى علمها اليهم ويروونها عنه سواء رووها كما يروي عامة المحدثين الحديث مسلسلاً الى رسول الله ﷺ أم أرسلوها إرسالاً، وهم عليهم السلام قد بينوا هذا المعنى فى اكثر من موضع.

١ ـ روى ثقة الاسلام الكلينى عن على بن محمد عن سهل بن زياد عن احمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيره قالوا: سمعنا ابا عبدالله الصادق عليه السلام يقول: «حديثى حديث ابى، وحديث ابى حديث جدى، وحديث جدى حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المومنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل»[١].

٢ ـ قال فى بصائر الدرجات: حدثنا عبدالله بن عامر عن عبدالله بن محمّد الحجال عن داود بن ابى يزيد الاحول عن ابى عبدالله (الصادق عليه السلام) قال: سمعته يقول: إنا لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ولكنها آثار من

---

١ ـ اصول الكافى ١/٥٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله اصل علم نتوارثها كابراً عن كابر نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم»[١].

٣ ـ وروى ثقة الاسلام الكليني في الكافي قال سأل رجل ابا عبدالله الصادق عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها فقال الرجل: ارايت ان كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مه. ما اجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله لسنا من أرأيت في شيء[٢].

٤ ـ وروى الصفار في بصائر الدرجات عن الفضيل بن يسار عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: لو انا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا ولكنّا حدّثنا ببيّنة من ربّنا بيّنها لنبيّه فبيّنها لنا[٣].

٥ ـ وروى ايضاً عن الامام الصادق عليه السلام انه قال بينة من ربنا بيّنها لنبيه صلى الله عليه وآله فبيّنها لنا فلولا ذلك كنّا كهؤلاء الناس[٤].

ج ـ النص قبل الاجتهاد:

وانطلاقاً مما تقدم فان احاديث اهل البيت عليهم السلام واقوالهم ليست من الرأي والاجتهاد في شيء وانما هي سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وآثاره أودعها عند اهل بيته وتوارثوها عليهم السلام عنه صلى الله عليه وآله ونقلوها الينا في الاصول والاحكام وسجلها عنهم الثقات من المحدثين.

فاذا آمنا - بموجب آية التطهير - بانهم مطهرون من كل كذب وريب.

---

١ ـ بصائر الدرجات / ٣١٩.
٢ - اصول الكافي ١/٥٨ ط طهران ١٣٧٥.
٣ - بصائر الدرجات / ٢٩٩.
٤ - بصائر الدرجات / ٣٠١.

وصادقون فيما يقولون ويروون فلا يجوز العدول عن احاديثهم الى الاجتهاد والرأى وان كان اجتهادا ورأياً فى حديث رسول الله ﷺ فان من غير الجائز ممارسة الاجتهاد والاخذ بالرأى مع وجود النص الصريح.

ويترتب على ذلك انه لا يمكن اعتبار اتجاه اهل البيت عليهم السلام فى الاصول والاحكام الاسلامية مذهباً فى عداد المذاهب الاسلامية الاخرى فى الاصول والفروع فإنّ المعنى الاصطلاحى للمذهب: الاتجاه القائم على الراى والاجتهاد الخاص فى فهم الاسلام اصولا واحكاما، واذا كان اهل البيت ينفون عن انفسهم واتجاهم أى رأى أو اجتهاد شخصى، وإنّما ينقلون الينا بأمانة وصدق سنة رسول الله ﷺ وحديثه فاتجاهم لا يعتبر مذهباً فى الاسلام. بالمعنى المصطلح المعروف من المذهب.

كيف استقىٰ اهل البيت عليهم السلام من رسول الله ﷺ ؟

وهو سؤال لا شك يختلج فى نفس الانسان وهو يواجه هذا التراث الضخم الذى ورثه اهل البيت عليهم السلام عن رسول الله ﷺ من الاصول والاحكام وفى الكليات والجزئيات والتفريعات الدقيقة للاحكام وفى التفسير والاخلاق والتاريخ.

والجواب: اننا بعد ما عرفنا فى آية محكمة فى كتاب الله انهم صادقون لا يقولون كذبا ولا يدعون باطلا فإنّنا غير مسؤولين بعد ذلك أن نعرف كيف تلقوا العلم عن رسول الله ﷺ وفي أي فرصة طويلة كان عليّ عليه السلام يخلو إلى رسول الله ﷺ ليأخذ منه العلم ليتسلسل هذا العلم بعد ذلك فى أبنائه اماماً بعد امام.

فاذا ذكروا بأنهم قد ورثوا علم رسول الله ﷺ وسُنّته في الاصول والفروع وان لديهم من علم رسول الله ﷺ وحديثه وسنته ما ليس عند غيرهم فهم

مصدقون في كلامهم ودعواهم ونعلم أنهم لا يدعون جزافاً وباطلاً فنأخذ عنهم العلم والحديث والفقه في الحلال والحرام وفي الاصول والاحكام وفي حدود الله تعالى وشريعته ونتعبّد بأحاديثهم ورواياتهم على أنها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله ورواياته صحّت عنه بطريق صادق سليم لا يرقى اليه الشك.

الإيضاح والتفصيل:

واليك ايضاح وتفصيل هذه الحقيقة ضمن مجموعة من النقاط:

أ ـ يقول الامام علي عليه السلام: وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله وكنت اذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عني نساءه فلا يبقى عنده غيري واذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بنيّ وكنت اذا سألته أجابني واذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن الا أقرأنيها وأملاها عليّ، فكتبتها بخطّي ودعا الله ان يعطيني فهما وحفظا فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا لي بما دعا وما ترك شيئا علمه الله من حلال وحرام ولا امر ولا نهي كان او يكون ولا كتاب منزل على احد قبله من طاعة او معصية الا علمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً ثم وضع يده على صدري. ودعا الله لي ان يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً وفقلت يا نبيّ الله بأبي انت وامّي منذ دعوت الله لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوّف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك

النسيان[١]. ويقول عليه السلام: علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح لي كل باب ألف باب[٢]. وروى عن علي عليه السلام انه قيل له: ما لك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً؟ قال: اني كنت اذا سألته أنبأني وأذا سكت ابتدأني[٣].

وعن علي عليه السلام: «كانت لي منزلة من رسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن لاحد من الخلائق. فكنت آتيه كل سحر فأقول: السلام عليك يا نبي الله فان تنحنح انصرفت الى اهلي والا دخلت عليه»[٤].

وعنه عليه السلام: «كان لي على رسول الله صلى الله عليه وآله مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار فكنت اذا دخلت بالليل تنحنح لي»[٥].

وعن انس بن مالك قال: ما رأيت أحدا بمنزلة علي بن ابي طالب عليه السلام ان كان يبعث اليه في جوف الليل فيستخلي به حتى يصبح هكذا عنده الى أن فارق الدنيا[٦].

ب ـ الكتاب الذي املاه رسول الله صلى الله عليه وآله على عليّ عليه السلام في الاحكام واسم هذا الكتاب «الجامعة» وقد أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله في مجالسه الخاصة على عليّ عليه السلام وخطه عليّ عليه السلام بيمناه وهو كتاب يشمل كل ما يتعلق بالحلال والحرام وحدود الله تعالى بل في بعض الروايات على القرآن والانجيل والزبور وقد ورد انه كان بمقدار سبعين ذراعاً وكان الأئمّة من أهل البيت يحفظونه ويكنزونه جيلاً بعد جيل كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم أو أشد حفظاً وكانوا يرجعون اليه كلما

---

١ – اصول الكافي ١/٦٢، ط مكتبة الصدوق بطهران.
٢ – بحار الانوار ٤٠/١٤٤.
٣ – تاريخ الخلفاء للسيوطي /١٧٠.
٤ – سنن النسائي ١/١٧٨.
٥ – سنن ابن ماجة / ح ٣٧٠٨.
٦ – المناقب لابن شهرآشوب ٢/٢٥٧.

احوجهم الأمر اليه.

١ ـ روى فى بصائر الدرجات عن على بن الحسن بن الحسين السحانى عن محول بن ابراهيم عن ابى مريم قال: قال لى ابو جعفر (الباقر): «عندنا الجامعة وهى سبعون ذارعاً فيها كل شيء حتّىٰ ارش الخدش، املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط عليّ عليه السلام»[١].

٢ ـ وفى بصائر الدرجات: عن محمد بن الحسين عن جعفر بن بشير عن الحسين عن ابى مخلد عن عبدالملك قال: دعا أبو جعفر «الباقر» بكتاب عليّ فجاء به جعفر الصادق مثل فخذ الرجل مطوياً فاذا فيه «ان النساء ليس لهن من عقار الرجل اذا هو توفى عنها شيء» فقال أبو جعفر: هذا والله املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّه علّى بيده[٢].

٣ ـ وعن أبى بصير عن ابى عبدالله الصادق عليه السلام قال: يا ابا محمد وان عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله واملائه من فلق فيه وخط على بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس اليه حتى الارش فى الخدش[٣].

٤ ـ وعن بكر بن كرب الصيرفى قال سمعت ابا عبدالله «الصادق» عليه السلام يقول: ان عندنا ما لا نحتاج معه الى الناس وإن الناس ليحتاجون الينا وانّ عندنا كتاباً املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علىّ عليه السلام صحيفة فيها كل حلال وحرام.

٥ ـ وعن فضيل بن يسار قال: قال لى ابو جعفر عليه السلام يا فضيل عندنا كتاب على سبعون ذراعاً ما على الارض شيء يحتاج اليه الاّ وهو فيه حتى ارش

---

١ ـ بصائر الدرجات / ١٨٠ ط الاعلمي بطهران.
٢ ـ بصائر الدرجات / ٥ باختلاف يسير.
٣ ـ الكافى للكلينى ١ / ٢٣٩.

الخدش[١].

ج ـ أئمة أهل البيت عليهم السلام يتوارثون كتاب الجامعة:

وقد كان اهل البيت عليهم السلام يتوارثون كتاب الجامعة جيلاً بعد جيل وواحداً بعد آخر ويروون عنه سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وحديثه.

١ ـ في بصائر الدرجات حدّثنا الحسن بن على عن احمد بن هلال عن امية بن على عن حماد بن عيسى عن ابراهيم بن عمر اليمانى عن ابى الطفيل، عن ابى جعفر عليه السلام قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المومنين على عليه السلام: اكتب ما املى عليك قال على عليه السلام :يا نبى الله وتخاف النسيان؟ قال: لست أخاف عليك النسيان وقد دعوت الله ان يحفظك فلا ينسيك لكن اكتب لشركائك قال: قلت: ومن شركائى يا نبيّ الله؟ قال: الائمة من ولدك»[٢].

٢ ـ وروى فى بصائر الدرجات عن ابى القاسم، عن محمد بن يحيى العطار، قال حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، قال حدّثنا محمد بن الحسين، عن صفوان، عن معلّى بن أبى عثمان، عن المعلّى بن خنيس عن أبى عبدالله «الصادق» عليه السلام قال: «ان الكتب كانت عند على عليه السلام فلما سار الى العراق استودع الكتب ام سلمة فلما مضى على عليه السلام كانت عند الحسن عليه السلام فلما مضى الحسن عليه السلام كانت عند الحسين عليه السلام فلما مضى الحسين عليه السلام كانت عند على بن الحسين عليه السلام ثم كانت عند ابى»[٣].

د ـ وقد رأى هذا الكتاب بعض أصحاب اهل البيت عليهم السلام فى موارد عديدة:

١ ـ عن معتب قال أخرج الينا ابو عبدالله عليه السلام صحيفة عتيقة من صحف عليّ

---

١ – بصائر الدرجات / ١٤٧.

٢ – بصائر الدرجات / ١٨٧.

٣ – بصائر الدرجات / ١٨٢.

فاذا فيها ما نقول اذا جلسنا لنتشهد[١].

٢ ـ وعن ابى بصير عن ابى جعفر (الباقر) عليه السلام قال: كنت عنده فدعا بالجامعة فنظر فيها ابو جعفر عليه السلام فاذا فيها: المرأة تموت وتترك زوجها ليس لها وارث غيره قال: فله المال كله[٢].

٣ ـ وعن عبدالملك بن اعين قال: دعا ابو جعفر عليه السلام بكتاب على عليه السلام فجاء به جعفر عليه السلام مثل فخذ الرجل مطويا فاذا فيه: ان النساء ليس لهن من عقار الرجل، اذا هو توفى عنها شيء... فقال ابو جعفر هذا والله خط علّى عليه السلام بيده واملاء رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

هـ ـ اسناد الشيعة الى اهل البيت عليهم السلام :

واذا علمنا ان حديث اهل البيت عليهم السلام من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمهم من ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله ولا مساغ لاحد فى الاجتهاد مع وجودهم او مع وجود احاديث لهم فى الاصول والاحكام... اقول:

اذا علمنا ذلك فثمة سؤال واحد نطرحه على الفقهاء والمحدثين من اهل السنّة وهو انهم لم لم يعتمدوا أحاديث أهل البيت عليهم السلام ؟

وقد يجاب على ذلك بأن أحاديث أهل البيت عليهم السلام لم ترو - فى الغالب - الاّ عن طريق الشيعة وأسانيدهم، وأهل السنّة لا يعرفون هذه الطرق.

فنقول إن علماء الحديث من أهل السنة لا يشترطون فى صحة الرواية غير الوثوق الى صدق الراوى وحفظه فاذا وثقوا بصدق الراوى وضبطه، وسلامة الطريق من حيث الأمانة والصدق، لم يتردّدوا فى التمسك بالرواية وان كان الراوى

---

١ - بصائر الدرجات / ١٤٥.

٢ - بصائر الدرجات / ١٤٥.

٣ ـ وسائل الشيعة ٢٦/٢١٢.

على غير عقيدة أهل السنّة ومذهبهم.

وقد ورد كثير من رجال الشيعة في أسانيد الصحاح الستّة وطرقهم، وأخذ كبار المحدثين من السنّة من امثال البخاري ومسلم واحمد والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن مشايخ الشيعة، مع علمهم بأنهم من الشيعة وانهم يختلفون معهم في المذاهب ومع ذلك فلم يمنعهم ذلك من الاخذ برواياتهم والاعتماد عليها.

وقد ذكر الامام شرف الدين ﷺ مائة من رجال الشيعة في اسانيد السنّة وطرقهم على سبيل المثال والاستشهاد لا الاستقصاء[١].

فهذا أبان بن تغلب الكوفي احتج به مسلم وأصحاب السنن الأربعة وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ووثّقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو حاتم. وكان شيعياً معروفاً . .

يقول الذهبي في «الميزان» في ترجمته: «ابان بن تغلب الكوفي: شيعي جلد لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته».

واسماعيل بن زكريا الأسدي الخلقاني روى عنه البخاري ومسلم وترجم له الذهبي فقال: «صدوق شيعي» وعدهّ ممن احتج به أصحاب الصحاح الستّة.

وحبيب بن ابي ثابت الكاهلي الكوفي التابعي عدّه من رجال الشيعة كل من ابن قتيبة في «المعارف» والشهرستاني في «الملل والنحل» واحتج به في الصحاح الستّة جميعاً بلا تردد.

والحسن بن حي واسم حي «صالح» كان من أعلام الشيعة ذكره ابن سعد في «الطبقات» فقال: «كان ثقة صحيح الحديث كثيره وكان متشيّعاً، واحتج به مسلم وأصحاب السنن».

---

١ - المراجعات / ٧٠ - ١٦٣.

وقد روى مسلم فى الصحيح عن كل من سماك بن حرب واسماعيل السدى وعاصم الاحول وهارون بن سعد.

ولو ان اهل السنّة ألغوا روايات الشيعة وردّوها رأساً لذهبت جملة من الآثار النبوية كما يعترف بذلك الذهبى فى «الميزان» فى ترجمة أبان بن تغلب.

وهذا عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميرى الصنعانى منسوب الى التشيع، ومع ذلك فقد وثّقه الائمة كلهم الاّ أبا عباس بن عبدالعظيم فتكلّم بكلام وأفرط فيه ولم يوافقه عليه أحد وقال عنه ابن عدى رحل اليه ثقات المسلمين وكتبوا عنه الا انهم نسبوه الى التشيع وهو أعظم ما ذموه به وأما الصدق فأرجو انه لا بأس به واحتج به الشيخان والبخارى ومسلم[1].

فلا يشترط فى صحة الرواية ـ اذن ـ أكثر من الوثوق بالراوي وصدقه، وأمانته وضبطه فاذا تأكدوا من ذلك فان أصحاب السنن والصحاح والأصول لم يترددوا فى الأخذ بروايته وروايتها والعمل بها.

فلا مبرر اذن للتردد فى التمسك بروايات أهل البيت عليهم السلام فى الحلال والحرام وفى الاصول والعقائد بحجة أن روايات أهل البيت عليهم السلام وردت فى الغالب عن طرق شيعية لا يعرفها أهل السنّة.

ولا نشك فى أن هناك فى أسانيد وطرق روايات أهل البيت طرقاً ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها.

غير أن الاساس السليم فى مثل هذا الموقف أن ينتقي الفقيه السنّي منها ما تجتمع فيه شروط الرواية الصحيحة من حيث السند والمتن ويترك غيره كما يعمل علماء الشيعة ما دام أن الرواية عن الشيعة ليست بأمر محظور وما دام أن كلمات

---

١ - فتح البارى المقدمة / ٤١٨.

اهل البيت عليهم السلام واحاديثهم لا تزيد ان تكون روايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله... فلا يبقى الا التحرى فى اسانيد هذه الروايات وطرقها والتاكد منها، وانتقاء الصحيح منها، كما يفعل اخوتنا السنّة بالاحاديث النبوية الواردة عن طرقهم وكما يفعل الشيعة بالروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام عن طرقهم بالذات.

والحمد للّه رب العالمين.

* * *

المرجعية العلمية الإسلامية
لأهل البيت عليهم السلام

عبد الكريم عمارة الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

ان الحديث عن اهل البيت عليهم السلام حديث شيق وممتع، ترتاح له القلوب المؤمنة وتسكن به النفوس، وتحضره الملائكة ويبارك الله فيه وفي اهله. ويرضي سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، لانه انما يعبر عن حبهم وولائهم، الذي حث عليه القرآن الكريم وطالب به أمة محمد صلى الله عليه وآله ﴿*قل لا اسألكم عليه اجراً الاّ المودة في القربى*﴾.

كما ان الحديث عنهم ونشر فضائلهم وإلفات الامة اليهم يعد إحياء لامرهم عليهم السلام، والامام الصادق عليه السلام يقول: أحيوا امرنا رحم الله من احيا امرنا.

اما مسألة المرجعية العلمية لاهل البيت فحسب اعتقادي انّها لا تحتاج الى البحث والتنقيب وجمع الادلة والشواهد لاثباتها. بل انها امر يمكن ان يستنتجه الانسان ويسلّم به بفطرته. فهم لحمة النبي صلى الله عليه وآله وامتداده المقدس في الامة. وهيهات أن تشذ عن رسول الله لحمته. وفي ابياتهم نزل جبرئيل بالوحي المقدس. واهل البيت اعلم بما فيه، فلا يمكن ان يجاريهم احد فيما جاء به ابوهم محمد صلى الله عليه وآله خاصة وانه كان يوصي بحبهم وولائهم واتباعهم واذا كانت الامة في ذلك الزمان ولاسباب عديدة منها الجهل والعصبية والحسد واسباب اخرى صنعها الحكام الظالمون، اضافة الى سعة المساحة الجغرافية بين الامة واهل البيت خاصة بعد الفتوحات بحيث لم تتوفر لأغلب الناس فرصة الاتصال بهم عليهم السلام

والتعرف عليهم، كل تلك الاسباب وقفت حاجزاً بين الأمة ومعرفة ابناء نبيّها حقّ معرفتهم، فنحن في هذا الزمان قد تخلصنا والحمد لله من اكثر تلك الاسباب واتسعت معارفنا ومطالعاتنا وبات من أسهل الأمور أن تحصل على المعلومة التي تريد وفي أي وقت كان خاصة بعد ثورة الانترنيت.

لذا علينا أن نتوجّه بكل ارادة وصدق للتعرف عليهم اولاً - فان الناس اعداء ما جهلوا - ولا شك باننا سوف يأسرنا صفاؤهم وعلمهم وسموهم.

وقد جمعت في هذا الجهد المتواضع بعض الشواهد للاستشهاد بها على مرجعيتهم الاسلامية للامة وهو كالاتي:

الدليل القرآني على اعلميّتهم:

لعل من أظهر الآيات القرآنية التي نزلت في أهل بيت النبوة (عليهم‌السلام) هي آية التطهير ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾، اذ بيّنت المكانة السامية والمنزلة الرفيعة لأهل هذا البيت عند الله، حيث تعلقت إرادته سبحانه بإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم تطهيراً، والذي يعني انه سبحانه قد تعهدهم بعنايته ورعايته بصورة خاصة غير العناية العامة التي يتعهد بها جميع خلقه.

ومن الواضح أن التطهير وإذهاب الرجس عنهم يعني امتلاكهم حصانة ذاتية تمنع عن وقوعهم في الذنوب أو ارتكاب ما يخالف الشريعة نتيجة الخطأ والاشتباه، حيث إن المخالفة وإن كانت غير متعمّدة لا يمكن معها أن يصل الانسان الى كماله ناهيك عن وصوله الى اعلىٰ درجات التطهير التي أشارت لها الاية المباركة، نعم ان الله سبحانه يسامح العبد علىٰ اخطائه واشتباهاته وجهله ويتجاوز عنه، ولكن هناك شروط تدخل في معذريّته منها ان يكون قاصراً عن معرفة الحق.

وعليه فان الحصانة الذاتية وبهذه المرتبة الرفيعة الشاملة لكل مفردات التعامل وعلى كافّة الأصعدة لا يمكن لها أن تتوفر لشخص ما ما لم يحيط بالعلوم الالهية والحياتية بحيث يصل الى درجة يرىٰ فيها الأمور على حقائقها وعواقبها وآثارها المترتبة عليها، عند ذاك يستطيع ان ينأىٰ بنفسه عن كل ما يمس طهارته بكدر أو غبار.

ومن هنا نستنتج ان الله سبحانه قد اعطىٰ ومنح اهل البيت عليهم السلام كل مقومات التطهير التي من أوّلياتها العلم بكل صغيرة وكبيرة سواء على مستوى التعاليم الدينية او المعارف الدنيوية.

ومن هنا، فان هناك ملازمة بين الوصول الىٰ اعلىٰ درجات التطهير وبين الحصول علىٰ اعلىٰ مراتب العلم والمعرفة والاحاطة بكل شاردة وواردة.

وربما يرد اعتراض علىٰ هذه الملازمة مفاده: انه يمكن ان يحصل هذا دون الحصول علىٰ اعلىٰ مراتب العلم حيث يتعهدهم الله ويقف مانعاً بينهم وبين الاخطاء والمعاصي وبالتالي تصدق عملية التطهير.

ورداً علىٰ هذا الاعتراض المفترض نقول: ان هكذا تدخّل من قبله تعالىٰ يجعلهم مسيّرين لا مختارين ومجبورين على افعالهم مثلهم مثل المخلوقات المسيرة كالكواكب مثلاً التي تتحرك ضمن نظام دقيق يحفظ الكون من الفساد والخلل. وبذلك فلا يستحقون المدح - حاشاهم من ذلك - بينما نجد ان الوحي المقدس قد جعل مودتهم وحبهم الاجر والشكر والعرفان الذي يجب ان تؤديه الامة لنبيّها الاكرم صلى الله عليه وآله على ما جاء لهم به من رسالة الهيّة عظيمة وهداهم بها الى الحق وانقذهم من ظلم الجاهلية والتيه الذي كانوا يعيشونه على كافة المستويات: ﴿*قل لا اسألكم عليه اجراً الاّ المودة في القربىٰ*﴾، بل ان هذا لا يمكن تفسيره - بحيث اصبحت مودتهم مقابل كل جهود النبي صلى الله عليه وآله التي قدّمها للأمّة - الاّ بأنهم

هم حملة الرسالة من بعده وامناؤها وحفّاظها من التغيّر والاختلاف من بعده ﷺ، والوعاء الطاهر الذي يضمن استمرارها خالصة صافية الى ما شاء الله.

بالاضافة الى ذلك نسوق شاهداً قرآنياً يدل على مرادنا وهو: ﴿*وتعيها أُذن واعية*﴾ حيث نزلت هذه الاية الكريمة بحق علي بن ابى طالب عليه الصلاة والسلام، ومن الواضح انها تبيّن وبشكل جليّ الى ان الرسالة المحمدية العظيمة قد هيأ الله لها اذن تعيها وتتلقّاها بفهم حقيقي لكل تفاصيلها ومفرداتها فتكون مستودعها الامين من بعد سيد المرسلين ﷺ، فقد جاء في مناقب الخوارزمي ص ١٩٩ ما نصه: عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال لي: انّ الله امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان تسمع وتعي وحقاً على الله ان تسمع وتعي. فنزلت هذه الاية ﴿*وتعيها اذن واعية*﴾.

وعن ابن عباس انه قال: قال رسول الله ﷺ لمّا صرت بين يدي ربي كلّمني وناجاني فما علمت شيئاً الاّ علمته علياً فهو باب علمي (ينابيع المودة ص ٧٩).

وفي طبقات بن سعد ص ٣٣٨ انه قيل لعلي عليه السلام: ما لك اكثر اصحاب رسول الله حديثاً قال اني كنت اذا سألته أنبأني واذا سكتُّ ابتدأني.

تبقى مسألة مهمة هنا وهي هل ان اية التطهير تخص علياً وفاطمة والحسن والحسين ام تشمل جميع اهل بيت النبي ﷺ بما فيهم نساؤه.

والجواب على ذلك على نحوين:

الاول - وهو ما يخص مناسبة نزول اية التطهير نفسها، فقد ورد عن عائشة زوج النبي انها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل من شعر اسود فجاء الحسن بن على فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾ (صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٨٣).

وعن عمر بن ابي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله قال: نزلت هذه الاية على النبي ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾. في بيت ام سلمة فدعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وعليٌ خلف ظهره ثم قال: هؤلاء اهل بيتي فأذهب الرجس عنهم وطهّرهم تطهيرا، قالت ام سلمة: وانا معهم يا رسول الله؟ قال: انت على مكانك الى خير. (اسد الغابة ج٢، ص ١٢).

الثاني: من خلال ما نقلته كتب التاريخ وذكره الرواة بشكل مستفيض بخصوص الذين اخرجهم النبي صلى الله عليه وآله معه لمباهلة نصارى نجران بعد نزول الاية الكريمة ﴿*تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم*﴾، حيث جاء في المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٥٠ نقلاً عن عامر بن سعد عن ابيه قال: لما نزلت هذه الاية ﴿*تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم*﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة والحسن والحسين «رضى‌الله‌عنهم» قال: اللهم هؤلاء اهل بيتي.

أعلمية اهل البيت في الحديث النبوي:

لقد كان سيد المرسلين صلى الله عليه وآله المرجع العلمي الاعلى في الامة في جميع الامور السياسية والاجتماعية والعقائدية والفقهية والاخلاقية والثقافية وغيرها مما يحتاج اليه المسلمون خلال حياتهم العامة، حيث كان القرآن الكريم يغطي مساحة واسعة من تلك الاحتياجات، بآياته الكريمة المبيّنة للتعاليم والقوانين الالهية التي سنّها الشارع المقدس لتسير الامة على هداها وهي تلك الموجودة بين دفتي الكتاب المقدس، بالاضافةالى ما يتلقاه صلى الله عليه وآله من قبل الوحي من تعاليم غير القرآن فيوصله بدوره للمسلمين، وقد اشار القرآن الكريم الى تلك الحقيقة ﴿*وما*

ينطق عن الهوىٰ إن هو الاّ وحي يوحىٰ علّمه شديد القوى﴾.

ولمّا كانت رسالة الاسلام هي الرسالة الخاتمة التي ستظل الدين الذي تدين به البشرية حتىٰ اخر يوم في حياتها، والنظام الذي اراد لها الله سبحانه وتعالى السير وفق تعاليمه وقوانينه وارشاداته، كان لابد ان يودع النبي ﷺ علمه الالهي عند من هو اهل لذلك من حيث القدرات الذهنية والعقلية والبيانية وكذلك من حيث الطهارة والاخلاص ليكون خلفاً لمرجعيته العلمية، يقوم مقامها ويؤدي دورها.

وقد ذكر القرآن الكريم ما يثبت انخفاض مستوى الوعي والاستعداد عند ذلك المجتمع الذي عاصر النبي ﷺ بصورة عامة وخاصة ما اشار به الىٰ اعتراضاتهم المتكررة على النبي ﷺ ورفع اصواتهم بحضرته المقدسة ومناداته من وراء الحجرات، حتى ان النبي ﷺ كان يخشىٰ اتّهاماتهم له عند ما كان يريد تنفيذ ما امره به الله سبحانه ﴿*وتخشى الناس والله احق ان تخشاه*﴾، ﴿*والله يعصمك من الناس*﴾ هذا بالإضافة الى انهم كانوا يسمعون من النبي ﷺ الآيات والتعاليم ولكن بمجرد خروجهم من مجلسه يقول بعضهم لبعض ماذا قال آنفاً.

ولذلك فقد اختار رسول الله ﷺ أهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ليكونوا اوعية علمه وأمناء رسالته من بعده، ولا شكّ ان اختيارهم بامر من الله سبحانه الذي خصهم بعنايته خاصة وان القرآن يقول ﴿*وما ينطق عن الهوى إن هو الاّ وحي يوحىٰ*﴾، واذا كان كل قوله وحي فلا شك ان هكذا أمر خطير يتوقف عليه حفظ الرسالة واستمرارها خالصة لا يمكن ان يفسّر أو يعلل بدوافع اخرى شخصية. فقد اختار علياً عليه السلام لهذه المهمة فلم يترك شيئاً الاّ وعلمه إياه وأمره بكتابته وإليك بعض الادلة:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا صرت بين يدي ربي كلّمني وناجاني فما علمت شيئاً الاّ علمته علياً فهو باب علمي (ينابيع المودة ص ٧٩).

قال علي عليه السلام: وقد علمتم منزلي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وانا ولد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسّني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان (فطيماً) أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن الاخلاق ليله ونهاره، ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحرّاء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته انّك تسمع ما اسمع وترى ما أرىٰ إلاّ انك لست بنبي، لكنك وزير وإنك لعلى خير. (نهج البلاغة، خطبة ١٨٧).

وقال علي عليه السلام (في حديث) وقد كنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها، أدور معه حيث دار وقد علم اصحاب محمد انه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي، يأتيني رسول الله اكثر ذلك في بيتي وكنت اذا دخلت عليه بعض منازله اخلاني واقام عني نساءه فلا يبقىٰ عنده غيري، واذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا احد من بنيّ، وكنت اذا سألته اجابني واذا سكتُّ عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله اية من القرآن الا اقرأنيها واملاها عليّ فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ودعا الله ان

يعطيني فهمها وحفظها فما نسيت اية من كتاب الله وعلماً املاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام ولا امر ولا نهي كائن او يكون ولا كتاب منزل على احد قبله من طاعة او معصية الا علّمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي ان يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبى الله بأبي انت وامي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم اكتبه أفتخاف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست اتخوف عليك النسيان والجهل (الكافي ج ١ ص ٦٤).

ومن خلال ما تقدم يتضح ان سيد المرسلين قد اعطى لعلي من الاهتمام والوقت والعلم ما لم يعطه لاحد غيره، وتعهده بعناية خاصة واعداد مكثّف، من اجل الوصول به الى المرحلة التى يكون فيها خازن علم الرسول وعيبته والمؤهل للاضطلاع بدور المرجعية العلمية من بعده، هذا من ناحية الاعداد والتدريس والتبين.

اما بالنسبة لقدرة علي على التلقي والفهم والحفظ، فقد كانت في ارقى درجاتها، حتى اعطاه رسول الله ﷺ شهادة التخرج واعلنها بين المسلمين واشهدهم عليها مراراً وتكراراً، ليكون اليه مرجعهم ومآل امور دينهم ودنياهم، وربما من اوضح واشهر اقواله ﷺ في عليّ بهذا الخصوص حديث: انا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن اراد العلم فليأت الباب (المناقب للخوارزمي ص ٤٠).

احاديث تبيّن مدى علمية علي فى:

سئل النبي ﷺ عن علي عليه السلام فقال: قسمت الحكمة عشرة اجزاء فأعطي علي تسعة اجزاء والناس جزءاً واحداً (فرائد السمطين ج ١ ص ٩٤).

عن انس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لعلي انت تبيّن لامتي ما اختلفوا فيه من بعدي (المستدرك ج ٣ ص ١٢٢).

عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ اقضىٰ امتي علي بن ابي طالب (المناقب للخوارزمي ص ٣٠٩).

عن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: اعلم امتي من بعدي علي بن ابي طالب (مناقب الخوارزمي ص ٤٠).

ذكرت الامارة - او الخلافة - عند النبي صلى الله عليه وآله فقال:... ان وليتموها عـلياً وجدتموه هادياً مهدياً يسلك بكم على الطريق المستقيم (تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٦٩).

قال رسول الله: علي مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع علي ولن يفترقا حتي يردا عليّ الحوض (ابن عساكر ج ٣ ص ١٢٥).

هذا بالنسبة الى عليٍّ عليه السلام الذي لا يختلف في علمه اثنان اما ما يعمّ اهل البيت عليهم السلام فنسوق مجموعة من الاحـاديث النـبويّة الشـريفة التـي تـدل عـلى مرجعيتهم العلمية:

اولاً: يروي احمد بن حنبل عن ابي سعيد قائلاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلّوا بعدي، الثقلين احدهما اكبر من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي الا وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض (مسند الامام احمد بن حنبل ج ٣ ص ٥٩).

نقل الحاكم النيشابوري عن زيد بن الارقم قائلاً: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ونزل غديرخم امر بدوحات فـقممن فـقال: كأنـي قـد دعـيت فأجبت، اني قد تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر منه الاخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض ثم قال ان الله عز وجل مولاي وانا مولى كلّ مؤمن ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه (المستدرك على الصحيحين ج ٣

ص ١٠٩).

لقد روي حديث الثقلين المتقدم بعبارات مختلفة وطرق متعددة من قبل عدد من صحابة النبي ﷺ الكبار منهم: ابو ذر الغفاري، ابو سعيد الخدري، علي بن ابي طالب، حذيفة بن اليمان، جابر بن عبدالله الانصارى، فاطمة الزهراء، ام هاني بنت ابي طالب، ام سلمة، ويذكر احمد بن حجر الهيثمي ان اكثر من عشرين نفراً من صحابة رسول الله ﷺ قد رووا حديث الثقلين (الصواعق الحرقة ص ١٥٠).

واليك بعض الكتب المشهورة والمعتمدة لدىٰ اهل السنة التي ذكرت حديث الثقلين: صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧٤، ابن الاثير في اسد الغابة ج ٢ ص ١٢، الامام الفخر الرازي في التفسير الكبير ج ٨ ص ١٦٣، ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٣٢٢، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.

ومن خلال حديث الثقلين المتقدم يعرف الباحث عن الحقيقة مدىٰ علميّة اهل البيت عليهم السلام وعصمتهم عن الخطأ، اذ قرنهم الحديث الشريف بالقرآن وجعلهم عدل له وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويحتوي على تبيان كل شيء، ومن هذا القرن نفهم انهم تبيان لكل شيء ولا يأتيهم الباطل منه بين ايديهم ولا من خلفهم، اضافة الى هذا فان الحديث قد اشار الى مسألة مهمة وهي ان القرآن من دون اهل البيت عليهم السلام - العالمين به - لا يمكن ان تنتفع به الامة الانتفاع المطلوب، بل انّها ستظللها الاهواء والآراء المختلفة في تفسير آياته، وكذلك فان اتباع اهل البيت عليهم السلام من دون التمسك بالقرآن لا يؤدي بالانسان الى الطريق الصحيح والنجاة في الدنيا والاخرة، فالقرآن كتاب الله الصامت واهل البيت هم القرآن الناطق.

ثانياً: قوله ﷺ: انما مثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن

تخلّف عنها غرق (فضائل الخمسة للفيروزآبادي ج ٢ ص ٦٥)، ولمّا كانت سفينة نوح قد وصلت بمن ركبها الى شاطئ الامان، فان اهل البيت عليهم السلام هم القادرون على ايصال الامة الى شواطئ الامان والابتعاد عن بحار الظلمات والجهل والاختلاف والوقوع في المآثم، ولا يتم لاهل البيت ذلك الاّ اذا كانوا يمتلكون اعلى درجات العلم، ولمّا وصفهم النبي صلى الله عليه وآله بتلك الصفة (سفينة نوح) فان ذلك يعني ولا ريب مرجعيتهم العلمية العليا التي تستطيع الامة بالرجوع اليها فيما يعترضها من امور ومسائل الوصول الى شواطئ النجاة الابدية.

ثالثاً: قوله صلى الله عليه وآله: النجوم أمان ولأهل الارض من الغرق، واهل بيتي امان لاهل الارض من الاختلاف (اخرجه الحاكم في مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤٩).

رابعاً: قوله صلى الله عليه وآله: أنزلوا آل محمد منزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العينين من الرأس، فان الجسد لا يهتدي الاّ بالرأس، وانّ الرأس لا يهتدي الاّ بالعينين. (الاتحاف بحبّ الاشراف ص ٢٦).

خامساً: قوله صلى الله عليه وآله كما جاء في بعض احاديث الثقلين: فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم (مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤٦).

هل ان اهل البيت هم علي عليه السلام وولداه فقط؟

تقدم ان النبي صلى الله عليه وآله اراد ان يكون اهل بيته - وقد تعهد علياً والحسنين بالتعليم - المرجعية الاسلامية العليا التي تخلفه في الامة وتؤدي دوره فيها، واذا كان المقصود بأهل البيت عليهم السلام هم علي والحسنان فقط فسيحصل فراغ زمني شاسع تظل الامة فيه دون مرجع اعلى محيط بعلوم الدين والدين ترجع اليه لدى الحاجة - والحاجة متزايدة كلما تقدم الزمن لانهم عليهم السلام لم يلبثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله

الاّ فترة قصيرة قياساً بعمر الرسالة ومدىٰ بقائها المرسوم حيث ان آخرهم وهو الحسين بن علي عليه السلام قد استشهد عام ٦١ هـ اي بعد خمسين سنة من رحلة النبي صلى الله عليه وآله، وهذا يدلل على ان المرجعية المطلوبة يجب ان لا تقتصر عليهم (على وولداه) «صلوات الله عليهم».

وقد نقل ابراهيم بن محمد الجوينى ما يثبت ذلك قائلاً: عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: انا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون. (فرائد السمطين ج ٢ ص ١٣٣.

اما اسماء هؤلاء التسعة من ولد الحسين عليه السلام المطهرين المعصومين الذين جاء ذكرهم في الحديث المتقدم فقد وردت في احاديث النبي صلى الله عليه وآله واليك هذا الحديث الذي ورد في تفسير نور الثقلين عن ابن بابويه باسناده عن جابر بن عبدالله الانصاري قال: لما انزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله ﴿*اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم*﴾ قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن اولوا الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟

فقال صلى الله عليه وآله: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي اولهم علي بن ابي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن على المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر، فاذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسىٰ بن جعفر، ثم علي بن موسىٰ، ثم محمد بن على، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميّي وكنيّي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الارض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها القول بامامته الاّ من امتحن الله قلبه للايمان (تفسير الثقلين ج ١ ص ٤٩٩).

انتقال علم الرسول الى الائمة:

بعد ان انتهينا من اثبات مرجعية آل البيت العلمية من خلال القرآن والحديث وعرفنا من هم، نتعرض الى السبيل الذي انتقل فيه علم سيد المرسلين صلى الله عليه وآله الى غير معاصريه منهم، اذ ان معاصريه (علي والحسن والحسين) قد أخذوا عنه، وقد بيّنا ذلك واذا كان هناك اعتراض بخصوص الحسنين لانهما كانا صغيرين، فان الحديث الذي تقدم ايضا بالنص علىٰ امامتهما ان قاما وان قعدا يرد ذلك الاعتراض، يضاف الى انهما تعلما من ابيهما علي عليه السلام.

لقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وآله قد تعهد علياً عليه السلام بالتعليم وكان الاذن الواعية للرسالة وكان يكتب ما يمليه عليه الرسول صلى الله عليه وآله وقد ورث بنوه كتابه لاحقاً عن سابق حتىٰ وصل الى آخرهم، فهم يأخذون منه علوم الرسول صلى الله عليه وآله بالاضافة الىٰ ما يتعلمه كل منهم عن ابيه، هذا اذا اغمضنا عن عناية الله بهم والهامه لهم ما يحتاجون اليه، وقد ورد في الحديث الشريف إن من اخلص لله اربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فكيف بهم وهم خيرة الله المطهرون تطهيراً.

وقد ورد عن عذافير الصيرفي قال: كنت مع الحكم بن عيينه عند ابي جعفر - يعني الباقر عليه السلام - فجعل يسأل وكان ابو جعفر عليه السلام له مكرماً فاختلفا في شيء فقال ابو جعفر: يا بنيَّ قم فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً ففتحه وجعل ينظر حتى اخرج المسألة فقال ابو جعفر: هذا خط علي واملاء رسول الله صلى الله عليه وآله واقبل علىٰ الحكم وقال: يا ابا محمد إذهب انت وسلمة وابو المقداد حيث شئتم يميناً وشمالاً فو الله لا تجدون العلم اوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل. (جامع احاديث الشيعة ج ١).

وهذا دليل على انتقال كتاب علي عليه السلام الذي كان يمليه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله الىٰ الائمة واحد عن واحد، وبه وبغيره حصل اهل البيت عليهم السلام علىٰ علوم

النبي ﷺ في جميع الامور، فكانوا اعلم اهل الدنيا قاطبة، فهم أئمة أمة الاسلام ومراجعها الذين ما اعجزهم سؤال ابداً، ولهذا فالاخذ عنهم يعني الاخذ عن النبي ﷺ عن الله، وعليه فلابد من معرفتهم والانتهال من معينهم العذب الاصيل خاصة وان الحديث الشريف يقول: من مات بغير امام مات ميتة جاهلية (كنز العمال ج ١ ص ١٠٣) والاحاديث الشريفة المتقدمة قد بيّنت من هم الأئمة الحقيقيون.

اهل البيت يمارسون دور المرجعية العليا:

لقد مارس اهل بيت النبي ﷺ دور المرجعية الاسلامية العليا منذ وفاة النبي ﷺ والى تاريخ غيبة الامام الحجة (عج)، ولكن بتفاوت من حيث السعة والتصدي العلني نتيجة الظروف المختلفة والضغوطات المتفاوتة التي كان يعيشها كل واحد منهم.

ولعل اوضح مصاديق ممارسة هذا الدور تتمثل في مرحلة ما بعد وفاة الرسول الاعظم ﷺ حيث كان المسلمون يرجعون الى علي عليه السلام في مسائلهم واحتياجاتهم بما فيهم الخلفاء أنفسهم ويعتمدون رأيه في الفتوى والقضاء والامور العسكرية التي تخص الفتوحات الاسلامية آنذاك وإليك بعض الامثلة:

١ ـ عندما فكّر ابو بكر بغزو الروم فاستشار جماعة من الصحابة فقدموا وأخروا، ولم يقطعوا برأي، فاستشار علياً عليه السلام في الامر، فقال: إن فعلت ظفرت. فقال: ابو بكر: بشرت بخير. وامر ابو بكر الناس بالخروج (تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١١).

٢ ـ عندما اراد ابو بكر ان يقيم الحد على شارب خمر، فقال الرجل إني شربتها ولا علم لي بتحريمها، فأرسل الى الامام يسأله عن ذلك فقال عليه السلام: (مُر

نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والانصار وينشدانهم هل فيهم احد تلا عليه آية التحريم او اخبره بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله فان شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه، وإن لم يشهد احد بذلك، فاستتبه وخلِّ سبيله) وكان الرجل صادقاً في مقاله فخلّى سبيله. (ابن شهرآشوب مناقب آل ابي طالب ج ٢ ص ٣٥٦).

٣ ـ عندما قدم جاثليق النصارى بصحبه مائة من قومه، فسأل ابا بكر مسئلة، فدعا علياً فأجابه عنها، وكان من ضمن هذه الأسئلة، سؤاله عن وجه الرب تبارك وتعالى، حيث دعا علي عليه السلام بنار وحطب واخدمه، فلما اشتعلت قال: اين وجه هذه النار؟ قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها، فقال علي عليه السلام: (هذه النار مدبّرة مصنوعة، لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها، ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله لا تخفى على ربنا خافية). (علي والخلفاء ص ٦٠).

٤ ـ حين اراد عمر بن الخطاب ان يغزو الروم راجع الامام عليه السلام في الامر فنصحه الامام بان لا يقود الجيش بنفسه مبيناً علّة ذلك قائلاً (فابعث اليهم رجلاً مجرباً واحفز معه اهل البلاء والنصيحة فان اظهره الله فذاك ما تحب. وإن تكن الاخرىٰ كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين) (نهج البلاغة، الخطبة ١٣٤).

٥ ـ وورد ان عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة، فلما اصبح قال للناس: أرأيتم ان اماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة، فأقام عليهما الحد، ما كنتم فاعلين؟ قالوا انما انت امام فقال علي بن ابي طالب عليه السلام (ليس ذلك لك، اذن يقام عليك الحد، ان الله تعالى لم يأمن على هذا الامر أقل من اربعة شهداء) ثم ان عمر ترك الناس ما شاء الله، ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولىٰ وقال علي عليه السلام مثل مقالته فأخذ عمر بقول الامام (كنز العمال ج ٣ ص ٩٦).

٦ ـ عن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب قال: جمع عمر بن

الخطاب الناس فسألهم، من اي يوم نكتب التاريخ؟ فقال على عليه السلام: من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وترك أرض الشرك، ففعله عمر (تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٥٣).

٧ ـ وعندما أُتى الى عثمان بأمرأة ولدت لستة اشهر، فهمّ برجمها، فقال على عليه السلام: (ان خاصمتك بكتاب الله خصمتك، ان الله تعالى يقول ﴿*وحمله وفصاله ثلاثون شهراً*﴾ ثم قال: ﴿*والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة*﴾، فحولين مدة الرضاع، وستة اشهر مدة الحمل)، فقال عثمان ردّوها - اي لا ترجموها - (ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٥٧).

٨ ـ قال ابن عباس: اذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها (طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٣٨).

٩ ـ عن عائشة «رضى الله عنها» وقد سئلت عن المسح على الخفين فقالت: إئت علياً فاسأله (ذخرى العقائب ص ٧٩).

ومن خلال ما تقدم فان علياً عليه السلام كان يمثل المرجع الاوحد في الامة الذي ترجع عليه كلما اشتبه عليها امر او لم تجد حلاً لمسألة ما مهما كانت حتى ان عمر ابن الخطاب كان يتعوّذ بالله من معضلة ليس فيها ابو الحسن (طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٤٩).

ولو قلّبنا التاريخ لما وجدنا شخصية علمية اوصلتها ثقتها بعلمها الى ان تقول "سلوني قبل ان تفقدوني" غير علي عليه السلام.

اما بالنسبة للحسنين عليهما السلام فأمرهما واضح كأبيهما والامة تعرفت مكانتهما العلمية والقيادية وقدراتهما الفذة التي شهد بها لهما رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها:

انتما الامامان ولامكما الشفاعة (نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤).

ومنها: انه صلى الله عليه وآله قال للحسين عليه السلام: انت سيد ابن سيد اخو سيد، وانت امام

بن امام اخو امام وانت حجة ابن حجة اخو حجة ابو حجج تسعة تاسعهم قائمهم (منهاج السنه لابن تميمة ج ٤ ص ٢٠٩).

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله في الامام الحسن عليه السلام: هو سيد شباب اهل الجنة وحجة الله على الامة، أمره امري، وقوله قولي، من تبعه فانه مني ومن عصاه فانه ليس مني. (اثبات الهداة ج ٥ ص ١٢٩).

ونعتقد ان هذا كاف لعكس مقامهما العلمي الفذ الذي كانا يتمتعان به، حيث وصفتهما الاحاديث على انهما امامان وحجتان، وقولهما قول الرسول صلى الله عليه وآله، واتباعهما اتباع له وعصيانهما عصيان له صلى الله عليه وآله هذا من ناحية. ومن ناحية اخرى فقد تصديا لقيادة الامة السياسية ايضاً، اذ بويع الإمام الحسن عليه السلام - بعد ان خلّفه ابوه في المسلمين - حيث بايعه اهل الكوفة والبصرة والحجاز واليمن وفارس وسائر المناطق التي تدين بالولاء والبيعة لابيه.

كما نصّت المادة الثانية من صلح الامام الحسن مع معاوية على ان يكون الامام للحسن من بعده، فان حدث به حدث فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية ان يعهد به الى احد (بحار الانوار ج ١٠ ص ١١٥).

الامر الذي يثبت ان معاوية نفسه كان يعرف مقامهما الشريف ومنزلتهما الفريدة في الامة على رغم جحوده لحقهما وسعيه لابعادهما عن مراتبهما، حيث انه كان يسعى للصلح مع الامام السبط ليعطي لنفسه الشرعيّة التي يفتقدها حتى تستتب له الامور وتجتمع اليه الناس، ومن ثم ينفذ مخططاته ومؤامراته لاستئصالهما «عليهماالسلام» والتخلص من وجودهما المبارك.

وبعد وفاة الامام الحسن عليه السلام اثر دس السم اليه من قبل معاوية كانت الامة تتطلع الى الامام الحسين عليه السلام وترجو قيادته لها، حيث ان معاوية واصحابه كانوا يدركون تلك الحقيقة، فعن موسى بن عقبة انه قال: لقد قيل لمعاوية إن الناس قد

رموا ابصارهم الى الحسين عليه السلام فلو امرته يصعد المنبر ويخطب فان فيه حصراً وفي لسانه كلالة فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن فلم يزل حتى عظم في اعين الناس وفضحنا، فلم يزالوا به حتى قال للحسين عليه السلام: يا ابا عبدالله لو صعدت المنبر فخطبت، فصعد المنبر، فحمدالله وأثنىٰ عليه وصلىٰ على النبي صلى الله عليه وآله، فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال له الحسين عليه السلام: نحن حزب الله الغالبون وعترة رسول الله الاقربون، واهل بيته الطيبون واحد الثقلين الذي جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعول علينا في تفسيره، لا يبطينا تأويله، بل نتبع حقايقه فأطيعونا فان طاعتنا مفروضة إن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة..) (الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٢٩٨).

وبالفعل فقد كانت الامة تحن للرجوع الى آل محمد صلى الله عليه وآله) وقيادتهم، وقد بايع الحسين الالاف من اهل الكوفة وغيرها من الامصار بعد ان وجهوا اليه كتبهم ورسلهم يطلبون تصديه للقيام بالامر، الاّ ان بطش الامويين وقساوتهم وتجبرهم اضعف رأي الامة وارجعها عن مرادها مرغمة حتى قتل سيدالشهداء بيد شر خلق الله مظلوماً عطشاناً غريباً.

اما بالنسبة لأئمة اهل البيت عليهم السلام من غير المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله، فبالاضافة الى الاحاديث النبوية التي وردت لتعريف الامة بهم وللتأكيد على علميتهم ومكانتهم في الامة، نسوق هنا بعض الادلة التي تؤكد وتثبت مرجعيتهم العلمية في الامة:

اولاً: تصرفهم في الامة بما يتناسب ومرجعيتهم العليا، وهذا التصرف يتفرع وفق المسؤولية الملقاة عليهم الى عدة فروع منها:

الف - الارشاد والدرس: حيث تبنوا عليهم السلام مهمّة تعليم الناس - وخاصة

طلبة العلم والمعرفة منهم - تعاليم الاسلام المختلفة من القرآن والحديث واجابة الاسئلة المتعلقة بأمور الدين، ونذكر هنا بعض الشواهد على ذلك وبما يخص كل واحد منهم عليهم السلام :

الامام علي بن الحسين عليه السلام : يعتبر الامام السجاد المؤسس الثاني للمدرسة الاسلامية بعد جده اميرالمؤمنين عليه السلام، حيث اتخذ منزله والمسجد النبوي مدرسة يزدحم فيها طلاب شتى العلوم والمعارف الاسلامية وذلك منذ عام ٦١ هـ بعد استشهاد والده الحسين عليه السلام حتى اخر ايام حياته سنة ٩٥ هـ اذا انشغل عليه السلام - مستغلاً انشغال الدولة باستبدادها واخماد الثورات التي تعاقبت بعد شهادة الحسين - بنشر العلم وبعث الثقافة والوعي وتهذيب الاخلاق، فكثر تلامذته والاخذون عنه حتى اصبح تلامذته فيما بعد بناة الحضارة الاسلامية.

لقد اخذ عنه علماء الحجاز ومن يأتي من البلاد ابان بن تغلب الكوفي، اسحق بن عبدالله المدني اسحق بن الفضل الشامي، اسرائيل بن غياث المكي، ايوب بن بكر الموصلي، ايوب بن تميمة البصري، بشر بن عقبة المدائني، ثابت بن دينار الثمالي (ابو حمزة)، جابر بن عبدالله الانصاري الصحابي المعروف، جعفر بن محمد الحضرمي، الحسن بن السري الكرخي، داود بن ابي هند السرخسي، زرارة ابن اعين، سلام بن ابي عمره الخراساني، سلمان بن خالد القمي، صالح بن سهل الهمداني، عمرو بن خالد الواسطي، يحيى بن ابي العلاء المرازي، يزيد بن محمد النيشابوري، احمد بن حنبل، وغيرهم كثير لا يمكن حصرهم في هذه العجالة ومن اراد المزيد فليراجع كتب السير والتاريخ يجد العجب العجاب، خاصة وان مطالعة الاسماء والمدن التي ينتمون اليها تجعل الانسان المنصف امام حقيقة لا تقبل الشك وهي ان علميته الفذة والمعروفة عند الامة جعلت طلاب العلوم والعلماء يتهافتون اليه من كل حدب وصوب ومن اقصى الديار الاسلامية.

ومن الطريق ما نقله باقر شريف القرشي في كتابه: الامام محمد الباقر: ان الامامين الباقر والصادق عليهما السلام كانا ينفقان على اصحابهما والدارسين عندهما مما يصل الىٰ ايديهما من اموال ويتعهدان شؤونهم ليتفرغوا للعلم، وهذا ما يدل على سعة الجامعة الاسلامية التي كانا قد أنشاها وطول المدة التي يقضيها الطلبة عندهما للتعليم.

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ان المدرسة التي انشأها الامام زين العابدين توسعت اكثر واكثر في زمان الامام الصادق عليه السلام بعد ابيه الباقر، حيث التحق بها جمع غفير من رواد العلم على اختلاف مشاربهم وميولهم وانتماءاتهم، حتى وصل عددهم الى اربعة الاف شخص فيهم كبار العلماء والمحدثين الذين اصبح قسم منهم رؤساء لبعض المذاهب الاسلامية، وقد اقبل اصحاب الامام على تدوين العلوم التي تلقوها واخذوها عن الامام عليه السلام فالّفوا في جميع الفنون والمعارف، اذا ألّف ابان بن تغلب (معاني القرآن) وكتاب (القرآن) والّف المفضل بن عمر كتاب (التوحيد) وألّف جابر بن حيان كتابين في علم الكيمياء ولم يقتصر الامام الصادق في ابحاثه ودروسه علىٰ بعض العلوم بل توسعت دروسه ومحاضراته حتى شملت كل اصول الادب والقيم الاجتماعية ومكارم الاخلاق والاصلاح الشامل في جميع المجالات.

ونتيجة لهذا التوسع في جامعة الصادق ورغبة الناس في التعلم وكثرة المتعلمين علىٰ يديه، فقد فتحت في كثير من الاقاليم فروع لمدرسة الامام عليه السلام واعظم تلك الفروع المعهد الذي اقيم في جامع الكوفة حيث التحق بهذا المعهد الكبير تسعمائة عالماً من كبار تلامذة الامام للتدريس فيه: (راجع كتاب المجالس السنية للسيد محسن الامين العاملي، الجلد الثاني - مدرسة الامام الصادق عليه السلام).

الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: على الرغم من الظروف الخانقة التي

فرضتها عليه حكومة المنصور، تابع عليه السلام رسالة آبائه في نشر العلم والحديث والاخلاق والدفاع عن الاسلام، وقد روىٰ عنه اصحابه الاف الاحاديث في مختلف العلوم والمواضع وكان من بين اصحابه يونس بن عبدالرحمن الذي ألّف ثلاثين كتاباً في مختلف المواضيع كما يقول الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست، ومحمد بن عمير الذي ألّف في الفقه، وصفوان بن يحيى الذي ألّف اكثر من ثلاثين مؤلفاً كما نص على ذلك الكشي والطوسي وابن النديم وغيرهم من المؤلفين في احوال الرواة، ومنهم عبدالله بن المغيرة البجلي واحمد بن عمرو المعروف بالبزنطي والحسن بن محبوب السراد.

وقد اشتهر غير هؤلاء جماعة من تلامذة الامام الكاظم عليه السلام ولكنهم لم يبلغوا مرتبة هؤلاء منهم صفوان الجمال وعبدالرحمن البجلي.

الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: جلس الامام عليه السلام للفتيا في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وعمره الشريف نيف وعشرون سنه، ونقل عن اليقطيني انه قال: لمّا اختلف الناس في امر ابي الحسن الرضا جمعت من مسائله مما سئل عنه عشرة آلاف مسألة (بحار الانوار ج ٤٩ ص ٩٧).

وقد كان لوجود التيارات الغريبة عن الامة كانت تهدف الى افساد وتشويه ثقافة المجتمع وضرب الاسلام باسمه من الداخل والتي كانت تغذيها وتتعهدها حركات سياسية متصلة باعداء الاسلام في الخارج، كان لها الاثر الكبير في اظهار علوم الامام نتيجة حواراته ومناظراته مع سائر الملل والمذاهب وتصديه لاهل الافكار المنحرفة بالحجة والبرهان، ولكثرة ما روي عنه عليه السلام أفرد له علماؤنا كتباً مثل ما فعل الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب عيون اخبار الرضا، ومن اراد فليراجع.

وهنا التفاتة يجب الانتباه اليها وهي انه عليه السلام قد تصدىٰ بنفسه لمناظرة اصحاب الملل والمذاهب والمنحرفين شعوراً منه بواجبه في حفظ الرسالة

باعتباره اعلم الامة في زمانه.

اما تلامذته ورواته فكثير نذكر بعضاً منهم على سبيل المثال: ابو الصلت الهروي، ابو هاشم الجعفري، صفوان بن يحيى، احمد بن ابي نصر البزنطي، ياسر مولى الامام، محمد بن ابي عباد، يزيد بن سليط، علي بن شعيب، عمران الصابي وغيرهم.

الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام: لقد وصل صلوات الله عليه الى مقام الامامة السامي بعد وفاة ابيه الرضا وعمره الشريف لا يتعدى التاسعة الامر الذي جعله اعجوبة الزمان لعلمه العجيب الذي تحيّرت به الالباب وسكتت امامه العلماء، بينما كان البعض اطمعه صغر سن الامام لتسخيف رأي الشيعة في الامامة من خلال تعجيزه بالاسئلة واظهار جهله الذي كانوا يتوهمونه - حاشاه عن ذلك -

ومن جملة ذلك محاولة يحيى بن اكثم اقحامه بعد ان اشغل ذهنه في اختيار مسألة يصعب على الامام الاجابة عليها - كما كان يتوقع - حيث سأله في حضرة المأمون العباسي وجمع فيه العلماء: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً؟ فقال ابو جعفر (الجواد): قتله في حلّ او حرم، عالماً كان المحرم او جاهلاً قتله عمداً او خطأً، حراً كان المحرم او عبداً، صغيراً كان او كبيراً، مبتدءاً بالقتل او معيداً، من ذوات الطير كان ام من غيرها، من صغار الطير ام من كبارها، مصرّاً على ما فعل او نادماً، في الليل كان قتله للصيد ام في النهار، محرماً كان بالعمرة اذ قتله او بالحج كان محرماً؟

فتحير يحيى بن اكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتى عرف جماعة اهل المجلس أمره، ثم اجاب عليه السلام على تلك الفروع وسأل يحيى سؤالاً فلم يستطيع جوابه (راجع حياة الامام لتجد التفاصيل).

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي كان يعيشها الامام الجواد تحت انظار

السلطة ومراقبتها الا انه بذل اقصىٰ الجهود لتربية وتعليم الناس حتىٰ وصل الحميري، ابو عمرو عثمان بن سعيد العمري، وكان هؤلاء من جملة كبار رجال الله ومن ابرز العلماء المتقين.

الامام الحجة بن الحسن المهدى عليه السلام: - وهو الامام المنتظر الذي سيخرج آخر الزمان فيملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً، وقد عاش سنيه الخمس في حياة ابيه مختفياً عن الانظار، ظهر بعد وفاة ابيه وصلىٰ عليه ثم غاب غيبته الاولىٰ وكانت اربعة وسبعين سنة، كان خلالها يلتقي بسفرائه الذين نصبهم الواحد تلو الاخر، يلتقي بهم ويجيب على مسائلهم وما يحتاجون اليه وكانوا يرونه رأي العين وربما رآه غيرهم، وكانوا ويصلون الى خدمته وتخرج على ايديهم توقيعات منه الى شيعته في اجوبة مسائل وامور شتى، وكان سفراؤه اربعة اولهم: ابو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري ثم ابو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري ثم القاسم بن روح بن ابي بحر النوبختي، واخيراً ابو الحسن علي بن محمد السمري، وبعد وفاة الاخير غاب الامام المهدي عليه السلام غيبته الكبرى، والسبب في غيبته سعي الحكام آنذاك لقتله، حيث كانوا يراقبون نساء أبيه - بواسطة نساء يعملن بامرهم - ليتعرفون على وجوده وهو جنين، الاّ ان الله اخفاه عنهم وافشل مساعيهم ليتم نوره ويكمل مسار شريعته.

اما علمه الشريف فيمكن اخذ صورة عن سعته وشموليته منه خلال الاحاديث التالية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ابشروا بالمهدي، رجل من قريش من عترتي ويخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجورا (كنز العمال ح ٣٨٦٥٤).

وعنه صلى الله عليه وآله ايضاً: لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الارض ظلماً وعدواناً ثم يخرج رجل من عترتي فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدوانا (كنز

العمال، ح ٣٨٦٩١).

وعنه ﷺ: لا تقوم الساعة حتىٰ يلي رجل من اهل بيتي يوطئ اسمه اسمي (كنز العمال، ح ٣٨٦٩٢).

ولا شك ان مسألة ملء الارض قسطاً وعدلاً ليست امراً متيسراً للبشر العاديين وبالمعرفة الميسرة لهم، بل لابد ان تكون هذه الشخصية الالهية تمتلك علوم كل شيء يحتاجه هذا الامر العظيم، وبذلك يكون هو المرجعية العليا لسكان الارض في امور دينهم ودنياهم.

ب - الطريقة والاسناد الذي يعتمدونه في تعاليمهم وفتاواهم وآرائهم، حيث كانوا عندما يتحدث ايٌّ منهم يقول: عن ابي عن جدي عن ابيه... حتىٰ يصل الاسناد الى الرسول ﷺ دون ان يدخلوا احداً غيرهم في طريق الاسناد وهذا ما يسمىٰ بالسلسلة الذهبية، ولو كانوا عليهم السلام يأخذون علومهم عن احد غيرهم لادخلوه في الاسناد وهذا دليل على انهم كانوا لا يرون مرجعية للامة غيرهم، واليك بعض الامثلة المنقولة عنهم عليهم الصلاة والسلام:

١ - قال الباقر عليه السلام: يا جابر انّا لو كنّا نحدثكم برأينا لكنّا من الهالكين. ولكنّا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله ﷺ كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم (جامع احاديث الشيعه ج ١ ص ١٤).

٢ - عن داود بن يزيد الاحول عن ابي عبدالله (الصادق) عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّا لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين لكنها آثار من رسول الله ﷺ، اصل علم نتوارثه كابر عن كابر نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم (نفس المصدر السابق).

٣ - عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما قالوا: سمعنا ابا عبدالله (الصادق) يقول: حديثي حديث ابي، وحديث ابي حديث جدي، وحديث جدي

حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث امير المؤمنين (علي) وحديث اميرالمؤمنين حديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله عز وجل (نفس المصدر ج ١ ص ١٢).

حـ - توصية بعضهم المتقدم الى البعض المتأخر وتعريف الشيعة بامامهم اللاحق من قبل الامام السابق ومن يريد التأكد يراجع ذلك في كتب السيرة، وهذا يدل على انهم الاعلم دون غيرهم، اما اذا اراد البعض ان لا يعتبر ذلك دليلاً ويبرر وصاياهم لبعضهم بمبررات اخرى، فنقول له ان ما تبرر به مهما كان لا ينسجم مع اذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من قبل الله تطهيراً.

ثانياً: نظرة الامة وعلمائها ورجالها لهم: سنقتصر هنا على ذكر مثال او مثالين لكل امام طلباً للاختصار:

روى المفيد بسنده عن ابي حازم وسفيان بن عيينه والزهري قال كل واحد منهما: ما رأيت هاشمياً افضل من علي بن الحسين ولا افقه منه.

ما رواه السبكي في طبقات الشافعية، من خبر عجز هشام بن عبدالملك من الوصول الى الحجر الاسود خلال طوافه حول البيت في بعض السنين، فجلس في ناحية ينتظر ان يخف الزحام وبينما هو كذلك اقبل الامام زين العابدين فانفرج له الناس سماطين ووقفوا له اجلالاً وتعظيماً حتى استلم الحجر وقبله والناس وقوف فلما مضى عادوا الى طوافهم، هذا وهشام واصحابه ينظرون، فالتفت احدهم متعجباً إلى هشام وسأله: من هذا؟ فقال لا أعرفه! مخافة ان يرغب فيه اهل الشام وكان الفرزدق الشاعر حاضراً فقال: انا أعرفه، هذا علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ثم انشد على البديهة:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلُّ والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

الى اخر ابياته.

* ما رواه المفيد بسنده عن عطاء المكي قال: ما رأيت العلماء عند احد قط اصغر منهم عند ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين ـ يعني الباقر ـ ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم بين يديه كانه صبي بين يدي معلّمه.

* عن ابن سعد في الطبقات قال: قال ابو يوسف قلت لابي حنيفة: لقيت محمد بن علي الباقر؟ فقال: نعم، وسألته يوماً فقلت له: أراد الله المعاصي؟ فقال: افيعصىٰ قهراً، قال ابو حنيفة فما رأيت جوابا افحم منه.

* قال الحسن بن زياد: سمعت ابا حنيفة وقد سئل عن افقه من رأيت قال: جعفر بن محمد (الصادق).

* قال ابن شهرآشوب في المناقب، قال مالك بن أنس ما رأت عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة.

* عن احمد بن حنبل انه لمّا روى عنه - اي الامام موسىٰ الكاظم عليه السلام - قال: حدثني موسىٰ بن جعفر قال حدثني ابي جعفر بن محمد وهكذا الى النبي صلى الله عليه وآله ثم قال احمد: وهذا اسناد لو قرئ على المجنون أفاق.

* ما رواه الصدوق وغيره عن ابراهيم بن العباس انه قال: ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء قط الاّ علمه ولا رأيت اعلم منه بما كان في الزمان الى وقته وعصره.

* يقول محمد بن الحسن بن عمار:

كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة وكنت أقمت عنده سنين اكتب عنه ما يسمع من اخيه - يعنى ابا الحسن الكاظم عليه السلام - اذ دخل عليه ابو جعفر محمد بن علي الرضا - يعني الجواد - عليه المسجد - مسجد الرسول صلى الله عليه وآله - فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبّل يده وعظّمه فقال له

ابو جعفر عليه السلام يا عم اجلس رحمك الله فقال: يا سيّدي كيف اجلس وانت قائم، فلما رجع علي بن جعفر الى مجلسه جعل اصحابه يوبخونه ويقولون: انت عم ابيه وانت تفعل به هذا الفعل؟ فقال اسكتوا اذا كان الله عز وجل - وقبض على لحيته - لم يؤهّل هذه الشيبة وأهّل هذا الفتىٰ ووضعه حيث وضعه، أأنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون، بل انا له عبد (الكافي ج ١ ص ٣٢٢).

* قال ابن الجوزي: (فبلّغه - المتوكل - مقام علي - بن محمد الهادي عليه السلام - بالمدينة وميل الناس اليه فخاف منه (سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص ص ٣٥٩).

* قال عبدالحي بن العماد الحنبلي عن صفات الامام الهادي: ابو الحسن علي بن محمد بن الرضا بن الكاظم موسى بن جعفر الصادق، العلوي الحسيني، المعروف الهادي، كان فقيها اماماً، متعبدا (شذرات الذهب ج ٣ ص ١٢٩).

* روىٰ الحسن بن محمد الاشعري ومحمد بن يحيى وغيرهما قالوا: كان احمد بن عبيدالله بن الخاقان على الضياع والخراج بقم فجرىٰ في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم وكان شديد النصب والانحراف عن اهل البيت عليهم السلام فقال: ما رأيت ولا عرفت بسر من رآىٰ رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا -أي الامام العسكري - في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند اهل بيته وبني هاشم كافة وتقديمهم اياه علىٰ ذوي السن منهم والخطر وكذلك كان حاله عند القواد والوزراء وعامة الناس.. (الارشاد للمفيد ص ٣١٨).

* اما الامام الحجة فلم يعش بين الامة لتعطي فيه رأيها ولكن احاديث النبي صلى الله عليه وآله عنه - التي ذكرناها سالفاً - تدل على علميته ومرجعيته وسموّ مقامه.

ثالثاً: رجوع حكام الجور اليهم في المهمات والمسائل المستعصية رغم عداء اولئك الحكام لهم «عليهم السلام»:

لقد ابتليت الامة الاسلامية بحكام جائرين وسلاطين سوء وانحراف في العصرين الاموي والعباسي، حوّلوا الخلافة الاسلامية الى ملك يرثه بعضهم عن بعض، الامر الذي جعل اهدافهم تنحصر بالامساك بالرئاسة وحفظ سلطانهم بأي ثمن، وان كانت النتيجة ان تحرم الامة من المعين العلمي الصافي الاصيل، الذي كان يمثله اهل بيت النبوة عليهم السلام، فبرز اناس لا يملكون مقومات الافتاء الشرعي هيأتهم تلك الحكومات لسد الفراغ الحاصل من تغيب الأئمة عليهم السلام ومضايقتهم وتحجيم دورهم الذي اراده الله لهم، وبذلك فقد فقدت الامة اهم عناصر صلاحها وضمان صحة وجهتها في الامور الافتائية والعقائدية، والفلسفية والتفسير والعلوم الاخرى.

ولكن بالرغم من كل الاجراءات التعسفية التي ووجه بها اهل البيت عليهم السلام بحيث تعرضوا للتشريد والسجن والقتل والمحاصرة والاقامات الجبرية سواء في بيوتهم او قرب مركز السلطة كما حدث بالنسبة للامام الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام - فقد ظهر من علومهم ما حافظ على الرسالة واستمرار بقائها.

اما اسباب هذا الحقد والعداء لاهل البيت عليهم السلام من قبل اولئك الحكام الظلمة فيرجع الى سببين رئيسيين. الاول: ان نشر الاحكام الصحيحة من قبل اهل البيت عليهم السلام واطلاع عامة الناس عليها يهدد مصالح الحكام ويحدد حريتهم في التلاعب بمقدرات الامة ويضيق عليهم ممارساتهم لرغباتهم ونزواتهم المحرّمة، في حين يريدون ان يطلقوا لانفسهم العناق ويمارسون لذائذهم بالشكل الذي يحلو لهم دون ان يعترض عليهم احد.

اما الثاني: فان شيوع المرجعية العلمية لاهل البيت عليهم السلام وحفظها لهم يؤدي بالطبع الى تزايد شعبيتهم وانقياد الامة لهم، الامر الذي يشعر الحكام بالرعب والخطر على سلطانهم، لانهم كانوا يرون فيهم اقوى المنافسين لهم في السلطان.

وبالرغم من كلّ هذا العداء والحذر الذي كان يطبع مواقف وتعامل اولئك الحكام مع الأئمة الاّ انهم كانوا يرجعون اليهم عندما يفتقدون الحيلة وتضطرب عليهم الامور ويعجز فقهاؤهم عن ايجاد مخرج او حل لمسألة ما. وهذا دليل وشاهد قوي على رضوخ الحكام امام علميتهم الفذّة ولا ابلغ من شهادة عدوواقراره لخصمه. وعلى سبيل المثال نذكر بعض الامثلة والادلّة على رجوع الحكام اليهم:

١ - عندما تحيّر عبدالملك بن مروان اثر تهديد قيصر الروم في ذلك الوقت. بان يضرب السكة الذهبية والفضيّة - التي تتداول في الدولة البيزنطية والاسلامية على حد سواء بشتم نبي الاسلام، قال عبدالملك: احسب انني اسوأ مولود حظاً في الاسلام حيث كنت السبب في ذلك - لانه امر بنقش شعار التوحيد (شهد الله انه لا اله الاّ هو) على الورق الذي يأتي من روما منقوشاً عليه شعار (الاب، الابن، الروح)، الامر الذي ازعج قيصر الروم ودعا عبدالملك الى ترك العلامة النصرانية على حالها والاّ سوف ينفذ تهديده المتقدم - واخذ - عبدالملك يشاور المسلمين فلم يجد عند احد منهم حيلة، فقال له احد الحاضرين: انك لتعرف المخرج من ذلك ولكنك تتعمد الاعراض عنه، فقال عبدالملك: ويحك ما هي الطريقة التي اعرضها؟ فاجابه الرجل: لابد لك ان تطلب حل هذه المشكلة عند باقر اهل البيت فصدّق عبد الملك قوله، وكتب الى والي المدينة ان اشخص الباقر الى الشام محترماً مكرماً، واستبقى مبعوث قيصر حتى وصل الامام وحدثوه بالموضوع فقال عليه السلام: ان تهديد قيصر لن ينفّذ والله سبحانه لن يتركه يفعل هذا الفعل، وطريق الحل سهل يسير ايضاً: اجمع اصحاب الصناعات وأمرهم بضرب السكك وليخطوا على احد وجهي العملة سورة التوحيد وعلى الوجه الاخر اسم النبي صلى الله عليه وآله وبهذا نستغني عن مسكوكات الروم.

ثم شرح الامام عليه السلام ما يتعلق بوزن السكك بحيث يكون وزن كل عشرة دراهم من الانواع الثلاثة للسكك (الذهبية والفضة والبرونزية) سبعة مثاقيل وامرهم بذكر اسم البلد - وتاريخ عام ضربها في تلك المسكوكات.

وبذلك انفرجت اسارير عبدالملك وفشلت تهديدات قيصر الروم. (المحاسن والمساوي، للبيهقي ج ٢ ص ٢٣٢).

٢ - يقول زرقان: رجع ابن ابي رؤاد (احد قضاة بغداد في عهد المأمون والواثق والمعتصم) ذات يوم وهو مغتم، فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم اني قد متّ منذ عشرين سنة، قلت له: ولم ذاك؟... قال: ان سارقاً اقرَّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة (المعتصم) تطهيره باقامة الحد، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن على (الجواد)، فسألنا عن القطع في اي موضع يجب ان يقطع؟ قال: فقلت: من الكرسوع (اي طرف الزند الذي يلي الخنصر الناتي وعند الرسغ).

قال: وما الحجة في ذلك؟ قلت: لان اليد هي الاصابع والكف الى الكرسوع لقول الله تعالى في التيمم: (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) واتفق معي في ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لان الله لمّا قال: (فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق) في الوضوء دل ذلك على ان حد اليد هو المرفق.

قال: فالتفت الى محمد بن على (الجواد) فقال: ما تقول في هذا يا ابا جعفر؟ فقال قد تكلم القوم فيه يا امير المؤمنين، قال: دعني مما تكلّموا به! اي شيء عندك؟ قال: اعفني عن هذا يا امير المؤمنين، قال: اقسمت عليك بالله لما اخبرت بما عندك.

فقال :اما اذا أقسمت عليّ بالله اني اقول انهم أخطأوا فيه السنّة، فان القطع يجب ان يكون من مفصل اصول الاصابع فيترك الكف (والمقصود قطع الاصابع الاربعة دون الابهام).

قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة اعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين واذا قطعت يده من الكرسوع او المرفق لم يبق يد له يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالىٰ ﴿*وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا*﴾ فأعجب المعتصم ذلك وامر بقطع يد السارق من مفصل الاصابع دون الكف (تفسير العياشي ج ١ ص ٣١٩).

ومن الجدير بالذكر ان هذه الحادثة كانت السبب في دس السم للامام بعد ان خوّف ابن دؤاد المعتصم من بقاء الامام وقد شاع هذا الخبر في الناس وغدا برهاناً للشيعة، وان نصف المسلمين يعتقدون بامامته، فدس اليه السم فقتله.

٣ - لمّا سُمَّ المتوكل، نذر لله إنْ يزرقه الله العافية ان يتصدق بمال كثير. فلمّا عوفي اختلف العلماء في مقداره، فقال له حاجبه، انا آتيك بالصواب، فما لي عندك؟ قال المتوكل: عشرة الاف درهم، والاّ ضربتك مائة مقرعة، قال رضيت، فأتىٰ ابا الحسن الهادي فسأله ذلك فقال: قل له: تتصدق بثمانين درهما.

ولمّا طلب المتوكل الدليل علىٰ ذلك، رجع الحاجب فسأل الامام فقال: ان الله قال لنبيّه (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) فعددنا مواطن رسول الله فبلغت ثمانين موطنا. (ابن الاثير ج ٧ ص ١٦٢ - ١٦٣).

وبهذا نكتفي هنا بهذه الاخبار الثلاثة ومن اراد المزيد عليه المراجعة في كتب التاريخ يجد مرامه وبغيته.

حكام الجور المعاصرين والعلماء:

لقد دأب حكام الجور المعاصرين دأب اسلافهم، فكرروا افعالهم اللئيمة وجرائمهم البشعه التي ارتكبوها ضد اكرم اهل بيت على الارض وهم اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

ولنفس الاسباب التي دعت الطغاة الاولين الى محاربة اهل البيت وتقتيلهم الواحد بعد الاخر والتي ذكرناها سابقاً، وقف طغاة اليوم وقفة لئيمة حاقدة ضد مراجع الامة اليوم ولضرب قواعد الاسلام الاساسية وقياداته العلمائية، تنفيذاً منهم لمخططات اعداء الاسلام من الشرق والغرب.

وقد كان العراق البلد الذي نفّذت فيه تلك المخططات والمؤامرات ضد الاسلام واهله باجلى صورها وابشع فصولها، ولو راجعنا مذكرات المسز بل المرأة التي رافقت الاحتلال البريطاني للعراق، لوجدنا ان حكومة البعث في هذا البلد وعلى رأسها المجرم صدام قد تلقت الاوامر بضرب الحوزة العلمية في النجف الاشرف من الدوائر الغربية وصارت يدها التي تنفذ لها ما تريد، حيث تقول المسز بل ما مضمونه ان اي نظام او حكومة تريد السيطرة على العراق لابد لها ان تفصل بين المرجعية والشعب ولما وجد النظام نفسه عاجزاً عن هذا الفصل الذي حاول تحقيقه بشتّى الوسائل عمد الى محاصرة المراجع والتضييق عليهم امثال السيد محسن الحكيم والسيد الخوئي والسيد السبزواري والسيد يوسف الحكيم قدس الله اسرارهم الطاهرة حتى ماتوا كمداً وحسرة وهم يشتكون ظلامتهم الى الله والآن كما يعيش السيد السيستاني والسيد محمد سعيد الحكيم حالة الحصار ايضاً كما عمد الى قتل بعض المراجع كالمفكر الكبير السيد محمد باقر الصدر (قده)والسيد محمّد محمد صادق الصدر (قده)، ومجموعة من العلماء والمجتهدين منهم اولاد سماحة المرجع السيد محسن الحكيم والسيد

حسن الشيرازي وغيرهم كثير.

كل ذلك من اجل السيطرة على الشعب العراقي الرافضي والذي يعيش الآن حالة غليان ثوري واسعة وشاملة ضد نظام صدام الذي اهلك الحرث والنسل واهدر طاقات الامة في حربين مدمرتين مع اخوة الدين والقومية.

فالشعب العراقي اليوم يستصرخ جميع اخوته في العروبة والاسلام من اجل الوقوف معه واسناده في حركته وثورته وتطلعاته وانقاذه من الوضع المأساوي الذي يعيشه بحيث عطّله عن القيام بمسؤولياته تجاه قضية الامة الاسلامية الكبرى فلسطين.

اهل البيت عليهم السلام المحور الامثل للوحدة الاسلامية:

بعدما بيّنا فيما تقدم وبشكل موجز المرجعية الاسلامية العليا لاهل البيت عليهم السلام والتي اثبتت حضورها الفاعل في الامة رغم كل الظروف الصعبة التي كانت تواجهها، وكما ذكرنا اراء علماء الامة بهم ومكانتهم السامية والمديح الذي كان يسمع مهم في كل مكان، بحيث تفردوا في وجاهتهم وحبهم في الامة، اذ أجمع الخاصة والعامة على تصدرهم في جميع العلوم والسلوك والكرم والشجاعة والبيان، فان الامة الاسلامية اليوم اذا ما ارادت ان تتوحد مذاهبها وافكارها وعقائدها بكلياتها وجزئياتها فسوف لن تجد محوراً مناسباً يجمعها غير حب اهل البيت واعتماد ارشاداتهم وتعاليمهم.

ولو عدنا الى حديث الثقلين الذي تقدم ذكره لتأكد لنا ذلك اكثر حيث قرنهم سيد المرسلين بالقرآن مبيناً انهم والقرآن المنجيان من الاختلاف والفرقة والضلال.

وما زالت كل الامة تعتمد القرآن فعليها ان تضيف الى معتمدها اهل

البيت عليهم السلام لتكتمل الهداية والصلاح والوحدة التي ارادها الله سبحانه لخلقه. وقد ذكرت سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بضعة النبي صلى الله عليه وآله هذا الامر المهم خلال خطبتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قالت: (وجعل اطاعتنا نظاماً للملّة وامامتنا اماناً من الفرقة).

فمعاً معاً الى اهل البيت النبوي الشريف لنلم بهم شملنا ونوحد بهم أمتنا ونجمع بهم فرقتنا ونربط بهم اجزاءنا، وكفى بنا فرقة واختلافاً وتجافيا، خاصة ونحن نعيش تحديات خطيرة ومؤامرات كبرى تستهدف ديننا ووجودنا ومقدراتنا وكرامتنا وها هي اللقيطة اسرائيل تنتهك مقدساتنا واعراضنا وتستبيح دماء اهلنا واشقائنا في فلسطين، حيث يتعرض هذا الشعب المكافح الى حملة ابادة شاملة يسقط خلالها يومياً اخوةً لنا مضرجين بدمائهم، وهم يستصرخوننا ويطالبوننا بالنهوض بمسؤولياتنا تجاههم لاجتثاث هذه الغدة السرطانية من جسد الوطن الاسلامي، وهذا ما لا نستطيع تحقيقة دون ان نتوحد فتتظافر الجهود ونكون كالجسد الواحد لنقول كلمتنا بقوة، عسى ان يوفقنا الله للقضاء على الصهاينة وقطع الايادي التي تقف من ورائها.

والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا وقائد مسيرتنا محمد وآله الطيبين الطاهرين المنتجبين.

* * *

عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه)

دوره في القضاء
في خلافة عمر بن الخطاب

أوّل محكمة تمييز
في دولة الإسلام

المحامي الشيخ مصطفى ملص
عضو تجمع العلماء المسلمين
المنية ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهمّ أنت المستعان وعليك الاتكال ولا حول ولا قوة الا بك يا رب العالمين.

الفصل الأول

العلاقة بين أهل بيت النبي ﷺ وبين أصحابه رضوان الله عليهم

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن مكة والتنافس بين أهلها:

قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بعدما أسس دولة الاسلام في الجزيرة العربية حيث المجتمع مجتمع قبائل وعشائر، فكما كانت بقية أرض الجزيرة العربية كذلك كانت مكة والمدينة وسواهما من الحواضر. قبائل وعشائر وعائلات عموماً متنافسة وأحياناً متحالفة، تبعاً لتقاطع المصالح أو تعارضها.

وفي مكة أم القرى أي القرية الرئيسية التي توازي في عرفنا اليوم العاصمة. حيث بالاضافة الى البيت الحرام، القرار الأهم والاقتصاد والسياسة وغير ذلك مما تتميز به العواصم عن سواها من البلدان، كانت قريش هي القبيلة المسيطرة التي لا

تنازع بما تتمتع به من مركز نفوذ وادارة للحرم وما يعنيه من مكانة دينية عند العرب، وأيضاً ما تتمتع به من سيطرة على تجارة الجزيرة العربية والروابط الاقتصادية مع كل من الشام واليمن وفارس والروم.

غير أن قريش القبيلة الواحدة كانت مقسمة الى عائلات وبطون وأفخاذ، فعند ظهور الاسلام واظهار النبى صلى الله عليه وآله وسلم لدعوته كان هناك هاشم وبنو عبد شمس وبنو عدى وبنو تيم وغيرهم، وكان هناك تنافس وسباق بين أهم هذه البطون والأفخاذ بنى هاشم وبنى عبد شمس. حيث كان كل طرف يسعى لأن تكون له الكلمة الأولى والامتياز الأهم فى مكة.

ومما يظهر من خلال سير العائلات فى مكة أن بنى عبد شمس كانوا يصارعون للتقدم على بنى هاشم الذين كما يبدوكانت الزعامة تنقاد اليهم انقياداً، لصفات تميزوا بها عن أقرانهم ولتاريخ آبائهم الموصوف بالجود والكرم والحمية والنجدة.

وظهر النبى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من بنى هاشم، ودعا الى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام وتوحيد القبائل العربية فى أمة واحدة تحمل الاسلام الى بقية العالم لتتكون بعد ذلك أمة الاسلام التى لا فضل فيها لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى، فكل الناس سواسية، وكل الناس عباد الله، وهذا بحد ذاته شكل نقضاً لما هو متعارف عليه فى مكة آنذاك حيث كان الناس قبائل متفاوتة وأحرار وموالى وسادة وعبيد. مما أدى الى قيام ردة فعل شديدة من قبل الذين رفضوا دعوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما اعتبروه من أنها تهدف الى اضعافهم والقضاء على مصالحهم وسيادتهم على بقية القبائل فى الجزيرة العربية.

وكان من نتيجة هذا التناقض بين دعوة الاسلام ومصالح المشركين ورفض

المجتمع القرشى بمعظمه للدعوة الجديدة، حيث لم يؤمن الا نفر قليل من الناس خلال ثلاث عشرة سنة من عمر الدعوة فى مكة، حصول الهجرة الى المدينة (يثرب) التى رغم تناقضات أهلها فيما بينهم ووجود أكثر من دين فيها استطاعت أن تحتضن دعوة الاسلام وأن تقيم أول مجتمع اسلامى تحول الى دولة منظمة بمقاييس ذلك العصر، ثم عاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى مكة فاتحا بعد سلسلة من المعارك والمواجهات انتهت بقتل معظم من سمّوا بالصناديد وهم كبار الرجال أو القادة المشركون. ودخل المسلمون مكة فاتحين وأظهر النبى صلى الله عليه وآله وسلم تسامحاً كبيراً اذ عفى عن معظم الذين حاربوه وآذوه وأخرجوه من بلده الا نفراً قليلاً أمر بالقضاء عليهم نظراً لما ارتكبوه من جرائم تشبه فى عصرنا الحاضر ما يسمى بجرائم الحرب.

دخل جميع أهل مكة فى الاسلام حيث وجدوا انه لا مناص من قبول الأمر الواقع وانضموا الى صفوف المسلمين. ولكن وكما يبدو فان ما كان من تنافس قبل الاسلام لم ينته بدخول الجميع فى الدين الجديد، اذ اعتبر البعض أن بنى هاشم قد انتصروا فى المواجهة وتمكنوا من اخضاع خصومهم، وهذا يعنى أن هؤلاء الخصوم أو بعضهم لم يفهموا روح الدين الاسلامى وحقيقة الدعوة الجديدة، وراحوا يتحينون الفرصة من أجل استعادة مكانتهم وازاحة منافسيهم.

ان هذه الصورة بالتأكيد تنطبق على البعض ولا تنطبق على الجميع، حيث إن أغلبية الناس من أهل مكة قد أسلموا وحسن اسلامهم. ولكن بعض التقاليد والأعراف ظلت كامنة الى حد ما فى بعض النفوس مما أثر فيما بعد على العلاقة مع أقرباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم وذريته من بعده.

المبحث الثاني: مكانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

حدد القرآن الكريم المكانة العظيمة للنبى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فهو القدوة والأسوة والمثل الذى ينبغى اتباعه. وهو صاحب القضاء النافذ والارادة العليا، ﴿*وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً بعيداً*﴾[1] ومن يرد قضاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر.

ولعل الميزة الأهم التى جعلها الاسلام للنبى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هى وجوب المحبة من قبل كل مؤمن ومؤمنة: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه التى بين جنبيه".

وهذه المحبة من الأمور الميسرة، فالناس مفطورون على محبة ما يحقق لهم ذاتهم ومصالحهم وما يريحهم وعلى محبة من يحبهم ويسعى فى سبيل أمنهم وراحتهم وضمان مستقبلهم.

واذا نظرنا الى شخصية النبى الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم نجده من خلال نفسيته وسيرته وأعماله وأقواله وعلاقاته بالآخرين. لا يحمل أى صفة من الصفات المنفرة التى ينفر الناس منها بالفطرة بل نراه يتمتع بكل الصفات التى تحببه الى الناس وتقربه الى القلوب وتجعل المحيطين به يتعلقون به أشد التعلق بل ويؤثرونه حتى على أنفسهم وأبنائهم وآبائهم: ﴿*قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره*﴾.

---

١ ـ سورة الأحزاب / الآية ٣٦.

وقد كان عليه الصلاة والسلام كما وصفه القرآن الكريم رقيقاً رحيماً بالناس لا يحب ما يشقيهم؛ ﴿*ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك*﴾[١]، ﴿*لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم*﴾[٢]، ﴿*محمّد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم*﴾[٣].

وهذه الصفات يذكرها القرآن الكريم أمام المؤمن بنبوة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأمام المنكر لها. ولو كانت غير موجودة فيه لقام من ينكر نبوته، مكذباً لذلك، ولكنهم لم يكذبوا هذه الصفات وانما رموه مرة بالجنون ومرة بالسحر وغير ذلك من الأمور التي لا مقاييس محددة لها.

فحب النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أو حب صفاته من الأمور الفطرية التي فطر عليها الانسان السليم العقل والحواس، والتي لا يمكن لانسان أن يُصرف عنها الا بحقد قديم دفين، أو عقد نفسية أو بمرض في النفوس أو القلوب أو الصدور.

لقد أحبّ المسلمون رسولهم ورضخوا لأمره واستجابوا له، ومع ذلك لم يكن عليه وعلى آله الصلاة والسلام ليستغل ذلك في جلب منفعة لنفسه أو لأحد أقربائه مهما كانت درجة قرابتهم منه. بل لم يكن يميز نفسه عن أحد منهم بأي متاع أو مكسب أو دنيا، بل كان يجافي الدنيا ويأمر أهله بمجافاتها.

حتى أن ابنته الحبيبة الى قلبه فاطمة الزهراء رضى الله عنها تطلب منه أن يأتيها بمن يخدمها ليخفف عنها بعضاً من تعبها، فاذا به يأمرها بالصبر والذكر

---

١ ـ سورة ال عمران / الآية ١٥٩.
٢ ـ سورة التوبة / الآية ١٢٨.
٣ ـ سورة الفتح / الآية ٢٩.

والتحمل.

وفى بعض المرات حينما كان يتصرف عليه الصلاة والسلام تصرفاً تخفى أبعاده على المحيطين به، فيبدون اعتراضاً أو استفهاماً أو استغراباً. كان جوابه لهم صلى الله عليه وآله وسلم ينزل على قلوبهم برداً وسلاماً ويزدادون له حباً وبه تعلقاً. كما حصل مع الأنصار بعد غزوة حنين حينما أعطى الغنائم للمكيين حديثي الاسلام ولم يعط الأنصار أصحاب الفضل والسبق فوجدوا فى أنفسهم عليه، فلما بين لهم الأمر. قالوا رضينا برسول الله قَسَماً.

ولقد بيّن لنا رب العزة جلّ وعزّ أن حبّ الله للناس مرتبط بحبهم لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعهم له فقال: ﴿*قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله*﴾[١].

وهكذا تكون العلاقة جدلية بين حب الناس لله وحبهم لرسوله وحب الله لهم، فبدون ذلك الحب ليس هناك ايمان واذا نقض من أى طرف من أطرافه سقطت المعادلة كلها.

المبحث الثالث: حب آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم :

وردت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة تفيد وجوب حب آل بيته وتقديرهم واحترامهم. ولقد ذكرالقرآن الكريم ان مودة قرابة النبى هى البدل الذى يطلبه عليه الصلاة والسلام؛ قال تعالى: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى*﴾[٢].

أما الأحاديث فمنها ما أورده الطبرى (محب الدين) فى كتابه ذخائر العقبى

---

١ ـ سورة آل عمران / الآية ٣١.

٢ ـ سورة الشورى / الآية ٢٣.

فى مناقب ذوى القربى:

١ ـ عن عبد العزيز باسناده أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من حفظنى فى أهل بيتى فقد اتخذ عند الله عهداً". أخرجه أبو سعيد والملا.

٢ ـ وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "استوصوا بأهل بيتى خيراً فانى أخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار"[١]. أخرجه أبو سعيد والملا فى سيرته.

٣ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لو أن رجلاً صف بين الركن والمقام، فصلى وصام لقى الله مبغضا لأهل بيت محمّد دخل النار"[٢]. أخرجه ابن السري.

٤ ـ عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أبغض أهل البيت فهو منافق". أخرجه أحمد فى المناقب.

٥ ـ عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يحبنا أهل البيت الا مؤمن تقى ولا يبغضنا الا منافق شقى"[٣]. أخرجه الملا.

٦ ـ عن على كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يرد الحوض أهل بيتى ومن أحبهم من أمتى كهاتين السبابتين"[٤]. أخرجه الملا. أ. هـ.

هذه النصوص التى أوردها محب الدين الطبرى فى كتابه الآنف الذكر ذخائر

---

١ ـ ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، محب الدين أحمد بن عبدالله الطبرى، ص١٨.
٢ ـ المصدر السابق، ص ١٨.
٣ ـ المصدر السابق، ص ١٨.
٤ ـ المصدر السابق، ص ١٨.

العقبى فى مناقب ذوى القربى. تدل على المكانة التى يجب أن تفرد لآل البيت عليهم السلام فى قلب كل مؤمن من الحب والتقدير والاحترام.

المبحث الرابع: كيف كان التعاطى مع أهل البيت عليهم السلام ؟

كان أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم محط احترام ومحبة وتقدير عند أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما الخلاف الذى نشب حول الخلافة وأحقية أمير المؤمنين بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو محض اختلاف فى الفهم والتأويل. فرغم كل النصوص التى تتحدث عن ولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب كحديث غدير خم الذى لم ينكر أحد وجوده وغيره من الأحاديث التى تبين مكانته عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا أنهم لم يفهموا منها وجوب توليته الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبغض النظر عن هذا الحدث التاريخى وأيهم كان أحق فى الفهم وأصوب فاننى أحب أن أتطرق الى مكانة أمير المؤمنين عند أقرانه من معاصريه لا سيما عند أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما.

فمن خلال الاطلاع على سيرة هؤلاء الرجال أنهم كانوا يكنون لبعضهم البعض كل الحب والتقدير والاحترام، وهذا لا يعنى عدم الاختلاف حول العديد من المسائل. ووجدت أن مكانة على بن أبى طالب عليه السلام هى مكانة الأعلم فيما بينهم وأنه من دون الناس كان يرجع اليه فى كل أمر مشكل وكل قضية ملتبسة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل انه الوحيد الذى نقل انه كان يملك صلاحية نقض أحكام الخلفاء الذين سبقوه، بما يملكه من علم وما يقدم من حجة وما يزيل من التباس.

وبالمقارنة مع ما هو كائن اليوم فقد كان على بن أبى طالب رضى الله عنه قبل توليه الخلافة يمثل ما تمثله اليوم محاكم التمييز التى تملك الحق فى ابرام الأحكام ونقضها.

المبحث الخامس: مكانته من رسول الله ﷺ :

دلت الأحاديث على مكانة أمير المؤمنين العظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقد خرج الترمذى فى صحيحه فى أبواب المناقب فى مناقب على بن أبى طالب كرم الله وجهه جملة من الأحاديث يستفاد منها مكانته من النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

فعن سعد بن أبى وقاص باسناده أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى: "أنت منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى"[1]. قال هذا حديث حسن صحيح.

وفى حديث طويل خرجه الترمذى فى صحيحه أيضا عن عمران بن حصين قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشا واستعمل عليهم على بن أبى طالب، فمضى فى السرية فأصاب جارية، فانكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا اذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرناه بما صنع على وكان المسلمون اذا رجعوا من السفر بدؤوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسلموا عليه ثم انصرفوا الى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله ألم تر لى على بن أبى طالب صنع كذا وكذا. فأعرض عنه رسول الله صلى الله

---

١ ـ عارضة الأحوذى، شرح صحيح الترمذى، باب مناقب على، ج ١٣، ص ١٧٥. وفى صحيح مسلم، ج ١٥، ص ١٦٩.

عليه وآله وسلم، ثم قام الثانى فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثلما قالوا، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والغضب يعرف فى وجهه فقال: ما تريدون من على، ما تريدون من على، ما تريدون من على، ان عليا منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن بعدى"[١].

وله أيضا من حديث أبى الطفيل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من كنت مولاه فعلى مولاه".

وجاء فى صحيح مسلم فى باب "من فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه" ما يلى:...عن سهل بن سعد قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: "اين على بن أبى طالب فقالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه، قال: فأرسلوا اليه، فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال على: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: أنفذ على رسلك حتى تنزل ساحتهم، ثم ادعهم الى الاسلام، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم"[٢].

وفى ذخائر العقبى ذكر الطبرى حديثا عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت أى الناس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟، قالت: فاطمة، فقيل

---

١ ـ المصدر السابق نفسه، ج ١٣، ص ١٦٤.

٢ ـ صحيح مسلم، ج ١٥، ص ١٧٣.

من الرجال قالت زوجها ان كان ما علمت صواما قواما[١]. خرجه الترمذى.

ونختم فى هذا العنوان بمؤاخاة النبى بين المهاجرين والأنصار ومؤاخاته مع على رضى الله عنه. ففى ذخائر العقبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه، فجاء على تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد. قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنت أخى فى الدنيا والآخرة"[٢].

وهكذا نجد مكانة على عند رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هى المكانة الأولى بين الرجال، حبا واختصاصا بالفضل والتقريب.

المبحث السادس: مكانته العلمية:

ذكر صاحب ذخائر العقبى أنه لم يكن أحد من الصحابة يقول سلونى غيره. وروى عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله يقول سلونى الا عليا. أخرجه أحمد فى المناقب والبغوى فى المعجم وأبو عمر ولفظه ما كان أحد من الناس يقول سلونى غير على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وعن أبى الطفيل قال: شهدت عليا يقول سلونى، فوالله لا تسالونى عن شىء الا أخبرتكم وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل. أخرجه أبو عمر[٣]. أ. هـ.

ان تصرف أمير المؤمنين هذا هو تصرف العالم الواثق من علمه، المستشعر لعظم المسؤولية فى تبليغ هذا العلم الذى استودعه، لذلك تراه الناس على السؤال

---

١ ـ ذخائر العقبى، ص ٦٢.

٢ ـ المصدر السابق، ص ٦٦.

٣ ـ ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، مجد الدين أحمد بن عبدالله الطبرى، ص ٨٣.

لأن العلم بين أمرين بين السؤال والجواب.

لكن ما هو مستند هذه الثقة العظيمة التى تمتع بها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ؟

ان مصدر هذه الثقة هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذى قال فيما رواه الترمذى بسنده عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنا دار الحكمة وعلى بابها"[١].

والذى قال لابنته فاطمة رضى الله عنها عندما دخل عليها وهى شاكية فقال كيف تجدينك؟ قالت لقد اشتدت فاقتى وطال سقمى. قال عبدالله بن أحمد بن حنبل وجدت بخط أبى فى هذا الحديث قال: أو ما ترضين انى زوجتك أكرمهم سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما[٢].

وهذه المكانة العلمية لم يكن أحد ينازعه اياها أو يدعى انه أكثر منه علما ولا مساويا له، فقد سلم له الجميع، حتى أن أحدهم كان اذا سئل عن مسألة أشكلت عليه طلب من السائل أن يسأل عنها على بن أبى طالب رضى الله عنه.

فعندما سئلت عائشة عن المسح على الخفين قالت للسائل ائت عليا فاسأله. (أخرجه مسلم)[٣].

وهذا ابن عباس حبر الأمة رضى الله عنهما يقول: والله لقد أعطى علىّ تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم فى العشر العاشر (أخرجه أبو عمر).

وأما خير شهادة فى أعلمية على بن أبى طالب فهى شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مارواه على رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

١ ـ عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى، ج ١٣، ص ١٧١.

٢ ـ ذخائر العقبى، ص ٧٨.

٣ ـ نفس المصدر، ص ٧٩.

وسلم: "ليهنك العلم أبا الحسن. لقد شربت العلم شربا ونهلته نهلا". أخرجه الرازى[١].

ان هذه المكانة قد أهلت عليا رضى الله عنه ليتبوأ دور العالم والفقيه الذى يرجع اليه فى كل أمر. بل والذى يملك حق المبادرة لتصويب الأحكام وبيان الحقائق. وتفنيد الحجج.

ولكننا مع ذلك نلاحظ أنه رغم تمتعه بكل تلك المميزات فانه لم يكن الشخص المرغوب فيه عند البعض، وكان يستبعد وينتقد من قبل أناس لا يساوونه قدرا ولا علما ولا نسبا. وقد شعر أن أصحابه قلة قليلة فأوثر عنه قوله الشهير: "ما ترك لى الحق صاحبا".

ولئن انطلقت الأقوال والاشاعات والمؤامرات ضد على رضى الله عنه فانه كان له فى رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم السند والمحامى والمدافع الذى لا شك لحظة واحدة فى أن عليا هو أعلم الناس وأصدق الناس وأتقى الناس.

لذلك كان قوله لمن اشتكوا اليه عمل على: "ماذا تريدون من على، ماذا تريدون من على ماذا تريدون من على ان عليا منى وأنا منه. وهو ولى كل مؤمن بعدى"[٢].

وكان يؤكد على حكمته: "أنا دار الحكمة وعلى بابها"[٣]، بل انه قال فيه ما لم يقله فى سواه.

فعن زر بن حبيش عن على قال: لقد عهد الى النبى الأمى صلى الله عليه وآله

---

١ ـ ذخائر العقبى، ص ٧٨.

٢ ـ عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى، ج ١٣، ص ١٦٥ (أبواب المناقب) للامام الحافظ ابن العربى المالكى.

٣ ـ المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٧١ (أبواب المناقب).

وسلم أنه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق..."[١].

ان الصراع الذى كان سائدا فى مكة قبل الاسلام لم ينته تماما مع مجىء الاسلام ودخول الناس فيه، فقد لعبت القبلية والعشائرية دورها فى عدم انزال على بن أبى طالب المنزلة التى يستحقها عند البعض. فقد صار على رضى الله عنه رمزا لبنى هاشم وهو المقدم فيهم والمبرز علما وورعا والمؤهل للقيادة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان هناك من يطمح ليستولى على هذه القيادة وينتزعها من بنى هاشم. فعمد الى معاداة على والكيد له.

ولعل السبب الأهم فى الجفاء وحتى البغض الذى لاقاه على رضى الله عنه هو بلاؤه فى الحروب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشدته على القوم.

فكل هذه العوامل ساهمت فى ذلك الجو من الاعراض الذى قوبل به على رضى الله عنه. وهو فى كل ذلك مظلوم فقد وضع الاسلام عليا فى مكانة عظيمة وكان همه الاسلام وكان أعدائه الدنيا ومتاعها.

ولعل القول الذى قاله أبو سفيان فى مجلس عثمان بن عفان رضى الله عنه عندما آلت اليه الخلافة عندما سألهم أفيكم أحد من غيركم؟ (أى من غير بني أمية) فقالوا لا. فقال تمسكوا بها وتلقفوها كالكرة...!

ان مثل هذا الكلام يدل دلالة واضحة على ما أشرنا اليه.

ولكن رغم كل ذلك فقد كان الناس محتاجين الى علم على وفقهه وحكمته وقضائه، ولم يكن هو يحتاج لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١ ـ المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٧٧ (أبواب المناقب).

الفصل الثانى

علي رضى الله عنه والقضاء

المبحث الأول: قضاؤه زمن النبي ﷺ :

القضاء بالاضافة الى أنه علم فهو موهبة من الله عز وجل. والمواهب خصائص يختص بها الله من يشاء من عباده. والعلم يغذى الموهبة ويعطيها أبعادا واسعة فكيف اذا اجتمع العلم والتقوى ومخافة الله عز وجل مع الموهبة، وكيف اذا اقترن كل ذلك بالمهابة.

لقد اجتمعت كل تلك الصفات فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فكان أعظم قاض عرفه الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخصية على رضى الله عنه فولاه القضاء وهو حديث السن.

فقد ورد عنه أنه قال: لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اليمن قاضيا وأنا حديث السن فقلت يا رسول الله تبعثنى الى قوم تكون بينهم أحداث ولا علم لى بالقضاء، قال: ان الله سيهدى لسانك ويثبت قلبك. قال: فما شككت فى قضاء بين اثنين. خرجه أحمد[1].

وقرر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن عليا رضى الله عنه هو أقضى هذه الأمة، فهو أقضى الأولين والآخرين فيها ولا يستطيع أحد أن ينازعه زعامة القضاء والبراعة فيه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فعن أنس رضى الله عنه أن النبى

---

١ ـ ذخائر العقبى، ص ٨٣.

صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أقضى أمتى على". أخرجه البغوى فى المصابيح الحسان[١].

وعن عمر رضى الله عنه قال:"أقضانا على". أخرجه السلفى.

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى رضى الله عنه: تخصم الناس بسبع ولا يحاجك أحد من قريش أنت أولهم ايمانا بالله، وأوفاهم بعهدالله وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم فى الرعية، وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند الله مزية. أخرجه الحاكم[٢].

فهل بعد هذا البيان النبوى قول لقائل، وهل بعد هذه الشهادة شهادة أعظم منها.

وقد جاءت الوقائع التى قضى فيها على بن أبى طالب بقضائه تدل على دقة التقدير النبوى لهذه الشخصية العظيمة فى مجال القضاء. كما فى غيره من المجالات التى زكاه فيها صلى الله عليه وآله وسلم.

ونذكر على سبيل المثال بعضا من قضائه رضى الله عنه زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

عن ابراهيم بن هاشم النوفلى عن السكونى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليا الى اليمن واذا زبية[٣] قد وقع فيها الأسد. فأصبح الناس ينظرون اليه ويتزاحمون ويتدافعون حول الزبية، فسقط رجل فى الزبية، وتعلق بالذى يليه، وتعلق الآخر بالآخر، حتى وقع فيها أربعة، فجرحهم الأسد، وتناول رجل الأسد بحربة فقتله، فأخرج القوم موتى، فانطلقت القبائل الى

---

١ ـ نفس المصدر، ص ٨٣.

٢ ـ نفس المصدر، ص ٨٣.

٣ ـ الزبية: حفرة تحفر ليقع فيها الأسد فيتم اصطياده.

قبيلة الرجل الأول الذى سقط وتعلق فوقه ثلاثة، فقالوا لهم: أدوا دية الثلاثة الذين أهلكهم صاحبكم، فلولا هو ما سقطوا فى الزبية، فقال أهل الأول: انما تعلق صاحبنا بواحد فنحن نؤدى ديته، واختلفوا حتى أرادوا القتال، فصرخ رجل منهم: أمير المؤمنين (على بن أبى طالب) عليه السلام وهو منهم غير بعيد فأتاهم ولامهم، وأظهر موجدة. وقال لهم: لا تقتلوا أنفسكم ورسول الله حى، وأنا بين أظهركم، فانكم تقتلون أكثر مما تختلفون فيه، فلما سمعوا ذلك منه استقاموا، فقال: انى قاض فيكم قضاء فان رضيتموه فهو نافذ، والا فهو حاجز بينكم، من جاوزه فلا حق له حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون هو أحق بالقضاء منى، فاصطلحوا على ذلك، فأمرهم أن يجمعوا دية تامة من القبائل الذين شهدوا الزبية، ونصف دية، وثلث دية، وربع دية، فأعطى أهل الأول ربع دية من أجل أنه هلك فوقه ثلاثة، وأعطى الذى يليه ثلث الدية من أجل أنه هلك فوقه اثنان، وأعطى الثالث نصف الدية من أجل أنه هلك فوقه واحد، وأعطى الرابع الدية تامة لأنه لم يهلك فوقه أحد، فمنهم من رضى ومنهم من كره، فقال لهم على تمسكوا بقضائى الى أن تأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون القاضى فيما بينكم، فوافوا رسول الله صلى الله عليه سلم بالموقف فثاروا اليه فحدثوه وحدثهم، فاحتبى يبرد عليه ثم قال: أنا أقضى بينكم ان شاء الله، فناداه رجل من القوم: ان على بن أبى طالب قد قضى بيننا، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ما هو؟ فأخبروه، فقال: هو كما قضى. فرضوا بذلك[1].

كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسا مع جماعة من أصحابه فجاءه خصمان، فقال أحدهما: يا رسول الله ان لى حمارا وان لهذا بقرة،

---

١ ـ راجع أعيان الشيعة الجزء الثانى ص ١٢٢، للامام السيد محسن الأمين.

وان بقرته قتلت حمارى. فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اقض بينهما يا على. فقال على لهما: أكانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدود والآخر مرسلا؟ فقال: كان الحمار مشدودا والبقرة مرسلة وصاحبها معها، فقال على: على صاحب البقرة ضمان الحمار. فأقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكمه، وأمضى قضاءه[1].

المبحث الثانى: درجة قضاء علي عليه السلام أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

عين أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى منصب القضاء زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وكان عليه السلام يدرك أن فصله فى أية قضية من القضايا لا يكون مبرما، لهذا نراه عندمايقضى فى مسألة فانه كان يخبر أطرافها بأن بامكانهم فى حال عدم قبولهم بالحكم الذى يصدره، مراجعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليتولى فصل القضية بنفسه.

فكأن عليا فى قضائه زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يشبه ما يسمى اليوم بمحكمة البداية التى تقبل أحكامها أو القضايا المعروضة أمامها النظر من قبل محكمة عليا.

فقد رأيناه عندما تصدى لقضية الأربعة الذين ماتوا فى مسألة زبية الأسد فى اليمن يعرض عليهم أن يقضى بينهم بقضائه، فان أعجبهم ما قضى به انفذوه وان لم يعجبهم كان هذا القضاء حاجزا بينهم حتى يرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقضى بينهم بقضائه الفصل والنهائى الذى لا يقبل المراجعة أبدا.

وكان بعض الناس لا يقبل بما يقضى به على رضى الله عنه، ويظن انه قد

---

١ ـ قضاء الامام على، لعلى محمد على دخيل، ص ٤٤.

حاف عليه بقضائه فكانوا يرفعون الأمر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فماذا كان موقف النبى من أقضية على رضى الله عنه ؟

من استقراء جميع القضايا التى قضى فيها على رضى الله عنه بحكمه وعرضها على رسول الله صلى‌الله عليه وآله وسلم لا نجد قضية واحدة رد فيها حكم على رضى الله عنه.

وفى مسألة القوم الذين وقع عليهم الحائط فقتلهم، وكان فيهم امرأة مملوكة وأخرى حرة، وللحرة طفل من حر، وللمملوكة طفل من مملوك ولم يعرف المملوك من الحر فقرع بينهما، وحكم بالحرية لمن خرج عليها سهمها وبالرقية لمن خرج عليها سهمها ثم أعتقه، وجعل مولاه مولاه (كذا) وحكم به فى ميراثهما بالحكم فى الحر ومولاه. فأمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا القضاء وصوبه (أى قال بصوابه)[1].

وهكذا فى عديد من القضايا كقضية الرجلين اللذين وقعا على جارية واختلفا على وليدها، وفى قضية البقرة التى قتلت حمارا وكان الحمار مشدودا والبقرة مرسلة فقضى بالضمان على صاحب البقرة لصاحب الحمار. وأيضا فى قضية الرجل الذى نفحه الفرس فمات.

وهكذا نجد أن دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اهد قلبه وسدد لسانه قد أتى ثمرته اطمئنانا من قبل عليّ الذى روى الحديث فقال: "ما شككت بعدها فى قضاء بين اثنين. فلم يخطئ على رضى الله عنه فى قضاء قضاه. وكأن القضاء كان عنده سليقة.

---

١ ـ قضاء الامام على، على محمد على دخيل، ص ٤٣.

المبحث الثالث: قضاؤه عليه السلام في عهد الخلفاء الذين سبقوه:

بوفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم والتحاقه بالرفيق الأعلى فى الجنة توقف وحى السماء، وصار العلم علما بالكتاب والسنة، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى رضى الله عنه: "أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى" فلا نبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو خاتم النبيين.

فمن كان أعلم الناس بالكتاب والسنة من بين أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟! انه بدون منازع على بن أبى طالب.

وهى منزلة أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنا دار الحكمة وعلى بابها"، وقال لابنته فاطمة كما مر معنا أنه زوجها بأعلمهم.

وقد ادعى علي هذه المنزلة، فكان يقول: سلونى.. سلونى.

ورغم كثرة أعدائه ومبغضيه فلم يتجرأ أحد على الاعتراض على دعواه أو الرد عليها حتى أن خصومه المباشرين كانوا اذا سئلوا عن مسائل وعجزوا عن الجواب كانوا يحيلون السائل على علي رضى الله عنه. فكان يجد الجواب الشافى.

بالاضافة الى ذلك فقد اعترف الجميع بأن عليا رضى الله عنه أقضى الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان عمر بن الخطاب يقول: "أقضانا على"[1].

ولقد كان قضاؤه فى عهد أبى بكر يسيرا فلم تنقل الروايات الا النزر اليسير وكذلك فى عهد عثمان بن عفان. ويبدو أن عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد حفل بالدور الأكبر لعلى رضى الله عنه لذلك سنركز على دوره القضائى فى عهد

---

١ ـ راجع كتاب ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى لمجد الدين أحمد بن عبدالله الطبرى. ص ٨٣.

عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

المبحث الرابع: قضاء علي عليه السلام في عهد عمر بن الخطاب

كنا قد أشرنا الى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه يتمتع بشخصية القاضى بكل أبعادها وهو ما لم يكن موجودا عند غيره، ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان عمر رضى الله عنه على ما هو معروف عنه من أنه الفاروق وأنه فرق الله به بين الحق والباطل، باسلامه ودفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير بارع فى القضاء فكان يصدر أحكاما على المتخاصمين فيها خلل كبير يدل على عدم دراية اما بالأصول، أصول التقاضى، واما بالنصوص التى يجب أن تطبق على القضية. وهذا لا ينتقص من شخصية عمر ولا من مكانته فليس مطلوبا من كل انسان أن يكون بارعا فى كل شىء وماهرا فى الأمور جميعا وملكات الأفراد تختلف من شخص لآخر وقد بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك عندما بين مهارات بعض أصحابه فقال ـ كما ورد معنا سابقا ـ "أقضاكم على" وفى حديث آخر رواه قتاده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ارحم أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرأهم أُبي ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيده بن الجراح"[1].

فكانت أقضيته هذه اذا التى وصلت الى على بن أبى طالب رضى الله عنه ردها، وبين وجوه الخلل فيها وأصدر فيها الحكم الصحيح المعلل. لأن عليا كان يعلل أحكامه. أى أنه يبين الوجوه التى استند اليها، والأسباب، والنصوص.

---

١ ـ عارضة الأحوذى ج ١٣، ص ٢٠٢ أبواب المناقب.

وكان عمر يظهر دائما اعجابه بما يقضى به على رضى الله عنهما، ويعترف بأعلميته وأهليته للقضاء، واشتهر عنه قوله: لا أبقانى الله لمعضلة لم يكن لها أبو الحسن[١]. وكان ينفذ أحكامه دون تردد.

وكان فى بعض الأحيان تعرض عليه قضايا فيمتنع عن النظر فيها ويرفعها الى على ليرى فيها رأيه. فقد نقل صاحب كتاب الأعيان عن القاضى نعمان فى شرح الأخبار عن أبى عثمان النهدى قال: جاء رجل الى عمر فقال انى طلقت امرأتى فى الشرك تطليقة وفى الاسلام تطليقتين فما ترى؟ فسكت عمر فقال له الرجل ما تقول. قال كما أنت حتى يجىء على بن أبى طالب، فجاء على فسأله، فقال: هدم الاسلام ما قبله هى عندك على واحدة[٢].

وذكر الطبرى فى ذخائر العقبى عن محمّد بن الزبير قال: دخلت مسجد دمشق فاذا أنا بشيخ قد التوت ترقوتاه من الكبر، فقلت يا شيخ من أدركت؟ قال عمر رضى الله عنه فقلت فما غزوت معه؟ قال: غزوت اليرموك. قلت فحدثنى شيئا سمعته. قال: خرجت مع فتية حجاجا فأصبنا بيض نعام وقد احرمنا فلما قضينا نسكنا ذكرنا ذلك لأمير المؤمنين عمر، فأدبر وقال اتبعونى حتى انتهى الى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضرب حجرة منها فأجابته امرأة فقال: أتم أبو حسن؟ قالت: لا. فمر فى المقتاة فأدبر وقال اتبعونى حتى انتهى اليه وهو يسوى التراب بيده فقال مرحبا يا أمير المؤمنين، فقال ان هؤلاء أصابوا بيض نعام وهم محرمون، فقال ألا أرسلت الى. قال أنا أحق باتيانك. قال يضربون الفحل فلائص أبكارا بعدد البيض فما نتج منها اهدوه. قال عمر: فان الابل تخدج. قال على والبيض يمرض. فلما أدبر قال عمر: اللهم لا تنزل بى شديدة الا وأبو الحسن الى

---

١ ـ أعيان الشيعة. ج ٢، ص ١٧٩.

٢ ـ المصدر السابق. ج ٢ ص ١٨٠.

جنبي[1].

وننقل جملة من المسائل التي عرضت على عمر رضي الله عنه فقضى ببعضها بحكمه ثم نقض على (رض) الحكم، أو ردها عمر مباشرة الى علي رضي الله عنه ليحكم فيها أو اختلف فيها وقضى فيها على بقضائه.

وهي كما نقلها صاحب كتاب أعيان الشيعة السيد محسن الأمين في كتابه:

١ ـ في مناقب ابن شهراشوب: انه أتي الى عمر برجل وامرأة قال لها الرجل: يا زانية. فقالت: أنت أزنى مني. فأمر بأن يجلدا، فقال علي: لا تعجلوا. على المرأة حدان حد لغربتها لأنها قذفته وحد لاقرارها على نفسها، وليس على الرجل شيء.

٢ ـ عن الرضا عليه السلام: "قضى أمير المؤمنين عليه السلام في محصنة فجر بها غلام صغير فأمر عمر ان ترجم فقال علي: لا يجب عليها الرجم انما يجب عليها الحد لأن الذي فجر بها ليس بمدرك.

٣ ـ ...أمر عمر برجل يمني محصن فجر بالمدينة أن يرجم، فقال علي: لا يجب عليه الرجم لأنه غائب عن أهله، انما يجب عليه الحد فقال عمر: لا أبقاني الله لمعضلة لم يكن لها ابو الحسن.

٤ ـ ما في عجائب أحكامه... عن أبي عبدالله عليه السلام: أتي عمر بامرأة تعلقت بأنصاري تهواه فلم تقدر على حيله، فصبت بياض البيض على ثيابها وجسمها ثم جاءت الى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين ان هذا أخذني في موضع كذا ففضحني فهم عمر أن يعاقب الأنصاري فقال: يا أمير المؤمنين تثبت في أمري فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى فنظر على الى بياض البيض على ثوبها فقال: ائتوني بماء مغلي فأمر بصبه على ذلك البياض، فاذا هو بياض البيض وأقرت المرأة

---

١ ـ ذخائر العقبى، ص ٨٢.

بذلك[١].

ومن هذه الأقضية ما أورده محب الدين الطبرى فى كتاب ذخائر العقبى عن عبدالله بن الحسن قال: دخل عليّ على عمر واذا امرأة حبلى تقاد ترجم قال ما شأن هذه قالت يذهبون بى يرجمونى فقال أمير المؤمنين لأى شيء ترجم؟ ان كان لك سلطان عليها فما لك سلطان على ما فى بطنها فقال عمر: كل أحد أفقه منى ثلاث مرات. فضمنها على حتى ولدت غلاما ثم ذهب بها اليه فرجمها[٢].

وعن زيد بن على عن أبيه عن جده قال: أتى عمر بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فأمر برجمها، فتلقاها على فقال: ما بال هذه، قالوا أمر عمر برجمها فردها على وقال: هذه سلطانك عليها فما سلطانك على ما فى بطنها، ولعلك انتهرتها أو أخفتها؟، قال: قد كان ذلك. قال: أو ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا حد على معترف بعد بلاء، انه من قيد أو حبس أو تهدد فلا اقرار له فخلى سبيلها[٣].

وعن أبى ظبيان قال: شهدت عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى بامرأة قد زنت فأمر برجمها فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم على فقال: ما لهذه؟ قالوا زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها على من أيديهم، فردهم، فرجعوا الى عمر فقالوا ردنا على قال: ما فعل هذا على الا لشيء فأرسل اليه فجاءه، فقال: ما لك رددت هؤلاء؟ قال: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المبتلى حتى يعقل؟" فقال: بلى. فقال: هذه مبتلاه بنى فلان، فلعله أتاها وهو بها، فقال عمر: لا أدرى: أنا أدرى، فترك

---

١ ـ كتاب أعيان الشيعة، ج ٢ ص ١٧٩.
٢ ـ ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، ص ٨١ ـ ٨٠.
٣ ـ ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، ص ٨١ ـ ٨٠.

رجمها[1].

المبحث الخامس: تصنيف دور علي عليه السلام :

ان هذا الدور الذى لعبه على بن أبى طالب رضى الله عنه طيلة عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى يستند الى ما تمتع به من شخصية تتميز بكل ما يجب أن يتميز به القاضى من سعة أفق وعلم ودراية بأصول التقاضى وبالفقه وبكتاب الله وسنة نبيه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو دور المرجع الأعلى فى القضاء، الذى له سلطة فوق سلطة الخليفة الذى يقر له دائما بهذه المرجعية ولا يمنعه شغله لا على منصب فى دولة الاسلام من أن ينتقل بنفسه الى حيث يكون على ليعرض عليه قضية أشكلت عليه أو أدرك أنه ليس بمستطاعه اصدار الحكم الصحيح فيها، فيطلب اليه أن يصدر حكمه فيها.

وعندما كان عمر رضى الله عنه يصدر أحكاما فى قضايا معينة وهو يظن أنه فصل فيها وفقا لكتاب الله وسنة نبيه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، كان على رضى الله عنه يملك سلطة التدخل ووقف تنفيذ الحكم الصادر عن الخليفة. ثم تعاد القضية الى المناقشة ليدلى فيها على برأيه وقضائه. وليكون ما يحكم به على رضى الله عنه هو الحكم النافذ. ولم يكن عمر بن الخطاب وهو الخليفة يجد أية غضاضة فى أن يتدخل على رضى الله عنه لنقض أحكامه وتغييرها. ذلك أن عمر رضى الله عنه كان يريد الوصول الى انفاذ أمر الله كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: "وأشدهم فى أمر الله عمر" وليس الى انفاذ أمره هو.

ولم ينكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه دور على بن أبى طالب ومكانته وكان يصرح دائما بفضله وعلمه ومكانته .

---

١ ـ المرجع نفسه.

الخاتمة :

هذا بحث متواضع أردت به أن أبين مكانة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عند أصحاب رسول الله ﷺ، والدور الكبير الذى لعبه على عهد الخليفة عمر بن الخطاب. وهو الدور الذى نستطيع أن نشبهه بالدور الذى تلعبه المحاكم العليا فى أيامنا هذا أو محاكم التمييز، فاذا شئنا أن نصف الدور القضائى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بأنه دور المرجع القضائى الأعلى فى الدولة الاسلامية فاذا قضى الآخرون فانه يملك أن يراجع أحكامهم وأن يصدر حكمه الذى يصبح حكما مبرما بمجرد أن يصدره، اذ انه يملك قدرة عظيمة على تعليق الأحكام وبيان الأوجه التى استند اليها والأدلة من الكتاب والسنة.

ولولا يكن على رضى الله عنه يحوز الثقة الكاملة بدينه وعلمه وقضائه لما احتل هذه المكانة العالية.

ولا يفوتنا هنا الاشارة الى الفتاوى التى كان يصدرها أمير المؤمنين فقد كانت فتواه لا تقل اصابة ودقة عن قضائه.

نعم لقد اختلفوا حول الخلافة ولمن ينبغى أن تكون، ولقد لعبت عوامل كثيرة دورها فى ابعاد على رضى الله عنه عن منصب الخليفة طيلة ثلاثة عهود.

منها عوامل متعلقة بذاته ومنها ما هو متعلق بتاريخة لا سيما بلائه فى المشركين مع رسول الله ﷺ ومنها ما هو عائد الى ما كان سائدا قبل الاسلام وهناك أمور أخرى لا مجال لذكرها.

لكنهم اتفقوا جميعا على أن عليا ﷺ هو الأعلم والأتقى والأشجع والأقضى، وأنه مرجع لا غنى عنه لأمة محمّد ﷺ وأنه صاحب خصال حميدة وتاريخ وسبق فى الاسلام كرم الله وجهه عن السجود لصنم ورغم أن عليا ﷺ لم يكن راضياً عن تولى سواه لمنصب الخلافة الا أنه كان يرى أن الاسلام هو الأصل

وأن الأهمية هى فى الأمة وحفظ دينها، لذلك تراه عندما يتهدد خطر الردة الاسلام يسارع لاعطاء البيعة، والمساهمة فى درءالخطر عن دولة الاسلام وأمته ودينه.

وتراه خير وزير ومعين ومشير لمن سبقه من الخلفاء لا يبخل عليهم برأى ولا بعلم ولا بقضاء ولا بنصيحة. كنصيحته لعمر بن الخطاب ﷺ بان لا يذهب بنفسه لحرب الروم، وان يبقى فى المدينة.

ان الرعيل الأول قد عرفوا كيف يتعاملون ويلتقون ويحصنون الاسلام ويحمونه ويوصلونه الينا اسلاما محمّديا أصيلا ولو اقتضى الأمر منهم بذل الدماء والنفوس والأرواح.

ان اهل بيت النبى أئمة هذه الأمة دون منازع ولكنهم ماحملوا سلاحا ولا شقوا عصا الطاعة على خليفة الا عندما انتهكت حرمات الله واستخف بدين الله فخرجوا ليحموا دين الله بأرواحهم وأريقت دماؤهم.

وأخيرا:

حبذا لو استطعنا أن ننظر الى ما كان من أمر المسلمين نظرة جديدة ومختلفة عما هو قائم منذ زمن بعيد. وأن نخرج من أنفاق العصبية المذهبية لندخل فى رحاب الاسلام الأصيل وأن نقرأ التاريخ بعيون ترى المواقف ولا تحكم على المسائل باتّباع الأهواء والشهوات، والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

مصطفىٰ ملص

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح مسلم.

٣ ـ عارضة الأحوذى، شرح صحيح الترمذى.

٤ ـ ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى. تأليف العلامة محب الدين أحمد ابن عبدالله الطبرى.

٥ ـ كتاب أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين.

٦ ـ قضاء على بن ابي طالب، تأليف على محمّد على دخيل.

المحتوىٰ

الفصل الاول: العلاقة بين اهل البيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه رضوان الله عليهم.

المبحث الاول: لمحة تاريخية عن مكه والتنافس بين أهلها.

المبحث الثانى: مكانة النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

المبحث الثالث: حب آل محمّد صلى الله وآله وسلم.

المبحث الرابع: كيف كان التعاطى مع أهل البيت سلام الله عليهم.

المبحث الخامس: مكانته من رسول الله صلى عليه وآله.

المبحث السادس مكانته العلمية.

الفصل الثانى: على رضى الله عنه والقضاء.

المبحث الاول: قضاوه زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

المبحث الثانى: درجة قضاء على رضى الله عنه ايام النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

المبحث الثالث: فى عهد الخلفاء الذين سبقوه رضى الله عنهم.

المبحث الرابع: قضاء على رضى الله عنه فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

المبحث الخامس: تصنيف دور على رضى الله عنه.

الخاتمة.

المراجع.

المحتوىٰ.

أهل البيت عليهم السلام
والمرجعية العلمية للأُمّة الإسلامية

شذى الخفاجي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، وبعد:

جاءت الرسالة الاسلامية الخاتمة لهداية الانسان وتحريره من جميع ألوان الانحراف في فكره وعاطفته وسلوكه، وتحريره من ضلال الأوهام وظلمة الخرافات، وتحريره من الانسياق وراء الشهوات والمطامع، وتحرير سلوكه من الرذيلة والانحراف الخلقي؛ بتهيئة العقول والقلوب للتلقي والاستجابة للمنهج الالهي المرسوم، واستتباعها بالعمل الايجابي ـ وفق المفاهيم والقيم الالهية الثابتة ـ الذي يترجم الآراء والنصوص إلى مشاعر وعواطف وأعمال وممارسات وعلاقات متجسدة في الواقع.

وهداية الانسان تعني تغيير محتواه الداخلي في عقله وقلبه وارادته لينسجم مع المنهج الالهي في الحياة، ويكون فكره وعاطفته وسلوكه وحدة واحدة لا ازدواجية فيها ولا تناقض، ومهمة الهداية تحتاج إلى مرجعية علمية لها اطلاع شامل ومتكامل على أسس وقواعد المنهج الالهي بجميع أبعاده ومجالاته. لتكون ميزاناً ومعياراً توزن به الافكار والعواطف والممارسات؛ لمعرفة قربها وبعدها عن تلك الاسس والقواعد، وهذه المرجعية العلمية تجسدت في أهل البيت عليهم السلام لأنهم تلقوا العلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو المرجع العلمي الوحيد بعد القرآن

الكريم، وتلقي هذا العلم ابن عن أب عن جد عن رسول الله ﷺ جعل أهل البيت عليهم السلام مناراً هادياً للتصورات وللممارسات الميدانية وكما قال رسول الله ﷺ: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالّين»[١].

ومرجعية أهل البيت عليهم السلام العلمية موضع اتفاق من قبل المسلمين جميعاً، فمن الناحية النظرية فالأحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ تؤكد على هذه المرجعية، ومن الناحية العملية كان أهل البيت عليهم السلام مرجعاً لجميع معاصريهم بما في ذلك بعض ائمة المذاهب والكثير من الفقهاء.

والدلالة على مرجعيتهم العلمية واضحة من خلال الحديث التالي: «انّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

وقد ورد هذا الحديث بصيغ مختلفة تشترك في مضمون واحد[٢].

ومن الطبيعي ان يكونوا مرجعاً علمياً للامة الاسلامية لتلقيهم العلوم من منبعها الأساسي، من رسول الله ﷺ ومن ابيهم عليّ بن أبي طالب مدينة علم الرسول ﷺ كما جاء في الروايات.

وفي بحثنا نتطرق إلى بعض خصائص هذه المرجعية العلمية من حيث ذاتياتها وآراء المعاصرين لها اضافة إلى المراجعة الميدانية لها من قبل الفقهاء والعلماء من مختلف المذاهب.

---

١ ـ الصواعق المحرقة: ٢٣١.

٢ ـ مسند أحمد ٣: ٣٩٤، سنن الترمذي ٥: ٦٦٣، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣.

مرجعية الإمام علي عليه السلام العلمية

إنّ المرجعية العلمية مسؤولية عظيمة في حركة الامم التكاملية لتحقيق الهداية والصلاح في الحياة، وخصوصاً في الامة الاسلامية السائرة نحو اقرار المنهج الالهي في واقع الحياة، ولذا فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتوقف عن الاعداد لهذه المرجعية، فكان يستثمر جميع الفرص المتاحة لهذا الاعداد اضافة إلى توجيه انظار الصحابة إلى هذه المرجعية، فقد أخذ الإمام عليّ العلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكان اكثر الصحابة اختصاصاً به وهو القائل: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة... ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امّه، يرفع لي في كلّ يوم من اخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به»[١].

وسئل: مالك أكثر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً فقال: «انّي كنت إذا سألته انبأني وإذا سكتّ ابتدأني»[٢].

وقد أشاد رسول الله صلى الله عليه وآله بمرجعية عليّ عليه السلام العلمية في اكثر من موضع وفيما يلي نذكر بعضاً من أقواله صلى الله عليه وآله:

«انا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[٣].

«انا دار الحكمة وعليّ بابها»[٤].

«علي عيبة علمي»[٥].

---

١ ـ نهج البلاغة: ٣٠٠.

٢ ـ الطبقات الكبرىٰ ٢: ٣٣، الصواعق المحرقة: ١٨٩.

٣ ـ كفاية الطالب: ٢٢١.

٤ ـ الصواعق المحرقة: ١٨٩.

٥ ـ مختصر تاريخ دمشق ١٨:١٨

«قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فاعطي علي تسعة اجزاء والناس جزءاً واحداً»[١].

«أعلم بالسنة والقضاء بعدي عليّ بن أبي طالب»[٢].

واشار الإمام علي عليه السلام الى أعلميته التي استقاها من المنهل الاساسي والمصدر الأول وهو رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول:

«علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب كل باب يفتح ألف باب»[٣] «كنت أدخل على رسول الله ليلاً ونهاراً، وكنت إذا سألته أجابني وان سكت ابتدأني، وما نزلت عليه آية إلاّ قرأتها، وعلمت تفسيرها وتأويلها»[٤].

«والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت! انّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً»[٥].

«انّ في صدري هذا لعلماً جمّاً علّمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله ولو أجد له حفظة يرعونه حقّ رعايته ويروونه عنّي كما يسمعون منّي اذاً لأودعتهم بعضه»[٦].

ومرجعية الإمام علي عليه السلام العلمية لم تأت من فراغ وانما من دراسة مستفيضة تلقاها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتلقاها رسول الله صلى الله عليه وآله عن الوحي، ولهذا فلا غرابة إذا ترقى علمه ليكون عالماً بالكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم، وممّا جاء في قوله ـ وهو الصادق ـ «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وأهل

---

١ ـ حلية الأولياء ١: ٦٥.
٢ ـ بحار الانوار: ٤٠: ١٥٠.
٣ ـ مختصر تاريخ دمشق ١٨: ١٨.
٤ ـ م . ن ١٨ : ١٨.
٥ ـ الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٨.
٦ ـ بحار الانوار ٤٠: ١٢٩.

الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم»[١].

وقد اعترف الصحابة بأعلميته وبمرجعيته من خلال معايشتهم له واطلاعهم على علمه وعلى دوره في الحكم على الافكار والقضايا والأحداث، وهذا الاعتراف شهادة واقعية على هذه المرجعية.

الخليفة الثاني: (عليّ أعلم الناس بما أنزل الله على محمد)[٢].

أم المؤمنين عائشة: (عليّ اعلم الناس بالسنة)[٣].

عبدالله بن مسعود: (انّ القرآن انزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلاّ له ظهر وبطن وانّ عليّ ابن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن)[٤].

عبدالله بن عبّاس: (كنّا نتحدث انّ النبي صلى الله عليه وآله عهد إلى علي سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره).

وقال: «إذا حدّثنا ثقة عن عليّ بفتيا لا نعدوها»[٥].

وفي مجال القضاء كان عليّ أقضى الامة بشهادة الخليفة الثاني حيث يقول: (عليّ اقضانا)[٦].

وقد روى ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال: «أقضى هذه الامة عليّ»[٧].

وبأعلميته اعترف الشعبي وهو القائل: (ما كان احد من هذه الامة أعلم بما

---

١ ـ تذكرة الخواص: ٢٥، فرائد السمطين ١: ٣٣٩، شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٨٣.
٢ ـ شواهد التنزيل ١: ٣٠.
٣ ـ مختصر تاريخ دمشق ١٨: ٢٦.
٤ ـ فرائد السمطين ١: ٣٥٥.
٥ ـ الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٨.
٦ ـ المناقب للخوارزمي: ٤٧، الصواعق المحرقة: ١٩٥، تاريخ الخلفاء: ١٣٥.
٧ ـ المناقب: ٤١.

بين اللوحين وبما انزل على محمد من عليّ)[١].

وفي مرجعيته العلمية قال ابن أبي الحديد المدائني: قد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الالهي، لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتدأ فانّ المعتزلة تلامذته وأصحابه ... والاشعرية ينتهون باخرةٍ إلى استاذ المعتزلة ومعلّمهم، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الامامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم: علم الفقه؛ وهو عليه السلام اصله وأساسه، وكلّ فقيه في الاسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه؛ اما اصحاب ابي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما، فأخذوا عن ابي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه ايضاً إلي أبي حنيفة؛ وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام وينتهي الأمر إلى عليّ عليه السلام، واما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبدالله بن عبّاس، وقرأ عبدالله بن عبّاس على عليّ بن أبي طالب.

وايضاً فانّ فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطاب وعبدالله بن عبّاس، وكلاهما أخذ عن عليّ عليه السلام أما ابن عبّاس، فظاهر، وأمّا عمر فقد عرف كل احدٍ رجوعه إليه في كثير من المسائل التي اشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة...

ومن العلوم: علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرّع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك؛ لأنّ اكثره عنه وعن عبدالله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وانّه تلميذه وخريجه. وقيل له: اين

---

١ ـ شواهد التنزيل ١: ٣٠.

علمك من علم ابن عمّك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط...)[١].

رجوع الصحابة إلى الامام علي عليه السلام..

من الوقائع المشهورة رجوع الصحابة إلي الإمام علي عليه السلام والأخذ برأيه في أغلب مجالات العلم والمعرفة وفي الفقه والقضاء، وكانوا سرعان ما يتركون رايهم أو حكمهم لرأيه وحكمه ايماناً منهم بأعلميته، ولا يجدون حرجاً في رجوعهم إليه، فقد (كان ابو بكر وعمر يشاورانه ويرجعان إلى رأيه، وكان كل الصحابة مفتقراً إلى علمه)[٢].

فقد كان الخليفة الأوّل إذا نزل به امر دعا جمع الصحابة وعلى رأسهم عليّ بن أبي طالب واستشارهم في الأمر[٣].

وكان إذا عجز عن الاجابة على بعض المسائل دعا علياً عليه السلام فأجابه عنها، فمثلاً سأله اليهود عن مسائل متعددة فحوّل الجواب إلى عليّ فأجابهم[٤].

واستشاره في شارب خمرٍ ادعى أنّه شربها ولم يعلم بالتحريم، فأجابه الامام عليه السلام بما ينسجم مع قواعد الشريعة، فخلى ابو بكر سبيله ولم يحدّه[٥].

ورجع الخليفة الثاني لرأيه في مجالات عديدة، فقد استشاره في عقوبة شارب الخمر، فقال له: أرى أن تجلده ثمانين[٦].

ودعا عمر امرأة لما بلغه عنها أمر مريب فأرتاعت وسقط جنينها، فقال له

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ١، ١٧، ١٨.
٢ ـ المنتظم ٥: ٦٨.
٣ ـ كنز العمّال ٥: ٦٢٧.
٤ ـ ذخائر العقبى: ٨٠.
٥ ـ مناقب آل ابي طالب ٢: ٣٩٧.
٦ ـ تاريخ المدينة المنورة ٢: ٧٣٢.

عليّ عليه السلام: «أما المأثم فأرجو أن يكون محطوطاً عنك وأرىٰ عليك الدية»[١].

ورجع إلى رايه في عدم رجم امرأة اعترفت بالفجور، فقال له: ما بال سلطانك على ما في بطنها[٢].

وترك رأيه إلى راي عليّ عليه السلام في أحكام وقضايا عديدة ومنها[٣]:

امرأة أجهدها العطش فمرت على راعٍ فاستسقته فأبىٰ إلاّ أن تمكنه من نفسها ففعلت، فقال عليّ: هي مضطرة إلى ذلك فخل سبيلها، ففعل.

امرأة مجنونة أراد رجمها فانتزعها عليّ من ايديهم، وقال: هذه مبتلاة فلعله أتاها وهو بها، فترك عمر رجمها.

وأراد رجم امرأة ولدت لستة اشهر، فقال عليّ:«انّ الله عزّوجلّ وعلا يقول: ﴿*وحمله وفصاله ثلاثون شهراً*﴾ وقال تعالى: ﴿*وفصاله في عامين*﴾» فالحمل ستة اشهر والفصال في عامين، فترك رجمها.

ورجع إلى رأيه في أمور كثيرة في الفقه والقضاء وفي قسمة بعض الأموال، وفي أمور خطيرة عبّر عنها بالهلاك، وقد اعترف بدور عليّ في انقاذه من الهلاك حيث يقول:

(لولا علي لهلك عمر).

(اعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن).

(لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن).

(اللّم لا تنزل بي شديدة إلاّ وأبو الحسن إلىٰ جنبي)[٤].

---

١ ـ اعلام الموقعين ١: ٢١٥، ابن قيم الجوزي، دار الجيل، بيروت.

٢ ـ ذخائر العقبىٰ: ٨١.

٣ ـ ذخائر العقبىٰ: ٨١، ٨٣.

٤ ـ فرائد السمطين ١: ٣٤٤، الطبقات الكبرىٰ ٣: ٣٣٩، تاريخ الخلفاء: ١٧١، ذخائر العقبىٰ:

وقال في حقّه تقديماً له على غيره: (لا يفتينّ احد في المسجد وعليّ حاضر)[١].

وكان الخليفة الثالث يرجع إليه في الكثير من الأحكام والقضايا، وكان إذا جاءه الخصمان قال لاحدهما اذهب ادع علياً، وقال للآخر: اذهب فادع طلحة والزبير... فان قالوا ما يوافق رأيه أمضاه وإلاّ نظر فيه بعد[٢].

ويشير عليه بالحكم الأصوب فيأخذ برأيه[٣].

ومن سيرة عليّ عليه السلام استنبط الفقهاء أحكام عديدة، ومن ذلك استنباط أحكام البغاة من وقعة الجمل وصفين[٤].

وعليّ هو القائل: «سلوني عن طرق السماوات فانّي أعرف بها من طرق الأرضين، ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً».

وحول هذا الحديث قال سعيد بن المسيّب: (لم يكن أحد من أصحاب رسول الله يقولها إلاّ عليّ بن ابي طالب»[٥].

مرجعية الامامين الحسن والحسين عليهما السلام العلمية

وردت روايات متواترة ومستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وآله تنص على التمسك بالكتاب والعترة الطاهرة ومنها:

قوله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي أحدهما اعظم

٨٢.

١ ـ شرح نهج البلاغة ١ : ١٨.

٢ ـ السنن الكبرىٰ ١٠: ١١٢.

٣ ـ الموطأ ٢: ٨٢٥.

٤ ـ تذكرة الخواص: ٣٩.

٥ ـ تذكرة الخواص: ٣٤، ٣٥.

من الآخر: كتاب الله... وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتّى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[١].

والتسمك يدل دلالة واضحة على مرجعيتهم العلمية، فرسول الله ﷺ لا يأمر بالتمسك بمن لا يتصف بالعلم والمعرفة والادراك، وهنالك دلالة واضحة في كثير من الروايات.

ومنها: قوله ﷺ: «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح... من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[٢].

والنجاة المتحققة بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام والاقتداء بهم والأخذ بتعاليمهم تعني أنّهم مرجعية علمية للمسلمين، وبهذه الصفة هم ملاك النجاة، والدعوة للاقتداء باهل البيت عليهم السلام مع عدم اتصافهم بالمرجعية العلمية تغرير بالقبيح وهو محال على رسول الله ﷺ.

والمقصود بأهل البيت عليهم السلام هم أهل بيت رسول الله ﷺ وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين كما دلت على ذلك الروايات المستفيضة، وكما ورد في تفسير آية التطهير[٣].

وفي الواقع العملي كان الحسن والحسين مهوىٰ افئدة المسلمين وكانا مرجعين لعموم المسلمين ولخصوص الفقهاء والعلماء.

فكان الحسن عليه السلام يجلس في مسجد رسول الله ﷺ ويجتمع الناس حوله

---

١ ـ سنن الترمذي ٥: ٦٦٣.

٢ ـ المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٥١، مجمع الزوائد ٩: ١٦٨.

٣ ـ جامع البيان ٢٢: ٦؛ الدر المنثور ٦: ٦٠٣.

ولمزيد الاطلاع مراجعة كتاب: أهل البيت، اصدار مؤسسة البلاغ، الملاحق رقم ١، ٢، استفيدت من مئات المصادر.

فيتكلم بما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج المجادلين[١].

وقد وصفه وأخاه الحسين الخليفة الثالث قائلاً: فطموا العلم فطماً وحازوا الخير والحكمة[٢].

واستفتىٰ اعرابي عبدالله بن الزبير وعمرو بن عثمان، فأشارا عليه بالحسن والحسين[٣].

كتب إليه الحسن البصري: (أما بعد فانّكم معشر بني هاشم الفلك الجارية، واللجج الغامرة والاعلام الشاهرة، أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون ونجا فيها المسلمون»[٤].

وقال عنه الحافظ إسماعيل بن كثير: (أحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي ارائهم)[٥].

وقال خير الدين الزركلي: (كان عاقلاً حليماً محباً للخير فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهة، وكان معاوية يوصي أصحابه باجتناب محاورة رجلين هما: الحسن بن عليّ وعبدالله بن عبّاس، لقوة بداهتهما)[٦].

وقد تتلمذ على يديه اكثر من ٥٠ فقيهاً وعالماً[٧].

وحدث عنه المئات من الصحابة والتابعين، ومنهم عائشة أم المؤمنين كما

---

١ ـ الفصول المهمة: ١٥٥، نور الابصار: ١٧٣.
٢ ـ الخصال: ١: ١٣٦.
٣ ـ عوالم الامام الحسن ١٦: ٩٨.
٤ ـ تحف العقول: ١٦٦.
٥ ـ البداية والنهاية ٨: ١٦.
٦ ـ الاعلام ١: ٢٣٠.
٧ ـ جنات الخلود: ٢٠.

هو مدون في كتب التاريخ والتراجم[١].

وأمّا الحسين عليه السلام فكان أفضل أهل زمانه في العلم والمعرفة بالكتاب والسنة[٢].

فقد تلقى العلم عن أبيه وعن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يحدث عنهما وعن امّه فاطمة عليها السلام.

قال عنه الخليفة الثاني: فانّما انبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم[٣].

وقال عنه محمد بن الحنفية: انّ الحسين اعلمنا علماً واثقلنا حلماً[٤].

ووصفه يزيد بن مسعود النهشلي قائلاً: ذوالشرف الأصيل والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف[٥].

وكان الإمام عليّ عليه السلام يوجّه السائلين اليه ليجيبهم على اسئلتهم في مختلف جوانب العلم والمعرفة[٦].

مرجعية الإمام علي بن الحسين عليه السلام

تلقى العلم عن أبيه وعن عمّه الإمام الحسن عليه السلام، وكان يحدث عنهما وعن جده عليّ عليه السلام وعن فاطمة الزهراء عليها السلام وعن أم سلمة وصفيّة.

قال ابو بكر بن أبي شيبة: أصحّ الاسانيد كلّها: الزهري عن عليّ بن الحسين

---

١ ـ سير اعلام النبلاء ٣: ٢٤٦، ترجمة الامام الحسن من تاريخ دمشق: ١٦٥.
٢ ـ الكواكب الدرية ١: ٥٨.
٣ ـ الاصابة ١: ٣٣٣.
٤ ـ بحار الانوار ١٠: ١٤٠.
٥ ـ اعيان الشيعة: ٤: ١٩٥.
٦ ـ معاني الاخبار: ٤٠١.

عن أبيه عن عليّ[١].

وكان مرجعاً لكثير من الفقهاء والعلماء المعاصرين له، وقد اعترف عبدالملك بن مروان باعلميته ومرجعيته العلمية قائلاً: انّك لذوفضل عظيم على أهل بيتك، وذوي عصرك، ولقد أوتيت من العلم والدين والورع، ما لم يؤته أحد مثلك قبلك إلاّ من مضىٰ من سلفك[٢].

وفيما يلي نستعرض ما قيل في علمه وفقهه وافضليته:

الزهري: ما رأيت قرشياً افضل من علي بن الحسين.

ابو حازم المدني: ما رأيت هاشمياً أفقه من عليّ بن الحسين.

الذهبي: كان له جلالة عجيبة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للامامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله[٣].

سعيد بن المسيب: ما رأيت قط أفضل من عليّ بن الحسين، وما رأيته قط إلاّ مقت نفسي[٤].

شهاب الدين النويري: وكان رحمه الله ثقة ورعاً مأموناً كثير الحديث من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة[٥].

ابن حجر الهيثمي: خلف اباه علماً وزهداً وعبادة[٦].

وكان له الدور الاكبر في رد الالحاد والزندقة والافكار الضالة، وكانت له ردود على الانحراف الفكري والعقائدي كالغلو والتجسيم والتفويض، وله ردود

---

١ ـ سير اعلام النبلاء ٤: ٣٩١، تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٩.

٢ ـ المدخل إلى موسوعة العتبات المقدسة: ١٩٥.

٣ ـ سير اعلام النبلاء ٤: ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٨.

٤ ـ تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٠٣.

٥ ـ نهاية الارب ٢١: ٣٢٤.

٦ ـ الصواعق المحرقة: ٣٠٢.

على شطحات بعض فرق المتصوفة والفلاسفة والمتكلمين، وله مناظرات لكشف الدس والتزييف الذي ادخل على الاسلام، وله مناظرات مع علماء عصره في مسائل العقائد والفقه والاصول.

وكانت له آراء لمعالجة الازمات التي يمر بها المسلمون كالأزمة السياسية والاجتماعية والخلقية وغيرها من الأزمات. استقدمه عبدالملك بن مروان يستشيره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب فيه من أمر السكّة وطراز القراطيس[١].

عبّر عنه ابو الفضل الالوسي برئيس العارفين ثم ذكر شعره الذي جاء فيه:

انّي لاكتم من علمي جواهره ... كيلا يرىٰ الحق ذو جهل فيفتننا
فرب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي: أنت ممّن يعبد الوثنا[٢].

حدث عنه ابنه محمد الباقر عليه السلام وزيد، وعبدالله بن الحسين، والزهري، وعمرو بن دينار، وعشرات الفقهاء والرواة.

ومن تتبع ادعيته المجموعة في كتاب الصحيفة السجادية وجدها زاخرة بالعلوم المتنوعة وفي جميع المجالات اضافة إلى تراثه العلمي في كتب الحديث والسيرة.

مرجعية الإمام محمّد الباقر عليه السلام

سمي بالباقر؛ لأنه بقر العلم، أيّ: شقّه فعرف أصله وخفيه[٣]، وتوسع فيه[٤]،

---

١ ـ مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٢٣٠.
٢ ـ روح المعاني ٦: ١٩٠.
٣ ـ الوافي بالوفيات ٤: ١٠٢.

وسمي كذلك لبقره العلوم واستنباطه الحكم، وكان عارفاً بالخطرات معرضاً عن الجدال والخصومات[٥].

وقد اعترف بعض معاصريه بمرجعيته العلمية للفقهاء وعموم الناس، وفي ذلك قال عبدالله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحدٍ أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه متعلم[٦].

وقال محمد بن المنكدر: ما رأيت أحداً يفضل على عليّ بن الحسين حتّى رأيت ابنه محمداً أردت ان اعظه فوعظني.وقد اعترف بهذه المرجعية جمع من الرواة والمحدثين ومن كتبوا في علم الرجال ومنهم: الذهبي: جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة، وكان أهلاً للخلافة[٧].

صلاح الدين الصفدي: جمع العلم والفقه والديانة والثقة والسؤدد، وكان يصلح للخلافة[٨].

ابن حجر الهيثمي: أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف، ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة[٩].

واعترف الحاكم الاموي هشام بن عبدالملك بمرجعيته العامة فقال له: يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك[١٠].

٤ـ مرآة الجنان ١: ١٩٤.
٥ـ البداية والنهاية ٩: ٣٠٩.
٦ـ مختصر تاريخ دمشق ٢٣: ٧٩.
٧ـ سير أعلام النبلاء ٤: ٤٠٢.
٨ـ الوافي بالوفيات ٤: ١٠٢.
٩ـ الصواعق المحرقة: ٣٠٤.
١٠ـ دلائل الامامة: ١٠٥.

وقال المنصور العباسي: لو حدثني أهل الأرض كلهم ما قبلت منهم، ولكنّه محمد بن عليّ.

وفي الواقع العملي كان مرجعاً للفقهاء والعلماء من بقايا الصحابة والتابعين، فقد روي انّ جابر بن عبدالله الانصاري على شيخوخته كان يأتيه ويتعلم منه ويقول: يا باقر لقد اوتيت الحكم صبياً[١].

وقال قتادة فقيه أهل البصرة: لقد جلست بين يدي الفقهاء وأمام ابن عباس فما اضطرب قلبي من أي أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك[٢].

وفي حوار بين الإمام الباقر والإمام ابي حنيفة ذكره الشيخ محمد ابو زهرة ثم علّق عليه بالقول: ومن هذا نتبيّن امامة الباقر للعلماء يحاسبهم على ما يبدر منهم وكأنّه الرئيس يحاكم مرءوسيه ليحملهم على الجادة، وهم يقبلون طائعين تلك الرئاسة[٣].

وقد حدث عنه جملة من الفقهاء والعلماء ومنهم: ابناؤه، وعطاء بن أبي رباح، وعمروبن دينار، والزهري، وربيعة الرأي، والاعمش، والاوزاعي، وابن جريج.

وقد روي عنه أخبار المبتدأ، وأخبار الانبياء، وكتب عنه المغازي وآثروا عنه السنن، واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله ﷺ وكتبوا عنه تفسير القرآن. وروت عنه الخاصة والعامة الاخبار، وناظر من كان يرد عليه من أهل الاراء، وحفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام[٤].

---

١ ـ علل الشرايع: ٢٣٤.
٢ ـ اثبات الهداة ٥: ١٧٦.
٣ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٦٨٩.
٤ ـ الارشاد: ٢٦٤.

وسئل عن الحديث يرسله ولا يسنده فقال: إذا حدثت بالحديث فلم أسنده، فسندي فيه ابي زين العابدين عن ابيه الحسين الشهيد عن ابيه علي بن ابي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عزّ وجلّ[١].

وهو الذي اخبر المنصور بملك الأرض شرقها وغربها وطول مدته، وقال: وليلعبنّ بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالكرة[٢].

وكانت له مواقف حاسمة من أصحاب الضلالة كالزنادقة والغلاة والمجسمة والمفوضة.

مرجعية الامام جعفر الصادق عليه السلام

الإمام جعفر الصادق نتاج قرن كامل من العظائم يحني لها الوجود البشري هاماته ويدين بحضارته... فاتح العالم الفكري الجديد.

وهو شجرة باسقة تترعرع في كل ورقة من أوراقها خصيصة من خصائص أهل البيت في عصر جديد للعلم، تعاونت فيه اجيال ثلاثة متتابعة منه ومن أبيه وجده[٣].

وكانت داره جامعة كبيرة تموج بالحكماء وأهل العلم يجيب على اسئلتهم ويحل مشاكلهم، دون التفات إلى نحلهم ومذاهبهم أو فرقهم ومقاصدهم، وقد جمع أصحابه المتقربون اليه دروسهم في أربعمائة كتاب وسموها الاصول الأربعمائة[٤].

---

١ ـ إعلام الورى: ٢٩٤.
٢ ـ الصواعق المحرقة: ٣٠٧.
٣ ـ الامام جعفر الصادق: ٤، ٦٣، المستشار عبدالحليم الجندي.
٤ ـ ائمتنا ١: ٤٢٠.

وعد الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في المقالات والديانات فكانوا أربعة آلاف رجل[١].

وله كلام في صناعة الكيمياء، وكان تلميذه جابر بن حيان قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة[٢].

وقد شهد له الرواة والباحثون والمؤلفون بالعلم والمعرفة، وفيما يلي نستعرض أقوال بعض منهم:

اليافعي: السيد الجليل سليل النبوة ومعدن الفتوة، وانّما لقب بالصادق لصدقة في مقالته، وله كلام نفيس في علوم التوحيد وغيرها[٣].

كمال الدين محمد بن طلحة: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذوعلوم جمة.... يتتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحر جواهره[٤].

ابن حجر الهيثمي: نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان[٥].

محمد أمين السويدي: كان بين اخوته خليفة أبيه ووصيه نقل عنه من العلوم ما لم ينقل عن غيره[٦].

روى عنه اولاده، وفقهاء عصره وائمة المذاهب ومنهم: مالك بن أنس، وأبو حنيفة، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، ومعاوية بن عمّار، ويحيى بن سعيد الانصاري.

---

١ ـ الارشاد: ٢٧١.
٢ ـ وفيات الأعيان ١: ٣٢٧.
٣ ـ مرآة الجنان ١: ٣٠٤.
٤ ـ كشف الغمة ٢: ١٥٤.
٥ ـ الصواعق المحرقة: ٣٠٥.
٦ ـ سبائك الذهب: ٧٤.

قال عنه محمد ابو زهرة: كان له فضل الاستاذية على أبي حنيفة ومالك، فحسبه ذلك فضلاً، ولا يمكن أن يؤخر عن نقص، ولا يقدّم غيره عليه عن فضل، فهو ممن جمع الله تعالى له الشرف الذاتي والشرف الاضافي[١].

وكان استاذاً لسفيان الثوري وكان يقول له: لا أقوم حتى تحدثني[٢].

وكان ابو حنيفة يقول: لولا السنتان لهلك النعمان[٣].

وقال أيضاً: ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد... فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها: كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون: كذا وكذا، ونحن نقول: كذا وكذا... ثم قال ابو حنيفة: اليس قد روينا أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس[٤].

واعترافاً منه بهذه المرجعية سئل مرة: إذا قيل عن البعض انّه وقف ماله للامام فمن يكون المستحق؟ فقال: يكون المستحق جعفر الصادق، لأنّه هو الإمام بالحق.

وكانت هذه الفتوى منه سبباً لنقمة العباسيين عليه وانزالهم به بعض المظالم[٥].

وكان الامام مالك قد تلقى العلم منه في اوقات معينة، وكان يقول: لقد اختلفت اليه زماناً... وكان من العلماء والعباد والزهاد الذين يخشون الله... وجعل يعدد فضائله وما رآه من فضائل غيره من اشياخه في خبر طويل[٦].

---

١ ـ الإمام الصادق: ٣.
٢ ـ سير أعلام النبلاء ٦: ٢٦١.
٣ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٧٠٢.
٤ ـ سير أعلام النبلاء ٦: ٢٥٨.
٥ ـ تاريخ العلويين: ٢٠٠، محمّد أمين غالب.
٦ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٣٩٧.

ولكنّه لم يرو عنه في ايام بني امية حتّى ظهر أمر بني العباس، وكان لا يروي عنه حتى يضمه إلى آخر[١].

وكان مرجعاً في حماية العقيدة من التيارات العقائدية والفلسفية والالحادية، وكانت له مواقف حاسمة من الغلاة والزنادقة والوضاعين، وهو الذي فتح باب التخصص في العلوم.

مرجعية بقية الائمة عليهم السلام

في عصر الإمام موسى الكاظم عليه السلام انتشرت التيارات والمذاهب الفلسفية والعقائدية والاجتهادات الفقهية ومدارس التفسير والرواية، وتوسعت دائرة الالحاد والزندقة والغلو، ودخلت علوم جديدة في استنباط الاحكام كالمنطق والفلسفة والكلام وعلوم اللغة، ورويت الاحاديث المدسوسة والاخبار الكاذبة.

وفي هذه الاجواء كان الإمام الكاظم عليه السلام مرجعاً وملاذاً للتصدي للانحراف العقائدي والفكري، حيث اغنى الامة بالرواية الصحيحة والحديث والتفسير السليم، وكان لطلابه الدور الاساسي في مواجهة الانحراف، فقد بلغ عدد الرواة الذين رووا عنه اكثر من ثلاثمائة.

وقد ركز عليه السلام على المصادر الاساسية للفكر والتشريع في مواجهته للتيارات المنحرفة أو المتأثرة بغير المنهج الاسلامي.

وقد اعترف حكام زمانه بهذه المرجعية واوجسوا منها خيفة لأنّها ستكون مرجعية عامة تتجاوز العلم إلى غيره، فقال له هارون العباسي حين رآه جالساً عند الكعبة: أنت الذي تبايعك الناس سرّاً؟ فقال: أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم[٢].

---

١ ـ تهذيب التهذيب ٢: ٨٨.

٢ ـ الصواعق المحرقة: ٣٠٩.

وكان أهل المدينة يسمونه زين المجتهدين[١].

وقد اعترف الرواة والمؤلفون في السيرة والرجال بغزارة علمه ودوره في نشر العلم والمعرفة ومنهم:

الذهبي: كان صالحاً عالماً عابداً متألهاً[٢].

جمال الدين الاتابكي: يدعى بالعبد الصالح لعبادته، وبالكاظم وكان سيّداً عالماً فاضلاً سنيّاً جواداً ممدحاً مجاب الدعوة[٣].

ابن حجر الهيثمي: وارث أبيه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سمّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم واسخاهم[٤].

ابن الصباغ المالكي: اقترع قبة الشرف وعلاها وسما إلى أوج المزايا فبلغ أعلاها وذللت له كواهل السيادة وامتطاها وحكم في غنائم المجد فاختار صفياها فاصطفاها[٥].

وخلّف الكاظم عليه السلام ابنه علياً الرضا عليه السلام فكان كأبيه في خصائصه وكان أعلم أهل زمانه في أجواء ازدياد عدد العلماء والفقهاء والفلاسفة، وقد نشط البحث والتأليف والتدوين وتصنيف العلوم والمعارف، ونشأت المدارس والتيارات الفلسفية والفكرية، وكان الإمام علي الرضا عليه السلام يتقدم العلماء في مناظراته مع المفسرين والفلاسفة وعلماء الكلام، وكانت له ردود على الزنادقة

---

١ ـ الارشاد: ٢٩٨.
٢ ـ تاريخ الاسلام: ٤١٧.
٣ ـ النجوم الزاهرة ٢: ١٢٢.
٤ ـ الصواعق المحرقة: ٣٠٧.
٥ ـ الفصول المهمة: ٢٣٢.

والغلاة استطاع من خلالها تحجيم أفكارهم وشبهاتهم.

وقد جمع له المأمون العباسي علماء سائر الملل والأديان مثل: الجاثليق، ورأس الجالوت، ورؤساء الصابئين، وأصحاب زرادشت، ونسطاس الرومي، فسألوه فقطعهم واحداً بعد واحد[١].

وكتب الرسالة الذهبية إلى المأمون فكتبها بماء الذهب، وهي رسالة شاملة لجميع أسس الاسلام من الحلال والحرام والفرائض والسنن.

ويقول محمد بن عيسى اليقطيني: لما اختلف الناس في امر أبي الحسن الرضا عليه السلام جمعت من مسائله مما سئل عنه وأجاب عنه خمس عشرة الف مسألة[٢].

استقبله في نيسابور عشرون الفاً من الفقهاء والعلماء والرواة وأصحاب الحديث[٣].

وانّ من أسباب تقريبه من قبل المأمون وجعله ولياً للعهد هو كونه مرجعاً علمياً للامة وهذه المرجعية هي الاساس في مرجعيته الاجتماعية والسياسية.

ونكتفي بنقل آراء ثلاثة من الباحثين في حقّه:

يوسف بن إسماعيل النبهاني: أحد اكابر الائمة ومصابيح الأمة، من أهل بيت النبوة، ومعادن العلم والعرفان والكرم والفتوة، كان عظيم القدر مشهور الذكر وله كرامات كثيرة[٤].

جمال الدين الاتابكي: كان إماماً عالماً سيد بني هاشم في زمانه وأجلّهم،

---

١ ـ مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٨٠.

٢ ـ الغيبة: ٧٣، الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف ـ قم ـ ١٤١١ هـ

٣ ـ الصواعق المحرقة: ٣١٠.

٤ ـ جامع كرامات الاولياء ٢: ٢٥٦.

وكان المأمون يعظّمه ويبجله ويخضع له ويتغالى فيه حتى إنّه جعله وليّ عهده من بعده[١].

الذهبي: كان عليّ الرضا كبير الشأن، أهلاً للخلافة[٢].

وكان الإمام محمد الجواد عليه السلام على صغر سنّه مرجعاً علمياً للكثير من الفقهاء والعلماء على مختلف مذاهبهم، ففي احد مواسم الحج اجتمع من فقهاء بغداد والامصار ثمانون ليشاهدوه ويتعلموا من علمه[٣].

ولمقامه العلمي اختاره المأمون كما ورد في قوله: أما أبو جعفر محمد بن عليّ فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه والاعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا أنّ الرأي ما رأيت فيه[٤].

وفي مجلس ضم الإمام الجواد وعدداً من الفقهاء من مذاهب متنوعة ابدى كل منهم رأيه في أحد المسائل القضائية، فترك المعتصم العباسي اراءهم وأخذ برأي الامام الجواد عليه السلام، وفي ذلك قال ابن ابي داود للمعتصم: (وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الامة بامامته، ويدّعون أنّه اولىٰ منه بمقامه ثمّ يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء)[٥].

وكانت له محاورات ومناظرات عديدة مع المتكلمين والفلاسفة والفقهاء فكان رأيه راجحاً على آرائهم.

---

١ ـ النجوم الزاهرة ٢: ١٧٥.
٢ ـ سير أعلام النبلاء ٩: ٣٩٢.
٣ ـ بحار الانوار ٥٠: ١٠٥.
٤ ـ كشف الغمّة ٢: ٣٥٤.
٥ ـ تفسير العياشي ١: ٣١٩.

وبعد رحيله إلى الرفيق الاعلىٰ خلف ابنّه علياً الهادي، ومن أجل الحيلولة دون الوصول إلى مقامات أبيه أمر المعتصم عمر بن الفرج أن يختار له معلماً يبغض أهل البيت عليهم السلام فاختار محمد بن جعفر الجنيدي، وعهد إليه أن يمنع أنصار أبيه من الاتصال به، وبعد فترة من الزمن سأل عمر الجنيدي عن حاله فقال: (انّه ملي أبواباً استفيده منه، فيظنّ الناس انّي اعلّمه، وأنا والله اتعلم منه).

والتقىٰ به ثانية وسأله: (ما حال هذا الصبي) فأنكر عليه الجنيدي، وقال: دع عنك هذا القول، والله تعالىٰ لهو خير أهل الأرض، وأفضل من برأه الله تعالىٰ... وانّه حافظ القرآن من أوله إلى آخره ويعلم تأويله وتنزيله[١].

وكدليل على مرجعيته العلمية انّ أهل المدينة قد ضجّوا ضجيجاً عظيماً حينما سمعوا بأنّ المتوكل أراد نقله إلى بغداد ثم سامراء، ولم يسكنوا إلاّ بعد ان حلف لهم المأمور به انه لا بأس عليه ولن يصاب بمكروه، ولما دخل على المتوكل قال له: فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم[٢].

وكان العلويون يعظمونه ومنهم عم أبيه زيد بن الامام موسى الكاظم، وكان شيخاً كبيراً يجلس بين يديه تكريماً له، وفي أحد الايام تصدر زيد المجلس، فلما أقبل الامام وثب عن مكانه وأجلسه فيه وجلس بين يديه متأدباً مع صغر سن الامام وكبر زيد[٣].

وحينما يختلف الفقهاء في مسألة شرعية أو قضية قضائية كان المتوكل يبعث على الامام ليرى رأيه فيتبناه[٤].

---

١ ـ حياة الامام علي الهادي: ٢٥، ٢٦ ـ باقر شريف القرشي عن: مآثر الكبرا ـ ٣: ٩٥.
٢ ـ تذكرة الخواص: ٣٢٢.
٣ ـ حياة الامام علي الهادي: ٢٧
٤ ـ مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٣٧، تاريخ بغداد ١٢: ٥٦.

وكتب ملك الروم إلى أحد بني العباس مسألة فجمع العلماء فلم يجيبوا عن ذلك على كثرة عددهم واختلاف مذاهبهم، وكان الجواب عند الإمام علي الهادي[١].

وكانت له ردود على أهل الجبر والتفويض وعلى الغلاة والزنادقة وعلى أفكار الصوفيين، وكانت له مراسلات مع الكثير من الفقهاء والعلماء يجيبهم على اسئلتهم.

وممّا قيل فيه من قبل العلماء والباحثين.

ابو عبدالله الجنيدي: والله تعالى لهو خير أهل الأرض، وأفضل من برأه الله تعالى[٢].

اليافعي: كان متعبداً فقيهاً إماماً[٣].

الأربلي: لا تذكر كريمة إلاّ وله فضيلتها، ولا تورد حسنة إلاّ وله تفصيلها وجملتها، ولا تستعظم حالة سنيّة إلاّ وتظهر عليه أدلتها استحق ذلك بما في جوهر نفسه من كرم تفرّد بخصايصه، ومجد حكم فيه على طبعه الكريم[٤].

وبعد رحيله إلى الرفيق الأعلىٰ كان ابنه الحسن العسكري عليه السلام مرجعاً علمياً لكثير من الفقهاء والعلماء على صغر سنه، وكونه محاصراً في سامراء بعيداً عنهم وعن الأمة، وعلى الرغم من شدة الظروف إلاّ انّه استطاع ان يعدّ ثلة من الرواة ومن الفقهاء، وكانت له مراسلات مستمرة مع الكثير من العلماء يجيب على اسئلتهم واستفساراتهم ويسدد آراءهم، وله محاورات عديدة مع المخالفين له في

---

١ ـ الدمعة الساكبة ٣: ١٤٠.

٢ ـ مآثر الكبراء ٣: ٩.

٣ ـ مرآة الجنان ٢: ١٦١.

٤ ـ كشف الغمّة ٢: ٣٩٩.

الفقه والعقيدة.

وقد اعترف المعاصرون بفضله ومنهم أحمد بن عبيد الله بن خاقان وكان من مخالفي أهل البيت، وقد قال في حقّه: ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلويّة مثل الحسن بن علي في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم وتقديمهم إيّاه على ذوي السنّ منهم والخطر، وكذلك القوّاد والوزراء وعامّة الناس[١].

وقد اعترف الباحثون بمرجعيته العلمية وبفضله على الفقهاء والعلماء ومنهم:

الشبراوي الشافعي: من بيت عالي الرتبة سامي المحلّة فلقد طاول السماء علا ونيلا وسما على الفرقدين منزلة ومحلاً[٢].

ابن الصباغ المالكي: واحد زمانه من غير مدافع وسيد أهل عصره وامام أهل دهره أقواله سديدة وافعاله حميدة... كاشف الحقائق بنظره الصائب مظهر الدقائق بفكره الثاقب[٣].

يوسف إسماعيل النبهاني: الحسن العسكري أحد ائمة سادتنا أهل البيت العظام، وسادتهم الكرام[٤].

ابن شدقم: كان الحسن العسكري إماماً هادياً وسيداً عالياً ومولىً زكياً[٥].

* * *

---

١ ـ الكافي ١: ٥٠٣.
٢ ـ الاتحاف بحب الاشراف:: ١٧٩.
٣ ـ الفصول المهمة: ٢٩٠.
٤ ـ جامع كرامات الاولياء ١: ٣٨٩.
٥ ـ حياة الامام العسكري: ٦٦.

أهل البيت عليهم السلام
والمرجعية العلمية للأُمّة الإسلامية

عبد الحليم إبراهيم المنسي (العزمي)
المشرف العام على مجلّة الإسلام (وطن)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

ان الائمة من اهل البيت عليهم السلام ما كانوا مجتهدين ولا مستنبطين ولكن كانوا رواة سنة لذا فان كل ما صدر عنهم كان سنة وهم يروون ابناً عن اب عن جد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفى ذلك يقول: الامام جعفر الصادق عليه السلام (حديثى حديث ابى وحديث ابى حديث جدى، وحديث جدى حديث أبيه وحديث أبيه حديث على بن ابى طالب وحديث على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عز وجل).

ولهذا اصبح أئمة اهل البيت عليهم السلام مصدراً للحديث والرواية وبيان أحكام الشريعة والكشف عن غوامضها.

ان حياتهم المباركة بما أنها حلقات متواصلة مترابطة متفاعلة، لا فاصلة فيها ولا غريب مجهول يخترق امتدادها حتى تتصل برسول الله صلى الله عليه وآله فهى تشكل مدرسة وتجربة حية يتجسد فيها الاسلام، وتطبق فيها أحكامه وتحفظ مبادئه وكل ذلك يؤكد لنا الثقة بصفاء المصدر، ونقاء العطاء وأصالة ما صدر عن آل البيت عليهم السلام.

واذا عرفنا كل ذلك استطعنا ان نعرف الاجواء والبيئة والمدرسة العلمية التى نشأ فيها وأخذ عنها اتباع اهل البيت عليهم السلام فنعرف أن مدرستهم فى الحديث والتفسير ومعارف العقيدة والتوحيد وسائر علوم الشريعة إنّما هي النقل

الأمين والامتداد النزيه لمعارف النبوة، ونقاء الشريعة وأصالة المصدر.

والاحاديث الكثيرة التى وردت عن رسول الله ﷺ وهو يحرض ويحفز على متابعة الامام على عليه السلام بل يامر المسلمين بذلك وينهى عن مخالفته ويصرح بأن الحق معه ولذلك فجعل ائمة اهل البيت هم المراجمعية العلمية للامة انما هو بأمر من الله ورسوله ﷺ وليس الى الحق والجنة سبيل غير مذهب أهل البيت وهو مذهب رسول الله ﷺ.

فقد روى الشيخ سليمان الحنفى القندوزى فى كتابه ينابيع المودة الباب الرابع عن فرائد السمطين لشيخ الاسلام الحموينى بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (يا على انا مدينة العلم وانت بابها ولن توتى المدينة الا من قبل الباب، وكذب من زعم أنه يحبنى ويبغضك لانك منى وانا منك. لحمك لحمى، ودمك دمى، وروحك من روحى، وسريرتك من سريرتى، وعلانيتك من علانيتى، سعد من أطاعك، وشقى من عصاك، وربح من تولاك، وخسر من عاداك، فاز من لزمك، وهلك من فارقك، مثلك ومثل الائمة من ولدك بعدى، مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومثلهم مثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم الى يوم القيامة).

ويصرح النبى ﷺ فى حديث الثقلين الذى اتفق علماء المسلمين على صحته انكم ما ان تمسكتم بالقرآن وبأهل بيته وعترته لن تضلوا بعده ابدا.

والثقل كل نفيس خطير مصون. وهذا كذلك اذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والاسرار والحكم العلية والاحكام الشرعية ولذا حث ﷺ على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم.

فكل هذه التاكيدات المتتالية من النبي ﷺ فى حق اهل البيت تبين ان سعادة الدنيا والآخرة منحصرة فى التمسك بالقرآن والعترة معا وان طريق الحق

واحد وهو الذى سار فيه اهل بيته.

فهم حماة الدين من تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

قد ذكر ابن حجر الهيتمى فى الصواعق المحرقة ص ٩٠ قال: وأخرج الملا فى سيرته حديث: (فى كل خلف من امتى عدول من اهل بيتى ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين).

وذكره المحب الطبري ايضا فى ذخائر العقبى ص ١٧ عن ابن عمر.

الفصل الاول

الامام على المرجعية العلمية للامة الاسلامية

الامام على عليه السلام هو باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله مصداقا للحديث الذى اخرجه البزار والطبرانى فى الاوسط والحاكم والعقيلى وابن عدى عن ابن عمر، والترمذى والحاكم عن الامام على قال: قال رسول الله: (انا مدينة العلم وعلى بابها).

وقال الامام على: علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم واستنبطت من كل بالف الف باب (التفسير الكبير للفخر الرازى ٨/٢١).

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: والله لقد أعطى على بن ابى طالب عليه السلام تسعة اعشار العلم وايم الله قد شارككم فى العشر العاشر. (ابن الاثير فى اسد الغابة ٤/١٠٠).

ولا يشك المحق البصير والمدقق الخبير بان احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وآله لا يقاس بالامام على عليه السلام فى العلم والمعرفة، فهو اعلمهم قاطبة وكلهم كانوا يحتاجون اليه فى علم الدين وكانوا يراجعونه في المسائل والأحكام وكان غنياً عنهم. روى العلامة القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة الباب الرابع عشر فى غزارة علمه عليه السلام روايات كثيرة فى هذا المعنى وكلها من الكتب المعتبره لدى العامة فقال: وعن الكلبى قال ابن عباس: علم النبى صلى الله عليه وآله من علم الله سبحانه وعلم علىّ من علم النبى صلى الله عليه وآله وعلمى من علم علىّ وما علمى وعلم الصحابة فى علم علىّ الا كقطره فى سبعة ابحر.

وفى اواخر الباب روى عن المناقب عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: كنت مع امير المؤمنين عليه السلام سائرا فمررنا بواد مملوءة نملا فقلت: يا أميرالمومنين ترى أحداً من خلق الله تعالى يعلم عدد هذا النمل؟

قال: نعم يا عمار، أنا أعرف رجلا يعلم عدده ويعلم كم فيه ذكر وكم فيه أنثى.

فقلت: من ذلك الرجل ؟

فقال: يا عمار ما قرات فى سورة يس الاية ١٢: ﴿*وكل شيء احصيناه فى امام مبين*﴾!.

فقلت: بلى يا مولاى، قال: انا ذلك الامام المبين.

وروى ايضا عن ابى ذر رضي الله عنه قال كنت سائراً مع على عليه السلام اذ مررنا بواد نمله كالسيل فقلت: الله اكبر جل محصيه قال عليه السلام : لا تقل ذلك ولكن قل : جل بارؤه. فوالذى صورنى وصورك، انى احصى عددهم واعلم الذكر منهم والانثى باذن الله عز وجل.

ابن أبى الحديد يصف علوم الامام على عليه السلام:

قال ابن ابى الحديد فى مقدمته على شرح نهج البلاغة: وما اقول فى رجل تعزى اليه كل فضيلة، وتنتهى اليه كل فرقه وتتجاذبه كل طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلى حلبتها كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.

وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الالهى لان شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه اشرف الموجودات..

ومن كلامه عليه السلام اقتبس وعنه نقل واليه انتهى ومنه ابتدأ.

ومن العلوم علم الفقه وهو عليه السلام أصله وأساسه وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه.

ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه أخذ ومنه فرع واذا رجعت الى كتب التفسير علمت صحة ذلك..

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة واحوال التصوف وقد عرفت ان ارباب هذا الفن فى جميع بلاد الاسلام اليه ينتهون وعنده يقفون.

ومن العلوم علم النحو العربية وقد علم الناس كافة انه هو الذى ابتدعه وأنشأه وأملى على ابى الاسود الدؤلى جوامعه وأصوله، من جملتها: الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف. ومن جملتها تقسيم الكلمة الى معرفة ونكرة. وتقسيم وجوه الاعراب الى الرفع والنصب والجر والجزم.

وهذا يكاد يلحق بالمعجزات لان قوة البشرية لا تفى بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط. أ هـ

رجوع ابى بكر ﷺ الى علىّ عليه السلام:

عن محمد بن المنكدر ان خالد بن الوليد كتب الى ابى بكر انه وجد رجل فى بعض ضواحى العرب ينكح كما تنكح المرأة وأن أبا بكر جمع لذلك ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ كان فيهم على بن ابى طالب عليه السلام اشدهم يومئذ قولا فقال: ان هذا ذنب لم تعمل به امة من الامم الا امة واحدة فصنع بها ما قد علمتم ارى أن تحرقوه بالنار، فكتب اليه ابو بكر أن يحرق بالنار (كنز العمال: ٥/ ٤٦٩ ح ١٣٦٤٣).

رجوع عمر رضي الله عنه الى علي عليه السلام:

عن ابن عباس عليه السلام قال أتى عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناسا، فأمر بها عمر أن ترجم؛ فمر بها على ابن ابي طالب عليه السلام فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بنى فلان زنت، فأمر بها عمر أن ترجم قال: فقال: ارجعوا بها ثم أتاه فقال: يا عمر أما عملت أن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يعقل؟ قال: بلى، قال: فما بال هذه ترجم؟ قال لا شيء قال: فارسلها قال: فجعل يكبر.

ورواه فى الباب بطرق آخر قال فى بعضها فجعل عمر يكبر (سنن ابى داود: ٤/ ١٤٠ ح ٤٣٩٩ صحيح البخارى ٦/ ٢٤٩٩ باب ٧ سنن الدارقطنى ٣/ ١٣٩ ح ١٧٣).

حد شارب الخمر:

عن ثور بن زيد الديلى ان عمر بن الخطاب استشار فى الخمر يشربها الرجل فقال له على ابن طالب عليه السلام نرى أن يجلد ثمانين فإنّه اذا شرب سكر واذا سكر هذى، واذا هذى افترى (اوكما قال) فجلد عمر فى الخمر ثمانين. (موطأ الامام مالك بن انس ص١٨٦).

ورواه الشافعى فى مسنده فى كتاب الاشربة ص ١٦٦ والحاكم فى مستدرك الصحيحين ٤/ ٣٥٧، وذكره السيوطى فى الدر المنثور فى ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿*يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر*﴾ (المائدة: ٩٠)، وروى الدارقطنى فى سننه ص ٣٤٦ كتاب الحدود حديثا قال فى اخره قال على عليه السلام انه اذا شرب سكر واذا سكر هذى واذا هذى افترى وعلى المفترى ثمانون جلدة فامر به عمر فجلد ثمانين وذكره المتقى فى كنز العمال ٣/ ١٠١.

فقه الغنائم:

عن حارثة بن مضرب قال: جاء ناس من أهل الشام الى عمر فقالوا: انّا قد أصبنا أموالا وخيلا ورقيقا نحب أن يكون لنا فيها زكاة وطهور، قال ما فعله صاحباى قبلى فأفعله، فاستشار عمر عليّاً عليه السلام فى جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال على عليه السلام: هو حسن ان لم يكن جزية يؤخذون بها راتبه. (مستدرك الصحيحين للحاكم ١/٤٠٠).

ورواه الطحاوى فى شرح معانى الآثار فى كتاب الزكاة باب الخيل السائبة.

الحجر الاسود ينفع ويضر:

عن ابى سعيد الخدرى قال: حججنا مع عمر بن الخطاب فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال: انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قبلك ما قبلتك فقال له على عليه السلام: بلى يا عمر انه يضر وينفع، قال: بم؟ قال: بكتاب الله ،تبارك وتعالى، قال: وأين ذلك من كتاب الله؟، قال: قال الله عز وجل: ﴿*واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى*﴾ (الاعراف: ١٧٢) خلق الله آدم ومسح على ظهره فقررهم بأنّه الرب وأنهم العبيد وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك فى رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال له: افتح فاك، قال: ففتح فاه فالقمه ذلك الرق وقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم لقيامة وانّي اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (يؤتى يوم القيامة بالحجر الاسود له لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد) فهو يا عمر يضر وينفع. فقال عمر أعوذ بالله ان اعيش فى قوم لست فيهم يا ابا حسن.(مستدرك الصحيحين ١/٦٢٨ ح١٦٨٢).

التاريخ الاسلامى :

عن سعيد بن المسيب يقول: جمع عمر الناس فسألهم من أى يوم يكتب التاريخ؟ فقال على بن ابى طالب عليه السلام من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وترك ارض الشرك ففعله عمر (مستدرك الصحيحين: ٣/١٤).

ورواه ابن جرير في تاريخه: ٢ / ١١٢ وذكره المتقي في كنز العمال: ٥ / ٢٤٤ مرتين قال في احداهما: أخرجه البخاري في تاريخه الصغير والحاكم في مستدركه وقال في ثانيهما: عن ابن المسيب قال: أوّل من كتب التاريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته فكتب لستّ عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب عليه السلام.

عليك الدية يا عمر:

عن الحسن يقول: ان عمر بلغه ان امراة بغية يدخل عليها الرجال فبعث اليها رسولا فاتاها الرسول فقال: أحبيبى امير المومنين ففزعت فزعا فوقعت الفزعة فى رحمها فتحرك ولدها فخرجت فاخذها المخاض فالقت غلاما جنينا فاتى عمر بذلك فأرسل الى المهاجرين فقص عليهم أمرها، فقال: ما ترون؟ فقالوا : ما نرى عليك شيئا يا امير المومنين أنما أنت معلم ومؤدب. وفى القوم على عليه السلام وعلى ساكت قال: فما تقول أنت يا أبا الحسن؟ قال: أقول: ان كانوا قاربوك فى الهوى فقد اثموا وان كان هذا جهد رايهم فقد أخطأوا وأرى عليك الدية الى ان قال ـ يعنى عمر ـ صدقت. (سنن البيهقى ٦/١٢٣).

حبلك على غاربك:

عن ابى الحلال العتكى قال: جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال: انه قال لامراته: حبلك على غاربك، فقال عمر: واف معنا الموسم، فاتاه الرجل فى المسجد الحرام فقص عليه القصة، فقال: ترى ذلك الاصلع يطوف بالبيت اذهب اليه فسله ثم ارجع فاخبرنى بما رجع اليك فذهب اليه فاذا هو على عليه السلام فقال: من بعثك الى؟ فقال: امير المومنين، قال: انه قال لامراته: حبلك على غاربك، فقال: استقبل البيت واحلف بالله ما اردت طلاقا، فقال الرجل: وأنا أحلف بالله ما اردت الا الطلاق قال بانت منك امرأتك. (سنن البيهقى ٣٤٣/٧).

عدة المعتدة:

عن الشعبى قال: أُتي عمر بن الخطاب بامراة تزوجت فى عدتها فاخذ مهرها فجعله فى بيت المال وفرق بينهما وقال: لا يجتمعان وعاقبهما، فقال على عليه السلام ليس هكذا ولكن هذه الجهالة من الناس ولكن يفرق بينهما ثم تستكمل بقية العدة من الاول ثم تستقبل عدة اخرى لها على المهر بما استحل من فرجها قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا ايها الناس ردوا الجهالات الى السنّة (سنن البيهقى: ٤٤٢/٧). وذكره المحب الطبرى فى الرياض النضرة: ١٩٦/٢.

ولدت لستّة أشهر:

عن ابى الاسود الدؤلى ان عمر أتى بامراة ولدت لستّة أشهر فهمّ برجمها فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال: ليس عليها رجم فبلغ ذلك عمر الى ان قال: فسأله فقال: ﴿*والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة*﴾ (البقرة: ٢٣٣)، قال: ﴿*وحمله وفصاله ثلاثون شهراً*﴾ (الاحقاف: ١٥) فستّة

أشهر حمله وحولان تمام رضاعته، لا حدّ عليها أو قال: لا رجم عليها. قال فخلّى عنها. (سنن البيهقي: ٤٤٢/٧).

وذكره المحب الطبرى في الرياض النضرة ١٩٤/٢ وقال فيه: فترك عمر رجمها وقال: لولا على لهلك عمر، قال أخرجه العقيلى وأخرجه ابن السمان، وذكره المتقى ايضا فى كنز العمال: ٩٦/٣، ٢٢٨ وابن عبد البر فى استيعابه: ٤٦١/٢.

أنت خيرهم فتوى:

عن سعيد بن السيب قال: خرج عمر بن الخطاب على أصحابه يوما فقال: افتونى فى شيء صنعته اليوم، فقالوا ما هو يا امير المومنين؟، قال مرت بى جارية لى فأعجبتنى فوقعت عليها وانا صائم قال: فعظم عليه القوم وعليّ عليه السلام ساكت فقال: ما تقول يا ابن ابى طالب؟ قال: جئت حلالاً ويوما مكان يوم، فقال: انت خيرهم فتوى. (طبقات ابن سعد: ٢/ القسم٢/ ١٠٢).

غداء وعشاء:

عن ابى امامة بن سهل بن حنيف قال: مكث عمر زمانا لا ياكل من بيت المال شيئا حتى دخلت عليه فى ذلك خصاصة وارسل الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاستشارهم فقال: قد شغلت نفسى فى هذا الامر فما يصلح لى منه؟. فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، قال: وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقال لعليّ عليه السلام ما تقول انت فى ذلك؟ قال: غداء عشاء.

قال فاخذ عمر بذلك. (طبقات ابن سعد: ٣/ القسم ٢٢١/١).

عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها

ابو حسن.

وذكره ابن الاثير فى اسد الغابة ٤/٢٢ وابن حجر فى اصابته: ٤/ القسم ١/٢٧٠ وفى تهذيب التهذيب: ٧/٣٢٧ وذكره ابن عبد البر فى استيعابه: ٢/٤٦١ والمتقى فى كنز العمال: ٥/٢٤١.

شربوا الخمر وتأوّلوا:

عن ابى عبد الرحمن السلمى، عن على عليه السلام قال: شرب نفر من اهل الشام الخمر وعليهم يومئذ يزيد بن ابى سفيان وقالوا: هى حلال وتلوا: ﴿*ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا*﴾ (المائدة: ٩٣) فكتب فيهم الى عمر فكتب عمر أن ابعث بهم الى قبل أن يفسدوا من قبلك فلما قدموا على عمر استشار فيهم الناس فقالوا: يا أمير المومنين نرى أنهم قد كذبوا على الله وشرعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله فاضرب أعناقهم وعلىّ عليه السلام ساكت فقال: ما تقول يا ابا الحسن فيهم؟ قال أرى أن تستتيبهم فان تابوا ضربتهم ثمانين ثمانين لشربهم الخمر وان لم يتوبوا ضربت أعناقهم فانهم قد كذبوا على الله وشرعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله فاستتابهم فتابوا فضربهم ثمانين ثمانين.

وذكره العسقلانى فى فتح البارى: ١٥/٧٣ وقال أخرجه ابن ابى شيبة وذكره السيوطى فى الدر المنثور فى ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿*انما الخمر والميسر*﴾ (المائدة: ٩٠).

ائت عليا فاسأله:

عن عبد الرحمن بن أُذينه العبدى عن أبيه أُذينة بن سلمة العبدى، قال: أتيت عمر بن الخطاب فسالته من أين اعتمر؟، فقال: ائت عليا فاسأله، قال ابن عبد البر

(الى آخر الحديث) وفيه قال عمر: ما اجد لك الا ما قال عليّ. وذكره المحب الطبرى فى الرياض النضرة: ٢/١٩٥.

ثلاث أسألك عنهن:

عن ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب لعلى بن ابى طالب عليه السلام يا ابا الحسن ربما شهدت وغبنا، ثلاث أسألك عنهن هل عندك منهن علم؟ قال عليّ عليه السلام: وما هن؟ قال: الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً، قال على عليه السلام: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الارواح فى الهواء جنود مجندة تلتقى فتشام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، قال: واحدة، والرجل يتحدث بالحديث نسيه وذكره، قال على عليه السلام: سمعت رسول الله يقول: ما من القلوب قلب الا وله سحابة كسحابة القمر بينا القمر يضيء اذ علته سحابة فأظلم اذ تجلت، قال عمر: اثنتان، والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب، قال نعم سمعت رسول الله يقول ما من عبد ولا امة ينام فيستثقل نوماً الا يعرج بروحه فى العرش فالتي لا تستيقظ الا عند العرش فتلك الرؤيا تصدق والتى تستيقظ دون العرش فهى الرؤيا التى تكذب فقال عمر: ثلاث كنت فى طلبهن فالحمد لله الذى أصبتهن قبل الموت (كنز العمال ٦/٤٠٦).

مولاى ومولى كل مسلم:

عن عمر وقد نازعه رجل فى مسألة فقال: بينى وبينك هذا الجالس ـ واشار الى على بن ابى طالب عليه السلام فقال الرجل: هذا الابطن! فنهض عمر عن مجلسه وأخذ بتلابيبه حتى شاله من الارض ثم قال: أتدرى من صغرت؟ مولاى ومولى كل مسلم الرياض النضرة: ٢/١٧٠.

الزانية الحامل:

عن زيد بن على عن أبيه عن جده قال: أُتي عمر بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فامر برجمها فتلقاها على عليه السلام فقال: ما بال هذه فقالوا: أمر عمر برجمها فردها على عليه السلام وقال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما فى بطنها؟ ولعلك انتهرتها أو أخفتها، قال: قد كان ذلك، قال: أوما سمعت رسول الله قال: لا حد على معترف بعد بلاء؟ انه من قيد أو حبس او تهدد فلا اقرار له. فخلى سبيلها (الرياض النضرة ٢/١٩٥).

الزانية المضطرة:

عن عبد الرحمن السلمى، قال: أتى عمر بامراة أجهدها العطش فمرت على راع فاستقته فأبى ان يسقيها الا ان تمكنه من نفسها ففعلت فشاور الناس فى رجمها فقال له على عليه السلام هذه مضطرة الى ذلك فخل سبيلها، ففعل (الرياض النضرة ٢/١٩٦).

لا ابقانى الله بعدك يا على:

عن ابى سعيد الخدرى سمع عمر يقول لعلى عليه السلام ـ وقد سأله عن شيء فاجابه ـ: أعوذ بالله ان أعيش فى قوم لست فيهم يا ابا الحسن. وفى رواية: لا أبقانى الله بعدك يا على. (الرياض النضرة ٢/١٩٧).

عن يحيى بن عقيل قال: كان عمر يقول لعلى عليه السلام اذا سأله ففرج عنه: لا ابقانى الله بعدك يا على (الرياض النضرة ٢/١٩٧).

الزناة الخمسة:

روى الحميدى فى كتاب الجمع بين الصحيحين قال: فى خلافة عمر بن الخطاب جاؤوا بخمسة رجال زنوا بامرأة وقد ثبت عليهم ذلك فأمر الخليفة برجمهم جميعا. فاخذهم لتنفيذ الحكم فلقيهم الامام على بن أبى طالب وأمر بردهم، وحضر معهم عند الخليفة وسأله هل أمرت برجمهم جميعا؟ فقال عمر: نعم فقد ثبت عليهم الزنا، فالذنب الواحد يقتضى حكما واحدا. فقال على: ولكن حكم كل واحد من هؤلاء الرجال يختلف عن حكم صاحبه. قال عمر: فاحكم فيهم بحكم الله فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليّ اعلمكم وعليّ أقضاكم. فحكم الامام عليّ عليه السلام بضرب عنق أحدهم ورجم الاخر وحد الثالث وضرب الرابع نصف الحد وعزر الخامس. فتعجب عمر واستغرب فقال: كيف ذلك يا ابا الحسن؟! فقال الامام على: اما الاول فكان ذميا زنى بمسلمة فخرج عن ذمته والثانى محصن فرجمناه واما الثالث: فغير محصن فضربناه الحد والرابع عبد مملوك فحده نصف واما الخامس فمغلوب على عقله فعزرناه. فقال عمر: لولا على لهلك عمر، لا عشت فى أُمة لست فيها يا ابا الحسن!

عجز عمر عن حل المعضلات وخضوعه لعلى:

ذكر العلامة نور الدين المالكى فى كتابه الفصول المهمة/١٨، فى القسم الثالث من الفصل الاول / ونسب الكلام المرموز الى رجل مجهول ولكن العلامة الكنجى الشافعى روى باسناده فى كتابه كفاية الطالب الباب السابع والخمسون عن حذيفة بن اليمان انه لقى عمر بن الخطاب فقال له عمر: كيف اصبحت يابن اليمان؟ فقال: كيف تريدنى اصبح؟! اصبحت والله اكره الحق واحب الفتنة واشهد بما لم اره واحفظ غير المخلوق واصلى على غير وضوء، ولى فى الارض ما ليس

لله في السماء. فغضب عمر لقوله وانصرف من فوره وقد اعجله امر وعزم على اذى حذيفة لقوله ذلك.

فبينا هو في الطريق اذ مر بعلي بن ابي طالب فرأى الغضب في وجهه فقال: ما اغضبك يا عمر؟!

فقال: لقيت حذيفة بن اليمان فسألته كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت اكره الحق فقال عليه السلام: صدق يكره الموت وهو حق.

فقال: يقول: واحب الفتنة قال عليه السلام: صدق يحب المال والولد وقد قال الله تعالى: ﴿*انما اموالكم واولادكم فتنة*﴾ (الانفال :٢٨)، فقال: يا علي يقول: واشهد بما لم اره فقال عليه السلام: صدق يشهد لله بالوحدانية والموت والبعث يوم القيامة والجنّة والنار والصراط ولم ير ذلك كله فقال: يا علي وقد قال: انني أحفظ غير المخلوق قال عليه السلام: صدق يحفظ كتاب الله تعالى القرآن وهو غير مخلوق قال: ويقول اصلي على غير وضوء فقال عليه السلام: صدق يصلي على ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله على غير وضوء وهي جائزة.

فقال: يا ابا الحسن قد قال: اكبر من ذلك فقال عليه السلام: وما هو؟ قال: قال: ان لي في الارض ما ليس لله في السماء قال عليه السلام: صدق له زوجا وتعالى الله عن الزوجة والولد.

فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن ابي طالب.

رجوع عثمان الى عليّ عليه السلام:

عن محمد بن يحيى بن حبان قال: كانت عند جدي حبان امراتان هاشمية وانصارية فطلق الانصارية وهي ترضع فمرت بها سنة ثم هلك عنها ولم تحض فقالت: انا ارثه لم احض، فاختصمتا الى عثمان بن عفان فقضى لها بالميراث

فلامت الهاشمية عثمان فقال: هذا عمل ابن عمك هو اشار علينا بهذا ـ يعنى على بن ابى طالب عليه السلام (الموطأ ص ٣٦).

ورواه الشافعى فى مسنده فى كتاب العدد ١٧١ وذكره ابن حجر فى اصابته: ٨ القسم ١/ ٢٠٤ وابن عبد البر فى استيعابه ٢/ ٧٦٤ والمحب الطبرى فى الرياض النضرة ٢/ ١٩٧.

قال الامام مالك فى الموطأ ص ١٧٦: ان عثمان بن عفان أُتي بامراة قد ولدت فى ستة اشهر فامر بها ان ترجم فقال له على ابن ابي طالب عليه السلام ليس ذلك عليها ان الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه: ﴿*وحمله وفصاله ثلاثون شهرا*﴾ (الاحقاف: ١٥) وقال: ﴿*والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة*﴾ (البقرة: ٢٣٣) فالحمل يكون ستة اشهر فلا رجم عليها فبعث عثمان فى اثرها فوجدت قد رجمت.

الولد للفرش وللعاهر الحجر:

عن الحسن بن سعد عن ابيه ان يحنس وصفية كانا من سبى الخمس فزنت صفية برجل من الخمس فولدت غلاما فادعاه الزانى ويحنس فاختصما الى عثمان فرفعها الى على بن ابى طالب عليه السلام فقال على: اقضى فيهما بقضاء رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وجلدهما خمسين خمسين (مسند الامام احمد ١/ ١٠٤).

وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال: ٣/ ٢٢٧ قال اخرجه الدورقي.

رجوع معاوية الى الامام عليّ عليه السلام :

عن سعيد بن المسيب؛ أن رجلاً من أهل الشام يقال له ابن خيبري وجد مع

امرأته رجلاً فقتله أو قتلهما معاً، فاشكل على معاوية بن أبي سفيان القضاء فيه؛ فكتب إلى أبي موسى الأشعري يسأل له عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن ذلك، فسأل أبو موسى عن ذلك عليّ بن أبي طالب، فقال له عليّ عليه السلام: إنّ هذا الشيء ما هو بأرضي، عزمت عليك لتخبرني، فقال له أبو موسى: كتب إليّ معاوية بن أبي سفيان أن أسألك عن ذلك، فقال عليّ عليه السلام: أنا أبو حسن، إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمته. (الموطّأ ص ١٢٦).

ورواه البيقي في سننه بطرق متعدّدة: ٢٣٧/٨، ١٤٧/١٠، والشافعي في مسنده ـ كتاب الجائز والحدود ـ ص ٢٠٤، وذكره المتقي في كنز العمال: ٣٠٠/٧.

قال: وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن ذلك، فلمّا بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال به: دعني عنك. (الاستيعاب: ٤٦٣/٢).

رجوع عائشة وابن عمر الى الامام علي عليه السلام في المسائل المشكلة:

قد ثبت من الصحاح وغيرها من الكتب المعتبرة رجوع عائشة وابن عمر الى على عليه السلام فى الوقائع المشكلة، وفيما يلى جملة منها:

١ ـ عن شريح بن هانى، قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين، فقالت: عليك بابن أبى طالب فاسأله. (صحيح مسلم فى كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين).

٢ ـ عن شريح بن هانى، قال: سألت عائشة عن المسح على الخفين، فقالت: ائت عليا فانه أعلم بذلك منى.

وفى فتح البارى فى شرح البخارى: ١٦٨/١٦ قال: وأخرج ابن أبى شيبة بسند جيد، عن عبد الرحمن بن أبزى، قال: انتهى عبدالله بن بديل بن ورقاء

الخزاعي الى عائشة يوم الجمل وهي في الهودج، فقال: يا أم المؤمنين أتعملين أني أتيتك عندما قتل عثمان فقلت: ما تأمريني، فقلت: الزم عليا عليه السلام فسكتت، فقال: اعقروا الجمل، فعقروه، فنزلت أنا وأخوها محمد فاحتملنا هودجها فوضعناه بين يدي علي عليه السلام، فأمر بها فأدخلت بيتا.

ورواه النسائي في سننه: ١/٣٢، وابن ماجة في سننه: ص ٤٢ وأحمد بن حنبل في مسنده: ١/٩٦، ١٠٠، ١١٣، ١١٧، ٢١٠، ١٣٣، ١٤٦، ١٤٩، ٦/١١٠، والطحاوي في شرح معاني الآثار في كتاب الطهارة: ٤٩ ـ ٥٠، وأبو حنيفة في مسنده: ص ١٢٩، وذكره المتقي في كنز العمال: ٥/١٤٧.

٣ ـ عن أبي مجلز، أن رجلا سأل ابن عمر فقال: اني رميت الجمرة ولم أدري رميت ستا أو سبعا؟، قال: ائت ذلك الرجل ـ يريد علياً عليه السلام ـ فذهب فسأله. (سنن البيهقي: ٥/١٤٩).

توريث الخنثى:

عن الشعبي، عن عليّ عليه السلام أنه قال: الحمد لله الذي جعل عدونا يسألنا عمّا نزل به من أمر دينه، إنّ معاوية كتب إليّ يسألني عن الخنثى، فكتبت إليه أن ورثه من قبل مباله. (كنز العمال: ٦/٢١).

وقال المناوي في فيض القدير في الشرح ما هذا لفظه: وفي شرح الهمزية إنّ معاوية كان يرسل يسأل عليّاً عليه السلام عن المشكلات فيجيبه، فقال أحد بنيه: تجيب عدوك، قال: أما يكفينا أن احتاجنا وسألنا.

عن أبي حازم، قال: جاء رجل إلى معاوية فسأله عن مسألة، فقال: سل عنها عليّاً بن أبي طالب فهو أعلم، قال: يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحبّ إليّ من جواب عليّ، قال: بئس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله يغزره العلم غزراً،

ولقد قال له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذه منه. (الرياض النضرة: ٢/ ١٩٥).

وذكره ابن حجر في صواعقه ص ١٠٧، وفي فتح الباري في شرح البخاري: ١٠٥/١٧ قال: عن قيس بن أبي حازم قال: جاء رجل إلي معاوية فسأله عن مسألة، فقال: سل عنها عليّاً عليه السلام، قال ـ يعني معاوية ـ ولقد شهدت عمر أشكل عليه شيء فقال: ها هنا عليّ عليه السلام.

الفصل الثاني
أئمة أهل البيت المرجعية العلمية للأُمّة

علم الحسنين عليهما السلام وما حدثا به عن النبيّ صلى الله عليه وآله :

روى صاحب تاريخ بغداد ٣٦٦/٩: بسنده عن مجاهد قال: جاء رجل الى الحسن والحسين عليهما السلام فسألهما فقالا: ان المسألة لا تصلح الا لثلاثة، لحاجة مجحفة، أو لحمالة مثقلة، أو دين فادح، فأعطياه، ثم أتى ابن عباس فأعطاه ولم يسأله، فقال له الرجل: أتيت ابنى عمك فسألانى ولم تسألنى فقال ابن عباس: أنبأنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنهما كانا يغران العلم غرا، أقول: يغران العلم غرا، أى: يزقان العلم زقا، وغر الطير فرخه أى زقه الطعام. (مجمع الزوائد: ١٠٠/٣، المعجم الصغير للطبراني: ١/ ١٨٤ـ١٨٥، ترجمة الامام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق: ص ١٣٨ ح ١٧٦).

الامام علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام:

وصف ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة، الامام علي بن الحسين بقوله: (زين العابدين هو الذي خلف أباه علما وزهداً وعبادة). (أهل البيت، توفيق أبو علم).

وعن أبي حازم وسفيان بن عيينة كان كل منهما يقول: (ما رأيت هاشميا أفضل من علي‌بن الحسين، ولا أفقه منه) (ابن الجوزي، تذكرة الخواص).

ان مثل هذه الشخصية الفذة المرموقة التي كانت تحتل موقع الامام والأستاذية والأعلمية، لحرية أن يصفها العلماء بمثل هذه الأوصاف، ويركن اليها المسلمون في اخذ الحديث والفقه والتفسير والعقيدة، وسائر علوم الشريعة المقدسة.

وقد قلد الامام السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام الوسام وشهادة الاعتراف بالامامة والزعامة الدينية لولده (علي زين العابدين)، وفي ذلك أوضح دليل على مقام هذاالامام والأخذ بما صدر عنه من علوم ومعارف ورواية...الخ.

فقد ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (ان الحسين عليه السلام لما سار الى العراق استودع أم سلمة رضي الله عنها الكتب والوصية فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعتها اليه) (الطبرسي، اعلام الورى باعلام الهدى ص ٢٥٢).

ومن المحقق أن أول من ألف ودون في دنيا الاسلام هم أئمة أهل البيت، فهم الرواد الأوائل الذين خططوا مسيرة الأمة الثقافية وفجروا ينابيع العلم والحكمة في الارض، وممن ألف من الأئمة الطاهرين الامام زين العابدين فقد كانت مؤلفاته نموذجا رائعا لتطور الفكر الاسلامي وتقدم الحركة الثقافية والعلمية، فقد انشغل المسلمون في عصر الامام بالحروب والثورات ضد حكام الجور مما سبب تفكك المجتمع، ولكن وجود الامام فتح أفاقا مشرقة من العلم لم يعرفها الناس من ذي قبل، فقد تعرض لعلوم الشريعة الاسلامية من الحديث والفقه والتفسير وعلم

الكلام والفلسفة.

ومن هذه الكتب التى ألفها (الصحيفة السجّادية) فهى من ذخائر التراث الاسلامى، ومن مناجم كتب البلاغة والتربية والأخلاق والأدب فى الاسلام.

ومن المؤلفات القيمة للامام زين العابدين (المناجاة الخمس عشرة)، وهى من القيم الروحية فى الاسلام فقد عالج بها الامام كثيرا من القضايا النفسية كما فتح بها آفاقا مشرقة للاتصال بالله تعالى.

ومنها (رسالة الحقوق) وهى من المؤلفات المهمة فى الاسلام التى وضعت المناهج الحية لسلوك الانسان وتطوير حياته وبناء حضارته على أسس تتوفر فيها جميع عوامل الاستقرار النفسى، ووقايته من الاصابة بأى لون من ألوان القلق والاضطراب، بعد أن نظر أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقه ونفسه وأسرته ومجتمعه وحكومته ومعلمه وغير ذلك. ليتم بذلك انشاء مجتمع اسلامى تسوده العدالة الاجتماعية والعلاقات الوثيقة بين أبنائه من الثقة والمحبة.

يقول الامام زين العابدين مبينا سعة علومه وأنواره:

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال صالحون دمى ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

(راجع كتاب الاسلام وطن ـ للامام السيد محمد ماضى أبى العزائم ص ٧٠).

وروى سفيان بن عيينة عن الزهرى قال: دخلت على علي بن الحسين فقال: يا زهرى، فيم كنتم؟ قلت: كنا نتذاكر الصوم، فأجمع رأيى ورأى أصحابى على أنه ليس من الصوم شيء واجب، الا شهر رمضان، فقال: يا زهرى، ليس كما قلتم، الصوم على أربعين وجها: عشرة منها واجب كوجوب شهر رمضان. وعشرة منها

حرام، وأربع عشرة منها صاحبها بالخيار، ان شاء صام، وان شاء أفطر. وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف واجب. قال الزهري: قلت: فسرهن يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: أما الواجب: فصوم شهر رمضان، وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق، وصيام ثلاثة أيام كفارة اليمين لمن لم يجد الاطعام، وصيام حلق الرأس، وصوم دم المتعة لمن لم يجد الهدي، وصوم جزاء الصيد، يقوم الصيد قيمته ثم يقسم ذلك الثمن على الحنطة.

وأما الذي صاحبه بالخيار: فصوم الاثنين والخميس، وستة أيام من شوال بعد رمضان، وصوم عرفة، ويوم عاشوراء، كل ذلك صاحبه بالخيار.

وأما صوم الاذن: فالمرأة لا تصوم تطوعا الا باذن زوجها، وكذلك العبد والأمة. وأما صوم الحرام: فصوم الفطر والأضحى، وأيام التشريق، ويوم الشك، نهينا أن نصومه لرمضان، وصوم الوصال حرام، وصوم الصمت حرام، وصوم نذر المعصية حرام، وصوم الدهر، وصوم الضيف لا يصوم تطوعا الا باذن صاحبه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من نزل على قوم فلا يصومن تطوعا الا باذنهم». ويؤمر الصبي بالصوم اذا لم يراهق تأنيساً وليس بفرض، وكذلك من أفطر لعلة من أول النهار ثم وجد قوة في بدنه امر بالامساك وذلك تأديب الله عز وجل وليس بفرض. وكذلك المسافر اذا اكل من اول النهار ثم قدم أمر بالامساك.

وأما صوم الاباحة: فمن أكل أوشرب ناسياً أجزأه صومه وأما صوم المريض والمسافر فقال قوم: يصوم، وقال قوم: لا يصوم وقال قوم: ان شاء صام وان شاء أفطر، وأما نحن فنقول: يفطر في الحالين، فان صام في السفر والمرض فعليه القضاء. (البداية والنهاية، ج ٥ ص ١٥٣ ـ ١٥٤).

الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام:

أما ولده محمد بن على الذى لقب بالباقر لتوسعه فى العلوم والمعارف فهو كأبيه اشهر من عرف المسلمون فى الورع والزهد والعلم والمعرفة وبذلك يشهد العلماء والرواة والمحدثون، ويروى الصحابى الجليل جابر بن عبدالله الانصارى أن رسول الله ﷺ أخبره بأنه سيدرك ولده محمد الباقر عليه السلام وامره أن يقرئه السلام.

فقد روى هذا الصحابى الجليل: (قال لى رسول الله ﷺ وآله يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدا لى من الحسين يقال له: محمد، يبقر العلم بقرا، فاذا لقيته فاقرئه منى السلام) (ابن الصباغ فى الفصول المهمة واليعقوبى فى تاريخه والشبلنجى فى نور الابصار وابن الجوزى فى تذكرة الخواص).

وقد ادرك هذا الصحابى الامام الباقر عليه السلام وهو صبى وأبلغه تحية جده رسول الله ﷺ.

ان فى هذه الشهادة النبوية وفى التعريف الكفاية للاعتراف بمقام هذا الامام والاعتماد عليه، والرجوع اليه، والاخذ عنه وتشكل حياته وحياة ولده جعفر الصادق أغنى فترة من فترات التاريخ الاسلامى فى الحديث والرواية والتعريف بعلوم الاسلام.

وقد كان العلماء والرواة والمفسرون وطلاب المعرفة الاسلامية فى تلك الفترة يرون فى الامام الباقر قمة لا تدانيها قمة، وعلما لا يرتفع الى جانبه علم.

فقد وصفه ابن العماد الحنبلى بقوله: (ابو جعفر محمد الباقر كان من فقهاء اهل المدينة، وقيل له: الباقر؛ لانه بقر العلم اى شقه وعرف أصله وتوسع فيه). (شذرات الذهب ج ١ ص ١٤٩).

ونقل ابن الجوزى عن احد اعلام التابعين عطاء قوله فى الامام محمد الباقر عليه السلام: ما رايت العلماء عند احد أصغر علما منهم فى مجلس أبى جعفر

الباقر.

الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

أما ولده جعفر الصادق عليه السلام فقد أسهب العلماء فى الثناء عليه وعلى آبائه واعظام مقامهم، نذكر من هذه الأقوال ما نصه:

نقل العلامة المحقق السيد محسن الأمين: أن الحافظ ابن عقدة الزيدى جمع فى كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمّد فضلا عن غيرهم وذكر مصنفاتهم.

ونقل ابن شهرآشوب فى كتابه مناقب آل أبي طالب عن كتاب الحلية لأبى نعيم ما نصه:

إن جعفراً الصادق حدث عنه من الأئمة والأعلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثورى، وابن جريج، وعبدالله بن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، واسماعيل بن جعفر، وحاتم بن اسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وابراهيم بن طحان، وآخرون غيرهم، قال: أخرج عنه مسلم فى صحيحه محتجا بحديثه، وقال غيره: وروى عنه مالك، والشافعى، والحسن بن صالح، وأبو أيوب السختيانى، وعمر بن دينار، وأحمد بن حنبل، وقال أنس بن مالك: ما رأت عين ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلا وعلما وعبادة وورعا.

وتحدث الأستاذ الشيخ محمود أبو زهرة من علماء الأزهر الشريف عن الامام الصادق فى مقدمة كتابه (الامام الصادق) ص٣ فقال: أما بعد فاننا قد اعتزمنا بعون الله وتوفيقه أن نكتب عن الامام جعفر الصادق، وقد كتبنا فى سبعة من الائمة الكرام، وما أخرنا الكتابة عنه لأنه دون أحدهم، بل ان له فضل السبق على أكثرهم،

وله على الأكابر منهم فضل خاص، فقد كان أبو حنيفة يروى عنه ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء احاطة، وكان الامام مالك يختلف اليه دارسا راويا، وكان له فضل الأستاذيه على أبى حنيفة ومالك، فحسبه ذلك فضلا، ولا يمكن أن يؤخر عن نقص، ولا يقدم غيره عليه عن فضل. وهو فوق هذا حفيد على زين العابدين الذى كان سيد أهل المدينة فى عصره، فضلاً وشرفاً ودينا وعلماً، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهرى، وكثيرون من التابعين، وهو ابن محمد الباقر الذى بقر العلم ووصل الى لبابه، فهو ممن جمع الله تعالى له الشرف الذاتى والشرف الاضافى بكريم النسب، والقرابة الهاشمية والعترة المحمدية.

وكان عمرو بن المقدام يقول: اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين.

ووصفه المؤرخ الشهير اليعقوبى بقوله: وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه اذا رووا عنه قالوا أخبرنا العالم. (تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٨١).

وهذا قبس من تعريف العلماء والرواة والمحدثين وشهاداتهم تكشف عن مقام أهل البيت عليهم السلام وموقعهم العلمى والايمانى الفريد.

كان الامام جعفر الصادق من رجال التصوف، وكان واحداً من رجال السلسلة الذهبية.. وهى السلسلة المتصلة من مدينة العلم صلى الله عليه وآله، إلى بابها الأعظم سيدنا على كرم الله وجهه..الى سيد شباب أهل الجنة..وسيد الشهداء الامام الحسين.. الى الامام على زين العابدين الى ولده الامام محمد الباقر الى الامام جعفر الصادق، الى أن تلتقى مع السلاسل الأخرى.

فالامام الصادق سلطان دولة العارفين، وكعبة يقصدها أقطاب المرشدين والمسترشدين.. وبحراً لكنه ما حوى غير الدرر.. وشمساً ولكن لم يستفد من

نورها الاكل قمر، هو فرع من فروع الدوحة المحمدية.. وغصن من أغصان شجرة الأصل النورانية.

فى مجلسه تتلمذ ـ كما يقول أرباب الاحصاءات ـ أربعة آلاف من الرواة وكتب عنه أربعمائة كاتب كلهم يقول: قال جعفر بن محمد.

فأى مجلس كان ذلك المجلس؟ تتراءى فيه أشياء من رسول الله صلى الله عليه وآله بعضه مادى يجرى فى أصلاب رجل بعد رجل، وبعضها معنوى يتراءى فى معانيه وفحوى مقولاته لكل هؤلاء.. وليس بالمجلس لجاجة ولا حجاج عقيم. يقول لتلاميذه: من عرف شيئاً قل كلامه فيه.. وانما سمى البليغ بليغاً لأنه يبلغ حاجته بأدنى سعيه.

سفيان الثورى:

دخل عليه سفيان الثورى وقال: علمنى يا ابن رسول الله مما علمك الله. قال: يا ثورى خذ عنى ثلاثاً:

١ ـ اذا أردت النعمة فأدم شكرها لأن الله تعالى يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ (ابراهيم: ٧).

٢ ـ اذا استبطأت رزقك فأكثر من الاستغفار لأن الله تعالى يقول: ﴿*فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا*﴾ (نوح: ١٠ ـ ١٢).

٣ ـ واذا حزبك أمر.. أى شغلك فأكثر من قول: (لا حول ولا قوة الا بالله) فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

قال الثورى: هذه ثلاث.. وأى ثلاث؟

والثورى هو مضرب الأمثال فى عصره فى الورع والسنن والفقه. للعراق

كافة، وكانت له فى مجابهة الخليفة مواقف لا يمل الحديث عنها.

مالك بن أنس:

وكان من تلاميذ الامام الصادق امام المدينة مالك بن أنس الذى وصف مجلس الامام الصادق بقوله: كنت أرى جعفر بن محمد، وكان كثير الدعابة والتبسم، فاذا ذكر عنده النبى اخضر واصفر. ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت أراه الا على الطهارة ولا يتكلم فيما لا يعنيه. وكان من العلماء والعباد والزهاد الذين يخشون الله. وما رأيته قط الا ويخرج وسادة من تحته ويجعلها تحتى.

لقد كان الامام مالك يجد ريح الرسول فى مجلس ابن ابنته.. ويحس، أو يكاد يلمس، شيئا ماديا، يتسلسل من الجد لحفيده، وأشياء غير مادية تملك اللب والقلب، فالرؤية متعة والسماع نعمة، والجوار ـ مجرد الجوار ـ تأديب وتربية.. وفى كل أولئك طرائق قاصدة الى الجنة.

وكان من تلاميذ الامام الصادق المحدثون العظماء.. يحيى بن سعيد محدث المدينة، وابن جريج وابن عيينة محدثا مكة.. وابن عيينة هو المعلم الأول للشافعى فى الحديث.

عمرو بن عبيد:

ويجيء للمناظرة عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة، الذى لم يضحك أبو حنيفة طول حياته بعد أن قال له عمرو ـ اذ ضحك مرة فى ابان مناظرته ـ: يا فتى تتكلم فى مسألة من مسائل العلم وتضحك ؟! والذى يبلغ من وقاره أن يراه الرائى فيحسبه أقبل من دفن والديه. فاذا انتهى الكلام قال عمرو للامام: هلك من سلبكم تراثكم ونازعكم فى الفضل والعلم.

عبدالله بن المبارك:

ويجيء امام خراسان عبدالله بن المبارك وهو امام فقه، وبطل معارك، تتلمذ للامام الصادق زمانا ولأبى حنيفة، فتعلم ما جعله يخفى بطولاته فى الفتوح وهو القائل فى حق الامام الصادق:

أنت يا جعفر فوق الـ مدح والمدح عناء
انما الأشراف أرض ولهم أنت سماء
جاز حد المدح من قد ولدته الأنبياء

لولا العامان لهلك النعمان:

أما أبو حنيفة النعمان امام الفقه فكان له حال عجيب ومواقف غريبة مع الامام، حيث يقول أبو حنيفة: قال لى الخليفة أبو جعفر المنصور: يا أبا حنيفة ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيئ له من المسائل الشداد، فهيأ له أربعين مسألة، والتقى الامامان بالحيرة فى حضرة المنصور، ويقول أبو حنيفة فى اللقاء: أتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلتنى الهيبة لجعفر الصادق بن محمد ما لم يدخلنى لأبى جعفر المنصور، فسلمت عليه، وأومأ فجلست، ثم التفت اليه، وقال: هذا أبو حنيفة، قال: نعم، ثم التفت الى وقال: يا أبا حنيفة ألق على أبى عبدالله من مسائلك، فجعلت ألقى عليه فيجيبنى، فيقول أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعا، حتى أتيت على الأربعين مسألة. ثم قال أبو حنيفة، ان أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس.

ويقول أبو حنيفة جئت الى المدينة واستأذنت عليه فحجبنى. وجاء قوم من

أهل الكوفة استأذنوا لهم فدخلت معهم. فلما صرت عنده قلت: يا ابن رسول الله ﷺ: لو أرسلت الى أهل الكوفة فنهيتهم أن يشتموا أصحاب رسول الله ﷺ. فانى تركت فيها أكثر من عشرة آلاف يشتمونهم! فقال: لا يقبلون منى، فقلت: ومن لا يقبل منك وأنت ابن رسول الله؟ فقال الصادق: أنت أول من لا يقبل منى. دخلت بغير اذنى. وجلست بغير أمرى. وتكلمت بغير رأيى. وقد بلغنى أنك تقول بالقياس. فقلت: نعم أقول به.. فقال: ويحك يا نعمان أول من قاس ابليس حين أمر بالسجود لآدم فأبى وقال: خلقتنى من نار وخلقته من طين.

هل قست رأسك يا نعمان؟ فقلت: كيف؟ فقال: لماذا كان ماء العين ملحا؟ وماء الأذن والأنف مرا؟ ولم كانت الحرارة فى المنخرين؟ وفيهما شعيرات كالغربال؟ ولم كانت العذوبة فى الشفتين؟ فقلت: لا أدرى!

قال: أليست هذه الحواس فى رأسك؟ فقلت: علمنى يا ابن رسول الله! فقال: أما العينان فهما شحمتان.. ولولا الملح فيهما لذابتا. والماء المر فى الأذنين حجاب من الحشرات والهوام كالنمل والبرغوث، ولو دخلت لأتلفت المخ والأعصاب، والحرارة فى المنخرين.. ومرارة الماء فيهما تحفظ الدماغ من النتن.. أما الشعيرات فانها تدخل الهواء على الرئتين فتدفئه ان كان باردا وترطبه ان كان هواء حارا حتى لا تتأثر الرئتان.. أما عذوبة الشفتين فلكى تستطعم بهما الطعام والشراب وتميز بهما الحلو من الحامض، وليعرف الناس حلاوة منطقك.

يا أبا حنيفة أى الذنبين أعظم.. قتل النفس أم الزنا؟ فقلت: القتل، قال: فلم قبل الله شاهدين فى قتل النفس، ولم يقبل فى الزنا الا أربعة شهود؟ أيقاس هذا؟ قلت: لا.

قال: فأيهما أكبر البول أم المنى؟ قلت: البول. قال: فلماذا أمر فى البول بالوضوء، وأمر فى المنى بالغسل؟ أيقاس هذا؟ قلت: لا.

قال: أيهما أكبر الصلاة أم الصوم؟ قلت: الصلاة، قال: فلم وجب على الحائض أن تقضى الصوم، ولا تقضى الصلاة؟ أيقاس ذلك؟ قلت: لا.

قال: فأيهما أضعف المرأة أم الرجل؟ قلت: المرأة، قال: فلم جعل الله للرجل سهمين فى الميراث وللمرأة سهما؟ أيقاس ذلك؟ قلت: لا.

قال: وقد بلغنى أنك تقرأ آية من كتاب الله: ﴿*ثم لتسألن يومئذ عن النعيم*﴾.. أنه الطعام الطيب والماء البارد فى اليوم الصائف. قلت: نعم. قال: لو دعاك رجل وأطعمك وسقاك ماء باردا، ثم امتن عليك. ما كنت تنسبه اليه؟ قلت: البخل. قال: أفبخل علينا؟ قلت: فما هو؟ قال: حبنا أهل البيت.

ثم تناول أبو حنيفة الطعام مع الامام الصادق، فرفع الامام يده حمداً لله، ثم قال: اللهم هذا منك ومن رسولك.. قال أبو حنيفة: يا أبا عبدالله أجعلت مع الله شريكا؟ قال الامام: ان الله يقول فى كتابه: ﴿*وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله*﴾، فقال أبو حنيفة: لكأنى ما قرأتها قط فى كتاب ولا سمعتها الا فى هذا الموقف.

وانقطع أبو حنيفة الى مجالس الامام طول عامين قضاهما بالمدينة، وفيهما يقول: (لولا العامان لهلك النعمان) وكان لا يخاطب الامام الصادق الا بقوله: جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله.

جابر بن حيان:

وتتلمذ على يد الامام الصادق العالم الكيميائى جابر بن حيان والمؤرخون متفقون على تلمذته للامام، وعلى صلته أو تأثره به فى العلم والعقيدة.. وينقل ابن النديم قوله: (ألفت ثلاثمائة كتاب فى الفلسفة وألفا وثلاثمائة رسالة فى صنائع مجموعة، وآلات الحرب، ثم ألفت فى الطب كتابا عظيما.. ثم ألفت كتبا صغارا

وكبارا.. وألفت فى الطب نحو خمسمائة كتاب أخرى.. ثم ألفت فى المنطق على رأى أرسطاليس، ثم ألفت كتاب الزيج أيضا نحو ثلاثمائة ورقة.. ثم ألفت كتابا فى الزهد والمواعظ.. وألفت كتبا فى العزائم كثيرة حسنة، وألفت فى الأشياء التى يعمل بخواصها كتبا كثيرة.. ثم ألفت بعد ذلك نحو خمسمائة كتاب نقضا على الفلاسفة ثم ألفت كتابا فى الصنعة يعرف بكتاب الملك. وكتابا يعرف بالرياض).

وجابر بن حيان يعتبر الامام الصادق هو صاحب المدد والالهام له فى كل هذه العلوم فيقول: (وحق سيدى ـ الامام الصادق ـ لولا أن هذه الكتب باسم سيدى لما وصلت الى حرف من ذلك الى الأبد).

الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:

أما الامام موسى بن جعفر عليه السلام فهو ابن الامام جعفر الصادق عليه السلام، تربى فى كنف أبيه فاكتسب منه العلم والورع ومكارم الأخلاق، لذا شهد له أبوه بجلالة قدره وعظيم مكانته، انه ولده موسى، هو سيد أهل البيت عليهم السلام، والامام الذى يرجع اليه فى أخذ العلوم والمعارف.

فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه: (ان ابنى هذا الذى رأيت لو سألته عما بين دفتى المصحف لأجابك فيه بعلم).

ووصفه علماء الرجال والسير بأنه العالم الصادق، والمتعبد المشهور بالورع والتقوى، وعظمة الشأن، وسمو الخلق، نذكر من هذه الشهادات ما قاله الحافظ الرازى فى موسوعته الرجالية بقوله: (موسى بن جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب روى عن أبيه، روى عنه ابنه على بن موسى وأخوه على بن جعفر، سمعت أبى يقول ذلك عبدالرحمن، قال: سئل أبى عنه فقال: ثقة صدوق، امام من أئمة المسلمين). (الحافظ الرازى، الجرح والتعديل، ج

٨، ص ١٣٩).

وقال فيه محمد بن أحمد الذهبي: كان موسى من أجود الحكماء ومن عباد الله الأتقياء. (ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٠٩).

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي: هو الامام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعة، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجدا وقائما، ويقطع النهار متصدقا، وصائما، ولفرط حلمه، وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظما. (مطالب السؤول ص ١٨).

وقال مؤمن الشبلنجي: كان موسى الكاظم عليه السلام أعبد أهل زمانه، وأعلمهم. (نور الأبصار ص ٢١٨).

الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام:

أما ولده علي بن موسى الرضا عليه السلام فقد كان كآبائه في العلم والورع وكمال الأخلاق، وقد تولى الزعامة الدينية ومهمة الامامة من بعد أبيه، وقد بلغ من المجد والمكانة ما أرغم الخليفة العباسي المأمون أن يعهد له بالخلافة من بعده، رغم الصراع والعداء المستحكم بين العلويين والعباسيين.

وقد شهد العلماء والفقهاء والفلاسفة في مجالس العلم والحوار، وفي كتب الرجال والسير بمكانة الامام علي الرضا عليه السلام العلمية، ومقامه الكريم، وما اتسم به من الورع والتقوى.

ننقل من هذه الأقوال: قال الواقدي: كان ثقة، يفتي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة. (ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ١٩٨).

أما أبوه موسى بن جعفر الذى عرفنا مكانته العلمية، وورعه وتقواه، فانه يشهد له بالعلم، ويرشد الى الأخذ عنه بقوله لأبنائه: هذا أخوكم على بن موسى، عالم آل محمد، فسلوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم.

الامام محمد بن على الجواد عليه السلام:

أما الامام الجواد عليه السلام فهو كآبائه وأسلافه الأطهار فى العلم والزهد والتقى.

قال سبط ابن الجوزى: محمد الجواد، وهو محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكنيته: أبو عبدالله، وقيل أبو جعفر، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وتوفى سنة مائتين وعشرين، وكان على منهاج أبيه فى العلم والتقى والزهد والجود. (تذكرة الخواص، ص ٢٠٢).

وروى محمد بن عمار قال: كنت عند على بن جعفر بن محمد جالسا بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما سمع من أخيه - يعنى موسى بن جعفر الكاظم - اذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن على الرضا المسجد، مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوثب على بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبل يده، وعظمه. فقال له أبو جعفر: يا عم اجلس رحمك الله. فقال: يا سيدى كيف أجلس وأنت قائم؟ فلما رجع على بن جعفر الى مجلسه، جعل أصحابه يوبخونه، ويقولون له: أنت عم أبيه، تفعل به هذا الفعل؟ فقال: اسكتوا، اذا كان الله عز وجل - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشيبة وأهل هذا الفتى، ووضعه حيث وضعه، أأنكر فضله؟! نعوذ بالله عما تقولون، بل أنا عبد له. (مدينة المعاجز ص ٤٥٤).

وقال محمود بن وهيب البغدادى الحنفى: محمد الجواد بن على الرضا، كنيته أبو جعفر، ثم قال: وهو الوارث لأبيه علما وفضلا، وأجل اخوته قدرا وكمالا. (جوهر الكلام ص ١٤٧).

الامام عليّ بن محمد الهادي عليه السلام:

أما الامام على الهادى عليه السلام بن الامام محمد الجواد عليه السلام فكان له من عظيم الفضل ورفيع الشأن، علما وورعا، ما كان لآبائه الكرام. ويكنى بأبى الحسن العسكرى.

قال مؤمن الشبلنجى: ومناجاته رضي الله عنه كثيرة، قال فى الصواعق: كان أبو الحسن العسكرى وارث أبيه علما وسخاء. (نور الأبصار ص ١٥٥).

قال عبد الحى بن العماد الحنبلى: أبو الحسن على بن محمد بن على الرضا ابن الكاظم موسى بن جعفر الصادق، العلوى، الحسينى، المعروف بالهادى، كان فقيها اماما متعبدا. (شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٩).

قال الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير: وأما أبو الحسن على الهادى فهو ابن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين الشهيد بن على ابن أبى طالب أحد الأئمة الاثنى عشر. وهو والد الحسن بن على العسكرى، وقد كان عابدا زاهدا، نقله المتوكل الى سامراء، فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر. ومات بها هذه السنة ـ أربع وخمسين ومائتين. (البداية والنهاية ج ١١ ص ١٥).

وروى عن يحيى بن هرثمة الذى أرسله المتوكل العباسى لجلب الامام على الهادى من المدينة الى سامراء: فذهبت الى المدينة، فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجا عظيما، ما سمع الناس بمثله، خوفا على علي، وقامت الدنيا على ساق، لأنه كان محسنا اليهم، ملازما للمسجد، لم يكن عنده ميل الى الدنيا، فجعلت أسكنهم، وأحلف لهم أنى لم أؤمر فيه بمكروه، وأنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله، فلم أجد الا مصاحف وأدعية، وكتب العلم، فعظم فى عينى. (ابن الجوزى، تذكرة

الخواص، ص ٢٠٢).

الامام الحسن بن على العسكرى عليه السلام:

أما الامام الحسن العسكرى بن على الهادى عليه السلام فهو أيضا كآبائه الكرام فى العلم والمعرفة والورع والجهاد. وقد شهد العلماء وأصحاب السير له بذلك. نذكر من هذه الأقوال:

١ ـ قال شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاغلى سبط ابن الجوزى: كان عالما ثقة، روى الحديث عن أبيه عن جده. (تذكرة الخواص ص ٢٠٣)

٢ ـ قال على بن الصباغ المالكى: مناقب سيدنا أبى محمد الحسن العسكرى دالة على أنه السرى ابن السرى، فلا يشك فى امامته أحد ولا يمترى، واعلم أنه ان بيعت مكرمة فسواه بايعها وهو المشترى، واحد زمانه من غير مدافع، ونسيج وحده من غير منازع، وسيد أهل عصره، وامام أهل دهره، أقواله سديدة، وأفعاله حميدة. (الفصول المهمة ص ٢٩٠).

الامام محمد بن الحسن عليه السلام:

ان الأحاديث التى وردت عن طريق أئمة الحديث والرواية من مختلف مذاهب المسلمين كثيرة جداً، وتجمع على أن اسم المهدى هو محمد، وأنه من أهل بيت النبوة، واختلفوا فى تحديد شخصه، والذى ثبت عند اتباع أهل البيت أنه الامام محمد بن الحسن العسكرى بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط الشهيد بن على بن أبى طالب، وأنه ولد فى النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ فى سر من رأى، وأنه بقدر الهى ما زال موجوداً وغائباً، وأن ظهوره

سيكون في وقت كما ورد في الحديث الشريف، تملأ فيه الأرض ظلماً وجوراً ليملأها قسطا وعدلا، وأن عيسى عليه السلام يصلى خلفه.

هذا تعريف مختصر بأئمة أهل البيت عليهم السلام ومقامهم ومكانتهم، وهم المرجعية العلمية للأمة، فعنهم أخذ الفقه والحديث والتفسير وعلوم العقيدة والشريعة وغيرها.

* * *

المحور الثاني

محبة أهل البيت عليهم السلام
عند المذاهب الإسلامية

حب أهل البيت عليهم السلام
عند المذاهب الإسلامية

الشيخ أحمد الزين
قاضي شرع - صيدا - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

من هم اهل البيت ؟

من المفيد قبل الدخول في هذا الموضوع والحديث عن حب اهل البيت عند المذاهب الاسلامية ان نتعرف اولا على اهل البيت عند المذاهب الاسلامية.. ان نتعرف اولا على اهل البيت رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.. من هم اهل البيت؟! وهل زوجات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه هن من آل البيت؟! وهل اعمامه وابناء اعمامه هم من آل محمد؟!

لن ادخل في بعض الخلافات التى نشبت بين بعض العلماء ورأت ادخال زوجات الرسول واقربائه كاعمامه وابنائهم في اهل بيت النبوة مكتفياً بالاحاديث النبوية الشريفة التي حصرت افراد اهل البيت بالامام عليّ والسيدة فاطمة وولديهما الحسن والحسين.

وروى الحاكم في المستدرك ان النبيّ القىٰ على عليّ وفاطمة والحسنين كساء ثم قال: اللهم هؤلاء آلى فصلّ على محمد وعلى آل محمد. وانزل الله عز وجل: ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾.

وروى الترمذى والحاكم والبيهقي ومسلم في صحيحه عن سعد بن ابي وقاص انه قال: لما نزلت الاية ﴿*فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم*﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً وفاطمة والحسن والحسين فقال: اللهم هؤلاء اهلي.

وروى الامام احمد في مسنده عن ام سلمه زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت: في بيتي نزلت آية ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾ وفي البيت فاطمة وعليّ والحسن والحسين فجلّلهم رسول الله بكساء كان عليه ثم قال: اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وفي رواية الترمذى ان ام سلمة زوجة الرسول قالت: وانا معهم يا رسول الله قال: انت على مكانك وانت الى خير.

نستنتج من هذه الاحاديث النبوية الشريفة ان الامام عليّ والسيدة فاطمة الزهراء وولديهما الحسن والحسين هم اهل بيت النبوة وان زوجات الرسول امهات المؤمنين ليسوا من اهل البيت لقوله صلى الله عليه وعلى آله لزوجته ام سلمة رضي الله عنها وهي تسأل: وانا معهم يا رسول الله؟ اجابها: انت على مكانك وانت الى خير.

وليكن معلوماً ان حصر اهل بيت النبوة بالاربع المذكورين لا ينقص منه مقام امهات المؤمنين ولا من سائر أقرباء الرسول كأعمامه وأبنائهم ولا من سائر الصحابة الذين وردت في مدحهم والثناء عليهم احاديث نبوية كثيرة تثبت علو مقامهم وتبرز فضائلهم وما قدموا للدعوة الاسلامية من بذل وتضحيات. وكذلك كان اعمام رسول الله صلى الله عليه وآله وابناؤهم على درجة عالية من التقوى والبذل في سبيل الله كعمه حمزة رضي الله عنه والعباس بن عبدالمطلب الذي اتى اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة وامسكه من يده ودعا ربه قائلا: اللهم انا نتشفع اليك بعم نبيك ان تذهب عنا المحل وان تسقينا الغيث ولم يبرحوا حتى سقوا واطبقت السماء عليهم اياما.

وهذا يحملنا على القول بان حصر اهل البيت بالامام علي وزوجته وولديه

لا ينقص من مقام سائر اهل النبي واقاربه ولا من فضل سائر اصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

ويبقى السؤال عن الائمة الصالحين الاطهار من ذرية النبي صلى الله عليه وآله يحتاج الى جواب وهل الائمة من الذرية الطاهرة هم من اهل البيت؟

يجيب على هذا السؤال اكثر من حديث نبوي شريف يتحدث عن العترة النبوية الشريفة.

روى الترمذي في صحيحه ان رسول الله صلى عليه وآله وسلم قال: يا ايها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي.

وروى الترمذي عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وقد اخرج الامام احمد عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

ومعلوم ان عترة الرجل هم عشيرته الاقربون ممن مضى وبقي وكذلك ذريته.

وهكذا نرى ان هذه الاحاديث النبوية الشريفة قد دلت على امور ثلاثة:

اولها: ان رسول الله صلى الله عليه وآله تارك كتاب الله حبل الله الممدود بين السماء والارض.

ثانيا: عترته من اهل بيته والائمة من ذريته.

ثالثا: ان القرآن الكريم وعترته من اهل بيته لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

ويفهم من هذا ان الائمة من عترته وذريته الصالحة وكتاب الله تعالى لن

يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبهذا المعنى: ان الائمة الصالحين من ذريته من اهل بيته واعتبار ان ذريته ستبقى مع القرآن الى يوم القيامة.

اسباب حب آل البيت عند المذاهب الاسلامية ولدى سائر المسلمين والهدف من وراء ذلك:

نبدأ الخطوة الأُولى في السير على طريق حب أهل بيت النبوة باعتبار هذا الحب طاعة لله تعالى ولرسوله المصطفى صلّى الله عليه وآله وأمراً تعبدّياً.

أوّلاً: لان أهل البيت أو عترة النبيّ أو آل الرسول هم مع كتاب الله تعالى ولن يفترقا حتى يردا على رسول الله الحوض يوم القيامة ولان عليّاً عليه السلام مع القرآن والقرآن مع عليّ كما جاء في ثناء ابن عمه رسول الله عليه، وعليّ بمثابة الرأس من اهل البيت فيكون حب اهل البيت حب لكتاب الله وطاعتهم طاعة لكتاب الله تعالى طالما انهم مع كتاب الله الى يوم القيامة ولن يفترقا.

ثانيا: ان حب اهل البيت وطاعتهم امر تعبدي وذلك لان الله تعالى قد امرنا بالصلاة على نبيه فقال في محكم كتابه: ﴿*ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما*﴾ سورة الاحزاب.

وقد سأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وآله عن كيفية الصلاة عليه فقال: قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد. وقال ايضا: قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد.

روى هذه الاحاديث المتعلقة بالصلاة على محمد وآل محمد وآل محمد البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي وغيرهم.

وهي تشهد بان الرسول امر المسلمين بأن يصلوا على اهل بيته كما صلوا عليه وان الصلاة على اهل بيته متممة للصلاة عليه يؤديها المسلمون في صلواتهم بين يدي الله تعالى وخارج الصلاة، فتكون بهذا كلّه الصلاة على رسول الله وعلى اهل بيته امتثالاً لامر الله تعالىٰ ولرسوله المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وامرا تعبديا وتعبيرا عن محبة اهل البيت والاقتداء بهم وبجدهم.

وقد دعا القرآن الكريم الى مودة اهل البيت ومحبتهم حين قال تعالى في سورة الشورى: ﴿*قل لا اسألكم عليه أجراً الاّ المودّة في القربىٰ*﴾.

وقد روىٰ الحاكم في المستدرك عن علي بن الحسين ان عمه الحسن بن علي حين سمع هذه الاية [قال]: وانا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم.

وهناك احاديث كثيرة تعنى حب افراد من آل الرسول انما هو حب لرسول الله صلى الله عليه وآله وان بغضهم هو بغض له.

روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من احب الحسن والحسين فقد احبني ومن من ابغضهما فقد ابغضني» والحسن والحسين كما نعلم هما من اهل البيت.

وروى الامام احمد في مسنده ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لمن جاء اليه يشكو عليّاً: دعوا عليّاً دعوا عليّاً دعوا عليّاً ان عليّاً مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من احبه فقد احبني ومن ابغضه فقد ابغضني.

نفهم من هذه الاحاديث الشريفة ان حب آل محمد هو حب لمحمد صلى الله عليه وآله وان حب آل محمد والاقتداء بهم فلاح في الدنيا ونجاة في الاخرة نفهم هذا المعنى من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول: «الا ان مثل

اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

وان التوجه بالحب والولاء لاهل بيت النبوة ليس فقط لقرابتهم وانتسابهم لرسول الله صلى الله عليه وآله فقد كان ابو لهب من قرابته وانما التعلق بهم لقرابتهم اولا ثم لما وصفوا به في اعلى درجة من التقوى والصلاح والعلم بكتاب الله وسنة رسول الله ولما تحلوا به من خلق كريم شدت افئدة الناس اليهم.

واما حب اصحاب المذاهب الاسلامية لاهل بيت النبوة وخاصة الائمة الاربعة من اهل السنّة فكان على درجة عالية من السمو والاخلاص والتقدير.

فهذا هو الامام الشافعي رضي الله عنه صاحب المذهب الشافعي الذي ينتمي اليه الملايين من الناس قال عنه بعض الناس انه قد تشيع من شدة حبه لاهل البيت وهو القائل في مدح اهل البيت :

يا راكبا قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن خيفها والناهضِ
سحراً اذا فاض الحجيج الى منى ... فيضا كملتطم الفرات الفائضِ
ان كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان اني رافضي

وقال الشافعي ايضا:

آل النبي ذريتي وهم اليه وسيلتي ... ارجو بهم اعطى غدا بيد اليمين صحيفتي

ويقول ايضا:

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم الفخر انكم من ... لم يصل عليكم لا صلاة له

وهذا هو الامام مالك رضي الله عنه صاحب المذهب المالكي من اهل السنة

كان من تلامذة الامام جعفر الصادق وهذا الاخير هو من اهل بيت النبوة يقول عنه الامام مالك: كنت آتي جعفر بن محمد فما كنت اراه الا على احدى خصال ثلاث اما مصليا واما صائما واما يقرأ القرآن وما رأيته يحدث عن رسول الله الا على طهارة ولا يتكلم في ما لا يعنيه وكان من العباد الزهاد الذين يخشون الله وما زرته الا واخرج الوسادة من تحته وجعلها تحتي.

وقد اخذ عن الامام جعفر الصادق الكثير من اتباع الامام مالك ومنهم سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وغيرهما.

واما الامام ابو حنيفة صاحب المذهب الحنفي من اهل السنة فقد قيل عنه انه علوي ولا غرو في ذلك لثباته على الحق وانتصاره للحكم الشرعي بوجه الخليفة يعرفه الكثير من الناس وقد سجن وضرب وبقي على موقفه والتقى بالامام جعفر الصادق واخذ عنه وقد ورد ان المنصور امر ابا حنيفة ان يعد للامام الصادق عددا من المسائل الصعبة فسأل ابو حنيفة الامام جعفر الصادق أربعين مسألة. فأجاب عن كل واحدة منها.

وعلّق أبو حنيفة على ذلك قائلا: انّ أعلم الناس أعلمهم بخلافات الناس. ويقصد جعفر الصادق، ويضيف قائلاً: اتيته فدخلت عليه فلمّا بصرت به دخلني من الريبة لجعفر بن محمد ما لم يدخلني لابي جعفر المنصور.

وكذلك نجد الامام احمد بن حنبل الذي دخل السجن لثباته على رأيه ودفاعه عن كتاب الله بوجه الحاكم يروي عن رسول الله حديث الثقلين بعدة طرق منها ما رواه عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلي الله عليه وآله قال: اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. وروى الامام احمد الحديث ذاته عن ابي سعيد الخدري.

وهكذا نلاحظ الحب الكبير والتقدير العظيم من اصحاب المذاهب الاسلامية لاهل البيت وذلك لما اتصف به اهل بيت النبوة من تقوى، والله تعالى يقول: ﴿*ان اكرمكم عند الله اتقاكم*﴾ ومن علم غزير استقوه عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن أبيهم عليّ باب مدينة العلم، وعن امهم فاطمة الزهراء سيدة نساء اهل الجنة وسيدة نساء العالمين.

واننا نرى من المفيد ان نتطرق الى الفتوى التي اصدرها الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر فضيلة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله وذلك بتاريخ ١٩٥٩/٧/٧ وتحدث فيها عن مذهب الامامية الاثني عشرية فقال:

اولاً: يجوز لمن ليس من اهل الاجتهاد والنظر ان يقلد اي مذهب من مذاهب العلماء الموثوق معهم وبعلمهم وصلاحهم بشرط ان يصل اليه ذلك المذهب من طريق من ضبط يطمئن اليه سماعا او نقلا.

ثانياً: إنّ لفظ الشيعة الذي اشتهر به أتباع علي وآل بيته خاصّة هو مأخوذ من المشايعة بمعنىٰ المتابعة، فشيعة الرجل: أصحابه وأتباعه.

ثالثاً: ان هناك فرقا تنتسب الى عليّ وهم شيعته المهتدون، ومن هؤلاء الشيعة الصالحين الطائفة المعروفة بالجعفرية او بالامامية الاثني عشرية.

رابعاً: ان لهذه الطائفة المقرونة اصولها المستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله المروية عن ائمتهم في العقيدة والشريعة، وليس الخلاف بينهم وبين مذاهب السنة اعظم من الخلاف بين مذاهب السنة بوضوح مع بعضها البعض فهم يدينون بأُصول الدين كما وردت في القرآن الكريم والسنة المتواترة كما يؤمنون بكل ما يجب الايمان به ويبطل الاسلام بالخروج عنه من الاحكام المعلومة من الدين بالضرورة.

وختاما وبعد ان استعرضنا مواقف اصحاب المذاهب الاسلامية وفتوى

شيخ الازهر يمكننا أن نصل الى النتائج التالية:

اولا: اجماع اصحاب المذاهب الاسلامية وبخاصة المذاهب السنية الاربعة على حب اهل بيت النبوة والولاء والتقدير لهم.

ثانيا: تأتى فتوى شيخ الازهر الشيخ محمود شلتوت لتزيل الالتباس الذي يساور خيال البعض من المسلمين ويدفعهم للدعوة للتفرقة والانقسام بين المسلمين بحجج نظن بل نوقف أنهاحجج واهية، هذا الانقسام الذي هو اساس العلة وسبب الضعف اللاحق بالامة الاسلامية.

ثالثا: ان الاختلاف في اجتهاد الفقهاء المنتمين للمذاهب الاسلامية لا يشكل سبباً للتفرقة بين المسلمين إذا ما وضع في مكانه المناسب إذ قد نجد في المذهب الواحد أكثر من رأي، وعند الطائفة الواحدة اختلافا كثيرا.

رابعا: الدعوة للالتفاف حول العقيدة الاسلامية والالتزام بكتاب الله وسنة رسول الله وحب اهل البيت لتحقيق الوحدة الاسلامية مع الاعتراف الكامل بوجود هذه المذاهب وبحقها في الاجتهاد والاختلاف في الرأي طالما أنها جميعها ترجع في اجتهادها الى كتاب الله وسنة نبيه والائمة الاطهار والصحابة الابرار وهي تنشد في كل ذلك طاعة الله تعالى والالتزام بشرعه والمصلحة الاسلامية وحماية الاوطان والمقدسات وتدعو الى الوحدة ونبذ الفرقة لتلتقي الامة الاسلامية بجميع افرادها ومذاهبها واصقاعها على كتاب الله وحب النبيّ واهل بيته.

* * *

حبّ أهل البيت عليهم السلام
بين الادّعاء والانتماء

كريم النوري

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وحبيبه وخاتم انبيائه محمد وعلىٰ أهل بيته الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعد فان الله بعث انبيائه لهداية البشر وانقاذهم من الجاهلية وعبودية الذات وارشاد الامم باتجاه ما يحقق سعادتها فى الدارين.

وجاء نبينا الاكرم صلى الله عليه وآله بالرسالة الخاتمة ومعجزتها الخالدة كتاب الله وأضاء ربوع الارض بنور الرسالة الاسلامية السمحاء.

وكان النبى الاكرم الذي لا ينطق عن الهوىٰ قد ارسىٰ معالم واركان الرسالة من أجل استمرارها وديموميتها.

ومن مفردات الاستمرار والديمومة لهذه الرسالة المقدسة هو الحب والمودة لآل النبى الاطهار الذين فرضت علينا طاعتهم ومودتهم.

وهذا الحب ليس كلمات ترددها الشفاه او شعارات تهتف بها الحناجر أو تخطها المحابر بل هو الالتزام والانقياد والطاعة للنبي الاكرم واهل بيته الاطهار.

وحب أهل البيت هو مقدمة للاقتداء والاهتداء والاقتفاء علىٰ آثارهم عليهم السلام.

وفي سياق التعاطي مع هذا الحب أفرط قوم وقصر آخرون وكانوا بين طرفي الافراط والتفريط حتىٰ نشأت تيارات منحرفة من الغلاة والنواصب والمسلمون جميعاً مبرأون من انحرافات وتبعات اولئك الضالين.

وقد تبرأ اهل البيت من الغلاة وقالوا بكفرهم وخروجهم عن الاسلام والعبوديّة الحقة لخالق السماوات والارض.

ومن الظلم والاجحاف نسب هذه التيارات الىٰ الشيعة بحجة اختفاءهم أو اندساسهم وراء هذا المذهب أو ذاك كما انه من الخطأ الفادح نسب النواصب المعاندين الىٰ اهل السنة وان اختفوا وراء أهل السنّة.

وبعد ذلك كله ينبغي التمييز الواعي بين الحب والغلو وبين الغلاة وغيرهم من اتباع اهل البيت عليهم السلام.

تحديد المفاهيم والمصطلحات:

غالباً ما يقع الخلاف والنزاع فى فهم وتفسير المفاهيم فكثيراً ما يحتد النزاع حول معنىٰ أو مفهوم لو حدد بدقة وشرح بجلاء لأمكن رفع الغموض والضبابية عن كثير من المسائل التي يقع الخلاف فيها.

ومن هنا نلحظ ان علماءنا السابقين، علماء المسلمين، يحرصون تمام الحرص علىٰ «تحرير موضوع النزاع» فى المناظرات والخلافيّات حتىٰ لا تتأزم الامور علىٰ غير شيء.

وكثيراً ما يشتدّ الخلاف بين فريقين ويعلو الضجيج ويثور العجاج بينهما ثم يتبين في نهاية المطاف ان الخلاف لفظياً وان لا ثمرة عملية تجنىٰ من ورائه.

وأهم الامور المساهمة فى تقريب شقة الخلاف بين المسلمين هي تحديد المفاهيم التي يقع فيها النزاع وبيان مدلولها بدقة وموضوعية.

ويبدولي ان ازمتنا الاولىٰ هى أزمة فهم وتفسير هناك خلل واضح فى فهم المصطلح وقصور واضح في وعي المفهوم.

والاخطر من ذلك هو سعي البعض الىٰ لي عنق المفهوم وتحريف مساره

بعيداً عن مراده الحقيقي فى أجل مآرب خاصة ثم يسوق المؤيدات والمؤشرات لتحقيق الغاية التي ينشدها وبالتالي تحتجب الحقيقة وتهتز الرؤية ويغيب المراد الحقيقي في زحمة تعدد المعاني وتشتتها.

وقد يقع الخلط والتشوية لكثير من المفاهيم وتصرفها عن معانيها الحقيقيّة ومراداتها الاساسية ويضع المفاهيم في اهتزاز واختلال بمحاولة خاطئة تستبطن افراطاً في التبسيط وسذاجة في الوعي وهذا الواقع المؤسف قد وقع فيه الكثير من المسلمين وربما بعفوية وبساطة مفرطتين لكنهم بحاجة الىٰ التنبيه والتوجيه اذ فهموا ان حب اهل البيت هو المعنىٰ الساذج المتبادر العرفي الىٰ اذهانهم من هوىٰ عابر وعاطفة مجردة وتوهموا بان ذلك كاف لتحقيق مقاصد الشريعة والمراد الالهي وتأكدت فى هذا السياق مغالطات خطيرة ربما جرأت اصحابها علىٰ فعل الموبقات والمعاصي اتكاءً علىٰ ما تبادر في أذهانهم من خطأ فادح لمفهوم حب أهل البيت بمعناه الساذج وانه الضمانة والحصانة من العذاب الالهي وهذا الفهم بحاجة الىٰ ترشيد وتهذيب تأكيداً للوعي وتوخياً للحقيقة.

كما نجد في هذا السياق آراء واقوال متعددة ومتباعدة فى تحديد المراد بأهل البيت فى الآيات التي أوردت لفظ «اهل البيت» وكان اغلب تلك الاقوال مناقضة لسبب نزول الآية التي صرحت بوضوح باهل البيت فى اغلب التفاسير وكتب الحديث. ومعارضة للسنة الصحيحة المتمثّلة فى قول النبى صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره.

ينبغى تحديد المفاهيم والمصطلحات وتأكيد مرادها ومؤداها لكي يتضح البحث ويتوجه بشكل موضوعي بعيداً عن التلاعب بالالفاظ واقحام الالفاظ في غير معانيها الدالة عليها.

المراد بأهل البيت

أهل البيت في اللغة والاصطلاح:

اهل البيت في اللغة:

المراد اللغوي لكلمة أهل يحدد بما يضاف اليها، فأهل القرى سكانها واهل الشيء صاحبه، واهل الكتاب قراؤه أو اتباعه وكذلك اهل التوراة واهل الانجيل، وقد ورد بعض هذه الالفاظ في القرآن الكريم[١].

واهل الرجل: عشيرته وذوو قرباه[٢] واخص الناس به[٣] ومن يجمعه واياهم نسب أو دين[٤].

قال تعالى: ﴿*وأمر اهلك بالصلاة*﴾[٥] أي ذوي قرباك ومن يرتبط في النسب[٦].

وقال تعالى: ﴿*يا نوح انه ليس من اهلك*﴾[٧] مشيراً الى ابنه وهو في أهله من حيث النسب، لكنه تعالى اراد أنه ليس من أهل دينك وملتك والسائرين على

---

١ ـ مودة اهل البيت وفضائلهم في الكتاب والسنة ص ٩ مركز الرسالة.
٢ ـ القاموس المحيط / مجد الدين الفيروز آبادي ١: ٣٣١ ـ مادة أهل.
٣ ـ لسان العرب / ابن منظور ١١: ٢٨ ـ ٢٩ مادة أهل.
٤ ـ مفردات الراغب: ٢٩ ـ أهل.
٥ ـ سورة طه: ١٣٢.
٦ ـ مودة اهل البيت وفضائلهم في الكتاب والسنة ص ١٠ مركز الرسالة.
٧ ـ سورة هود: ٤٦.

منهجك[١].

واطلقت «اهل» في الكتاب الكريم على اولاد ابراهيم عليه السلام وأولاد أولاده، قال تعالى: ﴿*رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد*﴾[٢].

وذكر الراغب في مفرداته ان اهل البيت صار متعارفاً في آل النبي[٣] تبعاً للنصوص وهم كما حديث الكساء وغيره: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله والامام علي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام والذين نزلت فيهم آية التطهير: ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً*﴾[٤].

واهل البيت منحصرة في آل النبى كما تعارف بين المسلمين استناداً لتواتر الروايات وتظافر التفاسير ويطلق عليهم آل النبى أو عترته أيضاً، والآل مقلوب عن الاهل[٥]، فيقال: آل الله وآل رسوله، أي اولياؤه، أصلها أهل، ثم أُبدلت الهاء همزة، فصارت في التقدير أأل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً[٦].

واما العترة فالمراد بها أهل البيت عليهم السلام كما صرح به ابن منظور، مستدلاً بقوله صلى الله عليه وآله: «انى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى أهل بيتي» قال فجعل العترة اهل البيت[٧].

وقد يطلق مجازاً بأهل الرجل عن امرأته كما قال الزبيدي فى تاج العروس:

---

١ ـ مودة اهل البيت وفضائلهم فى الكتاب والسنة ص ١٠ مركز الرسالة.
٢ ـ سورة هود: ٧٣.
٣ ـ مفردات الراغب: ٦٤.
٤ ـ سورة الاحزاب: ٣٣.
٥ ـ مفردات الراغب: ٣٠.
٦ ـ لسان العرب ١١: ٢٨ ـ ٢٩ ـ أهل.
٧ ـ لسان العرب ٩: ٣٤ ـ عتر.

«وفى اعجاز: الاهل للرجل زوجته»[١].

اهل البيت في الاصطلاح:

لا شك في أنّ المراد من أهل البيت افراد مخصوصون نصّ عليهم الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وصرح باسمائهم في موارد كثيرة وفي اماكن متعددة ويدلّنا هذا التأكيد النبوي علىٰ هذه الصفوة الطاهرة أن لهم شأناً عظيماً عند الله ومكانة خاصة عند نبيه الاكرم صلى الله عليه وآله .

ولقد يتضح ان المراد باهل البيت فى لسان الكتاب والسنة المطهرة معنىٰ خاص فالمراد بهم هم: رسول الله صلى الله عليه وآله والامام علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين إبنا علي بن ابى طالب عليهم السلام وهذا ما نطق به القرآن الكريم وما ذكرته السنة النبوية المطهرة وما نقله الصحابة والتابعون ورواة الحديث.

وقد ذكر المفسرون والرواة اسباب نزول الآيات المتضمنة لاهل البيت وعرفوا المقصود بها ونحاول في هذا السياق، القاء الضوء علىٰ نماذج محدودة فى تفسير آي الذكر الحكيم وبيان اسباب نزولها:

آية التطهير:

﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً*﴾[٢].

جاء عن ام سلمة انه عندما نزلت: ﴿*انما يريد الله...*﴾ قالت: فأرسل رسول

---

١ ـ تاج العروس عن جواهر القاموس / الزبيدي: ٢١٧.
٢ ـ سورة الاحزاب: ٣٣.

الله صلى الله عليه وآله الى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: «هؤلاء أهل بيتي»[١].

وعن عائشة قالت: كان أحب الرجال الى رسول الله ـ تعني الامام على عليه السلام ـ لقد رأيته وقد أدخله تحت ثوبه وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم قال: «اللهم هؤلاء اهل بيتى»[٢].

يقول المحب الطبري «باب في بيان ان فاطمة وعلي والحسن والحسين هم أهل البيت المشار اليهم فى قوله تعالى: ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ....*﴾[٣].

يقول الواحدي فى تفسيره أسباب النزول: عن ابي سعيد الخدري ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ...*﴾ نزلت فى خمسة فى النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين[٤] ويقول القرطبي فى تفسيره الجامع لاحكام القرآن فى تفسيره الآية المذكورة: «.... ان النبى لما نزلت عليه هذه الآية دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين فعمد النبى صلى الله عليه وآله الى كساء فلفها عليهم ثم ألوى بيده الى السماء فقال: اللهم هؤلاء أهل البيتى، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[٥].

ويقول السيوطي: «اهل البيت» قال هم علي وفاطمة والحسن والحسين[٦].

ويقول ابن تيمية: عن ام سلمة «ان هذه الآية لما نزلت ادار النبى صلى الله عليه وآله كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين فقال اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم

---

١ ـ المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥٨ / ٥. ٤٧ والسنن الكبرى / البيهقي ٧: ٦٣.
٢ ـ ترجمة الامام علي عليه السلام من تأريخ دمشق.
٣ ـ ذخاير العقبى / محب الدين الطبري ص ٢١.
٤ ـ اسباب النزول / الواحدي النيسابوري، ص ٢٣٩.
٥ ـ الجامع لاحكام القرآن / القرطبي، ج ١٤، ص ١٨٤.
٦ ـ الاتقان في علوم القرآن / السيوطي، ج ٢، ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

الرجس وطهرهم تطهيراً»[١].

ويقول الطباطبائي فى تفسيره الميزان: ما ورد في اسباب النزول ان الآية نزلت فى النبي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام خاصة لايشاركهم فيها غيرهم، وهي روايات جمة تزيد علىٰ سبعين حديثاً يربو ماورد منها عن طرق اهل السنة علىٰ ماورد منها عن طرق الشيعة فقد روتها أهل السنة بطرق كثيرة عن ام سلمة وعائشة وابي سعيد الخدري وسعد وواثلة بن الاسقع وابي الحمراد وابن عباس وثوبان مولىٰ النبي وعبدالله بن جعفر وعلي والحسن بن على عليهم السلام في تعريب من أربعين طريقاً وروتها الشيعة عن علي والسجاد والباقر والصادق والرضا عليهم السلام وام سلمه وأبي ذر وابي ليلىٰ وابي الاسود الدؤلي وعمروبن ميمون الاودي وسعد بن ابي وقاص في بضع وثلاثين طريقاً[٢].

توخياً للاختصار وتجنباً للاطاعة والاسهاب نحاول الاقتصار علىٰ ذكر آية التطهير واسباب نزولها وهى تفي بالغرض الذي توخيناه فى اثبات المراد بأهل البيت.

---

١ ـ حقوق آل البيت / ابن تيمية، ص ١٠ مطبعة الجيزة ١٩٨١ م.
٢ ـ تفسير الميزان / الطباطبائي، ١٦ / ٣١١.

حب أهل البيت عليهم السلام
في القرآن الكريم والسنّة المطهرة

حب اهل البيت عنصر هام ومقوّم اساسي للايمان وعمل مساهم في ترسيخ العقيدة وتأكيد المبدأ وهو السبيل الذي يديم العطاء الرسالي ويبني الشخصية الاسلامية الالهية.

ولقد أكد وحي السماء ونبي الاسلام الاكرم تعميق وتأصيل هذا المفهوم القويم.

وسنتاول بشيء من الايجاز بعض آيات كتاب الله التي تظافرت الروايات على نزولها في اهل البيت لتأكيد مودتهم ووجوب محبتهم.

حب أهل البيت في القرآن الكريم:

١ ـ «قل لا اسألكم عليه أجراً الاّ المودة في القربى» روى الجمهور في الصحيحين واحمد بن حنبل في مسنده والثعلبي في تفسيره عن ابن عباس «رحمة الله عليه» قال: لما نزلت «قل لا اسألكم، الآية» قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال: «علي وفاطمة وابناهما»[1].

ووجوب المودة يستلزم وجوب الطاعة والانقياد وقد أستدل الفخر الرازي

---

١ ـ الدر المنثور / السيوطي ٦: ٧، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٧٢، الكشاف / الزمخشري ٤: ٢١٩.

على ان الآية تدل على وجوب المودة لأهل البيت بثلاثة وجوه فبعد ان روى الحديث عن الزمخشري قال: فثبت ان هؤلاء الاربعة أقارب النبي صلى الله عليه وآله واذا ثبت هذا وجب ان يكونوا مخصوصين بمزيد فى التعظيم ويدل عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: «الاّ المودة في القربى»

الثاني: لا شك ان النبي صلى الله عليه وآله يحب فاطمة عليها السلام قال صلى الله عليه وآله «فاطمة بضعة مني يؤذيني مايؤذيها» وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله انه كان يحب علياً والحسن والحسين واذا ثبت ذلك وجب على كل الامة مثله، لقوله تعالى: ﴿*واتبعوه لعلكم تهتدون*﴾.

الثالث: ان الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء فاتحة التشهد في الصلاة، وهو قوله: اللهم صلّ على محمد وآل محمد وارحم محمداً وآل محمداً، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدلّ على ان حب محمد وآل محمّد واجب.[١]

٢ ـ ﴿*ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً*﴾[٢].

ورد عن جابر بن عبدالله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن ابي طالب «يا علي قل: رب اقذف المودة في قلوب المؤمنين، رب اجعل لي عندك عهداً، رب اجعل لي عندك وداً» فأنزل الله تعالى: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً» فلا تلقى مؤمناً ولا مؤمنة الا وفي قلبه ود لأهل البيت.[٣]

---

١ ـ تفسير الرازي: ٢٧ / ١٦٦.

٢ ـ سورة مريم: ٩٦.

٣ ـ شواهد التنزيل ١ / ٤٦٤ / ٤٨٩ وغاية المرام ٣٧٣ باب ٧٣، ومجمع الزوائد ٩: ١٢٥ والدر المنثور ٤: ٢٨٧.

٣ ـ ﴿*الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب.*﴾[١]

عن الامام امير المؤمنين عليه السلام: ان رسول الله لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وآله: ذاك من أحب الله ورسوله وأحب اهل بيتي صادقاً غير كاذب وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً، ألا بذكر الله يتحابون[٢]

٤ ـ ﴿*من جاء بالحسنة فله خير منها ...*﴾[٣].

عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «دخل ابو عبدالله الجدلي علىٰ امير المؤمنين فقال له: يا أبا عبدالله الا أخبرك بقوله تعالىٰ «من جاء بالحسنة فله خير منها»؟ قال: بلىٰ جعلت فداك. قال عليه السلام: الحسنة حبنا أهل البيت والسيئة بغضنا، ثم قرأ الآية.[٤]

حب أهل البيت فى السنّة المطهرة:

١ ـ روىٰ الترمذي في صحيحه ان النبي قال: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبي»[٥].

٢ ـ وفي حديث صحيح ان النبي صلى الله عليه وآله قال: ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب، الزائد في كتاب الله ... والمستحل من عترتي ما حرم الله ....» وقد صححه

---

١ ـ سورة الرعد ١٣ / ٢٨.

٢ ـ كنز العمال ١: ٢٥٠ والدر المنثور ٤: ٥٨.

٣ ـ سورة القصص: ٨٤.

٤ ـ كشف الغمة ١: ٣٢١ و٣٢٤، مناقب ابن المغازلي ص ١٣٨، ينابيع المودة ١: ٢٩٢ / ٥.

٥ ـ الترمذي: الجامع الصحيح، ج ٥، ص ٦٢٢ والسيوطي: الجامع الصغير، ج ١، ص ٣٩، ج ٢ ص ٤٦ والصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي، ص ٣٦٢.

الحاكم في المستدرك والذهبي في تلخيصه[١].

٣ ـ وروىٰ الترمذي في صحيحه والامام أحمد في مسنده عن علي بن ابي طالب قال: «أخذ النبي بيد الحسن والحسين فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[٢].

٤ ـ وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحبنا أهل البيت الا مؤمن ولا يبغضنا الاّ منافق شقي»[٣].

٥ ـ قال رسول الله ﷺ: أدبوا اولادكم علىٰ ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن[٤].

٦ ـ وقال ﷺ: «اذكركم الله في اهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي»[٥].

٧ ـ وفي المستدرك عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الاّ ادخله الله النار» وقد أقره الحافظ الذهبي في تلخيصه[٦].

٨ ـ عن زيد بن أرقم قال: كنت عند رسول ﷺ فمرت فاطمة وهي خارجة من بيتها الىٰ حجرة النبي ومعها ابناها الحسن والحسين وعلي في آثارهم فنظر

---

١ ـ الجامع الصغير / السيوطي ج١، ص٣٩، ج٢، ص٤٦ والحاكم: المستدرك ج ٢، ص ١٥٠.
٢ ـ الجامع الصحيح / الترمذي، ج ٥، ص ٦٠٠ واحمد: المسند، ج ١، ص ٧٧ والصواعق المحرقة / ابن حجر، ص ٢١٣.
٣ ـ ذخائر العقبىٰ / المحب الطبري، ص ١٨.
٤ ـ كنز العمال ١٦ / ٤٥٩ / ٤٥٤٠٩ والصواعق المحرقة، ص ١٧٢.
٥ ـ صحيح مسلم، ٤: ١٨٧٣ / ١٤٠٨ ومسند أحمد، ج ٤، ص ٣٦٧.
٦ ـ الحاكم: المستدرك، ج ٣، ص ١٥٠.

اليهم النبى صلى الله عليه وآله فقال: «من أحب هؤلاء فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد ابغضني»[١].

٩ ـ وأخرج بن سعد والملاّ في سيرته انه قال: «استوصوا بأهل بيتي خيراً فاني أخاصمكم عنهم غداً ومن اكن خصمه أخصمه الله ومن أخصمه الله أدخله النار»[٢]

١٠ ـ روىٰ الديلمي والطبراني وابو الشيخ بن حبان والبيهقي مرفوعاً انه قال: «لا يؤمن عبد

حتىٰ اكون أحب اليه من نفسه وتكون عترتي أحب اليه من عترته وأهلي أحب اليه من اهلي»[٣]

١١ ـ روىٰ ابو الشيخ عن علي عليه السلام قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ استوىٰ علىٰ المنبر فحمد الله واثنىٰ عليه ثم قال: ما بال رجال يؤذينى في اهل بيتى، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتىٰ يحبني ولا يحبني حتي يحب ذريتي»[٤]

١٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اساس الاسلام حبي وحب أهل بيتي»[٥]

١٣ ـ قال النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: «لكّل شيء اساس واساس الاسلام حبنا أهل البيت»[٦]

١٤ ـ عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: «اشتد غضب الله علىٰ اليهود واشتد غضب الله علىٰ النصارىٰ واشتد غضب الله علىٰ من آذاني في

---

١ ـ ترجمة الامام الحسين من تأريخ دمشق ٩١ / ١٢٦.
٢ ـ الصواعق المحرقة / ابن حجر الهيتمي، ص ٢٣١.
٣ ـ المصدر السابق، ص ٢٦٢.
٤ ـ نور الابصار / الشبلنجي، ص ١٢٦.
٥ ـ كنز العمال ١٢: ١٠٥ / ٣٤٢٠٦ والدر المنثور ٦: ٧.
٦ ـ المحاسن / البرقي ١: ٢٤٧ / ٤٦١، المجمع العالمي لأهل البيت قم ط ١.

عترتي»[١]

١٥ ـ قال الامام الباقر عليه السلام: «حبنا ايمان وبغضنا كفر»[٢]

حب اهل البيت في الشعر العربي:

١ ـ قال ابو الحسن بن جبير :

أحب النبي المصطفى وابن عمه
عـلياً وسبطيه وفاطمة الزهرا
موالاتهم فرض علىٰ كل مسلم
وحبهمو أسنىٰ الذخائر للأخرىٰ[٣]

٢ ـ قال ابو طالب عم الرسول الاكرم:

ألم تعلموا إنا وجدنا محمداً
نبياً كموسىٰ خطّ في أول الكتب
وان عليه في العباد محبة
ولا شك فيمن خصه الله بالحب[٤]

٣ ـ الفرزدق، همام بن غالب التميمي الدارمي:

---

١ ـ المناقب / ابن المغازلي ص ٩٤.
٢ ـ الكافي ١: ١٨٨ / ١٢ والمحاسن ١: ٢٤٧ / ٤٦٣.
٣ - نور الابصار / الشبلنجي، ص ١٢٧ - ١٢٨.
٤ ـ السيرة النبوية / ابن هشام ١ / ٣٧٧ مطبعة البابي ـ القاهرة.

مـــن مـــعشر حـــبهم ديـــن وبـــغضهم
كـــفر وقـــربهم مـــنجىً ومـــعتصم[١]

٤ ـ حرب بن المنذر بن الجارود:

فـــحسبي مـــن الدنـــيا كـفاف يـقيمني
وأثـــــواب كـــــتان أزور بـــها قـــبري
وحـــــبي ذوي قـــربىٰ النـــبي مـــحمد
فـــما ســـؤلنا الاّ المـــودة مـــن أجـــر[٢]

٥ ـ السيد الحميري:

إنّـــا نـــدين بـــحب آل مـــحمد
ديـــناً ومـــن يـــحبهم يـــستوجب
مـــنا المـــودة والولاء ومـــن يُـــرد
بـــدلاً بآل مـــحمد لا يـــحبب[٣]

٦ ـ الشافعي ابو عبدالله محمد بن إدريس:

يـــا آل بـــيت رســـول الله حـــبكم
فـــرض مـــن الله فـــي القـــرآن انـــزله

---

١ ـ ديوان الفرزدق، ج ٢ / ١٧٨ ـ ١٨١ دار صادر ـ بيروت.
٢ ـ البيان والتبيين / الجاحظ، ج ٣، ص ٢٠٥ دارومكتبة الهلال، ط ١.
٣ ـ الغدير ج ٢، ص ٢١٥.

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له[١]

٧ ـ دعبل بن علي الخزاعي:

نبذت اليهم بالمودة صادقاً
وسلّمت نفسي طائعاً لولاتي
فيارب زدني من يقين بصيرة
وزدحبّهم يا رب في حسناتي[٢]

٨ ـ صفي الدين الحلي :

بكم يهتدي يا بني الهدىٰ
ولـيّ إلىٰ حبكم ينتسب
به يكسب الأجر في بعثه
ويخلص من هول ما يكتسب[٣]

٩ ـ شمس الدين المالكي:

قال في حب الحسن والحسين عليهما السلام:

هما قرتا عين الرسول وسيدا
شباب الورىٰ في جنة وتخلد

---

١ ـ ديوان الشافعي ٧٢، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.
٢ ـ ديوان دعبل ١٤١ ـ ١٤٦، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.
٣ ـ ديوان صفي الدين الحلي: ٨٦.

وقـــال هـما ريـحانتاي أحب مـن
احـبهما فأصـدقهما الحب تسـعد[1]

١٠ ـ شهاب الدين بن أحمد الحلواني:

مـــحبتهم بـــاب الرضـا ورضـاهم
يســـام بأرواح المـحبين لو يشـرىٰ
بـمدحتهم جـاء الامـين فأصـبحت
عشـوراً تـؤدي كـلّما قـارىء يـقرا[2]

حب أهل البيت عليهم السلام موازين ومعايير:

قد يتبادر الىٰ الذهن معنيان عند اطـلاق لفـظ «الحب»، أحـدهما بـمعنىٰ الميول القلبي والعواطف العابرة والآخر: بمعنىٰ الالتزام والانقياد والطاعة.

ربما ينشأ من ذلك تياران ينحيان باتجاهين مفرطين ويتأكد معنىٰ دون آخر من خلال الاهتمام باحدهما والتغافل عن الآخر وهذا بالتأكيد يبلور رؤية مهزوزة ووعياً مختلاً.

فالرؤية المطلوبة هي الاتزان والوسطية بعيداً عن الغلو والتقصير والتـجرد عن الافراط والتفريط وبذلك يمكننا ان نحقق المراد من مودة اهـل البـيت التـي فرضت علينا. ويمكن الاستدلال علىٰ ان المراد الثاني لا بد من تحققه لكي يتحقق هذا الحب وذلك باننا لو سلمنا بوجوب الحب استناداً الىٰ آيات الله واحاديث نبيه الدالتين علىٰ ذلك فأن متعلق الواجب «الحب» يـنبغي ان مسـتطاعاً للإتـيان بـه

---

١ ـ الغدير، ج ٦، ص ٥٩.
٢ ـ مودة اهل البيت وفضائلهم، ص ٧٩، مركز الرساله.

ومقدوراً عليه اذ يستحيل التكليف بغير المقدور ثم ان القدرة على الاتيان بمتعلق الواجب شرط في استحقاق الادانة والعقاب عند الترك أو الاجر والثواب عند الفعل والامتثال فان العاجز لا يستحق اذىٰ عقاب وبانتفاء القدرة على الفعل ينتفي الوجوب وبالتالي تنتفي الادانة والعقاب.

وتأسيساً على هذا فانه اذا كان المراد بالحب الميل القلبي والعواطف العابرة فان هذا الامر لا يمكن تحصيله أو السعي الىٰ ايجاده اذ إنّها تتدفق الىٰ قلب الانسان دون جهد مسبق أو سعي في الخارج ولذا فان الميل القلبي عند القاضي باتجاه أحد الخصمين لا يقدح في عدالة القاضي الا اذا رتب أثراً في الخارج واثناء الحكم علىٰ هذا الميل ومؤثراته وكذلك الحال بالنسبه الىٰ الزوج وميله الىٰ احدىٰ زوجتيه لا يحقق قدحاً في عدالته مالم يرتب أثراً علىٰ ميله وعواطفه باتجاه احدىٰ زوجتيه.

ومن هنا فلا يمكن ان يكون وجوب الحب المقصود بمعناه الأول «الميل القلبي والعواطف العابرة» اذ إن هذه غير مستطاعة أو مقدور عليها من أجل التحرك اليها وايجادها في الخارج.

فيتعين المراد بالحب هو بمعناه الثاني وهو الالتزام والانقياد والتأسي فهذا يمكن للانسان وهو مستطاع ومقدور عليه وعلىٰ المكلف ان يطبقه ويسعىٰ لتحصيله ولكن هنا امران:

الأول: ان الحب بالمعنىٰ الثاني الذي يعني الانقياد والطاعة فاذا عمل الانسان في إطاره وسار وفقاً لمنهاجه فانه يؤثر في ايجاد الحب في المعنىٰ الأول وتجسيده يتحقق بالضرورة.

الثاني: إننا وان كنا نؤكد طبقاً للروايات على الحب بالمعنىٰ الثاني بيد ان هذا لا يعني عدم اهمية الحب في المعنىٰ الأول بل له اهمية خاصة لا تخفىٰ على

اللبيب.

وخلاصة القول: ان الحب بالمعينين المذكورين ضروري جداً ولا محيص عنه لذي عينين.

حب أهل البيت عليهم السلام مسؤولية والتزام:

لا شك ان الحب الذي اوجبته الشريعة المقدسة هو ذلك الحب الذي يعني بكل تأكيد هو الدين والمعرفة والطاعة وليس فقط العواطف العابرة والميولات القلبية وفي هذا السياق يشير الامام الصادق عليه السلام الى المعنى الذى اردنا تأكيده ويقول: «الدين هو الحب والحب هو الدين»[١]

والى ذلك يشير الامام الصادق أيضاً بقوله: «الحب فرع المعرفة»[٢]

ويتضح من خلال هذا ان الحب انما يتفرع عن المعرفة والا كيف يصدق الحب بدون معرفة بل وكيف يحب الانسان ما يجهله.

الحب الحقيقي لا يتجرد عن الاداء والفعل والامتثال وأي افتراق بين الحب والعمل بمقتضى هذا الحب سيؤدي الى اختلال في مفهوم الحب وانهيار عراه واسسه ويمكن ان نستكشف هذه الفكرة في قول الامام الباقر لجابر: «يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، أحسب الرجل ان يقول: أحب علياً واتولاّه ثم لا يكون مع ذلك فعالاً؟ فلو قال: اني أحب رسول الله ـ فرسول الله خير من علي ـ ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً فاتقوا الله واعلموا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة أحب العباد الى الله عز وجل أتقاهم واعملهم بطاعته.

يا جابر والله مايتقرب الى الله تبارك وتعالى الا بالطاعة وما معنا براءة من

---

١ ـ نور الثقلين، ج ٥، ص ٢٨٥.

٢ ـ الصواعق المحرقة: ١١١.

النار ولا علىٰ الله لأحد من حجة. من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، من كان لله عاصياً فهو لنا عدو، ما تنال ولايتنا الا بالعمل الورع»[١]

ان محبة الانسان الفاضل الكامل ومودته تستلزم رقيه وصعوده الىٰ سلم الكمال فان الانسان مع من أحب كما يقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله.[٢]

ومن المعلوم ان احداً لو أحب شخصاً من صميم قلبه سعىٰ الىٰ التشبه به في حركاته وسكناته وتحقيق ما يسر ويرضى ذلك في نفسه وذاته وترك ما من شأنه ان يؤدي الىٰ ازعاجه وامتعاضه وعند ما تتجسد هذه الروحية وتتعمق في الانسان فهي بلا أي شك ستحفزه باتجاه سلوك طريق الطاعة واجتناب المعصية دائماً.

ان الذي يظهر التعلق لاحد ويتظاهر بمودته ثم يخالفه في مقام العمل والامتثال يفتقد في الحقيقة المحبة الحقيقية.

وفى ذلك يقول الامام الصادق كما نسب اليه بيتان من الشعر مؤكداً هذا المعنىٰ:

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

الحب المراد هو ما تظهر اثاره الفعلية علىٰ اقوال وافعال الانسان.

ومن الاثار المؤكدة والمجسدة لمحبة النبي وآل بيته الاطهار هو اتباعه العملي وتكريمه والتأسي به لكن ما يمكن التنبيه عليه هو ان يكون اتباع النبى واهله وتكريمهم بعمل مشروع لا بعمل حرام.

والحب ما لم يتعمق في فكر الانسان وسلوكه ويتأكد من خلال الفهم

---

١ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٧٤.

٢ ـ مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٢٨٠.

العقائدي ويترسخ في اطاره المناسب فلسوف يؤدي بالانسان الى المزالق والمآزق واذا يتعرض الانسان الى اختبار عسير ومنعطف خطير فانه يضع هذا الحب على المحك الحقيقي اذ الفارق كبير بين الادعاء والاداء فيتميز ما كان راسخاً بفهم عقائدي أصيل وما هو قد تمخض عن شعور عاطفي عابر وطارىء ولقد لا نستغرب كثيراً من جواب ذلك الرجل الذي لاقى الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام فسأله الامام الحسين عن طبيعة تجاوب اهل الكوفة واستعدادهم للوقوف معه بلحاظ ما وصله من رسائل كثيرة منهم تدعوه الى المجيء واعلان البيعة فأجابه ذلك الرجل بعبارة معبرة وبليغة قائلاً: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»

هذه الكلمة القصيرة تكشف عن حقيقة كبيرة وهذا الحب الذى تحول الى شعار بلا شعور وقالب بلا قلب وجوهر.

وثمة موقف يعكس الحب المبني على اسس عقائدية واعية وهو موقف احد انصار الامام الحسين وهو عابس الشاكرى الذي كان قلبه وسيفه مع سيده الامام الحسين ذلك عند ما برز ليقاتل دفاعاً عن الحسين واهل بيته تقدم غير مكترث بالحشد الهائل وتدافع خصومه عنه منهزمين ثم رمى سيفه وتقدم راجلاً باتجاه الخندق المقابل بخطوات واثقة وقلب مطمئن وروح وثابة فخاطبه البعض يا عابس هل جننت فأجاب: نعم حب الحسين أجنني، ان اختلال الموازنة بين مقومات الحب واسسه يسهم في تشويه الدين واعطاء المبررات للخصوم والاعداء للطعن بهذا الدين الحنيف فمن يتشبث بظواهر هذا الحب ويتفاعل مع قشوره ثم يتكاسل في السعي الى المحبوب غاية الاساءة. ان الاتكاء على هذا المخزون من العواطف دون الالتزامات الاخرى في الجانب العبادي والعقيدي والمبدئي لم يشفع لصاحبه وينبغي التواصل والتفاعل بتعميق هذاالحب بالسير وفق منهج اهل البيت دون اللجوء الى المغالطات والمفاهيم المخطوءة التي يعتمد

عليها البعض متوهماً ان حب اهل البيت المجرد كاف وهو الكفيل بمحو كل السيئات والموبقات باعتبار «ان الحسنات يذهبن السيئات» وهذا الحب هو حسنة كما يتصور هذا البعض بيد ان الحب اذا لم يعمل في طياته المبادىء والالتزامات الشرعية لم يكن حسنة. هذه مغالطات وأوهام خطيرة ينبغي الوقوف ضدها وتهذيبها حتىٰ لايساء إلىٰ هذا الدين الحق.

ونعتقد ان حب اهل البيت من اصدق نماذج الحب في الله وهو يمثل حقيقة الايمان بل اوثق عراه قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرىٰ الايمان الحب والبغض فى الله»[1].

أهل البيت عليهم السلام بين الغلو والتقصير:

من معالم الفكر الاسلامي انه فكر وسطي الوجهة والنزعة وهو فكر تتجلىٰ فيه الرؤية المتزنة المعتدلة المتكاملة للناس والحياة بعيداً عن الغلو والتقصير.

الوسطية التي ننشدها هي نبذ الافراط والتفريط بالاشياء والاعتدال في حب أهل البيت يقع في دائرة الغلو والبغض بين طرفي الافراط في حبهم والتفريط في ذلك.

وقد حرص النبي المصطفىٰ والائمة الهداة علىٰ تأكيد الوسطية والاعتدال ونبذ التطرف والمغالاة.

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «قال لي النبي ﷺ فيك مثل من عيسىٰ أبغضته اليهود حتىٰ بهتوا أمه واحبته النصارى حتىٰ انزلوه بالمنزلة التى ليس به.» ثم قال عليه السلام: «يهلك فيّ رجلان: محب مفرط يقرظني بما ليس فيّ ومبغض يحمله

---

١ ـ كنز العمال ١: ٤٣ / ١٠٥، الكافي، ج ٢، ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

شنآني على ان يبهتني»[١].

أسهمت ظاهرة الغلو في تفتيت تواصر بنية الامة الاسلامية وكانت عائقاً امام كل محاولات التقريب والتفاهم بين فرق المسلمين. بيد ان تستر الغلاة خلف المذهب الشيعي لا يستلزم اتهام هذا المذهب بالغلو كما ان اختفاء بعض النواصب وراء أهل السنة والجماعة لا يوجب اتهامهم بتهمة النصب والعداء لأهل البيت. فالشيعة مبرأون من الغلو والغلاة كما ان اهل البيت مبرأون من النصب والبغض لأهل البيت.

ويمكن القول ان ثمة اتجاهين نشأ بسبب تكريس السطحية في فهم الدين والابتعاد عن حقيقة العبودية لله وبروز روح الافراط والتفريط في حب أهل البيت هذان الاتجاه هما الغلاة والنواصب من كلا الفريقين والحق ان اهل السنة والشيعة وفق متبنياتهم واصول وافكارهم لا يتبنون كلا الاتجاهين حين فالشيعة وأهل السنة بعيدون عن افكار هؤلاء الضالة.

الا ان المؤسف حقاً وفي اجواء السجالات والانفعالات يقوم البعض فى كلا الفريقين بالانسياق وراء الاتجاهين السلبيين لتأييد رأيه وافحام خصومه.

ومن هنا لابد لكلا الفريقين فى السعي الجاد لتهذيب التراث والرصيد الثقافي والفكري مما دُس من افكار الغلاة والنواصب وبلورة وعي الاسلامي مشترك للوقوف بوجه تلك الدعوات المنحرفة وتنزيه موروثاتنا الفكرية وتحديد مفاهيم الغلو ضمن أطر معلومة الافاق ومحدودة المعالم ولابد فى التمييز الواعي بين الحب والغلو وعدم تحميل أي فريق تبعات وتداعيات انحرافات الغلاة والنواصب .

---

١ ـ مسند أحمد ١: ١٦٠ والصواعق المحرقة: ١٢٣ .

أهل البيت عليهم السلام تهذيب الحب ومواجهة الغلاة:

واجه أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلماؤهم مظاهر الغلو بقوة وشدة وعبئوا كل امكاناتهم وقدراتهم من أجل تقويض أركان الغلو معتبرين الغلو أحد اقسام الكفر الذي يجب محاربته وحذروا شيعتهم واتباعهم من مخاطر الغلو واندساس الغلاة في صفوفهم.

وفيما يلي جملة من الاخبار الواردة في هذا السياق:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اياكم والغلو، فانما اهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[١].

٢ ـ قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب :

«بنى الكفر على اربع دعائم: الفسق والغلو والشك والشبهة»[٢].

٣ ـ قال الامام الصادق: «لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في انفسنا، لعن الله من ازالنا من العبودية لله الذي خلقنا، واليه معادنا، وبيده نواصينا»[٣].

٤ ـ وقال عليه السلام: «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم. فان الغلاة شر خلق، يصغّرون عظمة الله ويدّعون الربوبية لعباد الله، والله إنّ الغلاة شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا»[٤].

اما موقف اعلام الامامية من الغلاة فكان موقفاً واضحاً وصريحاً مستمدين رؤاهم من وصايا وارشادات أئمة اهل البيت عليهم السلام ونعرض نماذج من اقوالهم:

* قال شيخ الصدوق: «اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله تعالى.

---

١ ـ الطبقات الكبرى / ابن سعد، ج ٢، ص ١٨٠ ـ ١٨١.
٢ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٣٩١.
٣ ـ بحار الانوار / المجلسي ٢٥ / ٢٩٧.
٤ ـ امالي الطوسي ٦٥ / ١٣٤٩.

وانهم شر من اليهود والنصارىٰ والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع أهل البدع والاهواء والمضلّة[١].

* قال الشيخ المفيد: «والغلاة من المتظاهرين بالاسلام هم الذين نسبوا أميرالمؤمنين والائمة من ذريته الىٰ الالوهية والنبوة وهم ضلاّل كفار، حكم فيهم أميرالمؤمنين بالقتل والتحريق بالنار وقضت الائمة عليهم بالكفار والخروج عن الاسلام[٢].

* قال الشيخ المجدد كاشف الغطاء: «اما الشيعة الامامية وائمتهم فيبرأون من تلك الفرق براءة التحريم ويبرأون من تلك المقالات ويعدونها من أشنع الكفر والضلالات وليس دينهم الا التوحيد المحض وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق»[٣].

* * *

١ ـ اعتقادات الصدوق: ٩٧ / ٣٧.
٢ ـ تصحيح الاعتقاد: ١٣١، فصل في الغلو والتفويض.
٣ ـ اصل الشيعة واصولها / كاشف الغطاء: ١٧٣ ـ ١٧٧.

الفهرس

تمهيد
تحديد المفاهيم والمصطلحات
المراد باهل البيت
اهل البيت في اللغة والاصطلاح
اهل البيت في اللغة
اهل البيت في الاصطلاح
حب اهل البيت في الكتاب الكريم والسنة المطهرة
حب اهل البيت في الكتاب الكريم
حب اهل البيت في السنة المطهرة
حب اهل البيت في الشعر العربى
حب اهل البيت موازين ومعايير
حب اهل البيت مسئولية والتزام
اهل البيت بين الغلو والتقصير
اهل البيت تهذيب الحب ومواجهة الغلاة

حبّ أهل البيت عليهم السلام

الدكتور أبو عبدالله غلام‌الله

معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف

الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله وآله الأطهار وصحابته الأخيار وعلى من اتبعهم باحسان الى يوم الدين.

ـ حضرة الشيخ الهاشمي الرفسنجاني، رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام.

ـ حضرة الدكتور علي أكبر ولايتي، الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت.

ـ سماحة الفاضل آية الله الأستاذ محمّد واعظ زادة الخراساني الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

أيها السادة الفضلاء والعلماء الأجلاء، ايتها السيدات الفضليات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

وإنّها لساعة مباركة من هذا الشهر المنور الذي في مثله منذ أربعة عشر قرناً ونيف أضاءت الدنيا واستنارت بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم. تلتقي فيها ثلة من علماء الإسلام للتذكر والتدبر في شؤون أمة الإسلام وتلتقي في هذا البلد الطيب المجاهد نصرة للإسلام.

ولعل خير ما يمكن أن نتوسل به الى انبثاق ذلك النور الذي يقذفه الله في

قلوب المؤمنين الصادقين هو أن نمعن النظر في الأدوات التي نستخدمها ونتناول بها أوضاع المسلمين ومشاكلهم. فإننا ما دمنا نتوقع بدون نقد ولا تمحيص أن ما توصل به غيرنا من الطرق يجب لا محالة أن ينقذنا، قد لا نكون أحسنّا الاختيار.

فلا بد من فحص أدواتنا، وأن ننظر مدى العلاقة الموضوعية بين أدوات التفكير وموضوعه. ولا أصلح لتغيير حالنا من هذه الأوضاع التي لم يعد بيننا من يرتضيها الاّ أوضاعاً نكون فيها أكثر قرباً من بعضنا وأكثر تعاوناً وأقل تنابزاً وصراعاً وإهداراً للطاقات . قلت لا أصلح لذلك من المنهج القرآني الذي ينبغي أن نعود إليه وأن نتدبره.

فالعودة الى المنهج القرآني بوعي وتدبر ستكون بلا شك عودة الى الله الذي يفرح بتوبة عبده أشد مما يفرح أحدنا بالعثور على مائه وزاده بعد أن شردت بهما راحلته وهو وحيد في الصحراء.

أمّا الحديث عن أهل البيت فإنّ الله قد أكرمهم في القرآن حيث قال تعالى:

﴿*إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً*﴾.

وقال: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً الاّ المودّة في القربىٰ*﴾.

ومهما يختلف المفسرون بالمقصود بـ(القربى) فإن ذوي القربى في آيات كثيرة أخرى من القرآن الكريم مقدمون على غيرهم. هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإذا كان معنى الآية كما روي عن عبدالله بن عبّاس رضي الله عنهما هو قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش. فإنّ ذلك ينتج أنّ مراعاة القرابة مطلوبة شرعاً وأخلاقاً سواء كانت قرابته من قريش أو قرابته من أهله ونسله. ما دامت قرابة النسب مطلوب مراعاتها وتقديمها أو تمييزها بمزيد من المودة والمحبة والتبجيل. وقد كان لذرية الإمام عليّ من فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدير متميز في بلاد المغرب وذلك منذ هجرة إدريس الأكبر.

وكان لذرية ولده إدريس الأصغر مكانة لدى البربر الذين آووهم وسهروا على تنشئتهم وأعطوهم القيادة الدينية والعلمية، وكان البربر وما يزالون يخصونهم بالطاعة إذ الغالبية العظمى من مشائخ التصوف وفقهاء الزوايا العلمية من هؤلاء الأشراف وحتّى لا أُطيل أكتفي بذكر أعظم من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهر بذلك الى درجة أن فحول الشعراء مثل أحمد شوقي وغيره لم يدعوا مباراته في مدح النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وانما تباروا في تشطير بعض قصائده. ألا وهو الإمام البوصيري الذي ينتسب الى جبال الجرجرة في الجزائر. وكان أبواه قد هاجرا الى مصر حيث ولد ونشأ.

وفيما كنت في شهر المولد من سنة ١٤١٨ أشرح قصيدة الهمزية وتعرضت للمعجزات التي ذكرها الإمام البوصيري تبين لي بأن من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالإضافة الى القرآن الكريم، نبوءته بزوال حكم كسرى أنوشيروان ملك الفرس. وذلك عندما عاد مبعوثه عليه الصلاة والسلام الى كسرى وأخبره بما فعل كسرى برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخبر عليه الصلاة والسلام بأنّ كسرى سيكون آخر ملوك الفرس، وقال كلمته المشهورة: «أذا هلك كسرى فلا كسرى بعده».

غير أن الشاه محمّد رضا بهلوي، الذي تربّى في أحضان الثقافة الغربية وأبطرته النعمة حتى اشتد طغيانه وظن نفسه أن ملكه امتداد لملك الساسانيين. فأقام احتفالات ماجنة في سنة ١٩٧٦ نظمها في زعمه بمناسبة مرور ٢٥٠٠ سنة على ملك أجداده، وكأنّه بذلك يعارض نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت الثورة الإسلامية المظفرة التي فجرها الشعب الإيراني المسلم بقيادة الامام الخميني رحمه الله ورضي عنه، مكذبة لادّعاء محمّد رضا بهلوي الباطل ومصدقة لنبوءة محمّد صلى الله عليه وسلم.

وبهذه المناسبة أُحيّي المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية والقائمين على هذا التجمع العظيم. وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفّق العاملين على وحدة الأُمّة الإسلامية الى ما فيه خير هذه الأُمّة التي جعلها الله جلّت قدرته خير أُمّة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر وتؤمن بالله.

* * *

الغلوّ والموقف الإسلامي

باسم العابدي ـ سعد المنصوري

بسم الله الرحمٰن الرحيم

تمهيد:

تعتبر ظاهرة الغلو والمبالغة في التعظيم ظاهرة ايجابية ومحببة عند غير الانبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام والأولياء الصالحين لانها تتناغم مع الطبيعة البشرية التوّاقة الى حب الثناء والاطراء، وهذا ما يسعى لتحصيله أغلبية الناس بل تبذل قباله الاموال والعطايا والهبات الجزيلة فحين يغالي ذلك الشاعر وينزل الخليفة منزلة الإله إذ يخاطبه قائلاً:

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فأحكم فأنت الواحد القهار

لم يستنكر الخليفة ذلك التعظيم الفخم بل أخذته نشوة العصمة المتصورة حتى أجزل العطاء من بيت مال المسلمين فخرج الشاعر يحمل عطاءه وهو يردد:

فأنتم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

إلا انه توجد صفوة من البشر تعتبر ذلك التعظيم الزائد عن حد الاعتدال والوسطية حالة سلبية يجب محاربتها والقضاء عليها وهذه الصفوة كما قلنا تتمثل بالانبياء عليهم السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام واتباعهم الخلّص الذين تمكنوا من هزيمة النوازع النفسية الميّالة الى حب التعظيم والتبجيل.

ولئن كانت ظاهرة الغلو سلبية بكل أبعادها إلاّ انها كشفت من جانب آخر

عصمة اولئك المخلصين الذين استخلصهم الله سبحانه وتعالى والذين لم يغريهم المدح المفرط لهم فيسكتوا بل وقفوا بكل صلابة من أجل محو هذه الظاهرة التي تهدد الدين والمجتمع.

فحينما جعل الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام يتكلم في المهد لإثبات براءة مريم العذراء كان تكلّم عيسى عليه السلام موجباً لايجاد محذور آخر أكبر وأخطر من تهمة مريم عليها السلام وهو الغلو فيه وإقامته مقام الرب أو ابن الرب فقطع الطريق عليهم وقال: ﴿إني عبد الله﴾[١].

وبهذا الكلام تبينت قضيتان مهمتان: الأولى هي أن مريم بريئة مما رموها به والقضية الثانية أن عيسى عليه السلام مع أنه ولد بهذه الكيفية الاستثنائية ولكنه عبد الله مخلوق له كبقية الخلق والعباد.

وهكذا الحال مع النبي محمد صلى الله عليه وآله فهو صلى الله عليه وآله عندما رأى أن بوادر الخروج عن حد الاعتدال تلوح في آفاق المسلمين وأن رائحة الغلو بدأت تنبعث في أرجاء الدولة الاسلامية عمد الى تبيين موقفه بكل قاطعية ووضوح.

ذكر المجلسي في بحار الانوار أن رجلاً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا ربّي، فقال صلى الله عليه وآله: (ما لك لعنك الله، ربّي وربك الله، أما والله لكنت ما علمتك لجباناً في الحرب لئيماً في السلم)[٢].

هذا الموقف الحازم من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ركزّ بشكل جلي وبارز قضية مهمة وجوهرية وهي أن الأنبياء عبيد مربوبون.

وانتقل الدور بعد ذلك الى أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين كان لهم النصيب الأكبر من القول بالغلو فيهم بكل مناحيه واتجاهاته ومناشئه وأهدافه فكانت

---

١ ـ سورة مريم: ٣٠.

٢ ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج ٢٥ ص ٢٩٧ رواية ٦١.

مجابهتهم للظاهرة حاسمة وحازمة ومواقفهم ضد الغلاة شاخصة ذكرها المؤرخون وعلماء الاسلام على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وعجّت بها كتبهم قديماً وحديثاً.

ذكر ابن النديم في الفهرست ان الامام الصادق عليه السلام لعن ابن الجارود وقال: إنه أعمى القلب، أعمى البصر.

ويطري الدكتور عبدالله سلوم السامرائي على دور الأئمة عليهم السلام في مواجهة حركة الغلو الهدّامة قائلاً: (وكان للفقهاء الدور البارز في عملية التصدي لهذه الحركة والوقوف في وجهها وتعطيل أثرها السلبي في الحركة الاسلامية ويبرز في هذا المجال الإمام ابو عبدالله جعفر بن محمد الصادق الذي كانت له مواقف عملية رائعة وجريئة في الرد على هؤلاء فحينما وقف على غلو أبي الخطاب تبرأ منه وعندما أظهر المغيرة بن سعيد بدعته وجد نفسه في حاجة الى شخصية من آل البيت يحمي بها نفسه فجاء الى محمد الباقر عليه السلام فقال: اقرر انك تعلم الغيب اجبي لك العراق، فنهره وطرده ولم ييأس المغيرة فجاء الى الامام الصادق فقال له مثل ذلك فقال له الصادق أعوذ بالله وطرده)[1].

وهذا أحمد عبدالقادر الشاذلي يثني على دور الأئمة عليهم السلام في مواجهة البدع ويؤكد براءتهم من تبنّي الغلاة حيث يقول: (من الملاحظ أن الأئمة من الشيعة قد أنكروا على أتباعهم ما يفعلون من أفعال وما يبتدعونه من بدع فوجدنا الامام علي ينكر على ابن سبأ وكذلك يفعل الامام جعفر الصادق مع أبي الخطاب ويتبرأ منه)[2].

وهنا لابد من الاشارة الى قول السيد الشاذلي واطلاقه كلمة (اتباعهم) فنحن

---

١ ـ السامرائي، عبدالله سلوم، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية ص ١٨٩ ـ ١٩٠.
٢ ـ الشاذلي، أحمد عبدالقادر، حركات الغلو والتطرف في الاسلام ص ٣١.

لا نقبل منه أن هؤلاء الغلاة هم اتباع أهل البيت عليهم السلام لأن المفروض أن التابع لا يخرج عن إرادة ورضا وطاعة المتبوع وأن المحب لا يرى إلاّ ما يراه محبوبه ولا يحب إلاّ ما يحبه. لذلك قال الباقر: ما عرف الله من عصاه، ثم قال عليه السلام:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... ان المحب لمن أحب مطيع

على هذا فان اولئك الذين خالفوا أهل البيت وقالوا بما يكرهون لا يمكن أن نصفهم بأنهم اتباع لهم ومريدون لمنهجهم إذ هم ليسوا أعرف من الأئمة عليهم السلام بمقامهم ومنزلتهم كما أن ابليس لعنه الله ليس أعرف من الله سبحانه وتعالى بالتوحيد والشرك لكي يسوغ لنفسه التمرد على الأمر الالهي بالسجود لآدم متذرعاً بأن السجود له يتنافى مع التوحيد الخالص ولكن حقيقة الأمر هي خلاف ذلك وأن لها منشئاً نفسياً يتسم بالعلو والكبر والمآرب الشخصية وكما أشار القرآن الكريم في سورة الحجر ﴿*وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلاّ ابليس أبى أن يكون مع الساجدين، قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين، قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون*﴾[1].

إذن فليست القضية خوف على التوحيد بل شعار التوحيد هو غطاء وتمويه وكذلك الغلو بأهل البيت عليهم السلام ليس هدفه تعظيمهم بل انه وسيلة للوصول الى المآرب والاهداف التي لا يتم الوصول إليها إلاّ بهذا المنهج المعوج، ويعبّر القرآن

---

١ ـ سورة الحجر، الآيات ٢٨ ـ ٣٣.

الكريم عن هذه الشريحة ويقول: مع أنهم يتكرون الاعذار لتبرير أعمالهم الغير مشروعية الا أنهم على بصيرة من عدم مشروعية هذه الأهداف وهذه النوايا يقول تعالى: ﴿*بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو القىٰ معاذيره*﴾[١] ولكنهم يتصورون أنهم يتمكنون من تمرير خديعتهم على الله سبحانه وتعالى وعلى الذين آمنوا فيقول تعالى ﴿*يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون*﴾[٢].

ومن هذا يظهر أن هؤلاء في حقيقتهم ليسوا من اتباع اهل البيت عليهم السلام وهذا ما يشير إليه ايضا عبدالله الأمين في كتابه دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة نقلاً عن الاستاذ محمد سعيد الأفغاني اذ يقول: «إن الجمعية التي أنشأها عبدالله بن سبأ كانت تعمل لحساب دولة أجنبية هي الروم التي انتزع منها المسلمون لسنوات قريبة قطرين كبيرين واسعين غنيين هما مصر والشام) ثم يشير الى عبدالله بن سبأ قائلاً: (أقطع بأنه أحد أبطال جمعية سرية مختلفة غايتها تقويض الدولة الاسلامية والقضاء على الاسلام وأن هذه المؤامرة كانت منظمة محكمة سهر عليها أبالسة خبيرون وتعهدوها في جميع الاقطار حتى أتت ثمارها)[٣].

ومن الواضح أن أهم ثمار هذه المؤامرة وكما سنشير أيضاً في مبحث آثار ونتائج الغلو، التمزق والفرقة التي حدثت في أمة الاسلام وخصوصاً الأحكام السلبية المجحفة تجاه شيعة أهل البيت عليهم السلام لذلك فإن المتضرر الاكبر من هذه المؤامرة هم الشيعة نتيجة الربط العشوائي وغير المتوازن بين الغلاة وبين اتباع

---

١ ـ سورة القيامة: ١٤، ١٥.

٢ ـ سورة البقرة: ٩.

٣ ـ الامين، عبدالله، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ص ٩٦.

أهل البيت ومحبيهم الذين يأتمرون بأوامرهم وينتهون عن نواهيهم لذلك فإن شيعة أهل البيت ظلموا مرتين مرّة من أعدائهم والأخرى من إخوانهم المسلمين، وأمضّ تلك المظالم وأعمقها إيلاماً تلك التي تصدر من القريب ولهذا المعنى أشار الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

تعريف الغلو:

الغلو لغة: (الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء، وغلا في الأمر والدين جاوز حدّه وفي التنزيل «لا تغلو في دينكم»[١].

وقال ابن الأثير في النهاية: (أصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء، يقال: غاليت الشي وبالشيء وغلوت فيه أغلو إذا جاوزت فيه الحد)[٢].

وجاء في المعجم الوسيط: غلا: جاوز الحد، غلا فلان في الأمر والدين: تشدد فيه وجاوز الحد وأفرط، جمعه غلاة ومفرد غال.

وعرّفه لويس معلوف في المنجد في اللغة قال: (غلو، غلا، غلواً، زاد وارتفع والنبت: التفّ وعظم، والسهم: ارتفع في ذهابه وجاوز المدى، وبالدين: شدّد وتصلب حتى جاوز الحد. غالى غِلاءً ومغلاة في الأمر: بالغ، وبالشيء: رفع ثمنه، والسهم وبالسهم: رمى به أقصى الغاية)[٣].

---

١ ـ ابن منظور، لسان العرب ج ٦ / ٣٢٩.

٢ ـ ابن الاثير، النهاية

٣ ـ لويس معلوف، المنجد في اللغة والادب والعلوم ص ٥٥٨ المطبعة الثانوية.

الغلو في الاصطلاح:

عرّف الشيخ المفيد الغلو بأنه نسبة أميرالمؤمنين عليه السلام والائمة من ذريته عليهم السلام الى الالوهية والنبوة ووصفهم من الفضل في الدين والدنيا الى ما تجاوز فيه الحد وخرج عن القصد.

وعرّفه ابن تيمية قائلاً: الغلو في الدين بأن ينزل البشر منزلة الإله ومثل تجويز الخروج عن شريعة النبي صلى الله عليه وآله.

وعرّف الشهرستاني الغلاة قائلاً: الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام إلهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله وربما شبهوا الاله بالخلق.

الغلو في التأريخ الانساني:

الغلو من أخطر الامراض الفكرية التي يتعرض لها العقل البشري لأنه يعبر عن حالة سقوط من المستوى الرفيع الذي ينبغي ان يكون عليه الانسان فاذا قبل هذا المستوي الهابط من التفكير وانسجم معه فهو قد وصل الى عمق الجهل والانحطاط في الوعي والادراك.

ثم يخضع الى النتائج التي يساهم الغلو في ايجادها من امثال الخرافة، والتحلل وضياع القيم الانسانية الرفيعة، والخضوع لاولئك المخترعين لتلك الاباطيل وهذه النتائج تقضي على قوى الخير والتطور والتقدم الانساني.

وقد اصيبت المجتمعات الانسانية بهذا الداء في مراحلها التاريخية المختلفة وبأشكال متعددة، والتاريخ الانساني شاهد على وجود هذا النوع والطراز من التفكير، والآثار المكتشفة شاهد على عمق المأساة الفكرية في الحياة البشرية وعلى البعد التأريخي لجذور الانحراف في الاعتقاد.

والاساطير التي وصلت الينا من الحضارات الانسانية المنقرضة البابلية واليونانية والهندية والفارسية وغيرها تكشف عن انواع الآلهة التي كانت تقدسها تلك المجتمعات، وتوجد امتدادات في عصرنا لتلك العقائد.

وهنا نذكر نماذجاً من صور الغلو في المجتمعات القديمة التي رفعوا فيها المخلوقات باختلافها ـ الملك، الاب ـ الكوكب، الصنم ـ الى مقام الربوبية.

الف ـ المصريون القدماء:

كانوا يسمون ملكهم بإله الشمس ثم سمي بابن الله والمرحلة الاخرىٰ في الغلو والتي كانت مقترنة مع بعثت موسى عليه السلام كانوا يسمون ملكهم الله والقرآن الكريم يذكر ادعاء فرعون بقوله: ﴿*يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري*﴾[1].

ب ـ الهنود:

نذكر من عقائدهم البرهميّة وبرهمن اسم اول ملوك الهند الذي عمر بلادها واسس قواعد المدنية فيها وبسط العدل بين أهلها ولما كانت كثير من الامم الماضية يعبدون ملوكهم والاعاظم من اقوامهم لاعتقادهم انهم ذووا سلطة غيبيّة وان اللاهوت ظهر فيهم نوع ظهور[2]، وهو معبودهم الاول والاكبر.

ج ـ الصينيون القدماء:

كانوا في بادئ الامر عباد أرواح وكانوا يعبدون ارواح اجدادهم وآبائهم وامهاتهم وكانوا يعتقدون ان هذه الارواح سوف تأتي لمساعدتهم في حياتهم، ثم عبدوا السماء باعتبارها مبدأ النعم وعبدوا الرياح والرعد والشجر والجبل والحيوانات كالافاعي والحيات.

---

١ ـ سورة القصص: ٣٨.

٢ ـ تفسير الميزان، للطباطبائي: ١٠: ٢٧٩.

وكانوا يعتبرون الامبراطور اله السماء ورب الافلاك وبهذا العنوان كانوا يعرفوه الى الناس ولذلك اعتبروهم مقدسين[١].

د ـ اليابانيون:

يعتقدون أن ملوكهم المعروفين باسم (ميكادو) ليسوا من ابناء البشر بل انهم موجودات موازية للشمس والجبل وبركان فوجي ولهذا عبدوهم.

واول ملوك اليابان الاسطوريين كان اسمه (جيم مو) جلس على العرش عام ٦٦٠ قم وكان معبود اليابانيين وربهم واستمرت هذه عقيدتهم حتى عام ١٩٤٦ م وبعد الحرب العالمية الثانية الغى «هيروهيتو» امبراطور اليابان الالوهية يعني ربوبيته في اليابان، وكذلك توجد عبادة الارواح أرواح الاجداد[٢].

هـ ـ المجوس:

وهو دين الايرانيين القدماء فيقول العلامة الطباطبائي: (واما المجوس فهم يوحدون «اهورامزدا» بالالوهية لكنهم يخضعون بالتقديس ليزدان واهريمن والملائكة الموكلين بشؤون الربوبية والشمس والنار وغير ذلك، والتاريخ يقص ما كانت تجري فيهم من سنة الاستعباد واختلاف الطبقات والتدبير والاعتبار يقضي انه انما تسرب ذلك كله اليهم من ناحية تحريف الدين الاصيل، وقد ورد عن النبي ﷺ فيهم: «انه كان لهم نبي فقتلوه وكتاب فأحرقوه»)[٣].

ز ـ الامم المعاصرة لنوح وابراهيم عليهما السلام:

تبتني عقائدهم على ربط الكون والفساد وحوادث العالم الارضي الى الاجرام العلوية كالشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل

---

١ ـ غاليان كاوشى در جريانها وبرآيندها نعمة الله صفرى فروشانى: ص ٢٩.
٢ ـ المصدر السابق: ٣٠.
٣ ـ تفسير الميزان: ١٠: ٢٩٣.

وانها بما لها من الروحانيات المتعلقة بها هي المدير للنظام المشهود يدير كل منها ما يتعلق به من الحوادث على ما يصفه في احكام النجوم ويتكرر بتكرر دوراتها الادوار والاكوار من غير ان نقف او تنتهي الى أمر. فهي وسائط بين الله سبحانه وبين هذا العالم المشهود تقرّب عبادتها الانسان منه تعالى ثم من الواجب ان يتخذ لها اصنام وتماثيل فيتقرب اليها بعبادة تلك الاصنام والتماثيل)[١].

و ـ الروم واليونان القدماء:

«كان رب البيت في الروم واليونان القديمين ـ على ما يذكر التاريخ ـ يعبد في بيته فاذا مات اتخذ له صنم يعبده اهل بيته. وكان كثير من الملوك والعظماء معبودين في قومهم وقد ذكر القرآن الكريم منهم نمرود الملك المعاصر لإبراهيم عليه السلام الذي حاجه في ربه»[٢].

القرآن الكريم يقطع طريق الغلوّ:

من المسائل التي واجهت دعوة الانبياء على طول التأريخ الرسالي، هو سؤال مهمّ عن كيفيّة ارتباطهم بالغيب، وكيف يمكن لإنسان ولد من ابوين من قومهم ان يخرج من بينهم ويرتبط بعالم الغيب ويأتي لهم برسالة يأمرهم بها بطاعته وعبادة الله الواحد الأحد وترك ما هم عليه؟

وهذا الاستبعاد تعرض له جميع الانبياء، وقد عالج الانبياء هذا الاشكال بالادلة والبراهين والمعجزات التي اجريت على ايديهم.

لكن ظهرت مسألة ثانية عندالذين آمنوا بالانبياء وهي الغلو ورفع مستوى الانبياء الى اعلى مما هم عليه من مقام وحد وجودي، فقالوا عن بعضهم بأنه

---

١ ـ المصدر السابق: ٢٧٨.

٢ ـ المصدر السابق: ٢٧٦.

ابن الله ﴿*وقالوا اتخذ الرحمن ولداً*﴾[١].

وآخر يسأله الرسول عن سبب انحرافه العقائدي بقوله: ﴿*فما خطبك يا سامريّ قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضةً من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي*﴾[٢].

واليهود قالوا ببنوة عزير عليه السلام لله تعالى: ﴿*قالت اليهود عزير ابن الله*﴾ فلما جاءت رسالة الاسلام وهي الخاتمة عمدت الى سد جميع الابواب التي يمكن ان يخطأ في فهمها والتي يمكن ان يساء استخدامها من اعداء الدين فخاطب الله تعالى الانبياء باعتبارهم عبادٌ له لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ويحذرهم وينذرهم ويتوعدهم ان لم يكونوا طائعين له ودقيقي التنفيذ لأوامره. ففي الخطاب القرآني لم يجد القاريء للقرآن الكريم ما يرفع من مقام الانبياء عليهم السلام فوق العبودية، وهي موضع افتخار لهم وهم أعبد الناس لله تعالى فهذا عيسى عليه السلام في أول نطق له: ﴿*قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً... والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم أبعث حيا*﴾[٣].

حدد هويته الانسانية التي لا يختلف فيها مع غيره من الناس الاّ بالنبوة، وإلاّ فهو:

١ ـ عبد الله لم يكن له ولد.

٢ ـ ولد من امرأة كما يولد الناس.

٣ ـ يموت حين حضور أجله.

٤ ـ يبعث كما تبعث الانسانية يوم القيامة.

---

١ ـ سورة مريم: ٨٨.

٢ ـ سورة طه: ٩٦.

٣ ـ سورة مريم: ٣٠ و٣٣.

٥ ـ إنه لا يتملك اي صفة ربوبيّة.

اما قولهم: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾؛ فقد استنكرها القرآن بشدة وعبر عن هذه النسبة بأنها لا تتحملها السماوات والارض فقال تعالىٰ: ﴿لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا، أن دعوا للرحمن ولداً، وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولداً، ان كل من في السموات والارض إلاّ آتي الرحمن عبداً﴾ [١].

اضافة الى ذلك حذر من الغلو فقال: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الاّ الحق﴾ [٢].

وقد أمر الله نبيّه على التأكيد على بشريته وعبوديته فقال: ﴿قل انما انا بشر مثلكم يوحىٰ اليّ إنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً﴾ [٣].

وقوله تعالى: ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلاّ بشراً رسولا﴾ [٤].

وأكد بشرية الانبياء جميعاً اذ خاطب خاتمهم بقوله: ﴿وما أرسلنا قبلك إلاّ رجالاً نوحي اليهم﴾ [٥].

وهؤلاء الرجال لم يكن لهم التصرف خارج ارادة الله ومشيئته وانما المشيئة الالهية حاكمة عليهم ولذلك قال تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء اني فاعلٌ ذلك غداً الاّ ان يشاء الله﴾ [٦].

---

١ ـ سورة مريم: ٨٨ ـ ٩٣.
٢ ـ سورة النساء: ١١٧.
٣ ـ سورة الكهف: ١١٠.
٤ ـ سورة الاسراء: ٩٢.
٥ ـ سورة الانبياء: ٧.
٦ ـ سورة الكهف: ٢٣.

اما الخلود الذي نسبه البعض الى الانبياء فقد نفاه الله تعالى ولم يستثني أيّاً من مخلوقاته وان الله قهر عباده بالموت والانبياء لا استثناء لهم في ذلك: ﴿*وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان متّ فهم الخالدون، كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون*﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿*وما محمد الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم...*﴾[٢].

وقد حذر تعالى وتوعّد من يدعي أنه إله وقال: ﴿*ومن يقل منهم إني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين*﴾[٣].

ونختم هذا الاستعراض للآيات القرآنية بقوله تعالى الذي يحدد فيه هوية الانبياء ومقامهم وقربهم منه تعالى باعتبارهم عباده ورسله الى خلقه: ﴿*بل عبادٌ مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون*﴾[٤].

مناشئ الغلو وأهدافه:

لا يمكن المرور بظاهرة الغلو بتسامح واعتبارها حدثاً بسيطاً وطبيعياً من غير تدقيق في علل تكوين افكاره وتتبع الجذور التي امتدت لتصل الى ساحة مبادئنا ومقدساتنا وانعكست على طريقة التعاطي مع التشريعات والشخصيات الالهية.

---

١ ـ سورة الانبياء: ٣٤ ـ ٣٥.

٢ ـ سورة آل عمران ١٤٤.

٣ ـ سورة الانبياء: ٢٩.

٤ ـ سورة الانبياء: ٢٧ ـ ٢٨.

ولأن عقيدتنا بكل تفاصيلها تخلو من الثغرات التي تفك من تماسكها لارتباطها وصدورها من الله تعالى والذي يكون كذلك لا يمكن ان يحمل في تكوينه ما يؤدي الى الانحراف والاختلاف لانهما من صفات المسائل التي تصدر من غير الله ﴿*ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً*﴾[1].

وهذا التماسك لا يسمح بنفوذ الافكار الغريبة واذا وجدت عند افراد وحاولت النمو في البيئة الاسلامية فإنها سريعاً ما تظهر عيوبها وتعارضها مع معتقدات الامة، وتفرزها المضادات والمناعات الفكرية التي لا تسمح ببقائها وامتلاك الامة للمناعة في عقائدها يمكنها من مقاومة نفوذ كل غريب بعد تشخصيه. بناءاً على هذا اذا اردنا ان نفتش عن علل نشوء الغلو لا يمكن ان نجدها في العقيدة الاسلامية الاصيلة القائمة على تنزيه الله تعالى من كل نقص والتي تنفي ان يكون (عز وجل) يحمل صفات المخلوقات: ﴿*لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد*﴾.

وقوله: ﴿*ليس كمثله شيء*﴾.

ولا يأمر ولا يجوز ان يُتخذ عباده ارباباً من دونه حتى لو كان عباده من احب مخلوقاته اليه واكثرهم كمالاً كالانبياء والملائكة.

﴿*ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون*﴾[2].

وقبل كل ذلك غرس الاتجاه الفطري في نفس الانسان نحو عبادته سبحانه وتعالى وجعل الانسان يعيش في اعماقه الاحساس بالعبودية له (سبحانه وتعالى)

---

١ ـ سورة النساء: ٨٢

٢ ـ سورة آل عمران: ٨٠

والاعتراف بربوبيته ﴿قل من رب السموات والارض قل الله﴾[١].

وقد ذكر سبحانه عباده بالنعم التي انعمها عليهم وخلقهم ومصيرهم الذي ينتهون اليه وعجز ما دونه عن ذلك فقال سبحانه وتعالى ﴿الله الذي خلقكم ثم يرزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[٢].

وحذر من كل انواع الغلو بقوله: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق﴾[٣].

فالرسالة الالهيّة لا تحمل في داخلها بذور الغلو وقد كانت الآيات الالهية في مقام النفي والتحذير والاستدلال على أن كل ما دون الله لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا نشوراً.

اما الذين غالى بهم بعض الناس وجعلوهم في مقام الربوبية فأحاديثهم وسلوكهم شاهد على عبوديتهم وخضوعهم لله سبحانه وتعالى وكل كرامة حصلوا عليها لإخلاصهم ومبالغتهم في العبودية.

فقد كان رسول الله ﷺ يحذر من الغلو بقوله: «اياكم والغلو في الدين»[٤] وكان رسول الله وعبده تركزت دعوته على التوحيد وشعارها «لا اله الاّ الله، محمد رسول الله» وكان الامام علي عليه السلام يقول في دعائه «يا رب يا رب يا رب اسألك بحقك وقدسك واعظم صفاتك واسمائك ان تجعل اوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة واعمالي عندك مقبولة حتى تكون

---

١ ـ سورة الرعد: ١٦.

٢ ـ سورة الروم: ٤٠.

٣ ـ سورة النساء: ١٧١.

٤ ـ لسان العرب، ابن منظور: ١٥: ١٣٢.

اعمالي وأورادي كلها ورداً واحداً وحالي في خدمتك سرمداً»[١].

والامام الحسن المجتبى عليه السلام «كان اذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه عز وجل»[٢].

واما الامام الحسين عليه السلام فدعاء عرفة يحمل ارقى معاني التوحيد والعبودية، والصحيفة السجادية للامام زين العابدين عليه السلام والامامين الباقر والصادق عليهما السلام كانت مقولتهم «... والله ما معنا من الله براءة، وما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا يتقرب الى الله إلاّ بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً نفعته ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لم تنفعه ولايتنا»[٣].

وهكذا جميع أهل بيت النبوة في كلامهم وتوجيههم لأتباعهم يؤكدون على معرفة الله وتوحيده وطاعته ثم انهم عباد له سبحانه وتعالى وطريق القرب منه بالعبادة والانقياد التام لأوامره ونواهيه.

وهم يفتخرون بعبوديتهم لله، فاذا تنزهت العقائد الاسلامية الاصيلة من وجود هذه الافكار الضالة واهل البيت عليهم السلام كذلك، فلم يبق الاّ الطرف المغالي الذي يمكن ان يكون شخصاً ويمكن ان تكون مؤسسة دينيّة او سياسية.

اوّلاً: الشخصيّة:

١ ـ نوايا حسنة لا يقصد النتائج في اول حركته بهذا الاتجاه وانما يتحرك بشكل عاطفي غير منضبط ينتهي الى هذا المصير قال الامام على بن الحسين عليه السلام: ان اليهود احبوا عزيراً حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزير منهم ولا هم من عزير. وإن

---

١ ـ مقطع من دعاء كميل.

٢ ـ الانوار الالهية: عباس القمي: ٧٥.

٣ ـ مكارم الاخلاق، الطبرسي: ٦٧.

النصارى احبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا... وانا على سنة من ذلك ان قوماً من شيعتنا سيحبونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير وما قالت المسيح في عيسى بن مريم فلا هم منا ولا نحن منهم[١] قال امير المؤمنين عليه السلام: قال لي النبي صلى الله عليه وآله: فيك مثل من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمّه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به.

ثم قال عليه السلام: يهلك فيّ رجلان: محبّ مفرط يقرظني بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شنآني على ان يبهتني[٢].

٢ ـ الانحطاط الفكري وتدني الوعي والفهم الديني، الذي يقصر عن فهم حقيقة وجوهر العبوديّة وحدود القدرات الانسانيّة الوجوديّة التي تنتج عن الانبهار والاعجاب لما يصدر عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام من كرامات واخبار عن بعض الاحداث التي توارثوا العلم بها عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ الاطماع الشخصيّة الهابطة التي تستهدف ابتزار اموال الناس وقد كان محمد بن نصير الفهري وحسن بن محمد القمي نموذجين لذلك يقول الامام الحسن العسكري عليه السلام: «مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين مؤذيين آذاهما الله»[٣].

٤ ـ الشذوذ الخلقي والعقد النفسيّة، التي تدعو اصحابها الى حالة التمرد على الدين والشريعة الالهية وطلب التحلل وعدم التقييد بها. ولقد قال الامام الصادق عليه السلام: والله ان الغلاة شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين اشركوا، ثم قال: الينا يرجع الغالي فلا نقبله وبنا يلحق المقصر فنقبله، فقيل له: كيف ذلك يابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج فلا

---

١ ـ بحار الانوار: ٢٥: ٣١٨ ح ٨٤.

٢ ـ مسند احمد ١: ١٦٠.

٣ ـ بحار الانوار: ٢٥: ٢٨٨ ح ٤٤.

يقدر على ترك عادته وعلى الرجوع الى طاعته»[١].

ثم مراجعة تعاليم وأحكام الغلاة في الاباحيّة المطلقة كإباحتهم الزواج من المحارم واللواط واكل لحم الخنزير دليل تمردهم على الدين ودعوتهم للغلو وسيلة للوصول لأغراضهم الشهوانية.

٥ ـ الشعور بالضعة والحقارة امام مقام الانبياء والأئمة، والطموح الذي يغلب على قوى الادراك للواقع يحرك فيه أمل الوصول الى مقام الانبياء والأئمة فيرفعهم الى مستوى الربوبية ويجعلهم آلهة ثم يضع نفسه في مقام النبي او الامام ويصبح مبعوثاً عنهم وقد جاء في حديث لأبي الحسن عليه السلام ... في قول الله تبارك وتعالى «ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» قال: نحن المحسودون[٢].

وقال الامام الصادق عليه السلام :... وذلك انهم لا يطلبون بأحاديثنا ما عند الله وانما يطلبون الدنيا وكل يحب ان يكون رأساً[٣].

ثانياً: المؤسسة السياسيّة والدينيّة:

١ ـ محاولة جر العقائد الاسلاميّة الى العقيدة التي كان عليها اليهود والنصارىٰ والمجوس، فهم اندسوا في صفوف المسلمين وامتزجوا في مجتمعهم وبدؤا بث عقائدهم بشكل هادئ تحت عنوان القصة وعلم الاديان والبحث العلمي معتمدين على تزلفهم للسلاطين وتقربهم لهم. وهم دخلوا الاسلام لا ايمانا به وانما ليهودوا او ينصروا او يمجسوا عقائده.

قال ابو عباس البغوي: دخلنا على فيثون النصراني وكان في دار الروم

---

١ ـ البحار: ٢٥: ٢٦٥ ح ٦.
٢ ـ اصول الكافي: ١: ٢٣٠ ح ٥٢٢.
٣ ـ سيرة الأئمة الاثنى عشر، ٢٥٠.

بالجانب الغربي، فجرىٰ الحديث الى ان سألته عن ابن كلاب، فقال فيثون: رحم الله عبدالله (اسم ابن كلاب) كان يجئني فيجلس الى تلك الزاوية ـ وأشار الى ناحية البيعة ـ وعني أخذ هذا القول، ولو عاش لنصّرنا المسلمين[١] اي لجعلناهم نصارىٰ.

وعن عبدالرحمن بن كثير قال: قال ابو عبدالله عليه السلام يوماً لأصحابه: لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف اليها يتعلم منها السحر والشعبذة، والمخاريق[٢].

٢ ـ السعي للحط من مقام أهل البيت عليهم السلام الذين لا يختلف المسلمون بوجوب حبهم ومودتهم بنص القرآن الكريم وقد كشف الامام الصادق عليه السلام نواياهم بقوله: انا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا ليسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس.

وهؤلاء نواصب بثوب الموالي وذكر ذلك الامام الصادق عليه السلام ... والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره، وبما لم نقله بأنفسنا[٣].

٣ ـ تسامح الحكام مع الغلاة لغرض تقوية سلطانهم وتوطيد حكمهم ولو كان ذلك على حساب الدين.

وقد ذكر الطبري عن ابي بكر الهذلي حين قال: «اني لواقف بباب امير المؤمنين ـ ابو جعفر المنصور ـ اذ طلع، فقال رجل الى جانبي: هذا رب العزّة، هذا

---

١ ـ الفهرست لابن النديم: ٢٥٥.

٢ ـ الامام الصادق والمذاهب الاربعة. اسد حيدر، ج ٤، ص ٣٨٣ ـ الشيعة في التاريخ ص ٢٢١.

٣ ـ سيرة الأئمة الاثنى عشر: ٢٤٩.

الذي يطعمنا ويسقينا، فلما رجع اميرالمؤمنين ودخل عليه الناس دخلت وخلا وجهه، فقلت له: سمعت اليوم عجباً، وحدثته، فنكث في الارض، وقال: يا هذلي، يدخلهم الله النار في طاعتنا ويعثلهم أحبّ اليّ من أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا[1] فجواب المنصور يدل على انه يبغي الاستفادة منهم في توطيد حكمه وان لم يوافقهم في الرأي، فهم سنداً له يواجه به الحركة الشرعيّة لأئمة اهل البيت عليهم السلام لكنه لما أحس بعد ذلك بخطورتهم على سلطانه لاعلانهم عقائدهم الكافرة وهي تؤدي الى اثارة المسلمين عموماً ضده. حبسهم واستتابهم وبعد ذلك قتل من لم يتب.

٤ ـ يمكن ان يسخر خصوم اهل البيت عليهم السلام من يندس مع اصحاب الأئمة لإظهار الغلو حتى تكون ذريعة لهم باتهام الفرقة الحقة بتأليه البشر ثم القول بفساد عقيدتها وتشويه مبادئها وتشويش الاجواء لإبعاد الناس عنهم، ثم يتحقق لهم الهدف بالتخلص من مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي يعتبر الاقوىٰ والاكمل بنظرية في السياسة والحكومة القائمة على الامامة بالنص وهي من أهم اصول المذهب فاذا أثيرت مسألة تأليه الامام فان المجتمع الشيعي سينشغل في مقاومتها وردها وهذا يحتاج الى وقت وموقف لإثبات الرأي الاصيل ونفي الانحراف العقائدي والانشغال الداخلي يهيئ فرصة في المقابل لأولئك المحركين لضرب المذهب وتقوية سلطانهم ووجودهم.

قال الامام الرضا عليه السلام: ان مخالفينا وضعوا اخباراً في فضائلنا، وجعلوها على ثلاثة اقسام: احدهاالغلو، وثانيها التقصير في امرنا وثالثها التصريح بمثالب اعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوهم الى القول بربوبيتنا، واذا

---

١ ـ الطبري: ٧: ٥٠٧.

سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، واذا سمعوا مثالب اعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عز وجل: ﴿*ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم*﴾[1].

ادّعاءات الغلاة ومواقف الائمة عليهم السلام:

١ ـ تأليه الأئمة عليهم السلام:

من أعظم مقولات الغلاة وأشدّها وطأة على أهل البيت عليهم السلام انزالهم منزلة الإله واعطائهم مقام الالوهية والربوبية حيث ادّعى بعض عناصر حركة الغلو المنظمة أن بعض الأئمة عليهم السلام آلهة وأرباب وكانت المدّعيات هذه تتناسب مع طبيعة المرحلة والظروف الحاكمة فيها وأول الأئمة عليهم السلام مواجهةً لهذه الحركة هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد جاء في الرواية عن أبي العباس عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه ومشيخته: (أن علياً عليه السلام مرّ بهم وهم يأكلون في شهر رمضان نهاراً فقال أسفر أم مرضى؟ قالوا: ولا واحد منهما، قال: أفمن أهل الكتاب أنتم؟ قالوا: لا، قال: فما بال الأكل في شهر رمضان نهاراً؟ قالوا: أنت أنت، ففهم مرادهم فنزل عن فرسه فألصق خدّه بالتراب ثم قال: ويلكم إنما أنا عبد من عبيدالله فاتقوا الله وارجعوا الى الاسلام فأبوا فدعاهم مراراً فأقاموا على أمرهم فنهض عنهم ثم قال: شدّوهم وثاقاً وعليّ بالفعلة والنار والحطب ثم أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل إحداهما سرباً والاخرىٰ مكشوفة وفتح بينهما فتحاً وألقى النار في الحطب فدخّن عليهم وجعل يهتف بهم

---

١ ـ عيون اخبار الرضا ١: ٢٣٧ ح ٢٣ والآية: الانعام: ١٠٨.

ويناشدهم: ارجعوا الى الاسلام فأبوا فأمر بالحطب والنار والقي عليهم فاحترقوا)[١].

لو تأمّلنا في هذه الرواية نستنتج منها ما يلي:

أ ـ إن الامام علي عليه السلام لم يتوان في مواجهة حركة الانحراف هذه ولم يتهاون في الحكم على دعاتها بالاعدام.

ب ـ إن هؤلاء المنحرفين لم يحترموا الامام فضلاً عن أن يحبوه لأن الحب كما قلنا يقود الى الطاعة ومن أحب شيئاً أحب لوازمه.

جـ ـ إن أصحاب هذا الفكر المنحرف كانوا مصرّين عليه ولو أدّى الى قتلهم من أجل انجاح المهمة الموكلة إليهم حيث أن تضحيتهم بأنفسهم تصب في نفع المخطط اعلامياً.

د ـ إن الامام عليه السلام نزل وألصق خدّه بالتراب ليفند مقولتهم عملياً بالسجود حيث ان السجود هو مظهر من مظاهر العبودية لله سبحانه وتعالى.

هـ ـ إن القول بالغلو هو خروج عن الاسلام وانه ارتداد وكفر يستحق مدّعيه القتل.

وفي حوار بين الامام الصادق عليه السلام وأحد أصحابه يبين الامام عليه السلام له أن مواجهة الانحراف بكل أشكاله مسألة مهمة في الشريعة وأنه لو سكت عمّا يقوله المتخرصون والقائلون بنسبة الألوهية والربوبية له كما ادّعى ذلك ابو الخطاب فإنه معرّض لسخط الله سبحانه وتعالى، قال عليه السلام: «يا مصادف إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمي بصره ولو سكتُّ عما قال أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعي ويعمي بصري»[٢].

---

١ ـ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، منشورات مكتبة السيّد المرعشي النجفي، ص ٦.
٢ ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج ٢٥، ص ٢٩٣، رواية ٥١.

ومن المعلوم أن الذي لم يسكت عنه عيسى عليه السلام هو إنزاله من قبل النصارى منزلة الرب وقولهم فيه إنه الرب أو ابن الرب أو أنه ثالث ثلاثة كما أشارت الى ذلك الآيات القرآنية المباركة مبينة الأقوال الثلاثة ففي بيان ادعائهم الاول قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ [١] وفي قولهم انه ابن الله قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ [٢] وقال تعالى إشارة الى قولهم الثالث: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ [٣] وهذه التوجهات الثلاثة لم يسكت نبي الله عيسى عليه السلام عنها وقال ﴿ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ [٤].

وهكذا الحال مع الامام الصادق عليه السلام فهو لم يسكت إزاء النهج الذي انتهجه ابوالخطاب في تأليه الامام عليه السلام بل حاربه ولعن أباالخطاب وتبرأ منه.

وأكّد عليه السلام هذا الموقف ايضا مع صالح بن سهل الذي كان يعتقد هو الآخر بألوهيته قائلاً: «يا صالح إنا والله عبيد مخلوقون لنا رب نعبده وإن لم نعبده عذبنا» [٥].

٢ ـ مقولة نبوة الائمة عليهم السلام:

لم تقتصر مقولات الغلاة على تأليه الأئمة عليهم السلام فحسب بل ظهرت فئة منهم يقول بنبوة أئمة أهل البيت عليهم السلام وكان موقف الائمة عليهم السلام من هؤلاء لا يقل صلابة

---

١ ـ سورة المائدة: آية ١٧.
٢ ـ سورة التوبة: آية ٣٠.
٣ ـ سورة المائدة آية ٧٣.
٤ ـ سورة المائدة: ١١٧.
٥ ـ المجلسي محمد باقر، بحارالانوار ج ٢٥ ص ٣٠٣.

وصرامة عمّا كان عليه مع الفئة الأولى.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله)[1].

وعن بريد بن معاوية عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قلت له: (ما منزلتكم ومن تشبهون ممن مضى؟ قال عليه السلام: صاحب موسى وذو القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيين).

٣ـ مقولة التناسخ وموقف أهل البيت عليهم السلام:

لم يقف الأئمة عليهم السلام مكتوفي الأيدي أمام هذه الاطروحة الجديده بل واجهوها بنفس الأسلوب وبنفس القوة التي واجهوا بها الاطروحات والادعاءات السابقة وبيّنوا للأمة الاسلامية أن هذه المقولة الجديدة هي حلقة اخرىٰ من سلسلة المقولات الانحرافية وفصل آخر من فصولها لهذا فإن أئمة أل البيت عليهم السلام كفّروا من قال بالتناسخ. ففي الرواية عن الحسين بن خالد الصيرفي قال: قال أبو الحسن عليه السلام: من قال بالتناسخ فهو كافر ثم قال: لعن الله الغلاة ألاّ كانوا مجوساً، ألاّ كانوا نصارى، ألاّ كانوا قدرية، ألاّ كانوا مرجئية، ألاّ كانوا حروريّة، ثم قال عليه السلام: لا تقاعدوهم ولا تصادقوهم وابرؤوا منهم برئ الله منهم.

٤ـ مقولة الحلول والاتحاد:

هناك عناصر أخرىٰ من الغلاة ادّعوا ان جزءاً إلهياً حل في علي عليه السلام واتّحد بجسده وقائل هذه المقولة هو بيان بن سمعان التميمي النهدي اليمني الذي ظهر

---

١ ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج ٢٥، ص ٢٩٦، رواية ٥٧.

في العراق أوائل القرن الثاني للهجرة وهو واحد من سبعة لعنهم الصادق عليه السلام.

الغلوّ.. النتائج والآثار:

أفرزت ظاهرة الغلو نتائجاً وآثاراً خطيرة أضرّت بحركة الاسلام ومسيرة المسلمين وأبرز هذه الآثار والنتائج:

١ ـ تصغير عظمة الله سبحانه وتعالى:

قال الصادق عليه السلام (احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم فإن الغلاة شر خلق الله يصغرون عظمة الله ويدّعون الربوبية لعباد الله، والله ان الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا)[١].

وعن الرضا عليه السلام قال: (من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ونحن منه براء في الدنيا والآخرة. يابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغّروا عظمة الله تعالى فمن أحبهم فقد أبغضنا ومن أبغضهم فقد أحبنا ومن والاهم فقد عادانا ومن عاداهم فقد والانا ومن وصلهم فقد قطعنا ومن قطعهم فقد وصلنا ومن جفاهم فقد برّنا ومن برّهم فقد جفانا ومن أكرمهم فقد أهاننا ومن أهانهم فقد أكرمنا ومن قبلهم فقد ردّنا ومن ردّهم فقد قبلنا ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ومن صدّقهم فقد كذّبنا ومن كذّبهم فقد صدّقنا ومن أعطاهم فقد حرمنا ومن حرمهم فقد أعطانا. يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذن منهم ولياً ولا نصيرا)[٢].

---

١ ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار ج ٢٠، ص ٢٦٠، رواية ٦.
٢ ـ المصدر السابق ج ٢٠، ص ٢٦٦، رواية ٨.

٢ ـ تشوية مبادئ الاسلام:

من الثمرات التي قطفها الغلاة تشوية الاسلام وتضعيف مبادئه من خلال ادخالهم العقائد الفاسدة والخرافية والتبليغ لها بأنها من العقائد الاسلامية وهذا الأمر أدّى الى إتهام الاسلام بأنه دين قائم على مجموعة من المبادئ والافكار التى لا تتفق مع العقل والوجدان.

يقول الدكتور عبدالله سلوم السامرائى في اشارة الى أن هؤلاء الغلاة لم تقتصر حركتهم على فرقة اسلاميّة معينة بل انهم كانوا موزّعين على كل الفرق والمذاهب الاسلامية: (ان الغلاة تفرقوا على الفرق الاسلامية لأسباب مختلفة وبشكل منظم فعملوا على وضع آرائهم ومواقفهم من خلف تلك الفرق الاسلامية) وأضاف قائلاً (إن عمل الفرق الغالية في مجال الفرق الاسلامية كان عملاً منظماً ومرتباً بشكل دقيق وقد وجد الغلاة في عملية الانتشار على كل الفرق الاسلامية اسلوباً يحقق أهدافهم) وفي هذا الخصوص يشير الدكتور السامرائي الى ان ابن حزم يذكر هذا الامر فيقول: (وقد تسمى باسم الاسلام من أجمع جميع فرق الاسلام على انه ليس مسلماً مثل طوائف الخوارج غلوا فقالوا إن الصلاة ركعة واحدة بالغداة وركعة بالعشي فقط وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بني الاخوة وبنات بني الاخوان وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا فقالوا بتناسخ الارواح وآخرون قالوا إن شحم الخنزير ودماغه حلال وآخرون كانوا من أهل السنة فقالوا: قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الانبياء ومن الملائكة وان من عرف الله حق معرفته فقد سقطت عنه الاعمال والشرائع، وطوائف كانوا من الشيعة ثم غلوا فقال بعضهم بألوهية علي عليه السلام والأئمة من بعده، ومنهم من قال

بنبوته وبتناسخ الأرواح)[١].

٣ـ الشذوذ والانحراف الخلقي:

كان القول بالغلو باعثاً للتحلل وعدم الالتزام بالقيود الشرعية والخلقية وقد برزت حالة التحلل هذه في مصاديق مختلفة أشار الائمة عليهم السلام الى بعضها، قال الصادق عليه السلام: (والله إن الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، ثم قال عليه السلام إلينا يرجع الغالي فلا نقبله وبنا يلحق المقصر فنقبله، فقيل له: كيف ذلك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج فلا يقدر على ترك عادته وعلى الرجوع الى طاعة الله عز وجل أبداً وإن المقصّر إذا عرف عمل وأطاع)[٢].

ويقول الدكتور عبدالرسول الغفار:

(النصيريّة: اتباع محمد بن نصير الفهري النميرى، ادعى أنه نبي وأن علي بن محمد الهادي أرسله فهو يقول بربوبيته، وكان بإباحة المحارم ويحلل نكاح الرجال)[٣].

٤ـ تمزيق وحدة المسلمين:

من النتائج الخطيرة التي أفرزتها ظاهرة الغلو الاختلاف والتناحر بين المسلمين وتكفير بعضهم البعض، قال الرضا عليه السلام: (يا ابن محمود إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة أحدها الغلو وثانيها التقصير

---

١ ـ السامرائي، د ـ عبدالله سلوم، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية.
٢ ـ المجلسي، باقر، بحار الانوار ج ٦ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
٣ ـ الغفار، عبدالرسول، شبهة الغلو عند الشيعة.

في أمرنا وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فاذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم الى القول بربوبيتنا...)[١].

وهذا ما حصل بالفعل من اتهام فئة كبيرة من المسلمين بالكفر وهذا أول الهدم في جدار المجتمع الإسلامي وبهذا الشكل أصّل الغلاة وأحدثوا انشقاقات واسعة وخطيرة في صفوف المسلمين أدّت الى تقاطع فكري واسع كان نواةً لتضعيف الإسلام وتفتيت وحدة المسلمين.

توجيهات الأئمة عليهم السلام للمسلمين في مواجهة الغلو:

لم يترك أهل البيت عليهم السلام الأمة دون أن يبينوا لها كيفية التعاطي والتعامل مع الغلاة، بينوا طرق الوقاية من هذا الوباء الجديد فكانت توجيهاتهم عليهم السلام تنصب فيما يأتي:

الف ـ تكذيب الغلاة وعدم التصديق بمدّعياتهم:

أراد أهل البيت عليهم السلام من الأمة أن لا تقع تحت تأثير الافكار الهدامة التي يبثها هؤلاء وتحت أي عنوان كانت فيصدقوا بها.

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سمعته يقول: لعن الله بنان التبّان وأن بناناً لعنه الله كان يكذب على أبي أشهد أن أبي علي بن الحسين عليه السلام كان عبداً صالحاً)[٢].

---

١ ـ المجلسي، محمد باقر بحار الانوار ج ٢٦، ص ٢٣٩، باب ٤، رواية ١.

٢ ـ المجلسي، محمد باقر، بحارالانوار ج ٢٥ ص ٢٩٦ رواية ٥٨.

ب ـ متابعة أبناءهم ومنعهم من الانحراف مع تيار الغلو:

وهذه نقطه مهمة أخرىٰ أكّد عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام في وصاياهم لأصحابهم حيث ركزوا على قضية الالتفات الى الشباب الذين لازالوا في مرحلة النمو الفكري أو المراهقة الفكرية والذين لم يصلوا بعد الى مرتبة الوعي التام الذي يؤهلهم لتمييز العقائد الصحيحة من الفاسدة.

قال الصادق عليه السلام: (احذروا علىٰ شبابكم الغلاة لا يفسدوهم فإن الغلاة شر خلق الله يصغّرون عظمة الله ويدّعون الربوبية لعباد الله)[1].

ومن هنا نعلم أن الشباب كانوا مستهدفين في حركة الغلو كما أنهم مستهدفين في زمننا الحاضر من الغرب عن طريق الهجمة الشرسة التي تتعرض لها أمة الاسلام تحت عناوين مزوّقة وشعارات برّاقة من قبيل الثقافة الجديدة والديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي وغير ذلك من المصطلحات المعلبة التي لا تهدف إلاّ إلى تقويض القيم الاسلامية وتضعيف الاصالة عند المسلمين وجرّهم الى الابتذال والخواء الروحي والفكري، ويمكننا القول إن مقولتي الغلو والديمقراطية هما وجهان لعملة واحدة هدفها تفتيت قدرة الاسلام والمسلمين وضربهما من الداخل والفارق بينهما واحد فقط هو أن الغلو يتناسب مع تلك المرحلة فكرياً في حين أن مدّعى الديمقراطية هو الأكثر رواجاً في هذه المرحلة بعد ١٤٠٠ سنة.

فعلى هذا لا بدّ للمسلمين من يقظة وانتباهة واعية لئلا يستفيقوا على واقع مرير حين يجدون أنفسهم وابناؤهم وقد جرفتهم أمواج العولمة والتحلل والالحاد.

---

١ ـ المجلسي محمد باقر، بحار الانوار ج ٢٥ ص ٢٦٥ رواية ٦.

جـ ـ وجوب معرفة المسلمين لمقام أهل البيت عليهم السلام:

إن الموقف من القول بالغلو تجاه أهل البيت عليهم السلام يشبه الى حدّ ما الوقوف على خيط رفيع فإن أي حركة ميلان غير متوازنة توجب السقوط في البئر العميقة، لذلك فإن الائمة الاطهار عليهم السلام مثلما نبهوا من الوقوع في هاوية الأفـراط كـذلك حذروا من السقوط في هاوية التفريط وأن مواجهة حركة الغلو ونفي الغلو عنهم لا يعني سلب المقامات العالية التي خصّهم الله سبحانه وتعالى بها فان لهم مقامات عند الله سبحانه لا يعلمها إلاّ نبي أو وصي أو عبد امتحن الله قلبه بالايمان.

عن الرسول صلى الله عليه وآله قال مخاطباً علي عليه السلام: (لو لا إني أخاف أن يقال فيك ما قالت النصارى في المسيح لقلت اليوم فيك مقالة لا تمر بملأ من المسـلمين إلا أخذوا تراب نعليك وفضل وضوئك يستشفون به ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك)[١].

وفي حديث آخر أراد الامام عليه السلام من المسـلمين أن يحافظوا على التوازن بين حفظ مقام أهل البيت وبين عدم الغلو فيهم فقال عليه السلام: (لا تجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولا تغلو وإياكم والغلو كغلو النصارى فإني بريء من الغالين)[٢] ثم يشير الامام عليه السلام الى أن نتيجة عدم التوازن واحدة وهي الهلاك للطرفين حيث يقول: (يهلك فيّ اثنان، محب غال ومبغض قال)[٣].

ثم يبين الامام الصادق عليه السلام أن الراد علىٰ أهل البيت عليهم السلام كالراد على الله سبحانه وتعالى فيقول: (ما جاءكم عنا مما يجوز أن يكون فـي المـخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردّوه إلينا، وما جاءكم عنّا مما لا يجوز أن يكون

---

١ ـ المجلسي، محمد باقر، بحارالانوار ج ٢٥، ص ٢٨٤، رواية ٣٥.
٢ ـ المصدر السابق ج ٤، ص ٣٠٣، رواية ٣١.
٣ ـ المصدر السابق ج ٢٥، ص ٢٨٥، رواية ٣٦.

في المخلوقين فاجحدوه ولا تردوه إلينا)[١].

وفي الحديث عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن حديث آل محمّد صعب مستصعب لا يؤمن به إلاّ ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان فما ورد عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه وما اشمأزت له قلوبكم وانكرتموه فردّوه إلى الله والى الرسول والى العالم من آل محمد صلى الله عليه وآله وانما الهالك أن يحدّث أحدكم بالحديث أو بشيء لا يحتمله فيقول والله ما كان هذا والله ما كان هذا والانكار لفضائلهم هو الكفر)[٢].

هذا الحديث الشريف يدعو المسلمين جميعاً الى معرفة أهل البيت عليهم السلام وادراك مقاماتهم وفضائلهم لكي لا يقعوا في حالة التفريط بحقّهم والانكار لدورهم في تربية الجماعة الصالحة والامة الواعية.

وفي حديث آخر يبين الصادق عليه السلام حقيقة أهل البيت عليهم السلام ودورهم حينما يسأله سائل عن مسألة القول بالوهيته فيتبرأ منها فيرد عليه السائل قائلاً: فما أنتم جعلت فداك؟ فقال عليه السلام: (خزّان علم الله وتراجمة وحي الله ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض)[٣].

منهج مواجهة الغلاة عند أهل البيت عليهم السلام:

تعددت مناهج أئمة أهل البيت عليهم السلام وأساليبهم في مواجهة حركة الغلاة

---

١ ـ المصدر السابق ج ٢٥، ص ٣٦٤، باب ١٣، رواية ١.
٢ ـ المصدر السابق ج ٢٥، ص ٣٦٦، رواية ٨.
٣ ـ المصدر السابق ج ٢٥، ص ٢٩٨، رواية ٦٢.

فكانت بعضها وقائية وبعضها الآخر علاجية:

(١) ـ الوقائية:

من الخطوات الرادعة التي اتخذها الائمة عليهم السلام قبال ظاهرة الغلو:

الف ـ احكام طوق العزلة حول الغلاة: وتم ذلك من خلال:

١ ـ منع اللقاء بهم ومخالطتهم من قبل الامة.

٢ ـ منع الجلوس معهم.

٣ ـ المنع من مصافحتهم.

٤ ـ منع المجتمع من السلام عليهم.

٥ ـ منع التزويج لهم والتزوج منهم.

٦ ـ منع التشاور معهم.

٧ ـ منع ائتمانهم والثقة بهم.

٨ ـ منع تصديق حديثهم.

٩ ـ منع إعانتهم بأي نوع من المعونة.

وهذا ما نبّه عليه الامام الرضا عليه السلام في جوابه لأبي هاشم الجعفري حين سأله عن الغلاة والمفوضة حيث قال: (الغلاة كفّار والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاورهم أو واصلهم أو زوّجهم أو تزوج منهم أو أمّنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدّق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة، خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت)[1].

ب ـ تحصين المجتمع الاسلامي فكرياً: وهذه خطوة اخرى ولقاح وقائي

---

١ ـ عيون اخبار الرضا ج ١ ص ٢١٩.

آخر استفاد منه الائمة عليهم السلام في شل وايقاف نمو ميكروب الغلو من خلال:

١ ـ التركيز على مبدأ التوحيد الخالص:

ففي دعاء الإمام الرضا عليه السلام قال: اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللهم لك الخلق ومنك الرزق، اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الأخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلاّ بك، ولا تصلح الإلهية إلا لك، اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك)[١].

٢ ـ إظهار العبودية والفقر والحاجه الى الله تعالى:

ويواصل الامام الرضا عليه السلام دعاءه الذي يبين فيه عبوديتهم لله واحتياجهم إليه سبحانه فيقول: (اللهم إنا عبيدك وابناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً)[٢].

ويذكر الجاحظ في الحيوان عن أبي الفضل المدائني عن سعيد النوا قال: قدمت المدينة فلقيت عليّ بن الحسين فقلت: يا ابن حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله متى يبعث أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب؟ قال: إذا بعث الناس.

ثم يعلق الجاحظ على رد الامام السجاد عليه السلام بأن الغرض منه كسر الغلو وتحطيمه.

٣ ـ تعيين المقامات الوجودية لأهل البيت عليهم السلام:

قال عليه السلام: (لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوه وإياكم والغلو كغلو النصارى فإني بريء من الغالين)[٣].

وعن الكليني باسناده عن سدير، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام إن قوماً

---

١ ـ البحراني، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩.
٢ ـ المصدر السابق.
٣ ـ الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٤٣٨.

يزعمون أنكم آلهة يتلون بذلك علينا قرآناً ﴿*وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله*﴾ فقال: يا سدير، سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلاّ وهو ساخط عليهم. قال: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل يقرؤون علينا بذلك قرآناً: ﴿*يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم*﴾ فقال: يا سدير، سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء وبرئ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة الاّ وهو ساخط عليهم. قال: فقلت: فما أنتم؟ قال: نحن خزّان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون أمر الله تعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الارض)[1].

(٢) ـ اسلوب المواجهة:

لم يكتف الائمة عليهم السلام بأسلوب الوقاية الذي كان التركيز فيه على المسلمين أنفسهم بل اتخذوا اسلوباً آخر وهو مهاجمة الغلاة وتفنيد أقوالهم وتسفيه آرائهم من خلال:

١ ـ اظهار الارتباطات المشبوهة لهم مع أصحاب العقائد الفاسدة.

٢ ـ كشف نواياهم الخبيثة وأغراضهم المريضة.

٣ ـ الحكم بكفرهم ورفع الحصانة عنهم.

٤ ـ إباحة دمائهم وجواز قتلهم.

---

١ ـ المجلسي محمد باقر، بحار الانوار، ج ٢٠، ص ٢٩٨، رواية ٦٢.

٥ ـ لعنهم والبراءة منهم.

مواقف علماء الشيعة من الغلو والغلاة:

امتداداً لمواقف أئمة أهل البيت عليهم السلام وقف علماء الشيعة ماضياً وحاضراً بنفس القوة وأفتوا بارتداد وكفر القائلين بمثل هذه المقولات الغالية.

قال الشيخ المفيد: (الغلاة من المتظاهرين بالاسلام وهم الذين نسبوا أميرالمؤمنين وذريته الى الالوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا الى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد فهم ضلاّل كفّار)[١].

الشيخ المفيد يرىٰ أن هؤلاء الغلاة ليسوا مسلمين فضلاً عن أن يكونوا أتباعاً ومريدين لأهل البيت عليهم السلام بل انهم يتظاهرون بالاسلام لغايات ومآرب مخبوءة.

ويبيّن الشيخ المجلسي مقولات الغلاة وموقفه منهم فيقول: (اعلم أن الغلو في النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام إنما يكون بالقول بألوهيتهم أو بكونهم شركاء لله تعالى في العبوديّة أو في الخلق والرزق أو أنهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى والقول بكل منها إلحاد وكفر وخروج عن الدين كما دلّت عليه الادلة العقلية والآيات والاخبار)[٢].

ويقول الشيخ محمدرضا المظفر: (لا نعتقد في أئمتنا ما يعتقده الغلاة.. كبرت كلمة تخرج من أفواههم بل عقيدتنا الخاصة أنهم بشر مثلنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا وانما هم عباد مكرمون اختصهم الله تعالى بكرامته وحباهم بولايته)[٣].

---

١ ـ الشيخ المفيد، تصحيح الاعتقاد، ص ١٠٩.
٢ ـ شرح نهج البلاغة: ميثم البحراني ٤: ٣٦٠.
٣ ـ عقائد الامامية: الشيخ المظفر: ٥٧.

وقال الشيخ ميرزا جواد التبريزي: (والغلاة هم الذين غالوا في النبي والائمة صلوات الله عليهم وأخرجوهم عما نعتقد بأن قالوا والعياذ بالله انهم شركاء لله تعالى في العبودية والخلق والرزق أو أنهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله أو القول بتناسخ أرواح بعضهم في بعض... وغير ذلك من الأباطيل)[١].

وبهذا البيان الواضح والصريح كتب علماء الشيعة عقائدهم وبيّنوا موقفهم من الغلو والغلاة. هذا الموقف الذي أقرّ به علماء الاسلام من الفرق الاسلامية الاخرى وأعلنوا براءة الشيعة والتشيع من هذه التهمة الظالمة، فأحمد أمين مع تحامله على الشيعة ينفي أن يكون لهم مدخل في ايجاد أو تبنّي نظرية الغلو فيقول: إن أفراداً بسطاء هم الذين يؤلهون علياً وأن الشيعة تبرأ منهم ولا يجوز عندهم الصلاة عليهم)[٢].

وكتبت دائرة المعارف الاسلامية: (الزيدية والامامية الذين يؤلفون المذهب الوسط يحاربون الشيعة الحلوليين حرباً شعواء ويعتبرونهم غلاة يسيؤون الى المذهب بل يعتبرونهم مارقين عن الاسلام)[٣].

ويؤكد هذا المعنى الدكتور أحمد محمود في نظرية الامامة قائلاً: (وفي البابية والبهائية آراء غالية جعلت منها مذهباً منشقاً تماماً عن الاسلام واتفق علماء الأزهر في مصر وعلماء الشيعة في العراق وإيران على تكفير البابية والبهائية واغلق المحفل البهائي في مصر)[٤].

ويدلي الامام محمد ابو زهره بدلوه في هذا الاطار فيقول: (هذه الفرق

---

١ ـ اعتقاداتنا: ٩.

٢ ـ انظر أحمد محمود، نظرية الامامة، ص ٤٣٦.

٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية، ج ١٤، ص ٦٣.

٤ ـ احمد محمود، نظرية الامامه، ص ٤٣٦ هامش.

واشباهها من المنحرفين في الاعتقاد لا يعدّها الشيعة من بينهم ويقولون عنهم الغلاة ولا يعدّون أكثر هؤلاء من أهل القبلة فضلاً عن أن يكونوا منهم ولذلك نقول: إن هذه الفرق حملت اسم الشيعة في التاريخ الاسلامي وحمل كثيرون من الكتاب الشيعة أوزارهم وهم يتبرؤون منهم كل التبرء)[1].

الغلو وموانع الوحدة الاسلامية:

رغم الشعار الموحّد الذي تضج به كل عام أرجاء مكة والمدينة (يا أيها المسلمون اتحدوا اتحدوا) إلاّ انه ظل شعاراً أو حلماً يطيف على المخلصين المتحمسين لوحدة المسلمين فقد أوصد المسلمون على أنفسهم بباب التحاور والانفتاح الفكري والعملي وغالوا في متبنياتهم حتى أنهم كفّروا بعضهم البعض وأخرجوهم من دائرة الدين وحكموا بكفرهم وإباحة دمائهم. ففي الحين الذي كانت فيه ظاهرة الغلو منحصرة في إطار واحد تقريباً وهو الغلو الفكري العقائدي تشعّبت اليوم فصار المسلمون تحت وطأة الغلو السياسي، والغلو القومي والحزبي والمذهبي وبالغ بعض المسلمين في الاعتقاد باستحالة الوحدة الاسلامية لأن بعض الفرق الاسلامية في نظره خارجة عن الدين ولا يمكن بحث فكرة الوحدة معها فضلاً عن الوحدة نفسها وهذا القول بنفسه يسد الأبواب جميعها أمام التحاور والتقارب وهو ايضا نوع آخر من الغلو وواجهة اخرى له. فحينما تكون بيننا وبين أهل الكتاب عناصر مشتركة للحوار والتفاهم والتقريب وكما يشير القرآن الكريم الى ذلك: ﴿*قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من*

---

١ ـ الامام محمد ابو زهره، تاريخ المذاهب الاسلاميه، ص ٣٩.

دون الله﴾[١].

فلا بد أن تكون بين المسلمين مساحة أكبر للتلاقي والحوار الوحدوي ونقاط الالتقاء أكثر قابلية على تقريب الرؤى والمواقف.

إن الغلو بمعناه السابق مات بموت القائلين به ولكن بقيت ثمرته وما أريد منه من نسبته الى اتباع أهل البيت عليهم السلام.

إن نسبة الفكر الشيعي الى الغلو من قبل بعض المسلمين كانت طعنة عميقة في جسد الأمة الاسلامية أفرزت شرخاً واسعاً في تقاربها ووحدتها حيث أن البعض راح يحمّل الشيعة تبعات حركة المغالين لمجرد أنهم يوالون أئمة أهل البيت ويحبونهم ومن المعلوم أن حب الائمة عليهم السلام لا يستلزم تأليههم وليس كل من أحب شخصاً صار مغالياً فيه فيستحق اللعن والتكفير.

من المؤسف أن بعض المسلمين أسلم نفسه وروحه وقلبه وعقله للانفعال فما عاد يميّز بين الغلاة وبين الشيعة فئمة من ينسب عقائد الشيعة الى اليهودية وينعق بهذا النعيق المشؤوم يعبأه في عقول المسلمين ويوحي اليهم بأن الشيعة معول لهدم الاسلام وأن عقائدهم مستقاة من الأفكار اليهودية القائلة بالحلول والاتحاد والتشبيه والتناسخ ولم تقف حائلاً دون هذه الاحكام الجائرة كل مواقف أئمة أهل البيت تجاه الغلاة وتكفيرهم والبراءة منهم بل قتلهم واحراقهم وكذلك لم يقنع أصحاب هذه الإلقاءات المسمومة كل الآراء والفتاوى التي حفلت بها كتب علماء الشيعة من عصر الائمة عليهم السلام والى اليوم.

إن استتار بعض الأفراد والجماعات المغالية خلف التشيع لا يوجب رمي الشيعة بالغلو كما ان استتار بعض النواصب خلف أهل السنة والجماعة لا يوجب رمي أهل السنة جميعهم بتهمة النصب والعداء لأهل البيت على هذا فلا المغالي

---

١ ـ سورة آل عمران: ٦٤.

يمثل جماعة الشيعة ولا الناصبي يمثل أهل السنة بل هم منهم براء وينبغي أن يعي المسلمون جميعاً أن هذه التوجهات لا تنفع الدين بقدر ما تهدم البناء الذي جاهد الرسول الكريم محمد ﷺ من إجل إرساء دعائمه وتثبيت أركانه التي هي كلمة التوحيد ووحدة الكلمة وجسّد علي عليه السلام هذا المفهوم بأروع صوره حين قال: (لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري والله لأسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصة)[1] لهذا يعتبر علي عليه السلام رائد الوحدة الاسلامية بعد الرسول الكريم محمد ﷺ. فعلى المسلمين الاقتداء بسيرة هؤلاء العظام ونبذ كل ما من شأنه تفكيك عرى الدين وتضعيف أمة الاسلام وأن يكونوا كما وصفهم القرآن الكريم صفاً كأنهم بنيان مرصوص.

اقتراحات تقريبيّة:

١ ـ النظر الى الاختلاف كحالة إيجابية تسهم في حركة الابداع الفكري عند المسلمين وعدم النظر إليه من زاويته السلبية كنقطة افتراق وتقاطع تلقي ظلّها السلبي على المشتركات أيضا فتعيق الحوار وتمنع التقارب.

٢ ـ إن بعض الاختلافات صنعتها يد السياسة الخفية من خلال بعض العناصر المشبوهة التي سعت لتجذير حالة الفرقة بين المسلمين عن طريق دس الأحاديث التي تعمّق شق الخلاف لذا ينبغي تنقية تراثنا الاسلامي من الطفيليات التي نمت فيه على حين غفلة من المسلمين والاعتماد في معرفة آراء المذاهب على أقوال أئمة وعلماء ومفكري هذه المذاهب.

٣ ـ تحديد معان واضحة ومشخّصة تبيّن حدود المفاهيم التي هي موضع

---

١ ـ نهج البلاغة، خ ٧٤، ص ٣٦، نسخة المعجم الفهرس، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

الاختلاف كالكفر والشرك والغلو والنصب والشفاعة لكي لا تطلق على المسلمين جزافاً فتؤدي بالتالي الى مزيد من الضغائن والأحقاد.

٤ ـ مواجهة الدعوات التخريبية والمواقف اللامسؤولة لبعض المحسوبين على امة الاسلام وردعهم عما من شأنه إثارة الفتنة والفرقة بين المسلمين.

٥ ـ السعي الى منع انعكاس الخلافات السياسية بين الدول الاسلامية وانسحابها الى ساحة الحوار والتقارب بين المذاهب الاسلامية.

٦ ـ توعية وتثقيف المسلمين على تبادل الثقة فيما بينهم وحمل أعمالهم على الصحة إلاّ ما خرج بالدليل وليكن شعارنا هو: أن نتعاون في ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه.

٧ ـ التركيز على وحدة المصير قبال التعبئة الاستكبارية التي تستهدف الاسلام بكل وجوده ولا تميز بين فرق المسلمين عن طريق زرعها العقائد الفاسدة كالغلو والنصب في صدر الاسلام أو اتهاماتها الرخيصة كالتطرف والإرهاب في عصرنا الحاضر.

٨ ـ الدعم الايجابي للصحوة الاسلامية في العالم بغض النظر عن توجهاتها المذهبية وعدم إخضاع هذا الدعم لهذه التوجهات والميول الذي يؤدي بالتالي الى تضعيفها وتحجيمها على أقل تقدير.

٩ ـ استثمار المناسبات الاسلامية التي يجتمع فيها المسلمون على اختلاف مذاهبهم كالحج والاعياد وتعبئتهم فيها على اتخاذ مواقف جماعية تسهم في تقارب وتكاتف المسلمين كالبراءة من المشركين.

١٠ ـ متابعة ما تخرج به المؤتمرات واللقاءات التقريبية والسعي الجاد لإنزال قراراتها الى ساحة الانجاز والتنفيذ والحذر من تفريغها من محتواها لتصبح لقاءات تعارف وإلقاء خطابات استهلاكية.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي.
٣ ـ الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية، د ـ عبدالله سلوم السامرائي.
٤ ـ حركات الغلو والتطرف في الاسلام، د ـ احمد عبدالقادر الشاذلي.
٥ ـ دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، عبدالله الامين.
٦ ـ لسان العرب، ابن منظور.
٧ ـ المنجد في اللغة والادب والعلوم، لويس معلوف.
٨ ـ النهاية، ابن الأثير.
٩ ـ الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمدحسين الطباطبائي.
١٠ ـ غاليان كاوشى در جريانها وبرآيندها، نعمة الله صفرى فروشاني.
١١ ـ مفاتيح الجنان، عباس القمي.
١٢ ـ الانوار الالهية، عباس القمي.
١٣ ـ مكارم الاخلاق، الطبرسي.
١٤ ـ الاصول من الكافي، الشيخ الكليني.
١٥ ـ سيرة الأئمة الاثنى عشر، هاشم معروف الحسني.
١٦ ـ الفهرست، لابن النديم.
١٧ ـ الامام الصادق والمذاهب الاربعة، اسد حيدر.
١٨ ـ الطبري
١٩ ـ عيون اخبار الرضا.

٢٠ ـ شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد المعتزلي.
٢١ ـ شبهة الغلو عند الشيعة، عبدالرسول الغفّار.
٢٢ ـ شرح نهج البلاغة، للبحراني.
٢٣ ـ الاحتجاج، للطبرسي.
٢٤ ـ تصحيح الاعتقاد، الشيخ المفيد.
٢٥ ـ عقائد الامامية، الشيخ محمد رضا المظفر.
٢٦ ـ اعتقاداتنا، ميرزا جواد التبريزي.
٢٧ ـ نظرية الامامة، احمد محمود.
٢٨ ـ دائرة المعارف الاسلامية.
٢٩ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية، الامام محمد ابو زهرة.

الفهرست

١ ـ التمهيد
٢ ـ تعريف الغلو
٣ ـ الغلو في التأريخ الانساني
٤ ـ القرآن الكريم يقطع طريق الغلو
٥ ـ مناشىء الغلو واهدافه
٦ ـ ادعاءات الغلاة ومواقف الأئمة عليهم السلام
٧ ـ الغلو: النتائج والآثار
٨ ـ توجيهات الأئمة عليهم السلام للمسلمين في مواجهة الغلو
٩ ـ منهج مواجهة الغلاة عند اهل البيت عليهم السلام
١٠ ـ مواقف علماء الشيعة من الغلو والغلاة
١١ ـ الغلو وموانع الوحدة
١٢ ـ اقتراحات تقريبيّة
١٣ ـ مصادر البحث

أهل البيت عليهم السلام
في الكتاب والسُّنّة

الأُستاذ السيّد عبد الرؤوف
رئيس تحرير عقيدتي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

إنّ الحديث عن أهل البيت هو مقام لا يرقى إليه إنسان مهما بلغ من العلم شأوه، أو من المعرفة مداها.. فهم سر من أسرار الوجود أودعه الله في البشرية ليقوم به عماد الحق بين خلقه، وتستضيء به أرواح الناس في آفاق الفكر والتبصر.. فمثلهم في غذاء الروح، كمثل رقائق النسيم في حياة الجسد.. فيها الغناء الذي يحس ولا يرىٰ، ويستشعر ولا يشاهد.

وهم أهل العلم وحماته قبل غيرهم، اصطفاء من الله قبل أن يكون اجتهاداً من عند أنفسهم.. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.. ومودتهم إنّما هي للأخذ لا للعطاء، والتعلم لا التعليم.. فكان بذلك آل النبي صلى الله عليه وآله امتداداً لحفظ دين الله بين عباده.. وكان العلماء على مدىٰ الزمن عالة على علم أهل البيت عليهم السلام.

والقرآن الكريم مصدر الفكر، ومنبع التشريع والقيم، وما جاء به القرآن فهو وحي منزل وكلام إلهي مقدّس، يصوغ نظام الحياة، ويشخص قوانينها، وكل مسلم يعلم أنّ ما جاء به القرآن هو شريعته ورسالته في الحياة، وهو ملزم بالعمل به والسير على هداه، وقد تحدّث القرآن عن أهل البيت الكرام مستعملاً الأساليب التالية:

١ ـ التصريح باسمهم الاصطلاحي الذي اصطلح عليه القرآن فهو تارة يسميهم «أهل البيت» كما في آية التطهير، وتارة يسميهم «القربىٰ» كما في آية

المودّة، وبذا نزلت آيات كثيرة وضحتها السُنّة النبوية، وبيّنتها للأُمّة في حينها، ورواها المفسّرون والرواة في كتبهم وموسوعاتهم.

٢ ـ تسجيل أحداث ووقائع تخص أهل البيت عليهم السلام ونزول آيات كثيرة تتحدث عن فضلهم ومقامهم وتثني عليهم، وتوجّه الأُمّة نحوهم، مجتمعين تارة كما في آية المباهلة، وآية الإطعام في سورة الدهر وغيرها، ومتفرقين كما في آية الولاية: ﴿*إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون*﴾ (المائدة: ٥٥).

وسنتعرّض لبعض هذه الآيات ـ وهي كثيرة ـ التي تحدّثت عن أهل البيت عليهم السلام لبيان فضلهم ومقامهم بشيء من التفصيل والتوضيح.

ومن يستقرئ سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرته العملية وعلاقته بأهل بيته الّذين نصّ عليهم القرآن وعرّفهم هو صلى الله عليه وآله «عليّ وفاطمة وابناهما» (رواه الطبراني في المعجم الكبير ج ١ ص ١٢٥) يعرف أنّ لأهل البيت دوراً ومسؤولية رسالية وحضارية فريدة في تاريخ هذه الأُمّة، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطّط لها، ويعدّ الأُمّة لتقبلها بأمر من الله سبحانه.

لقد بدأ ذلك الفصل المضيء من التخطيط النبوي ـ بأمر الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله ـ بتزويجه السيّدة فاطمة للإمام عليّ، وغرس هذه الشجرة المباركة لتمتد فروعها في آفاق هذه الأُمّة عبر مسيرة تاريخها..

قال النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام عليّ حين زوّجه السيّدة فاطمة: «إن الله أمرني أن أُزوّجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت بذلك، فقال: قد رضيت يا رسول الله» قال أنس بن مالك: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «جمع الله شملكما، وأسعد جدّكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيّباً» قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيّب. (محب الدين الطبري، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى.

ص ٣٠).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعتذر عن تزويج السيدة فاطمة كلّما خطبها احد من الصحابة ويقول: «لم ينزل القضاء بعد» (المرجع السابق).

إنّ هذه العناية الإلهية النبوية بتزويج السيدة فاطمة من الإمام عليّ فلا يتم الزواج إلّا بأمر من الله لتدل دلالة واضحة على مكانة أهل البيت عليهم السلام، وما كان يستهدف الرسول الكريم من وراء علاقته بهم من خير لهذه الأُمّة.

ولعلّ في ما نقتبس ونعرض من روايات وأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل البيت ـ وهي كثيرة ـ يوصلنا إلى اكتشاف العمق والغاية من العناية الإلهية والنبوية في بناء هذا البيت، وإسباغ الحب والبركات والعناية عليه، ليكون أهل هذا البيت دليلاً للأُمّة في حيرتها، وسبباً لنجاتها في محنتها، ونظاماً ومحوراً لوحدتها في تفرقها، كما نصّت الروايات والأحاديث على ذلك، وفي روايات عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله نجد أنّ أهل البيت هم المنجى لهذه الأُمّة، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقرنهم بكتاب الله، ويجعل دورهم العقائدي والرسالي في هذه الأُمّة ملازماً لكتاب الله، لا ينفك عنه فتتّجه الأُمّة إليهم في فهم القرآن الكريم، واستنباط معانيه وأحكامه.

الفصل الأول
أهل البيت في القرآن الكريم

أهل البيت ذلك العنوان المضيء، والمجد الخالد، والاسم المحبب لكل نفس أحبّت رسول الله ﷺ، وآمنت به وسارت على هداه، فقد عرف المسلمون هذا العنوان الشامخ في سماء التاريخ، والمجد المتألّق في أفق القرآن الكريم، منذ أن نطق الوحي بهذه التسمية المباركة فكانت آيات كثيرة في فضائلهم منها:

١ ـ آية التطهير:

قال تعالى: ﴿*إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً*﴾ (الأحزاب: ٣٣).

بنزول هذه الآية المباركة تحدد مسار ومحور واتجاه داخل الحياة الإسلامية، وجّه القرآن الأنظار إليه، وسلط الأضواء على موقعه الطلائعي الرائد، وأبرز دور أهل البيت في حياة الأُمّة الإسلامية، وخصّهم بإرادة التطهير المؤكّد من لدن الحكيم الخبير.

لقد حددت هذه الآية مركزاً لحركة التاريخ بعد رسول الله ﷺ وفق العرف والمنطق الإسلامي، بعد أن وهب الله هذه الصفوة المباركة صفة التطهير من الذنوب والمعاصي والآثام، فقد ثبّت القرآن لهم أفضل درجات التفضيل، وأعلى مراتب الأهلية في الاقتداء والقيادة والريادة في حياة الأُمّة الإسلامية التي ترى وفق فلسفتها العامّة في الحياة: ﴿*إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم*﴾ (الحجرات: ١٣).

لقد تضافرت التفاسير والروايات أن المقصود بأهل البيت عليهم السلام هم أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وهم: «عليّ وفاطمة والحسن والحسين»، فقد ورد في الدر المنثور للسيوطي: [أخرج الطبراني عن أُمّ سلمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة رضي الله عنها: (ائتني بزوجك وابنيه، فجاءت بهم فألقىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم كساء فدكياً، ثمّ وضع يده عليهم ثمّ قال: اللهم إنّ هؤلاء أهل محمّد ـ وفي لفظ: آل محمّد ـ فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد كما جعلتها على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد).. قالت أُمّ سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنّك على خير) (الترمذي ج ٢، مناقب أهل البيت ص ٣٠٨)].

وما مواظبة الرسول صلى الله عليه وآله على الوقوف بباب الإمام عليّ والسيدة فاطمة شهوراً عديدة ومناداته صلى الله عليه وآله لهم عند الفجر، ويدعوهم إلى الصلاة ويسميهم أهل البيت إلاّ ليعرّف بشخصيات اهل البيت، ويفسر للمسلمين الآية «آية التطهير» ويعرف الأُمّة بمقام أهل البيت، ويوجّه نظرها إليهم، ويوجب عليها حبهم وطاعتهم والولاء لهم.

فقد روى الطبراني عن أبي الحمراء قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي على باب عليّ وفاطمة ستّة أشهر، فيقول: ﴿*إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً*﴾ (جامع الأصول ج ٩ ص ١٥٦، نقله عن صحيح الترمذي).

وذكر الفخر الرازي في التفسير الكبير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعد نزول الآية الكريمة: ﴿*وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها*﴾ (طه: ١٣٢) كان يذهب الى عليّ وفاطمة ـ عليهما السلام ـ كل صباح ويقول: «الصلاة» وكان يفعل ذلك أشهراً.

إنّ آية التطهير هي منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدأت بـ ﴿*إنّما*﴾ المفيدة لحصر إرادته تعالى في

أمرهم، على إذهاب الرجس عنهم وليس منهم، فهم مطهرون ليس فيهم رجس وإنّما تولّى الحق تبارك وتعالى حفظهم، فكل ما فيه رجس يبعده عنهم حتّى يحفظ لهم طهرهم.

فقد روى أبو الشيخ والديلمي قال ﷺ: «من لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدىٰ ثلاث: إمّا منافق، وإمّا ولد زانية، وإمّا امرؤ حملت به أُمّه في غير طهر».

ولذلك التطهير أثر إذ منه إلهام الإنابة إلى الله تعالى وإدامة الأعمال الصالحة، ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكاً ـ ولذا لم تتم للإمام الحسن ـ عوضوا عنها بالخلافة الباطنة، حتى ذهب قوم الى أنّ قطب الأولياء في كل زمان لا يكون إلاّ منهم.

ومن تطهيرهم تحريمهم على النار، وكذلك تحريم الصدقات عليهم لأنّها أوساخ الناس مع كونها تنبئ عن ذلّ الآخذ وعزّ المأخوذ منه، وعوضوا عنها خمس الفيء والغنائم المنبئ عن عزّ الآخذ وذلّ المأخوذ منه.

إنّ هذه الآية ترسم طريقاً واسع الدلالة والمحتوى، وتلفت نظرنا إلى حقائق أساسية في الحياة الإسلامية، لئلاّ يضطرب علينا الفهم، وتضيع المقاصد الحقّة لكتاب الله، الذى أراد أن يبني الأُمّة على أساس الطهر والابتعاد عن الرجس والرذيلة، وجعل أهل البيت الكرام هم المحور، والمنار في هذا البناء، فليس في المسلمين من يشهد له القرآن بهذا الوصف، وليس فيهم من خاطبه رسول الله ﷺ بهذه الصفة، صفة الطهارة المطلقة، والبعد عن الذنوب والآثام سوى أهل البيت عليهم السلام، لذا كان سلوكهم قدوة، وشخصياتهم أُسوة.

٢ ـ آية الصلاة:

قال تعالى: ﴿*إنّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً*﴾ (الأحزاب: ٥٦).

في هذه الآية أمر واجب بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وآله الكرام عليهم السلام، وتخصيص لهم دون غيرهم، وتعظيم لمقامهم وكرامتهم لتعرف الأُمّة موقعهم الرسالي في حياتها ورسالتها.

وقد سجل الفخر الرازي في تفسيره الكبير ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسيره هذه الآية المباركة، فقال: [سئل النبي صلى الله عليه وآله كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ فقال: (قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.. إلخ] الفخر الرازي ـ التفسير الكبير ـ تفسير سورة الأحزاب آية ٥٦.

وفي الدر المنثور للسيوطي: أخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن مردويه، عن كعب بن عجرة قال: قال رجل: يا رسول الله أمّا السلام عليك فقد علمناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قل: «اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد».

وقد أورد ثمانية عشر حديثاً غير هذه الرواية تدل على تشريك آل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله معه في الصلاة، رواها أصحاب السنن والجوامع عن عدة من الصحابة منهم: ابن عباس وطلحة وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وأبو مسعود الأنصاري وبريدة وابن مسعود وكعب بن عجرة والإمام عليّ عليه السلام ولكن بعض الناس قالوا: إنّ الله أمرنا قال: ﴿*صلوا عليه*﴾ ولم يقل على أهل بيته، فكانوا يصلون على النبي ولا يصلون على أهل بيته، فغضب النبي غضباً شديداً وقال: «لا تصلوا عليّ الصلاة

البتراء». قالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: «تقولون: اللهم صل على محمّد وتمسكون. بل قولوا: اللهم صل على محمّد وعلى آل محمّد». الصواعق المحرقة ـ ابن حجر الهيتمي ص ١٤٦.

ويرى الفقهاء وجوب الصلاة على سيدنا محمّد وآله ﷺ في تشهد الصلاة، ووجوب الإتيان بذكر آل سيدنا محمّد في الصلاة لذلك أوجبه الإمام الشافعي آخر التشهد في الصلاة ومن لم يأت به فصلاته باطلة وقال رضي الله عنه :

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

إنّ المتأمّل في هذه الآية يدرك بوضوح أن الغاية من هذا التشريع والإلزام به، هى تعظيم أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً لتقتدي الأُمّة بهم، وتنهج منهجهم، وتفزع في الفتن والخلافات إليهم. فأُولئك الّذين لا تجوز الصلاة إلاّ بالصلاة عليهم، هم أئمّة الأُمّة، وهم المشار إليهم والمضمون الاقتداء بهم، ولولا ثبوت وضمان استقامتهم وسلامة ما صدر عنهم لما أمر الله المسلمين على الدهور أن يتعلّقوا بهم ويصلوا عليهم في كلّ صلاة، فإنّ في ذلك التكرار تأكيد، وإلفات نظر للمسلمين في كلّ صلاة لأهمية أهل البيت ومنزلتهم، والاقتداء بهم والسير على نهجهم، والتمسّك بمسارهم.

٣ـ آية المباهلة:

قال تعالى: ﴿*فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين*﴾ (آل عمران: ٦١).

بعد أن طهّر الله أهل البيت وجعلهم هم أنوار هذا الوجود كان لا بد أن تظهر هذه الانوار على حقيقتها ليواجه بها النبي الخلائق إظهاراً لمكانتهم العالية.

فقد وقعت حادثة تاريخية خالدة، رواها المؤرّخون والمفسرون كالزمخشري والرازي والطبري وابن كثير والسيوطي، كشفت لهذه الأُمّة حرمة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

والحادثة هي «المباهلة» لمّا جاء وفد من نصارى نجران يحاجج رسول الله صلى الله عليه وآله ويحاوره، فأمره الله سبحانه بهذه الآية المباركة أن يدعو (علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام) ويخرج بهم إلى الوادي، وأن يدعو النصارى أبناءهم ونساءهم ويخرجوا معهم، ثمّ يدعو الله بأن ينزل العذاب على الكاذبين.. ولمّا دعاهم النبي إلى المباهلة قالوا: حتّى نرجع وننظر فلمّا تخالوا قالوا للعاقب: ـ وكان صاحب رأيهم ومشورتهم ـ يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم معشر النصارى أنّ محمّداً نبي مرسل وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولإن فعلتم لتهلكن، فإن أبيتهم إلاّ إلف دينكم والإقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفها وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا» فلمّا رأوا أنوار أهل البيت مشرقة متلألئة قال أسقف نجران: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

فقالوا: يا أبا القاسم.. رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا، قال: «فإذا أبيتم فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم». فأبوا، فقال: «فإنّي أناجزكم». فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا

تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدّى إليك كلّ عام ألفي حلّة: ألف حلّة في صفر وألف حلّة في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك.

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتّى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتّى يهلكوا».

إنّ المقام كان يوحي ببروز معسكر الشرك، وإنّ الّذين برزوا هم طليعة ومقدّمة الأُمّة وأقدس ما فيها من نفوس أذهب الله عنها الرجس فطهّرهم تطهيراً، فلا ترد لهم دعوة، ولا تكذب لهم كلمة، ولو أرادت الأُمّة المحمّدية أن تعود لها عزّتها ومكانتها فلا بد أن تقدم أهل البيت الكرام أمام الصفوف حتّى يواجهوا بهم أعداءهم.

ومن هنا نفهم أنّ ما وردنا عن أهل البيت من فكر وتشريع ورواية وتفسير وهداية وتوجيه هو جارٍ مجرى هذا الموقف، فهم الصادقون في لهجتهم وسيرتهم ومنهجهم. فالقرآن تحدّى بهم أعداء الإسلام، وجعل خصومهم الكاذبين، والمعرضين للعنة والعذاب: ﴿*فنجعل لعنة الله على الكاذبين*﴾ ولولا ضمان الاستقامة والصدق في ما يصدر عنهم لما منحهم الله هذا الشرف، ولما نطق القرآن بذلك.

وفي هذه الآية الكريمة يباهل الله ورسوله بهم أعداءه فيعرف بمقامهم العظيم، ومكانتهم المقدسة ولولا ما لهم من حرمة خاصّة على الله سبحانه وقدسية متميزة لديه، لما دعا رسول الله ﷺ لأن يخرج بهذه الكوكبة الطاهرة يتحدّى أعداء الله بنزول العذاب وضمان استجابة الدعاء.

وفي الآية دقائق لغوية لا بد من الوقوف عندها وهي إضافة هذه الكوكبة «الحسن والحسين وفاطمة وعليّ» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله «ابناءنا» و«نساءنا» و«أنفسنا» فلولا تجسيد الحادثة، وخروج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه هذه الكوكبة لانصرف الذهن من إطلاق كلمة «نساءنا» الى أزواج النبي صلى الله عليه وآله و«أبناءنا» الى فاطمة وبناته الأُخريات، و«أنفسنا» الى ذاته المقدّسة وحدها، إلاّ أنّ رسول الله بإخراجه لهؤلاء الأربعة معه دون غيرهم فسّر لنا صفوة نساء الأُمّة وقدوتها السيّدة فاطمة، وأنّ صفوة أبناء المسلمين الحسن والحسين، ونسبهم القرآن الى رسول الله صلى الله عليه وآله فكانوا وفق منطوق الآية أبناءه، واعتبر القرآن الإمام علياً كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤ ـ إحدى عشر آية أُخرى:

١ ـ قال تعالى: ﴿سلام *على إل ياسين*﴾ (الصافات: ١٣٠).

نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس أنّ المراد بذلك سلام على آل محمّد لأنّ ياسين هو سيدنا محمّد وكذا قاله الكلبي (الصواعق المحرقة ص ١٤٨).

وذكر الفخر الرازي أنّ أهل بيته صلى الله عليه وآله يساوونه في خمسة أشياء:

* في السلام، قال تعالى: ﴿*السلام عليك أيها النبي*﴾، وقال: ﴿*سلام على إل ياسين*﴾.

* في الصلاة عليه وعليهم في التشّهد.

* في الطهارة، قال تعالى: ﴿طه﴾ أي يا طاهر، وقال: ﴿*ويطهّركم تطهيراً*﴾.

* في تحريم الصدقة.

* في المحبّة، قال تعالى: ﴿*فاتبعوني يحببكم الله*﴾، وقال: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى*﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿*وقفوهم إنّهم مسؤولون*﴾ (الصافات: ٢٤).

أخرج الديلمي عن ابي سعيد الخدري أنّ النبي ﷺ قال: ﴿*وقفوهم إنّهم مسؤولون*﴾، اي: عن ولاية عليّ وأهل البيت، لأنّ الله أمر نبيه ﷺ أن يعرف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلاّ المودة في القربى، والمعنى: أنّهم يسألون هل والَوْهم حق الموالاة كما أوصاهم النبي ﷺ، ام أضاعوهم وأهملوهم فتكون عليهم المطالبة والتبعة؟

وذلك تحقيق للحديث الذي رواه مسلم قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس! إنّما أنا بشر يوشك أن يأتني رسول ربّي عزّ وجلّ فأجيبه وإنّي تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله عزّ وجلّ فيه الهدى والنور، ثمّ قال: وأهل بيتي أذكّركم الله عزّ وجلّ في أهل بيتي ثلاث مرّات».

٣ ـ قال تعالى: ﴿*واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا*﴾ (آل عمران: ١٠٢).

أخرج الثعلبي في تفسيره عن سيدنا جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: نحن حبل الله الذي قال الله فيه: ﴿*واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا*﴾. ولهذا يقول الشافعي رضي الله عنه:

ولمّا رأيت الناس قد ذهبت بهم ... مذاهبهم الى أبحر الغيّ والجهلِ
ركبت باسم الله على سفن النجا ... وهم أهل بيت المصطفى خير الرسلِ
وتمسّكت بحبل الله وهو ولاؤهم ... كما أمرنا بالتمسك بالحبلِ

وكان سيدي علي زين العابدين عليه السلام إذا تلا قوله تعالى: ﴿*يا ايها الّذين*

آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ يقول دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية وعلى وصف المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمّة الدين والشجرة النبوية، ثمّ يقول: وذهب آخرون الى التقصير في أمرنا واحتجّوا بمتشابه القرآن فتأوّلوا بآرائهم واتهموا مأثور الخبر، الى أن قال: فإلى من يفزع خلف هذه الأُمّة وقد درست أعلام هذه الملّة، ودانت الأُمّة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول: ﴿*ولا تكونوا كالّذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات*﴾ فمن الموثوق به على إبلاغ الحجّة وتأويل الحكم الى أهل الكتاب وأبناء أئمّة الهدى ومصابيح الدجى الّذين احتجّ الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدىً من غير حجّة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلاّ من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وبرّأهم من الآفات وافترض مودّتهم في الكتاب؟

٤ ـ قال تعالى: ﴿*ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله*﴾ (النساء: ٥٤).

قال أبو الحسن المغازلي عن سيدي محمّد الباقر عليه السلام انّه قال في هذه الآية: نحن الناس والله.

٥ ـ قال تعالى: ﴿*وما كان ليعذّبهم وأنت فيهم*﴾ (الأنفال: ٢٣).

أشار صلى الله عليه وآله الى وجود ذلك المعنى في أهل البيت وانّهم أمان لأهل الأرض كما كان هو صلى الله عليه وآله اماناً لهم.

وأخرج جماعة بسند ضعيف أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «النجوم أمان لأهل السماء واهل بيتي أمان لأُمّتي».

وروى الإمام أحمد أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

وفي رواية صحّحها الحاكم على شرط الشيخين: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس».

وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا» وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق». وفي رواية: «هلك، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني اسرائيل من دخله غفر له». وفي رواية: «غفر له الذنوب».

وباب حطة هو باب أريحا أو بيت المقدس جعل الله من دخله مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأُمّة مودّة أهل البيت سبباً أيضاً للمغفرة.

٦ ـ قال تعالى: ﴿*وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى*﴾ (طه: ٨٢).

قال ثابت البناني: اهتدى الى ولاية أهل بيته ﷺ، وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر أيضاً. وأخرج الديلمي قال ﷺ: «إنّما سمّيت ابنتي فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبيها من النار».

٧ ـ قال تعالى: ﴿*ولسوف يعطيك ربّك فترضى*﴾ (الضحى: ٥).

نقل القرطبي عن ابن عبّاس أنّه قال: رضى محمّد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، وقاله السدى أيضاً. وأخرج الملا في الشفا عنه ﷺ قال: «سألت ربّي ألا يدخل النار أحد من أهل بيتي فأعطاني ذلك».

٨ ـ قال تعالى: ﴿*إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البرية*﴾ (البينة: ٧).

أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عبّاس قال لما نزلت هذه الآية قال ﷺ لعلي: هو أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك

غضاباً مقمحين، قال: ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك.

وروى ابن جرير في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور أنّ النبي صلى الله عليه وآله كلّما جاء الإمام عليّ قال: «جاء خير البرية».

٩ ـ قال تعالى: ﴿*وإنّه لعلم للساعة*﴾ (الزخرف: ٦١).

قال مقاتل ومن تبعه من المفسرين: هذه الآية نزلت في المهدي، والمهدي هو الذي يعيد دولة أهل البيت التي اغتصبها بنو أُمية ولم ترد إليهم حتّى الآن.

أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة قال صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم لبعث الله رجلاً من عترتي، ـ وفي رواية: من اهل بيتي ـ يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً.

وفي أُخرى لأبي داود والترمذي: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتّى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

١٠ ـ قال تعالى: ﴿*وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم*﴾ (الاعراف: ٤٦).

أخرج الثعلبي عن ابن عبّاس قال: الأعراف موضع عال من الصراط المستقيم عليه الإمام عليّ وأهل البيت يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه.

١١ ـ قال تعالى: ﴿*إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمٰن وُدّاً*﴾ (مريم: ٩٦).

قال محمّد بن الحنفية: لا يبقى مؤمن إلاّ وفي قلبه ودّ لعليّ وأهل بيته.

٥ـ آية الوفاء والإيثار:

قال تعالى: ﴿*إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً * عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً * يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً * ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً * إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً * فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً * وجزاهم بما صبروا جنّةً وحريراً*﴾ (الإنسان: ٥ ـ ١٢).

في هذه الآيات المباركة يتحدث القرآن عن أهل البيت ويضعهم في قمّة الإيثار والتقوى، ويعرضهم نماذج وقدوة للبشرية لتقتدي بهم الأجيال وتسير على نهجهم، فالحادثة التاريخية التي نزلت بسببها الآية المباركة تشير إلى مقام أهل البيت، وتساميهم في التطبيق والالتزام الشرعي والتجرد الكامل لله تعالى، وأنهم هم الأبرار المبشرون بالجنّة، فمن اقتدى بهم وسار على نهجهم حشر معهم.

فقد أورد الزمخشري في تفسير هذه الآية وكذلك الفخر الرازي في تفسيره عن الكشّاف، كما أوردها عن الواحدي، وروى الطبري في جامع البيان نفس الرواية: عن ابن عباس رضى الله عنهما أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر عليّ وفاطمة وفضّة جارية لهما إن برئا ممّا بهما، أن يصوموا ثلاثة أيام.. فشفيا فطحنت السيدة فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليه سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت النبيّ ﷺ مسكين من مساكين المسلمين أطعموني اطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه، ولم يذوقوا إلاّ الماء وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك.

فنزل جبريل على النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: «خذها يا محمّد هنّأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة».

٦ ـ آية المودّة:

قال تعالى: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ*﴾ (الشورىٰ: ٢٣).

في آيه التطهير ثبّت القرآن طهارة أهل البيت، ونقاءهم، وأنهم الأمّة عن طريق إثبات هذا التطهير قيمتهم، ودورهم الرسالي في حياتها، وفي آية المباهلة واجه الحق الخلق بأنوار أهل البيت فعرفوا فضلهم وقدرهم ومكانتهم، وبهذا استحقوا المودّة والإخلاص اللذين أمر بهما القرآن في هذه الآية.

ولا يعني القرآن في هذه الآية، ولا يعني القرآن بهذه المودّة: الارتباط العاطفي، والحب القلبي فقط، فلا قيمة للحب والودّ الذي يعيش في النفس والوجدان، ولا يجد له المصاديق والتحقق، وتحقّق الودّ والحبّ لذوي القربىٰ ـ قربىٰ الرسول صلى الله عليه وآله ـ يكون في الاقتداء بهم، والسير على منهجهم والالتزام بمدرستهم، وما صدر عنهم، ووضعهم في الأُمّة موضع القدوة والريادة.

ويكشف لنا صلى الله عليه وآله عمّن يستحقّ هذه المودّة فيقول في ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهم قال: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ*﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: «عليّ وفاطمة وابناهما».

ويروي السيوطي لمّا نزلت هذه الآية قال أعرابي: قرباي أم قرباك يا رسول الله؟ قال: بل قرباي أنا، قال الأعرابي: هات يدك أُبايعك على أنّ لعنة الله على من لم يحبّك ويحبّ أهل بيتك. قال النبيّ: آمين.

ومودّة اهل البيت من كمال الإيمان بل وبها النجاة يوم لقاء الله، قال ﷺ: «الزموا مودّتنا أهل البيت فمن لقى الله عزّ وجلّ وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقّنا» (الطبراني في الأوسط - الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي - ص ١٧٣).

ويحثّ النبيّ ﷺ على هذه المودّة في ما رواه الديلمي: «من اراد التوسّل إليّ وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم».

ولولا ضمان الاستقامة في أهل البيت والقدرة على قيادة الأُمّة في طريق الهدى، وضمان ذلك لما نزل القرآن ولما أمر الرسول ﷺ بأن يجعل حقّه على الأُمّة ودّ أهل البيت.

إنّ هذا النص القرآني يعرفنا بضرورة الالتزام بأهل البيت والاقتداء بهم لضمان الطهارة والاستقامة في شخصياتهم، فالقرآن يريد بذلك أن يوحي لنا بالطمأنينة عند التمسّك بحبّ أهل البيت والالتزام بمنهجهم، وأخذ الإسلام عن طريقهم، لأنّهم طريق آمن مضمون الاستقامة.

إنّ هذه الآية المباركة جعلت مودّة أهل البيت حقيقة تعيش في وجدان كلّ مسلم، وتتجسد في سلوكه، وتظهر على مشاعره وعواطفه وتحدد موقفه من أهل البيت، ومن أعدائهم وأحبّائهم ومنهجهم ممّا ثبت عنهم من حديث وفقه، وتفسير وفكر وتوجيه وبيان للعقيدة والشريعة، ومنهج للعمل في القيادة والسياسة. وهذا الوسام والشرف له مغزاه، ودلالته الخاصّة، ينبغي أن يعيه المسلمون ويدركوا عمقه.

هذه هي طهارة وانوار وأخلاق ومكانة أهل البيت الكرام يكشفها لنا إمام من أهل البيت في هذا العصر الإمام المجدّد السيّد محمّد ماضي أبو العزائم ﷺ

فيقول:

قف على بابنا ولُذ بحمانا ... وتمسّك بحبّنا وهوانا
تبلغ القصد والمراد فإنّا ... نمنح الخير والعطا من أتانا
وتشفع بنا لطه التهامي ... تعط ما ترتجيه من مولانا
نحن أنواره فبادر إلينا ... وتوسّل بنا تفز برضانا

هذا عن مكانة أهل البيت في القرآن الكريم، أمّا مكانتهم في السُنّة الشريفة فسوف نشير إليها في الفصل الثاني.

الفصل الثاني
أهل البيت في السُنّة الشريفة

إنّ من يستقرئ السنّة النبوية المطهّرة يجد لأهل البيت النبوي الشريف مقاماً خاصاً متميزاً، تحدث عنه أئمّة هذه الأُمّة، وعلماؤها، ومفسّروها، ورواتها، وأصحاب السير، ومؤرّخوها وفقهاؤها، وعبادها العارفون فيها من كلّ الاتجاهات والمذاهب ونذكر من بين هذه الأحاديث ما يلي:

١ ـ حديث الثقلين:

لقد حفلت كتب الروايات والسيرة بالنص النبوي الكريم الذي سمّي بحديث الثقلين، ورواه المسلمون بمختلف مذاهبهم السياسية والفقهية، وفي ما يلي نذكره، ونذكر بعض أسانيده، كما نقلها الوراة، والمحدّثون:

[إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا، حتّى يردا عليّ الحوض، انظروا بم تخلفوني فيهما].

هذا الحديث: رواه الترمذي في صحيحه باب (مناقب أهل البيت) ج ٢ ص ٣٨٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٠٩، وذكره أحمد ابن حنبل في مسنده ج ٣ ص ١٧، كما رواه الطبراني في المعجم الكبير ج ١ ص ١٢٩، ونقله المحب الطبري في ذخائره عن أحمد ص ١٦.

ونقل الشبراوي الشافعي في كتابه (الإتحاف بحب الأشراف) ص ٢٢: (وأخرجه مسلم والترمذي وحسنه، والحاكم، واللفظ لمسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه ثمّ قال: [أما بعد.. أيها الناس، إنّما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.. ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي].

ثم نقل أيضاً: «وفي رواية: إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتوهما، كتاب الله وأهل بيتي، وفي رواية: لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

ثمّ ذكر أيضاً: قال ابن حجر في الصواعق: سمّى النبيّ صلى الله عليه وآله القرآن والعترة ثقلين لأنّ الثقل كل شيء خطير مضنون به، وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار العقلية الشرعية، ولهذا حثّ على الاقتداء بهما، وقيل سمّيا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم الذي وقع عليه الحثّ منهم إنّما هم العارفون بكتاب الله والمستمسكون بسنّة رسوله، إذ هم الّذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض.

يقول الإمام المجدّد السيد محمّد ماضي أبو العزائم في كتابه «النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين» ص ١٧٠: «أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله هم أنجم الهدى الّذين أبقاهم رسول الله صلى الله عليه وآله ليبينوا لنا كتاب الله، وليجدّدوا لنا سنن رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن خالف ذلك فليس منهم إنّما ذلك دعي ينتسب إلى غير أبيه، وإنّا أصبحنا في زمان يمكن كل إنسان أن يدعى تلك الدعوة ويأخذ بها حجّة مسجلة يبرزها إن عورض في قوله وعمله المخالف للسُنّة، فيخشاه الجهلاء الّذين يجهلون السُنّة».

ونقل العلامة الشيخ محمّد جواد البلاغي في تفسيره «آلاء الرحمن في تفسير القرآن» ص ٤٣ ما نصّه: وذلك كحديث الثقلين المتواتر القطعي الذي ذكره إخواننا من أهل السنّة في كتبهم وأوردوا روايته عن الصحابة الّذين سمعوه من رسول الله ﷺ: إنّي تارك فيكم الثقلين او الخليفتين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وهذه أسماء الصحابة السامعين لهذا الحديث عن رسول الله ﷺ:

١ ـ الإمام عليّ أمير المؤمنين.

٢ ـ عبد الله بن عبّاس.

٣ ـ أبو ذرّ الغفاري.

٤ ـ جابر الأنصاري.

٥ ـ عبد الله بن عمر.

٦ ـ حذيفة بن أسيد.

٧ ـ زيد بن الأرقم.

٨ ـ عبد الرحمٰن بن عوف.

٩ ـ ضمرة الأسلمي.

١٠ ـ عامر بن ليلىٰ.

١١ ـ أبو رافع.

١٢ ـ أبو هريرة.

١٣ ـ عبد الله بن حنطب.

١٤ ـ زيد بن ثابت.

١٥ ـ أُمّ سلمة.

١٦ ـ أُمّ هانئ أخت الإمام عليّ.

١٧ ـ خزيمة بن ثابت.

١٨ ـ أبو ليلىٰ.

١٩ ـ سهل بن سعد.

٢٠ ـ عدي بن حاتم.

٢١ ـ عقبة بن عامر.

٢٢ ـ أبو أيوب الأنصاري.

٢٣ ـ أبو سعيد الخدري.

٢٤ ـ أبو شريح الخزاعي.

٢٥ ـ أبو قدامة الأنصاري.

٢٦ ـ أبو الهيتم بن التيهان.

وهؤلاء الّذين ذكرنا أسماءهم من بعد أُمّ هانئ قد رواه كل منهم منفرداً كمن تقدّمه، وقاموا في رحبة الكوفة مع سبعة من قريش فشهدوا أنّهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله فهؤلاء ثلاثة وثلاثون.

ورواه أبو نعيم الأصفهاني في كتابه «منقبة المطهّرين» مسنداً عن جبير بن مطعم وأسنده أيضاً عن أنس بن مالك وعن البراء بن عازب، ورواه موفّق بن أحمد أخطب خوارزم عن عمرو بن العاص، وقلّ ما يخلو من من رواية هذا الحديث مسند أو جامع أو كتاب في الفضائل لأهل السنّة، من أول ما أخرج الحديث من الحفظ وصدور الحفاظ إلى صحف المحدثين، ولا يزال يروى فيها عن صحابي واحد، أو أكثر، وربما روى في واحد منها أكثر من عشرين صحابياً. إمّا مجملاً كما في الصواعق، وإمّا مسنداً مفصلاً كما كتب السخاوي والسيوطي والسمهودي وغيرهم.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧، روى بسنده عن أبي سعيد

الخدري، عن النبيّ ﷺ : [إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا بم تخلفوني فيهما].

وهكذا نجد هذا التواتر اللفظي والمعنوي في نقل هذه الرواية التي تقرن أهل البيت عليهم السلام بكتاب الله.. ومن ذلك يفهم المسلمون أنّ أهل البيت الكرام هم المرجع بعد كتاب الله وهم الأمناء عليه حتّى يردا الحوض.

٢ ـ حديث السفينة:

إذا كان حديث الثقلين يضع أهل البيت عليهم السلام إلى جانب القرآن لما لهم من وظيفة بيان القرآن والكشف عن غوامضه وأسراره ومحتواه والحفاظ عليه، فإن حديث السفينة يوضح للأُمّة أن أهل البيت عليهم السلام هم سفينة النجاة، ومصدر الخلاص لهذه الأُمّة بعد رسول الله ﷺ. لذا فإنّ عدم الالتحاق بهذه السفينة وعدم الركوب فيها سيقود المتخلفين عنها إلى الغرق والهلاك، فإن التخلّف عنهم تخلّف عن القادة إلى شاطئ الهدى والنجاة.

نقل الشبراوي الشافعي في كتابه (الإتحاف بحب الأشراف) ص ٢٦ عن رافع مولى أبي ذرّ قال: صعد أبو ذر رضي الله عنه على عتبة باب الكعبة وأخذ بحلقة الباب واستظهره إليه، وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: [أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها زجّ في النار]، وسمعت رسول الله يقول: [اجعلوا آل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، فإنّ الجسد لا يهتدي إلاّ بالرأس، ولا يهتدي الرأس إلاّ بالعينين].

وروى أبو نعيم في كتابه (حلية الاولياء) ج ٤ ص ٣٠٦ بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: [مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق].

هذا الحديث رواه الفيروز آبادي (فضائل الخمسة من الصحاح الستّة) ج ٢ ص ٦٤، وذكره ابن حجر في زوائد مسند البزار باب (أهل البيت والأزواج) ص ٢٧٧، ونقله الهيثمي عن ابن البزار في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٣، كما رواه الطبراني في المعجم الكبير ج ١ ص ١٢٥، ورواه المحب الطبري في ذخائره ص ٢٠، ورواه الحاكم في المستدرك مع زيادة في ألفاظه ج ٢ ص ٣٤٣، ونقله المتقي في كنز العمّال ج ٦ ص ٢١٦، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ١٩، ورواه السيوطي في تفسيره الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿*وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولو حطّة نغفر لكم خطاياكم*﴾ (البقرة: ٥٨). قال: وأخرج ابن أبي شيبة عن الإمام عليّ كرم الله وجهه قال: (إنما مثلنا في هذه الأُمّة كسفينة نوح وكباب حطّة).

ورواه المتقي في كنز العمال ج ٦ ص ٢١٦، ولفظه: [مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها هلك، ومثل باب حطّة في بني إسرائيل]، وقال: (أخرجه الطبراني عن أبي ذر) (راجع: الفيروز آبادي. فضائل الخمسة، ج ٢ ص ٦٥).

٣ـ حديث الأمان من الاختلاف:

في هذا الحديث يوضح رسول الهدى سيدنا ومولانا محمّد صلى الله عليه وآله دور أهل البيت العقائدي والسياسي، فإن أخطر ما يصيب الأُمّة هو الفرقة والخلاف في الرأي والمعتقد والاتجاه السياسي، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يخشى على أُمّته من

هذه الفتنة وكان يخطط لوحدتها وتماسكها الفكري والسياسي، لذا كان يوجّه أُمّته إلى الالتزام والتمسك بأهل بيته والرجوع إليهم، لذا وصفهم بأنّهم ملازمون للقرآن ودعوته، ولا يفارقونه إلى يوم القيامة، وبأنهم سفينة النجاة وباب حطّة، وهنا يصفهم بأنهم الإطار الجامع والإطار الموحد لهذه الأُمّة، وأنّ التمسّك بهم، والسير على نهجهم ضمان من الفرقة والخلاف.

اخرج الطبراني عن ابن عبّاس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال: [النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف].

هذا الحديث: أورده الشبراوي الشافعي في (الإتحاف بحب الأشراف) ص ٢٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٢١٧، وذكره ابن حجر في صواعقه وصحّحه ص ١٤٠.

وروى محب الدين الطبري عن الإمام عليّ كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: [النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض]. وقال: أخرجه أحمد بن حنبل في المناقب.. (راجع: الفيروز آبادي ـ فضائل الخمسة ج ٢ ص ٦٨).

وأخرج ابن أبي شيبة ومسدد في مسنديهما والحكيم الترمذي في نوادر الأُصول وأبو يعلى والطبراني عن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله ﷺ: [النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأُمّتي].

٤ ـ حديث الكساء:

وحديث الكساء هو الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ في السادة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام عن نزول آية التطهير، وقد سبق وإن

تحدثنا عن ذلك، وأوردنا آراء بعض المفسرين والرويات الواردة من هؤلاء المطهرين في الفصل الأول عن (أهل البيت في القرآن) ونعود هنا فنورد روايات أخرى لتعزيز الفكرة، وتعميق الغاية التي توخّاها رسول الهدى صلى الله عليه وآله من وراء ذلك، وطرق هذا الحديث وأسانيده كثيرة في كتب الحديث والرواية والتفسير نذكر منه:

١ ـ روى الإمام أحمد في مسنده يرفعه إلى أُمّ سلمة قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتي يوماً إذ قال الخادم: إنّ عليّاً وفاطمة بالسدة قالت: فقال لي النبي: قومي تنحّي عن أهل بيتي، قالت: فقمت فتنحّيت في جانب البيت قريباً. فدخل عليّ وفاطمة والحسن والحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ الحسن والحسين فوضعهما في حجره وقبّلهما واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى وجللهم بخميصة سوداء وقال: [اللهم إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي. قالت أُمّ سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: وأنت] يعني بقوله صلى الله عليه وآله: وأنت. لست إلى النار.

٢ ـ روى الواحدي في كتابه المسمّى بـ(أسباب النزول) يرفعه بسنده إلى أُمّ سلمة رضي الله عنها أنّها قالت: كان النبيّ في بيتها يوماً فأتته فاطمة ببرمة فيها عصيدة فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي لي زوجك وابنيك، فجاء عليّ والحسن والحسين فدخلوا وجلسوا يأكلون والنبيّ جالس على دكّة، وتحته كساء خيبري قالت: وأنا في الحجرة قريبة منهم، فأخذ النبيّ الكساء فغشاهم به ثم قال: [اللهم أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً. قالت: فأدخلت رأسي قلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: إنّك إلى خير، إنّك إلى خير، إنّك إلى خير] فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿*إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً*﴾ (ابن الصبّاغ المالكي، الفصول المهمّة، ص ٢٥ ـ ٢٦).

٥ـ حديث المودّة:

حديث المودّة قد تحدّثنا عنه في تفسير آية المودّة أيضاً، وذكرنا بعض رواته وأسانيده، ونعود هنا ايضاً فنذكره مرّة أخرى، كما أنّ من المفيد أن نذكر بعض ما ورد عن النبيّ ﷺ في حبّ أهل بيته ومودّتهم من روايات وأحاديث أخرى..

أخرج الإمام أحمد والطبراني والحاكم والبغوي في تفسيره عن ابن عبّاس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى*﴾ (الشورى: ٢٣) قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال رسول الله ﷺ: [عليّ وفاطمة وابناهما]. وروى البزّار والطبراني أن الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام خطب يوماً فقال: (من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد ﷺ، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن آل البيت الّذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، وأنزل فيهم: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً*﴾ فاقتراف الحسنات مودّتنا أهل البيت) [الشبراوي الشافعي (الإتحاف بحب الأشراف) ص ١٧ ـ ١٨].

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿*ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً*﴾ قال: المودّة لآل محمّد ﷺ. (ابن الصبّاغ المالكي، الفصول المهمّة في أحوال الأئمّة، ص ٢٩، وأخرجه ابن أبي حاتم، وأورده السيوطي في إحياء الميت ص ٤٠).

٦ـ ستّة أحاديث أخرى:

والأحاديث الواردة في مودّة أهل البيت وحبهم وطاعتهم والالتزام به

لا يمكن إحصاؤها في هذا البحث وإنّما اخترنا بعضاً منها وكلّها شموس مضيئة في كتب الحديث والرواية، ولغرض زيادة ثروة القارئ نذكر ستّاً من الأحاديث الواردة فيهم:

١ ـ أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن حجر قال: آخر ما تكلّم به رسول الله صلى الله عليه وآله: [أخلفوني في أهل بيتي].

رواه السيوطي في إحياء الميت ص ٢٠، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٣، وابن حجر في الصواعق المحرقة ص ٩٠.

٢ ـ أخرج الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فسمعته وهو يقول: [أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله تعالى يوم القيامة يهودياً].

أورده السيوطي في إحياء الميت ص ٢٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٢.

٣ ـ أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: [أذكركم الله في أهل بيتي].

رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ج ٤ ص ١٨٧٣، ورواه أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧، والمتّقي في كنز العمال ج ١ ص ١٥٨، والسيوطي في الدرّ المنثور ج ٦ ص ٧، وفي إحياء الميت ص ١١.

٤ ـ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه عن الإمام عليّ كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: [شفاعتي لأمّتي من أحبّ أهل بيتي].

رواه الخطيب في تاريخه ج ٢ ص ١٤٦، والمتّقي في كنز العمال ج ٦ ص ٢١٧ تحت رقم ٣٨٠٠، ورواه السيوطي في إحياء الميت ص ٣٧.

٥ ـ أخرج أحمد والترمذي وصحّحه والنسائي والحاكم عن المطلّب بن

ربيعة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: [لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتّى يحبّكم لله ولقرابتي].

٦ ـ أخرج الديلمي وأبو نعيم، وأورد الإمام المناوي في (فيض القدير) والسيوطي في الجامعين الصغير والكبير عن الإمام عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: [أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة: المكرم لذرّيتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه].

رواه السيوطي في إحياء الميت ص ٦٢.

٧ ـ سبع روايات اخرى:

كما أوضحنا فإن الأحاديث والروايات الواردة عن رسول الله ﷺ في أهل بيته كثيرة، ولا يمكن إحصاؤها في هذا البحث فقد أورد لها العلماء والمحدثون الكتب، أو الفصول في كتب الحديث، أو ذكروها في الموارد المناسبة من التفسير وكتب الرواية.. نذكر منها:

١ ـ [نحن أهل البيت عليهم السلام لا يقاس بنا أحد] (راجع الطبري (ذخائر العقبى) ص ١٧).

فالنبيّ ﷺ في هذا الحديث يوضح مقام أهل البيت عليهم السلام السامي، وموقفهم الفريد، ليعرف الأُمّة بمكانتهم ويرشدهم إلى التمسّك بهم، والالتزام بعده بنهجهم وليوازن بينهم وبين غيرهم.

٢ ـ وفي حديث آخر يتحدّث الرسول ﷺ عن أهل بيته، فيقول: [إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي أثرة وشدة وتطريداً في البلاد، حتّى يأتي قوم من ها هنا ـ وأشار بيده نحو المشرق ـ أصحاب رايات سود فيسألون الحق فلا يعطون، فيقاتلون فينتصرون، ويعطون ما شاؤوا فلا

يقبلونه حتّى يدفعونه إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً. فمن أدرك ذلك فليأتهم ولو حبواً على الثلج] (المرجع السابق ص ١٧).

٣ ـ واخرج الديلمي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: [اشتدّ غضب الله على من آذاني في عترتي].

أخرجه السيوطي في إحياء الميت ص ٤٣، وذكره المناوي في فيض القدير ج ١ ص ٥١٥.

٤ ـ عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: [أدّبوا اولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن. فإنّ حملة القرآن في ظلّ الله، يوم لا ظلّ إلا ظلّه، مع أنبيائه وأصفيائه].

رواه السيوطي في إحياء الميت ص ٤٠ ـ ٤١ وقال: أخرجه الديلمي، وذكره المتقي في كنز العمال ج ٨ ص ٢٧٨، وذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٠٣.

٥ ـ أخرج الطبراني عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: [لا تزول قدما عبد حتّى يسأل عن أربع: عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله فيم أنفقه ومن أين اكتسبه، وعن محبّتنا أهل البيت].

رواه السيوطي في إحياء الميت ص ٣٩ نقلاً عن الطبراني، وذكره المتقي في كنز العمال ج ٨ ص ٢١٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٤٦، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

٦ ـ وفي رواية يرشد رسول الله أُمّته إلى أهل بيته ويوضح مقامهم العليّ. ويوجّهها نحوهم إذا اشتدت الفتن وتضاربت الآراء فيقرنهم بكتاب الله لأنّهم العلماء المفصحون عن مضمون القرآن، والعارفون بحقيقته ومحتواه.

أخرج الطبراني عن المطلّب عن عبد الله بن حنطب عن أبيه، قال: خطبنا

رسول الله ﷺ بالجحفة فقال: [ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنّي سائلكم عن اثنين: عن القرآن وأهل بيتي].

رواه السيوطي في إحياء الميت نقلاً عن الطبراني ص ٣٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٩٥، وابن الأثير في أسد الغابة ج ٣ ص ١٣٧، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٩ ص ٦٤.

٧ ـ أورد الزمخشري في تفسيره الكشّاف عند قوله تعالى: ﴿*والله متمّ نوره ولو كره الكافرون*﴾ حديثاً مطوّلاً، ونقله عنه الفخر الرازي في التفسير الكبير، وذكره الثعلبي مبسوطاً في تفسيره وهو قوله ﷺ: [من مات على حب آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا من مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيساً من رحمة الله، ألا ومن ما على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة] (الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، الشرف المؤبّد لآل محمّد ص ١٧٤ ـ ١٧٥).

حقّ أهل البيت في عنق كلّ مسلم:

يقول الإمام المجدّد السيّد محمّد ماضي أبو العزائم في كتابه (النور المبين) ص ١٧٠: (ففي عنق كل مسلم حقّ لأهل البيت، وهذا الحقّ هو احترامهم

وتعظيمهم ومساعدتهم ما داموا متصفين بصفات أهل البيت لأنّهم يمثّلون حقيقة هذا النسب المقدّس، فهم الأئمّة والهداة وهم السادة المقتدى بعملهم. وليس عامّتهم معصومين فعلينا أن نستر زلاتهم ونخفي عوراتهم ونعينهم ما داموا على الحق، ونخلص لهم في النصيحة ونجتهد في تعليمهم وإرشادهم وردّهم عن كلّ ما يخالف جدّهم صلى الله عليه وآله، فإن قبلوا فهم أهل البيت، وإن أبوا إلا مخالفة السنّة والكتاب وجب علينا أن لا نعينهم على ذلك، وأن نفر منهم تأديباً لهم لا عقوبة، وعلينا أن نبين لهم سُنن رسول الله صلى الله عليه وآله ونذكرهم بأنّهم أولى الناس بالتمسّك بها. وأحق الناس بإحيائها، ولا نعتقد أن ذلك يغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أنّ ذلك يضرّنا بشيء، بل نتيقّن أنّ ذلك يرضي رسول الله صلى الله عليه وآله خصوصاً إذا أنتجت أعمالنا الثمرة المطلوبة، فإنّ ذلك شيء يسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله ويكون عملنا هذا تقريباً إلى رسول الله من بذل أموالنا وأولادنا لهم).

ويقول رضي الله عنه أيضاً:

انتمو آل النبيّ وسيلتي ... جئت أستجدي حنان بنوتي
رحمة الله نعم أنتم لنا ... نوره يجلي لعين بصيرتي
أنتمو الشفعاء آل المصطفى ... أسعفوا العاني بعطف أبوةِ
آل خير الرسل جئت مطالباً ... بالعواطف من غياث الأمّةِ
آل خير الرسل حسبي أنني ... بانتسابي موقن بالنظرةِ
لي وحقّكمو يقين ثابت ... أنني منكم بكم في نعمةِ
آل خير الرسل يا أهل العبا ... أنتمو الذخر لنا في الشدةِ
أنتم نعم الوسائل عندما ... أسأل الله أفوز ببغيتي

توصيات البحث:

١ ـ شخصيات أهل البيت الّذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً سلوكهم قدوة وشخصياتهم قدوة فإذا ارتبطت بهم الأمّة فإنّما ارتبطت بالطهر وابتعدت عن الرجس والرذيلة، وأمنت من الاختلاف والتفرّق.

٢ ـ لا بدّ أن يتقدّم أهل البيت صفوف الأمّة لتواجه بهم أعداءهم، لأن أعداءهم هم الكاذبون.

٣ ـ لا بدّ أن تلتفت الأمّة حول أهل البيت وتقدم لهم فروض الولاء والطاعة لحقّهم الذي بيّنه القرآن والسنّة من وجوب مودتهم، وأنّهم سفن النجاة.

٤ ـ أهل البيت الكرام هم المرجع بعد كتاب الله وهم الأمناء عليه، ولذلك يجب أن تستقى العلوم والفهوم منهم وليس سواهم.

* * *

محتويات البحث

مقدّمة
الفصل الأول: أهل البيت في القرآن الكريم
١ ـ آية التطهير
٢ ـ آية الصلاة
٣ ـ آية المباهلة
٤ ـ إحدى عشر آية أخرى
٥ ـ آية الوفاء والإيثار
٦ ـ آية المودّة
الفصل الثاني: اهل البيت في السنّة الشريفة
١ ـ حديث الثقلين
٢ ـ حديث السفينة
٣ ـ حديث الأمان من الاختلاف
٤ ـ حديث الكساء
٥ ـ حديث المودّة
٦ ـ ستّة أحاديث أخرى
٧ ـ سبع روايات أخرى
حق أهل البيت في عنق كل مسلم
توصيات البحث
محتويات البحث

المحور الثالث

أئمّة أهل البيت عليهم السلام
واهتمامهم بمصالح الأُمّة
والوحدة الإسلامية

الأئمّة دعاة الوحدة الإسلامية

السيّد باقر الموسوي المهري

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لا يختلف اثنان في أهمية وضرورة الوحدة والانسجام بين كافة المسلمين والتمسك بحبل الله المتين والعروة الوثقى لا انفصام لها والسير تحت ظلال القرآن الكريم وراية «لا إله الاّ الله محمّد رسول الله».

والسر في هذا الامر هو أن كل انسان مسلم غيور على دينه وإسلامه وقرآنه يعتم بأن يعلو الإسلام ولا يعلى عليه وأن يكون الدين كلّه لله وتكون الغلبة على الكفار والمشركين والصهاينة المجرمين، يرى أن هذه الامور لا تتحقق في الخارج الاّ من خلال التقريب بين المذاهب الإسلامية والوحدة بين صفوف المسلمين.

وقبل أن بحث حول موقف أئمّة الشيعة عليهم السلام بخصوص هذه المسألة ينبغي أن نذكر بعض النقاط لكي لا يلتبس الامر:

الاولى: حينما ندعو الى الوحدة والتقريب ليس مقصودنا ان ينتازل اتباع كل مذهب عن عقائده وآرائه ومتبنايته فيصبح السني شيعياً او يصبح الشيعي سنياً بل كل يبقى على مذهبه وأحكامه الفقهية المرتبطة بمذهبه ولا نريج من التقريب أكثر من هذا.

الثانية: ان نحكم على آراء وعقائد وفقه وتفسير كل مذهب بما يراه ذلك المذهب، لا ان نتقول عليهم وننسب إليهم اموراً لا يرضونها ولا يتبنونها أصحاب ذلك المذهب.

فمثلاً بالنسبة الى تحريف القرآن الكريم فالشيعة على الإطلاق يرون أنّ القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والله سبحانه وتعالى صانه من التحريف ﴿إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾.

أمّا أن نحمل الشيعة بأنهم يعتقدون بتحريف القرآن فهذا ليس بصحيح وخلاف الواقع والحقيقة.

الثالثة: عدم استغلال الآراء والأفكار والفتاوى الشاذة المنقولة في بعض الكتب في باب النوادر عند هذا المذهب أو ذاك وثم الحكم عليه بأنّه يتبنّى هذا الرأي كما فعل بعض من كان هدفه تمزيق وحدة المسلمين وضرب بعضهم بالآخر وكذلك ينبغي أن يعلم أنّ هناك أفراداً في كل مذهب يقومون بأعمال ومواقف تنافي الخلق الإسلامي والمبادئ الإسلامية ولا تحترم الرأي المقابل وعقائده بل بتحامل على هذا وذاك فهؤلاء لا نحسبهم على المذهب مطلقاً.

الرابعة: أن يعترف كل مذهب بالمذاهب الاخرى بأنّها إسلامية ومرتبطة بالله سبحانه وتعالى وبالقرآن الكريم وأن لا يكفّر الطرف الآخر.

بعد أن أوضحنا هذه النقاط نقول: إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين هم خير الأنام وقدوة وأُسوة لجميع المسلمين كانوا يهتمون بالوحدة والتعايش السلمي بين المسلمين وكانوا يحثون شيعتهم بالمشاركة في صلواتهم والحضور في مساجدهم، وأن يكون عيدهم واحداً وأن يزوروا مرضاهم ويشيعوا جنائزهم ويوفوا بالعقود والعهود معهم.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا للناس حقوقهم فإن الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدّى للناس الامانة وحسن خلقه معهم وقيل هذا شيعي يسرني ذلك».

حتى يبقى المجتمع الإسلامي مجتمعاً قوياً متماسكاً وصفاً واحداً كالبنيان

المرصوص لكيلا يطمع أعداء الإسلام بهم وإضعافهم وتشتيت كلمتهم وتمزيق وحدتهم وبث سمومهم وأفكارهم الفاسدة في مجتمعنا.

فعلى المسلمين في العالم الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وتطبيق كلامهم وتوجيهاتهم الحكيمة لسعادة المجتمع والأُمّة الإسلامية ولتقوية شوكة المسلمين أمام الأداء والكفّار والاستكبار العالمي.

وإذا تصفحنا التاريخ الإسلامي نرى أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام كانوا يفتون بوجوب الوقوف في عرفات والمشعر الحرام مع سائر المسلمين وأن يكون عيدهم يوماً واحداً وأن كل من نسوّل له نفسه بأن يخالف موقف عامّة المسلمين فعمله بكون باطلاً وحجّه غير صحيح.

ونرى أيضاً في حياة الأئمّة المعصومين عليهم السلام مواقف وحدوية مع أعدائهم للحفاظ على وحدة الأُمّة الإسلامية عدم تفكّكها وتمزّقها، فقد وقف الإمام اسجّاد عليه السلام مع الخليفة الاموي وعلّمه كيفية ضرب النقود الإسلامية في مقابل ملك الروم الذي كان يهدّد الخليفة بالحصار الاقتصادي والحاجة الى نقودهم ـ بالرغم من عداء الخليفة للإمام عليه السلام ـ فانقذ الإمام زين العابدين عليه السلام الخليفة الاموي بخطّته الرائعة وتوجيهاته وأحبط مرامرات الفكر والالحاد والشرك المتمثّل بملك الروم آنذاك.

فنعرف من سيرة الأئمّة عليهم السلام أنّ مصلحة الحفاظ على الوحدة بين المسلمين من أهمّ المسائل وتقدم على سائر المصالح.

ثم ان نقاط الاشتراك والمواقف المشتركة بين مذاهب المسلمين اكثر من نقاط الخلاف. فالربّ واحد والرسول واحد والكتاب واحد والكعبة واحدة والقبلة واحدة والصلاة والصيام والحج والزكاة امور مشتركة بين سائر المسلمين كافّة.

وعلى المسلمين أن يلبوا نداء الوحدة الإسلامية التي تنطلق من مؤتمرات التقريب بين المذاهب الإسلامية كمؤتمرنا هذا، لطرح قضايا المسلمين في العالم وحل مشاكلهم لأجل تقوية المسلمين وإضعاف الكفّار المنافقين وإفشال خطط المتآمرين على الإسلام والقرآن.

ومن الجدير بالذكر أنّ اليهود قتلة الأنبياء والصهاينة المجرمين وأسيادهم قاموا بقتل الابرياء من النساء والاطفال والشيوخ في ارض فلسطين المحتلة نتيجة لمزّق صف الأمّة الإسلامية وعدم اتحاد كلمتهم وموقفهم تجاه اسرائيل الظالمة التي تعيث في الارض فساداً فلو كان المسلمون في شتى ارجاء العالم يتحدون في الموقف ضد اسرائيل ويتركون الخلافات المذهبية لما امكنهم قتل المسلمين الشرفاء وهدم بيوتهم ومنازلهم ثم السطرة على مقدرات امورهم واخضاعهم للجلوس على طاولة المفاوضات والتسليم للدول العظمى التي تساند وتدافع وتدعم اسرائيل بالسلاح والقوة.

إنّ حاجة الامة الإسلامية الى الوحدة والتقريب بين المسلمين في هذا الزمان اكثر واشد من أي وقت مضى لأنّ حقن دماء الابرياء والشرفاء وإيقاف المجازر الوحشية ضد الفلسطينيين الابرياء والوقوف أمام اسرائيل المتغطرسة لا يمكن الا بالوحدة والتماسك والانسجام والالتحام ورص الصف ونبذ التفرقة الطائفية البغيضة.

وقد أفتى مراجع الشيعة العظام في العراق مستلهمين من توجيهات الأئمّة بوجوب الجهاد وإخراج الاستعمار البريطاني تحت راية الحكومة العثمانية السنّية المتعصّبة حفاظاً على الإسلام بقطع النظر عن مذاهبه المختلفة.

وقد قال الإمام الراحل الخميني ﷺ كلمة رائعة خالدة حول موضوع التقريب بين السنّة والشيعة: بأنّ من يفرق بين الشيعة والسنّة لا هو بسنّي ولا هو

بشيعي بل هو عميل للاستعمار.

وقد جسد هذا الإمام العظيم في حياته العملية هذا الموضوع وفقاً لتعاليم أهل البيت عليهم السلام قبل انتصار الثورة وبعدها، حيث أفتى بجواز دفع الزكاة الى الاخوة الفلسطينيين السنّة ودعمهم مادياً ومعنوياً وأيّد المشاريع الوحدوية والتقريبية وكذلك خلفه الصالح آية الله العظمى السيّد الخامنه أي دام ظلّه.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة أعطى للاخوة السنّة في إيران كامل الحرية في جميع المجالات فلهم ممثلون في مجلس الشورى الإسلامي ولهم مساجدهم وحوزاتهم العلمية ومعاهدهم الخاصّة بهم حتّى خصصت الدولة الإسلامية ميزانية معينة للحوزات العلميّة السنّية في مناطق تواجدهم وقد عرف اخواننا السنّة اهتمام الإمام ودولته المباركة بهم فعتفوا «لا شيعي لا سنّي قائدنا خميني»، ففي الجمهورية الإسلامية يدرس الفقه السنّي وآراءهم وعقائدهم في بعض الجامعات الإسلامية.

وكان يهتم ويطمح المرجع الشهيد الصدر بتدريس الفقه المقارن في حوزة النجف الأشرف بالإضافة الى تدريسه في كلية الفقه من قبل بعض علماء النجف الأشرف.

ولا ينسى العالم الإسلامي الجهود التقريبية الحقيقية للمرحوم الإمام كاشف الغطاء ومنعه لبعض الأعمال المنافية لروح الإسلام السمحة وخلقه الرفيع.

ونرى بوضوح هذه الروح العالية الرفيعة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وفي رواة الأحاديث عنهم فإنّ هناك مجموعة من رواة الأخبار عن أئمّة الهدى من أبناء العامّة ومقبولون عند الشيعة وقد ألّف كبار علماء الطائفة تعض الكتب الفقهية تعرض من خلالها الى آراء السّة بالإضافة الى أنّ جميع كتب السنّة منتشرة في أوساط الشيعة وفي مكتباتهم ومنازلهم وقلّ أن نجد مكتبة شيعية لا

يوجد فيها كتب أهل السنّة كلّ ذلك ببركة التوجيهات الحكيمة للأئمّة عليهم السلام.

والخلاصة: إذا حذفنا بعض المتشنجين المتعصّبين الّذين يتهجّمون على مدرسة أهل البيت عليهم السلام ويقومون بجمع الروايات الضعيفة النادرة التي لا يعمل بها الشيعة ثم ينسبونها الى مذهب أهل البيت عليهم السلام ويفترون على هذه المدرسة الطاهرة ويقومون ببثّ الأكاذيب والأراجيف خدمة للمستعمر الكافر ولو لا شعورياً نرى أنّ عموم السنّة وكافة الشيعة اخوة متحابّين في الله وفي الإسلام ولا يهتمّون بهذه الأصوات الشاذّة الخارجة من حناجر الحاقدين على الإسلام بل نرى احياناً أنّ أهل السنّة يقفون بوجه هؤلاء المتعصّبين ويؤلّفون الكتب المفيدة في الرد عليهم حفاظاً على الوحدة الإسلامية.

ونحن في الكويت اتحدنا ونبذنا التفرقة الطائفية البغيضة ببركة تعاليم أهل البيت حينما غزا بلدنا الحبيب زبانية صدام وجنوده وجيشه المجرم فلم يبق في الكويت سنّي ولا شيعي إلاّ ووقف بكلّ شجاعة أمام هذا الجيش الغازي حتّى قتل مجموعة من أبناء المقاومة الكويتية واختلط الدم السنّي بالشيعي وامتزجت الدماء فأثمرت هذه الدماء الحمراء القانية واينعت ثمارها فخرج العدو البعثي من أرض الكويت يجر ذيول الخيبة والحرمان نتيجة للوحدة والاتّفاق ورصّ الصفوف ولو كان الاخوة في الكويت يختلفون حول مسائل مذهبية وطائفية لما نصرهم الله على أعدائهم ونحمد الله على أنّ هذه الحالة موجودة في بلدنا والتعاون والانسجام والتلاحم ظاهرة محسوسة عندنا وجميع العلماء في الكويت يقفون أمام الفتنة الطائفية البغيضة التي تحرق الأخضر واليابس وتوجبالفساد والتفرقة والتمزّق والتفكّك.

وقد حاول صدام أن ينفذ في الكويت من خلال تجزئة المجتمع والتفرقة

الطائفية بين السنّة والشيعة ولكنّه لم يجد هذا الأمر مطلقاً فخاب ظنّه.

ونشاهد في هذا الزمان أنّ الكفر العالمي ودول الشرك والإلحاد والضلال تحاول القضاء على قوة المسلمين وشوكتهم وعظمتهم ومجدهم من خلال التفرقة الطائفية فعلينا الالتفات والحذر واليقظة من هذه الخطط الجهنمية والوقوف بحزم أمام الشيطان الأكبر الذي بدأ بنشر أفكار الطائفية والتفرقة المذهبية لإيجاد الشرخ في جدار الاخوة الإسلامية والوحدة بين المسلمين حتّى يسيطر ويهيمن على البلاد الإسلامية وينهب ثرواتها ويروج ثقافتها المعادية للإسلام.

وأخيراً أقول: إنّ من الضروري جدّاً إقامة مثل هذه المؤتمرات لغرض وحدة المسلمين وإقاظهم من سباتهم العميق ولتوسيع دائرة المحبّة والاخوة ونسيان الخلافات والعمل في دائرة المشتركات في المواقف الجادّة ضدّ الاستكبار العالمي والصهيونية العالمية وأقترح على هذا المؤتمر ما يلي:

أولاً: محاسبة المتعصّبين الّذين يكفرون سائر المذاهب الإسلاية ويعتبرون أنفسهم مسلمين فقط وكذلك الفحص والتفتيش عن أسباب ودوافع هذا الاندفاع نحو الطائفية والتكفير ونحن قد فحصنا في الكويت ورأينا أنّ الّذين هم وراء اتّهام الشيعة وتكفيرهم وسبّ علمائهم وخصوصاً تجاسرهم على رمز الإسلام الإمام الخميني جماعة من المرتزقة الّذين باعوا دينهم ولهم ارتباط بالنظام العراقي الكافر وغيرمقبولين عند جميع المذاهب الإسلامية.

ثانياً: طبع كتب تقرب وجهات النظر بين المسلمين وتوضّح لهم آراء ومتبنيات وعقائد كلّ مذهب من خلال كتبهم المعتبرة وأقوال كبار علمائهم.

ثالثاً: الاتحاد في الموقف السياسية للمسلمين حول قضايا مصيرية من خلال هذه المؤتمرات والدعوة الى توحيد الكلمة وتوحيد الموقف ضد الصهيونية العالمية من خلال خطب الجمعة ومناسبات اخرى كذلك حول الموضوعات

المطروحة عالمياً كمشكلة العولمة وغيرها ومواجهة الغزو الثقافي الكافر المتميع وقضايا مهمّة اخرى.

رابعاً: الرجوع في موارد الخلاف المذهبية الى كتاب الله الكريم الثقل الأكبر والثقل الأصغر فإنّ المسلمين إذا تمسّكوا بهما لن يضلّوا أبداً، كما قال رسول الله ﷺ في حجّة الوداع.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المتمسّكين بحبل الله وعروته الوثقى التي لا انفصام لها وأسأله أن يحفظ هذه الدولة الإسلامية وقائدها الحكيم آية الله العظمى الخامنئي ـ دام ظلّه ـ رمز الوحدة الإسلامية.

والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام
وحرصهم على مصلحة الأمّة
والوحدة الإسلامية

شهاب الدين الحسيني

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المقدّمة:

المصلحة الاسلامية هي الوضع الأفضل للاسلام لمفاهيه وقيمه، باعتباره دعوة ومبدأ وقاعدة للدولة، والوضع الأفضل للمسلمين بوصفهم أمةً لها مقوماتها الرسالية ومقوماتها المدنية، وعلىٰ هذا الاساس فالمصلحة الاسلامية هي كل ما يساهم في ايجاد الوضع الأفضل للاسلام وللمسلمين ليكون الاسلام هو الحاكم علىٰ أفكار وعواطف وممارسات الانسانية جمعاء والمصلحة الاسلامية هي المحور الذي ينبغي ايجاده في حركة المسلمين وحركة الشعوب التاريخية، وعلىٰ هذا الاساس تكون الوحدة الاسلامية من أهم مقومات الحفاظ علىٰ هذه المصلحة وادامتها في الواقع، والوحدة ضرورة عقلية وشرعية قد اثبت التاريخ ضرورتها في تتبعه لسير الحضارات التي نمت وترعرعت وازدهرت بالوحدة، وتدهورت واضمحلت حينما بدأت الفرقة تدب في سيرها.

والوحدة الاسلامية ممكنة التحقيق ما دامت الامة الاسلامية تجتمع في محاور مشتركة، حيث تجتمع حول عقيدة واحدة، ومصالح واحدة، ومصير واحد، وممارسات واخلاق واحدة، وتواجه عدواً واحداً وحدّ صفوفه وإمكاناته من أجل ايقاف المسيرة الاسلامية وعرقلة حركتها التاريخية للقضاء عليها عقيدة وقيادة ووجوداً، وقد تحققت الوحدة في جانبها العملي الواقعي في الصدر الأول للاسلام، وقد جسد أهل البيت عليهم السلام مفاهيم وقيم الوحدة في منهجهم وسيرتهم

وترجموها الىٰ أعمال وممارسات وعلاقات متجسدة في الواقع، فقد جعلوا المصلحة الاسلامية العليا قاعدة الانطلاق في سكناتهم وحركاتهم، وحافظوا علىٰ وحدة الدولة والامة متوجّهين نحو الآفاق العليا المشتركة ونحو الهدف الكبير وهو تقرير مفاهيم الاسلام وقيمه في واقع الحياة، وكانوا يوجهون المسلمين عموماً واتباعهم خصوصاً نحو المصلحة الاسلامية الكبرىٰ وفي بحثنا هذا نسلط الأضواء علىٰ المواقف والممارسات التي انطلق منها أهل البيت عليهم السلام في حركتهم التاريخية، وفي مواقفهم الوحدوية وانطلاقاتهم نحو المصلحة الاسلامية العليا.

ولتكن هذه السيرة نبراساً للمسلمين في توحيد مواقفهم العملية تجاه التعقيدات والتحديات التي تواجههم في زمن تكالبت عليهم جميع القوىٰ الاستكبارية والصهيونية للحيلولة دون عودة الاسلام الىٰ موقعه الريادي بين الامم، ولنقتدي برواد النهضة والوحدة الاسلامية في القرن الاخير وعلىٰ رأسهم الامام الخميني والامام محسن الحكيم والامام حسن البنا الذين انطلقوا نحو الافاق العليا التي تجمع الجميع بلا فواصل ولا حواجز.

ونقسم البحث الىٰ فصلين:

الفصل الأول: المصلحة الاسلامية ووحدة المسلمين في منهج الامام علي عليه السلام.

الفصل الثاني: المصلحة الاسلامية ووحدة المسلمين في منهج ائمة أهل البيت عليهم السلام.

الفصل الأول

المصلحة الاسلامية ووحدة المسلمين في منهج الامام علي عليه السلام

من الحكمة للباحث أن يتجاوز نظراته المسبقة في تحليل وتفسير الأحداث والمواقف، وان لا يحكم على الامور من منطلقات مذهبية؛ ولهذا سأتطرق الى دراسة سيرة الامام عليه السلام من خلال الأحكام والتفسيرات المشتركة والمتفق عليها بين أطياف ومذاهب المسلمين لكي تكون محوراً مشتركاً في الاقتداء والسير على ضوئها.

الاعتراض السلمي على نتائج السقيفة:

اجتمع جمع من الانصار وجمع من المهاجرين في سقيفة بني ساعدة وبعد مناقشات صاخبة تخللتها مواقف متشنجة سارع المهاجرون وهم ثلاثة أو أربعة الى بيعة ابي بكر ومعهم بعض الأنصار واعلن عن البيعة، وبدأ بعض المهاجرين يدعون اليها ويطالبون المسلمين بتوكيدها، وتخلف عن البيعة قوم من المهاجرين والانصار ومالوا مع علي بن أبي طالب[1].

واعترض الامام عليه السلام على البيعة ورفض الاستجابة للمطالبين له بالبيعة، وكانت معارضته سلمية حيث بيّن فيها وجهة نظره طبقاً للموازين والمعايير المساعدة لهذا الاعتراض وهي مقبولة عرفاً، وكان من اعتراضه على الخليفة انّه

---

١ ـ تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٤.

قال: «انا احق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولىٰ بالبيعة لي؛ أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبى ﷺ وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً، وأنا احتج عليكم بمثل مااحتججتم به علىٰ الانصار...»[1].

وفي هذه الاجواء وجّه انظار المهاجرين الىٰ خصائص وصفات من هو أهلاً لخلافة رسول الله ﷺ طبقاً للثوابت الشرعية والعقلية، حيث يقول: «والله يا معشر المهاجرين، لنحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا الأ القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنّة رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الامور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنّه لفينا...»[2].

وكان اعتراضه حقاً طبيعياً طبقاً للظروف الموضوعية واستناداً للمبرّرات التي تمنحه الحق في الاعتراض والدعوة الىٰ نفسه، واذا غضضنا النظر عن نقاط الاختلاف في هذه المبررات من حيث التأويل والتفسير، وتمسكنا بالنقاط المشتركة التي لا يختلف فيها الصحابة نجد ان اعتراضه علىٰ الشورىٰ أو نتائجها لا يخرج عن المألوف من موازين ومعايير ثابتة لدى الجميع، ومن اهمها غياب الكثير من الصحابة وبني هاشم عن اجتماع السقيفة فلم يشاركوا في الشورى، وقد أشار الامام عليه السلام الىٰ ذلك:

فان كنت بالشورىٰ ملكت أمورهم

فكيف بهذا والمشيرون غيّب[3]

وفي جميع موارد ومواقع الاعتراض كان عليه السلام محافظاً علىٰ القواعد

---

١ ـ الامامة والسياسة ١: ١١.

٢ ـ الامامة والسياسة ١ : ١٢.

٣ ـ نهج البلاغة : ٥٠٣.

والاسس الشرعية في أدب الاعتراض والحوار والنقاش، وكان موقفه سلمياً لا يتعدى تبيان حقّه بالخلافة، ومما جاء في ذلك قوله لابي بكر: «كنّا نرى انّ لنا في هذا الأمر حقاً، فاستبددتم به علينا» ثم ذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وحقهم على المسلمين، فلم يزل يتكلم في ذلك حتى بكى ابو بكر[1].

وبقي الامام عليه السلام معارضاً للبيعة ولم يبايع الاّ بعد رحيل فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قدّر المصلحة الاسلامية العليا في جميع مراحل حركته، حينما كان رافضاً للبيعة وحينما بايع، فالمصلحة هي الحاكمة علىٰ جميع مواقفه.

اختلف الرواة والمؤرخون في قضية بيعة الامام عليه السلام لأبي بكر، من حيث وقتها وظروفها وأسلوبها، ومن حيث أسبابها ودوافعها الاّ ان القدر المشترك والمتفق عليه هو الحفاظ علىٰ وحدة الدولة الاسلامية ووحدة الأمة الاسلامية، وحاجة الدولة الفتية الىٰ دوره في انجاح الفعاليات والنشاطات وفي انجاح المسيرة الاسلامية، فلو تبنينا رواية تهديده بالقتل ان لم يبايع، فانّ الأمر لا يعدوالحفاظ علىٰ المصلحة الاسلامية ووحدة المسلمين؛ لأنّ قتله سيكون مقدمة لسفك الدماء والاقتتال الداخلي بين أنصاره وبني هاشم من جهة وبين الخليفة وانصاره من جهة اخرى، وهذا القتال لا ينتهي الاّ بانتهاء الدولة الفتية في اجواء تربص المشركين والمنافقين بها.

واذا تبنينا الروايات الايجابية التي دفعته للبيعة، فهي واقعة في طريق الوحدة الاسلامية وفي اطار المصلحة الاسلامية الكبرىٰ ومن هذه الروايات:

انّ عثمان بن عفّان قال له: يا ابن العم! انّه لا يخرج أحد الىٰ قتال هذا العدووأنت لم تبايع، ولم يزل به حتّىٰ مشىٰ الىٰ ابي بكر، فسرّ المسلمون بذلك

---

١ ـ تاريخ الطبري ٢: ٢٣٦.

وجدّ الناس في القتال[١].

وهذه الرواية قد ذكرت في كتب الشيعة، وعلىٰ صحتها تكون البيعة دفعاً لحركة الجهاد نحو الامام تجاه المتربصين والحاقدين والمرتدين، وهي واقعة ضمن توجهات الامام في تحقيق المصلحة الاسلامية ومقدماتها في الوحدة والاتحاد.

وهنالك روايات تنص علىٰ انّه صرّح بموقفه الوحدوي وأعلن عن أسباب ودوافع البيعة قائلاً: «انّ الله لمّا قبض نبيّه استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من الناس كافة، فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثو عهد بالاسلام، والدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقل خلف»[٢].

وكان توحيد الصف أهم من حقّه بالخلافة، وقد راعى المصلحة الاسلامية الكبرى في هذا الموقف.

وقال في موقف آخر: «... فما راعني إلاّ انثيال الناس علىٰ أبي بكر، وإجفالهم اليه ليبايعوه، فأمسكت يدي، ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمد ﷺ في الناس ممّن تولّى الأمر من بعده، فلبثت بذاك ما شاء الله حتىٰ رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام؛ يدعون الىٰ محق دين الله وملة محمد ﷺ ، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرىٰ فيه ثلماً وهدماً يكون المصاب بهما عليَّ أعظم من فوات ولاية اموركم... فمشيت عند ذلك الىٰ أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث حتىٰ زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمةُ الله هي العليا»[٣].

---

١ ـ بحار الانوار ٢٨ : ٣١٠، محمد باقر المجلسي ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ ١٤٠٣ هـ

٢ ـ شرح نهج البلاغة ١: ٣٠٨.

٣ ـ شرح نهج البلاغة ٦: ٩٥.

وفي موقف آخر كان الامام عليه السلام اكثر تصريحاً في تأكيده على الوحدة الاسلامية وعلىٰ المصلحة الاسلامية الكبرى حيث يقول: «وايم الله لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويبور الدين، لكنّا علىٰ غير ما كنّا لهم عليه»[1].

ومن خلال هذا النص نرى انّ الامام عليه السلام قد ترك الكثير من المواقف والخيارات، فلم يتخذ أيّ موقف من شأنه تمزيق المسلمين واضعاف دولتهم الفتية، فاختار البيعة علىٰ غيرها حفاظاً على وحدة المسلمين ووحدة الدولة الاسلامية.

موقفه من المحرّضين ضد الخليفة:

في المرحلة التي سبقت البيعة أو تلتها رفض الامام عليه السلام جميع المواقف والممارسات المتشنجة والداعية الىٰ التباغض والعداء، والمشجعة علىٰ التمرد والعصيان، ومنها: موقفه من عتبة بن أبي لهب حينما قال:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف ... عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أولّ من صلّىٰ لقبلتكم ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفن

فبعث اليه الامام عليه السلام وامره الاّ يعود، وقال له كلمته المشهورة: «سلامة الدين أحبّ الينا من غيره»[2].

وسلامة الدين هي المقدّمة علىٰ كل شيء، وسلامة الدين هي المصلحة

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ١: ٣٠٧.
٢ ـ الاخبار الموفقيات: ٥٨١.

الاسلامية والأوضاع الافضل للمسلمين، وهي فوق جميع الرغبات الضيقة والمصالح الذاتية، بل هي أفضل من الخلافة ومن حق الامام عليه السلام بها، ولذا ترك المطالبة بهذا الحق، ولم يكتف بترك المطالبة بل نهىٰ عن كل قول أو ممارسة تساهم في إحداث خلخلة واضطراب داخل الصف الاسلامي ولذا أمر المحرّض ان لا يعود الىٰ مثل هذا التحريض.

وحينما قدم ابو سفيان المدينة قال: « اني لأرىٰ عجاجةً لا يطفئها الادم، يا آل عبد مناف فيم ابو بكر من اموركم أين الاذلان علي والعبّاس؟ ما بال هذا الأمر في أقلّ حي من قريش ؟».

ثم قال لعليّ عليه السلام: «ابسط يدك ابايعك، فو الله لئن شِئتَ لأملأنّها عليه خيلاً ورجلا».

فأبى عليه وزجره وقال له: « والله أنّك ما أردت بهذا الاّ الفتنة، وانك والله طالما بغيت للاسلام شراً لا حاجة لنا في نصيحتك»[1].

رفض الامام عليه السلام هذا الموقف التحريضي المنطلق من نظرة قبلية ومن روح عنصرية وعصبية لا تنسجم مع مفاهيم الاسلام وقيمه، ولا تنسجم مع أهداف الامام عليه السلام في الحفاظ على الكيان والوجود الاسلامي، لأنّ الهدف من الخلافة هو تقرير مبادئ الاسلام في واقع الحياة وجعلها حاكمة علىٰ الافكار والعواطف والممارسات، ولا يتحقق هذا الهدف بتصديع الجبهة الداخلية وإشغالها بالمعارك الجانبية، إذ لا قيمة للخلافة أمام تلك الأهداف السامية.

وما قاله ابو سفيان قد يساهم في تنصيب الامام خليفة علىٰ المسلمين وازاحة أبي‌بكر، وخصوصاً ان الكثير من الأنصار رفضوا البيعة، وكما صرّح بذلك

---

١ ـ الكامل في التاريخ ٢ : ٣٢٦.

الخليفة الثاني حيث يقول: «إنّ علياً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة، وتخلفت عنّا الأنصار بأسرها»[١].

وفي رواية: انّ الانصار لام بعضهم بعضاً وذكروا علياً وهتفوا باسمه[٢].

وعلىٰ الرغم من انّ الأمور قد تسير في صالح الامام عليه السلام وانّه سيصل الىٰ الخلافة الاّ انّه قدّم المصلحة الاسلامية العليا ووحدة المسلمين علىٰ هذا الحق، وهو وسيلة للحفاظ علىٰ المنهج الالهي وعلى تماسك الوجود الاسلامي، ولا أهمية للخلافة أمام سلامة الدين.

اخماد الفتنة بين المهاجرين والأنصار:

لم ينعزل الامام عليه السلام عن الأحداث في عهد ابي بكر وفي عهد بقية الخلفاء، فهو وان لم ينصب في منصب اداري أو قضائي أو عسكري الاّ انّه كان يتفاعل مع الأحداث ليؤدي دوره في الاصلاح والتغيير وفي ترشيد المسيرة وتسديد الأعمال والممارسات، وقد ادّىٰ ما عليه من مسؤولية تجاه الدولة وتجاه الأمة، وكانت المصلحة الاسلامية العليا هي الهم الاكبر في توجهاته ومواقفه، وكان له دور ملموس في وحدة الدولة والأمة وازالة عوامل التوتر والتشنج في علاقات المسلمين وخصوصاً علاقات المهاجرين والأنصار.

ففي أوائل خلافة أبي بكر اعتزل بعض الأنصار عنه ولم يبايعوه أو يساندوه، فغضب بعض المهاجرين من هذا الموقف وتشنجت العلاقات بين المهاجرين والأنصار وتطور الأمر حيث هجا عمروبن العاص الأنصار وحرّض ابو سفيان عليهم، وردّ الفضل بن العباس علىٰ بعض القرشيين وأنشد شعراً في هذا الرد ثم

---

١ ـ تاريخ الطبري ٣: ٢٠٥.
٢ ـ الأخبار الموفقيات: ٥٨٣.

توجه الىٰ عليّ عليه السلام فأخبره، فخرج عليّ مغضباً حتىٰ دخل المسجد، فذكر الأنصار بخير، وردّ علىٰ عمروبن العاص قوله، فلما علمت الأنصار بذلك سرّها وقالت: «ما نبالي بقول من قال مع حسن قول عليّ»[1].

واستطاع عليه السلام اخماد الفتنة التي كادت أن تقع لقرب المهاجرين والأنصار من عصر الجاهلية، ولفقد انهم لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان له تأثير في التوجيه والارشاد اشبه بالتأثير السحري علىٰ العقول والقلوب وعلىٰ الارادات المحددة للمواقف وللممارسات العملية، وبفقده صلى الله عليه وآله ضعفت قوة التأثير عليهم فعادت بعض رواسب الجاهلية الىٰ بعضهم لتتحكم في مقوّمات شخصياتهم، ولو لا الامام علي عليه السلام لتطورت الامور الىٰ قتال ملموس يتجذر في تأثيراته ونتائجه بمرور الايام ليقضي علىٰ الدولة وعلىٰ الكيان الاسلامي في ظروف تربص الأعداء وتكالبهم علىٰ هذه الدولة الفتية، فقد استجاب الأنصار لنداء الوحدة فلم يكترثوا لتلك المواقف ما دام أحد رؤوس المهاجرين وهو عليّ معهم مسانداً ومدافعاً، ومعترفاً بحقّ الانصار على المهاجرين، فقد كان لحكمته الدور الاكبر في تجاوز الأزمة وسكون الفتنة.

وعلىٰ الرغم من وجود اختلاف فكري وسياسي بين عليّ عليه السلام وقادة الدولة الاسلامية في النظرة الىٰ الامامة والخلافة وفي النظرة الىٰ المواقف والاحداث المختلفة الاّ انّه عليه السلام تعامل مع هذا الاختلاف في حدوده الجزئية، فلم يتعامل معه وكأنّه فواصل كليّة تعزله عنهم، بل تحرك بخطاه وممارساته ومواقفه نحو الاهداف المشتركة الكبرىٰ، وكان تعامله ينطلق من المصلحة الاسلامية العيا، في ظروف تكالبت فيها قوىٰ الكفر والشرك للقضاء علىٰ هذه الدولة، وكان أعداء الدولة والأمّة

---

١ ـ تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٨.

الاسلامية لا يفرّقون في عدائهم بين الامام علي عليه السلام والخلفاء، وكانوا يتصيدون كلّ حجّة وكلّ فرصة وكل ثغرة لينفذوا منها الىٰ الطعن في صحّة الرسالة، والىٰ بلبلة الافكار واشاعة الاضطراب في العقول والقلوب وخلق الفتن في صفوف الكيان الاسلامي.

وفي هذه الظروف والأجواء دافع الامام عليه السلام عن الدولة وساندها كما لو كان هو الخليفة الفعلي، فالاهم هو الحفاظ علىٰ الكيان والدولة بغض النظر عن شخص الخليفة ورأي الامام به.

فحينما جاءت وفود أسد وغطفان وهوازن الىٰ الخليفة ابي بكر وطالبوه باعفائهم من الزكاة رفض هذا الطلب، ولهذا فقد اعدوا العدة للعدوان علىٰ المدينة وأخبروا عشائرهم بقلة أهل المدينة وأطمعوهم فيها، فاستعان الخليفة بالامام علي عليه السلام وطلب منه أن ينصب كميناً علىٰ أطرف المدينة فاستجاب للطلب ونصب كميناً علىٰ الأماكن التي يمكن التسلل والعبور منها، وحينما جاء المهاجمون لم يستطيعوا الهجوم وتراجعوا لأنّهم وجدوا أن المدينة محروسة[1].

فقد ساند الامام علي الخليفة ودافع عن الدولة الاسلامية ولم يفكر بانّ هذه المهمة العسكرية لا تليق بشأنه، ولم يتردد في ايّ ممارسة أو موقف يخدم المصلحة الاسلامية العليا.

وردّ الامام عليه السلام هجوم قبيلتي عبس وذبيان وبعض القبائل التي اغتنمت فرصة انتقال الجيش بإطفاء نار الارتداد[2].

وكان حريصاً علىٰ سلامة القياة السياسية والعسكرية المتمثّلة بأبي بكر لأنّ مقتله سيشجّع الطامعين علىٰ الاسراع في مخططاتهم الرامية لتقويض الكيان

---

١ ـ المنتظم في تاريخ الامم والملوك ٤: ٧٥.

٢ ـ لا سنة ولا شيعة: ٢١ ـ د. محمد علي الزعبي ـ دار التراث الاسلامي ـ ١٣٩٤ هـ

الاسلامي، فحينما أراد ابو بكر الخروج بنفسه لقتال المرتدين منعه الامام وقال له: «... لا تفجعنا بنفسك»[١].

وهذا الموقف يدل على التجرد الكامل من الذات والذوبان الكامل في المصلحة الاسلامية، وهذا درس عظيم لجميع السياسيين في الايثار ونكران الذات ينبغي اشاعة مفاهيمه وقيمه في الممارسات والمواقف السياسية، فالسياسي الذي يرغب في استلام الحكم لا ينصح من ينافسه مثل هذه النصيحة، ولكنّ الامام عليه السلام قد مارسها في سيرته العملية ونصح الخليفة بعدم الذهاب بنفسه للقتال.

إسناد الدولة وحل المسائل المستعصية:

كان الامام عليه السلام مسانداً للدولة وللخليفة وكان لا يبخل بأيّ ممارسة ونشاط يقع في أجواء المصلحة الاسلامية العليا، وكان لا يبخل بمشورة تخدم القضايا المصيرية للدولة والامة، والامثلة على ذلك عديدة.

ومن ذلك انّ أبابكر أراد غزو الروم، فاستشار الصحابة فقدّموا وأخّروا، ولم يقطعوا برأي، فاستشار علياً، فشجعه على غزو الروم، فقال: «ان فعلت ظفرت» فقال: «بشّرت بخير»[٢].

وهذا التشجيع من الامام الذي له مكانة مرموقة بين المسلمين اضافة الى خبرته العسكرية دفع الخليفة للانطلاق في هذ الاتجاه، وكان رأيه بشارة وانطلاقاً واسراعاً في الجهاد، وبالفعل كان الفتح حليفاً للمسلمين.

وكان الخليفة يلتجأ اليه في المسائل المستعصية، فلا يبخل الامام برأيه

---

١ ـ تاريخ الخلفاء: ٥٧ ـ عبدالرحمن السيوطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٨ هـ

٢ ـ تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٣.

ومعونته الفكرية والعلمية، سأله اليهود فأجابهم عن مسائلهم، وحينما سألوه عن خصوصيات رسول الله صلى الله عليه وآله قال ابو بكر: «ولكنّ الحديث عنه شديد وهذا عليّ بن أبي طالب» فارسلهم الىٰ الامام عليه السلام فأجابهم[1].

وسأله ملك الروم عن مسائل فأخبر بذلك علياً فأجابه، "وأراد ان يقيم الحدّ على شارب خمر، فقال الرجل: انّي شربتها ولا علم لي بتحريمها، فارسل ابو بكر الىٰ الامام يسأله عن هذه المسألة المستعصية، فقال: مرّ نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به علىٰ المهاجرين والانصار وينشدانهم: هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم؟ ففعل، ثمّ خلّىٰ سبيله ولم يحدّه[2].

وفي مقام اسناد الدولة كان الامام عليه السلام لا يتدخل في الامور الجزئية التي لا ضرر فيها علىٰ المصلحة الاسلامية العليا، أو ليست من الامور الاساسية، فلم يحدثنا التاريخ أنّه اعترض علىٰ تعيين بعض الولاة أو بعض قادة الجيش، وخصوصاً الذين لا يراهم أهلاً للمسؤولية، ولم يتدخل في تبديلهم أو عزلهم، ولم يقترح تعيين البعض دون البعض الآخر، ولم يعترض علىٰ بعض الأخطاء التي ارتكبت، كالتي حدثت في حروب الردّة أو قتال مانعي الزكاة لانّه وجد أنّ غيره قد اعترض عليها.

وفي مقابل ذلك كان الخليفة ابو بكر يحترم مكانة الامام علي عليه السلام العلمية والفكرية، وكان يشيد به ويعترف بحقّه وفضله، وكان يمدحه في كثير من المواقف ومن أقواله في حقه: «من سرّه أن ينظر الىٰ أعظم الناس منزلة من رسول الله صلى الله عليه وآله وأقربه قرابة، وأفضله دالّةً، وأعظمه غناءً عن نبيّه فلينظر الىٰ هذا»[3].

---

١ ـ ذخائر العقبىٰ: ٨٠ ـ محمد بن جرير الطبري ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ ١٤٠١ هـ

٢ ـ مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٩٧ ـ ابن شهر بحشوب ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ ١٤١٢ هـ

٣ ـ مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٣٢٠ ـ ابن عساكر ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٩٨٨ م.

استخلافه على المدينة في عهد الخليفة الثاني:

أصبَحَ عمر بن الخطاب خليفةً بعهد من أبي بكر، وكما هو مشهور في كتب التاريخ، وفي هذا العهد لم يستشر ابو بكر علياً في الأمر ولا بقية الكبار من الصحابة، ومع ذلك فانّ الامام عليه السلام لم يعترض على هذا العهد وهذا الاستخلاف بل توجه الى الافاق العليا وانطلق مع الخليفة الجديد لبناء الدولة والامة، ولم يتخلف عن مختلف الأعمال والنشاطات والممارسات الميدانية التي تحتاج الى رأيه وجهده، وكان ينفذ ما يطلب منه ما دام منسجماً مع أسس وقواعد الشريعة الاسلامية.

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر في كثير من القضايا إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من التعاون والتازر تحت ظلّ الافاق العليا للمنهج الاسلامي والمشتركات الثابتة، واذا تتبعنا سيرة الخليفة الثاني نجده لم يعهد الى الامام عليه السلام منصباً في ولاية ولا إمرة جيش أو في أي مجال آخر، وكان هذا شأنه مع الكثير من المهاجرين حيث ابقاهم للاستعانة بهم، وكان يستخلف علياً عليه السلام على المدينة في حال غيابه عنها، وخصوصاً في الوقائع التي يشترك فيها الخليفة أو المتوقفة على اشتراكه، فقد استخلفه على المدينة في سنة ١٤ هـ وفي سنة ١٥ هـ وفي سنة ١٨ هـ[١].

وكان الامام عليه السلام لا يمانع من أن يكون خليفة لعمر على المدينة، ولا يرى انّ ذلك يقلل من شأنه أو لا يليق بحاله، فهو يستجيب لكل عمل وموقف يقع في طريق تحقيق المصلحة الاسلامية، ومن جهة ثانية فإنّ استخلافه على المدينة يعبّر عن ثقة الخليفة به، وشهادة له بالاخلاص للاسلام والدولة الاسلامية، وايماناً منه

---

١ ـ الكامل في التاريخ ٢: ٤٥٠، ٥٠٠.

بتقدير المصلحة الاسلامية العليا، والعمل الدؤوب من أجل تحقيق وحدة الدولة والامة.

الاخلاص في النصيحة والمشورة:

كان الخليفة الثاني يستعين باصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حينما يريد اتخاذ موقف معين، وكان اختصاصه بالامام علي عليه السلام اكثر من غيره لايمانه بانّه مخلص في النصيحة والمشورة وانّه لا يفكر باي مصلحة غير المصلحة العامة، وكان الامام عليه السلام مخلصاً في النصيحة ما دامت مصلحة الاسلام هي العليا، وقد اثبتت الوقائع هذا الاخلاص وهذا التفاني من أجل المصلحة الاسلامية من خلال المجالات التالية:

المجال العسكري:

شاور الخليفة الثاني الامام علياً عليه السلام في الخروج الىٰ غزو الروم، فنصحه بعدم الخروج بنفسه وقال له: «إنك متى تسر الىٰ هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا يكن للمسلمين كهف دون أقصىٰ بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون اليه، فابعث اليهم رجلاً محربا واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب وان تكن الاخرىٰ، كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين»[1].

وحينما أراد غزو نهاوند نصحه الامام عليه السلام بالبقاء في المدينة، وقال له: «أما بعد يا أميرالمؤمنين، فانّك ان اشخصت أهل الشام من شأمهم سارت الروم الىٰ ذراريهم، وان اشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الىٰ ذراريهم، وانّك ان

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ٨: ٢٩٦.

شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك الأرض من أطرافها واقطارها ... اقرر هؤلاء في امصارهم، واكتب الىٰ أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق... ولتسر فرقة الىٰ اخوانهم بالكوفة مدداً لهم، انّ الاعاجم إن ينظروا اليك غداً قالوا: هذا أمير العرب وأصل العرب، فكان ذلك أشدّ لكلبهم والبتهم على نفسك»[١].

فقد راعىٰ الامام المصلحة الاسلامية العليا في هذا الرأي، ولم يفكر بالتخلص من الخليفة بتشجيعه علىٰ الذهاب بنفسه للمعركة وللقتال كما يفعل الطامعون بالسلطة، فالمصلحة مقدمة علىٰ جميع المصالح الخاصة والذاتية والمحدودة.

وفي واقعة اخرى اشار عليه بالخروج بنفسه، فحينما تحصن المشركون ببيت المقدس أجابوا الىٰ الصلح بشرط قدوم الخليفة عليهم، فاستشار الامام بذلك فاشار عليه بالمسير اليهم «ليكون أخفّ وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم»[٢].

وقال له: «إنّ القوم قد سألوك المنزلة التي لهم فيها الذلّ والصغار ونزولهم علىٰ حكمك عزّ لك وفتح للمسلمين... حتّى تقدم علىٰ أصحابك وجنودك، فإذا قدمت عليهم كان الأمر والعافية والصلح والفتح ان شاء الله» فأخذ عمر بمشورته[٣].

المجال القضائي:

كان الخليفة الثاني يستعين برأي الامام ويقدّمه علىٰ جميع الصحابة، وكان الامام عليه السلام يسانده ويؤازره في اختيار الحكم أو الموقف الأصوب، وكان يتدخل

---

١ ـ تاريخ الطبري ٢: ٥٢٤، المنتظم ٤: ٢٧٣.
٢ ـ البداية والنهاية ٧: ٥٥ ـ ابن كثير ـ دار الفكر ـ بيروت ـ
٣ ـ الفتوح ١: ٢٢٥.

ابتداءً لتغيير حكم أو تنفيذه، فالمصلحة هي الحاكمة على جميع مواقفه وممارساته، وكان الخليفة يمتدحه بعد نجاح الموقف ويرىٰ أنّه السبب في انقاذه من المواقف الحرجة في القضاء والحكم بين الناس.

استشاره في عقوبة شارب الخمر فأشار عليه أن يجلده ثمانين فأخذ بمشورته وجلد في الخمر ثمانين[1].

وارتاعت امرأة من عمر وسقط جنينها فاشار عليه ان يضمن الدية، فقال عمر: صدّقتني[2].

وذكر الطبري بعض الروايات في الاستعانة بالإمام في القضاء، وكان يتدخّل أحياناً دون استشارة ليغيّر الحكم، فيمضي الخليفة حكمه وان كان مخالفاً لرأي الخليفة ومن ذلك:

- تدخله في منع رجم امرأة حامل.
- خلّىٰ سبيل امرأة اضطرها رجل للفاحشة.
- أراد عمر رجم امرأة ولدت لستة أشهر فمنعه الامام فرجع عن قراره.
- لم يرجم امرأة محصنة باشرها غلام لم يبلغ اعتماداً على مشورة علي عليه السلام أو تدخلاً منه.
- قام بتأديب رجل دون علم الخليفة ودون أمره، وكان جوابه للامام أحسنت يا أبا الحسن[3].

ولا يجد الخليفة بأساً في توجيه أنظار الناس الىٰ كفاءة عليّ والىٰ اعلميته، سأله رجل حول حلّية زوجته التي طلقها مرة وهو مشرك ومرّتين وهو مسلم، فقال

---

١ ـ تاريخ المدينة المنوّرة ٢: ٧٣٢ ـ ابن شيّبة النميري ـ مكة المكرمة ـ ١٣٩٩ هـ
٢ ـ انساب الاشراف ٢: ١٧٨.
٣ ـ ذخائر العقبىٰ: ٨١، ٨٢.

الخليفة عمر: كما أنت حتى يجيء عليّ، فاتى عليّ فقال: «هدم الاسلام ما كان قبله» واعتبرها تطليقتين، وقد أخذ برأي عليّ عليه السلام.

مجال الثروة:

بذل الامام ما يمكن بذله من إبداء النصح والتوجيه في مسألة تداول الثروة ليكون اسلوب التداول منسجماً مع أساسيات الشريعة الاسلامية ومع المصلحة العامة للدولة وللامة وللاسلام.

وأول بادرة للاستشارة حينما أراد الخليفة معرفة حقّه في بيت‌المال، قال له الامام: «ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف، ليس لك من هذا المال غيره» فقال الصحابة: القول قول ابن أبي طالب[١].

وشاور الصحابة في سواد الكوفة، فقالوا له: نقسمها بيننا، فشاور علياً عليه السلام فقال: « ان قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء ناشيء بعد، ولكن تقرّها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا»، فقال عمر: «وفقك الله هذا الرأي»[٢].

وكان متردداً في خزائن بيت الله وما فيها من أموال وسلاح، أيتركها أم يوزعها، فقال له الامام عليه السلام: «...لست بصاحبه انّما صاحبه منّا شاب من قريش يقسمه في سبيل الله في آخر الزمان»[٣].

وحينما وضع الدواوين وفرّق بين المسلمين بالعطاء على أساس السبق في الايمان والهجرة لم يعترض الامام عليه السلام على طريقة التوزيع، وان كان قد ساوى في العطاء في وقت خلافته كما يذكر جميع المؤرّخين، فقد يكون مراعياً للظروف

---

١ ـ تاريخ الطبري ٢: ٤٥٣، المنتظم ٤: ١٩٧.
٢ ـ تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥١، ١٥٢.
٣ ـ كنز العمّال ١٤: ٥٩١.

الموضوعية في ذلك، أو عدم رغبته في مخالفة الخليفة أو الصحابة، أو انّ اسلوب التداول والعطاء من صلاحيات الخليفة في حدود المصلحة العامة، ولا محذور شرعي فيه، وعلى العموم فانّ الامام لم يعترض علىٰ طريقة التوزيع، ولم يخالف رأي الخليفة في حينه، ولم تذكر المصادر ذلك.

ترشيد سيرة الدولة والاخلاص في المشورة:

كان الخليفة الثاني يستعين برأي الامام عليه السلام في جميع جوانب الحياة وفي جميع المرافق التي تحتاج الىٰ مشورة والىٰ تسديد وتوجيه، وكان الامام عليه السلام يبدي توجيهاته ونصائحه لترشيد سيرة الدولة بما ينسجم مع المصلحة الاسلامية العليا.

في مسألة كتابة التاريخ كان رأي بعض الصحابة ان يكتب من تاريخ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان رأي عمران يكتبه من تاريخ المبعث، وكان رأي الامام عليه السلام أن يكتب من يوم الهجرة الىٰ المدينة، واستقرّ الأمر على رأي الامام، كما هو مشهور في التاريخ[1].

وأراد الخليفة بيع أهل السواد فقال الامام عليه السلام: «دعهم شوكة للمسلمين» فتركهم على أنّهم عبيد[2].

وبلغه أنّ أحد عمّاله باع ما يحرم بيعه وجعل الثمن في بيت المال فاستشار الامام عليه السلام فقال: «امّا ان تعزله وإمّا ان تكتب اليه أن لا يعود»[3].

وهنالك وقائع عديدة عمل بما الامام عليه السلام لترشيد سيرة الدولة والاخلاص

---

١ ـ الكامل في التاريخ ٢ : ٥٢٦، تاريخ المدينة المنورة ٢ : ٧٥٨.
٢ ـ مناقب آل ابي طالب ٢ : ٤٠٧.
٣ ـ أنساب الاشراف ٢ : ٧٨.

في النصيحة والمشورة، لا يسع البحث ذكرها.

التعاون الميداني:

لم يتخلف أنصار الامام علي عليه السلام عن جميع النشاطات والفعاليات الميدانية، فقد تعاونوا مع الدولة وان لم يكن عليّ عليه السلام على رأسها وشاركوا في الغزوات والفتوحات التي قادها الخليفة أو من نصّبه قائداً عسكرياً تبعاً لإمامهم الذي رباهم على تحكيم المصلحة الاسلامية العليا على جميع المصالح، وتقديم الوحدة الاسلامية على جميع الانتماءات والولاءات، فاشترك ابناء عمّه العباس فيها، واشترك ابناء اخيه جعفر فيها، وقد استشهد محمد بن جعفر في تستر، واشترك عمّار بن ياسر وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبدالله في اغلب الغزوات والفتوحات[1].

وقد اطاعوا الخليفة وامراءه وقادة جيشه كما لو كان الامام هو الخليفة الفعليّ، وقد اخلصوا لهذه الدولة متعالين على جميع الفواصل الجزئية مادام المنهج الاسلامي هو المحور المشترك للجميع، وما دامت المصلحة الاسلامية ووحدة الدولة والامة هي النتيجة النهائية لهذا التفاوت الميداني.

واستعان الخليفة الثاني بانصار الامام عليه السلام في اعماله، ايماناً منه باخلاص إمامهم واخلاصهم وسعيهم للوحدة والاتحاد، فعيّن سلمان والياً على المدائن، وعمّار على الكوفة، واسند بعض المناصب الحساسة لانصاره الآخرين؛ فكان بعضهم حلقة الوصل بين الخليفة وقادة الجند[2].

وقد اخلصوا في أعمالهم كما اخلص الامام في مشورته متوجهين نحو

---

١ ـ الكامل في التاريخ ٢: ٥١٢، ٣: ٩.

٢ ـ الكامل في التاريخ ٢: ٥١٢، ٥٤٨ و٣: ٩، ١٨.

الآفاق العليا والمصالح المشتركة.

وقد عبر الخليفة عن مواقف الامام وسعيه الميداني للحفاظ على الوحدة وعلىٰ تحقيق المصلحة العليا، ومن ذلك اقواله المتواترة بحقه ومنها «لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن» و«أعوذ بالله أن أعيش في يوم لست فيه يا أبا الحسن» و«لو لا علي لهلك عمر»[١].

مراعاة الوحدة في الموقف من الشورىٰ:

حينما طعن الخليفة الثاني جعل أمر الخلافة بيد ستّة من الصحابة يختارون أحدهم خليفة للمسلمين، وكان الامام يتوقع النتائج طبقاً للظروف وللشروط الموضوعة، ومع علمه بالنتائج إلاّ انه قبل الاجتماع واشترك فيه حفاظاً علىٰ وحدة المسلمين ومراعاة لها وللمصلحة الاسلامية العليا، وقد صرّح برفضه للخلاف حينما قال له عمّه العباس : لا تدخل معهم، فكان جوابه «انّي اكره الخلاف»[٢].

وحينما تمخضت النتائج بترشيح عثمان بن عفان خليفة من قبل عبدالرحمن بن عوف اكتفى الامام عليه السلام بالقول: «ليس هذا أوّل يوم تظاهر تم فيه علينا»، «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»[٣].

فقد عبّر عن رأيه بلا موقف سلبي، وقال لعبد الله بن عباس: « إنّي رأيت الجميع راضين به فلم أحبّ مخالفة المسلمين حتّى لا تكون فتنة بين الأمّة[٤].

ووضع ميزاناً ثابتاً في التعامل مع الخلافة والخليفة فقدم مصلحة الاسلام

---

١ ـ ذخائر العقبىٰ: ٨٢، تاريخ الخلفاء: ١٧١، الطبقات الكبرىٰ ٣: ٣٣٩.
٢ ـ الكامل في التاريخ ٣: ٦٦.
٣ ـ الكامل في التاريخ ٣: ٧١، سورة يوسف: ١٨.
٤ ـ الفتوح ١: ٢٣٥.

العليا على غيرها، وقدّم الوحدة الاسلامية على جميع المغانم والمكاسب الآنية والذاتية فخاطب أهل الشورى قائلاً: «لقد علمتم أنّي أحقّ بها من غيري، ووالله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور الاّ عليّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيها تنافستموه من زخرفه وزبرجه»[١].

وكان يقول: «فنظرت في أمري، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري، فبايعت عثمان فأديت له حقه»[٢].

التعاون الميداني:

وقف الامام بجانب الخليفة الجديد وتعاون معه لتحقيق الهدف الاكبر وهو تقرير مبادئ الاسلام في واقع الحياة، وممّا نسب اليه في هذا الأمر قوله: «لو سيّرني عثمان عنه الى صرار لسمعته وأطعت الأمر»[٣] ومرار موقع على بعد عدّة أميال من المدينة.

واشترك أنصار الامام في الغزوات والفتوحات، فقد اشترك ابو ايوب الانصاري وابو ذر الغفاري في بعض الغزوات، واشترك عبدالله بن عباس في فتح افريقية، وقد وردت عدة روايات تنص على اشتراك الحسن والحسين وعبدالله بن عباس وغيرهم في غزو طبرستان بامرة سعيد بن العاص[٤].

وهذه المشاركة تدلّ دلالة واضحة على تأييد واسناد الامام للغزوات والفتوحات؛ لانّها بالنتيجة تقع في طريق المصلحة الاسلامية العليا متمثلة

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ٦: ١٦٦.
٢ ـ تاريخ الخلفاء: ١٤١.
٣ ـ تاريخ المدينة المنورة ٤: ١٢٠١.
٤ ـ الكامل في التاريخ ٣: ٧٧، ٨٩، ١٠٩.

بالدعوة الى الاسلام وإلى توسيع رقعة الدولة الاسلامية وفرض سلطانها على أرجاء الأرض.

وايماناً من الخليفة الثالث باخلاص الامام علي عليه السلام للاسلام وجهاده من أجل المصلحة العليا ووحدة المسلمين كان يستعين برأيه لترشيد وتسديد المسيرة، وكان الامام يتدخل أحياناً لتغيير بعض قرارات الحكم وان لم يستشار بها.

فقد تدخل لمنع اجراء الحدّ على امرأة بعد ثبوت براءتها بالادلة الحية[١].

وقد وردت روايات عديدة تنص على أنّ عثمان إذا جاءه الخصمان قال لأحدهما: اذهب ادع علياً[٢].

واتفق رأيهما في جمع المصاحف على قراءة واحدة[٣].

وكان يستشيره في اختيار الموقف المناسب من المعارضين لسياسته، فيشير عليه باصلاح الأوضاع وتغيير بعض الولاة[٤].

وكان الخليفة يترك له حرية الرأي وحرية اتخاذ الموقف وان كان مخالفاً لرأيه[٥].

مراعاة المصلحة الاسلامية والوحدة في أجواء الفتنة:

راعى الامام عليه السلام المصلحة الاسلامية العليا والوحدة الاسلامية في موقفه

١ ـ مناقب آل أبي طالب ٢: ٤١٣.
٢ ـ السنن الكبرى ١٠: ١١٢.
٣ ـ الكامل في التاريخ ٣: ١١٢.
٤ ـ البداية والنهاية ٧: ١٧١.
٥ ـ مسند أحمد ١: ١٥٣، دار احياء التراث ـ ١٤١٤ هـ ـ ط ٢.

من الفتنة بين الخليفة والمعارضين، فقد خلق هذا الخلاف جواً من الاضطراب والتخلخل في تماسك ووحدة الكيان الاسلامي، وفي ظل هذه الاجواء المضطربة لم ينعزل الامام عن الاحداث وعن الميدان، وانّما قام بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظاً على تماسك الكيان الاسلامي وعلى سلامة تطبيق المنهج الاسلامي من قبل الخليفة والولاة والامة، وكان يحاول تهدئة الأوضاع والعلاقات المتشنجة لكي لا تحدث الفتنة وتتوسع ولكي لا يتمزق الكيان الاسلامي.

وقد حذّر الامام الخليفة من بعض الولاة الذين سببوا إثارة المعارضين لانهم يدّعون أنّ مواقفهم واعمالهم كانت بأمر من الخليفة[١].

وكان ينصح الخليفة للحيلولة دون تفاقم الاوضاع وكان يرشده الى اتخاذ الموقف الأصوب ويقول له: «أمّا الفرقة فمعاذ الله أن أفتح لها باباً واسهّل اليها سبيلاً، ولكنّي أنهاك عمّا ينهاك الله ورسوله عنه، وأهديك الى رشدك، ألا تنهي سفهاء بنى أميّة عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم، والله لو ظلم عامل من عمّالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركاً بينه وبينك»[٢].

وكان يحذره من مروان بن الحكم ومن الأخذ برأيه لكي لا تتأزم الاوضاع اكثر فأكثر[٣].

وكان الوسيط بين الخليفة والمعارضين، وكان الخليفة يدعوه أحياناً للتدخّل من أجل تهدئة الأوضاع، قال له في أحد المواقف: «... أرددهم عنّي فانّي

١ ـ تاريخ الطبري ـ حوادث سنة ٣٤ هـ
٢ ـ شرح نهج البلاغة ٩: ١٥.
٣ ـ م . ن ٩: ٢٦٢.

أعطيهم ما يريدون من الحقّ من نفسي ومن غيري».

فقال له الامام عليه السلام: «انّ الناس الىٰ عدلك أحوج منهم الىٰ قتلك وانّهم لا يرضون إلاّ بالرضا، وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به، فلا تغرر في هذه المرة، فانّي معطيهم عنك الحق».

قال: اعطهم فوالله لأفينّ لهم.

فخرج الامام عليه السلام الىٰ المعارضين فقال: «إنّكم انّما تطلبون الحقّ وقد اعطيتموه وإنّه منصفكم من نفسه».

وكتب الخليفة كتاباً للمعارضين على ردّ كلّ مظلمة، وعزل كلّ عامل كرهوه، فكفّوا عنه[1].

وتازمت الاوضاع ثانية حينما خطب مروان في المعارضين وقبّحهم دون علم الخليفة، فتدخل الامام مرّة ثانية فأرجع المعارضين ثم حذره من مروان[2].

مراعاة المصلحة والوحدة في أجواء الحصار:

فشلت جميع محاولات الامام للمصالحة بين عثمان والمعارضين، لأنهم أصرّوا علىٰ تسليم مروان وأصرّ هو علىٰ عدم تسليمه، وبدأ الحصار ليستمر أربعين يوماً، وفي فترة الحصار حاول الامام تهدئة الأوضاع إلاّ أنّ الظروف لم تساعده ومع ذلك استمر علىٰ نهجه في اخماد الفتنة والحفاظ علىٰ وحدة الدولة والأمة.

وقد وردت الاخبار انّ الخليفة اشتكى من موقف طلحة، فتوجه الامام اليه،

---

١ ـ م. ن ٣: ١٥١.

٢ ـ تاريخ الطبري ـ حوادث سنة ٣٥ هـ

ونصحه بعدم المساهمة في تأزيم الاوضاع، الاّ انه لم يستجب للامام.

فانصرف الامام حتى أتى بيت المال، فقال: افتحوه، فلم يجدوا المفاتيح، فكسر الباب ووزع أمواله علىٰ المجتمعين فتفرقوا عن طلحة حتى بقي وحده.

وحينما سمع الخليفة بهذا الموقف سرّه ذلك[١].

وحينما اشتدّ الحصار نصح الامام المعارضين بعدم قطع الماء عنه، فلم يستجيبوا له، فبعث اليه ثلاث قرب مملوءة بالماء[٢].

وبعث اليه الخليفة فأتاه، فتعلق المعارضون به ومنعوه، فحلّ عمامة سوداء علىٰ رأسه ورماها داخل بيته ليعلمه وقال: «اللهم لا أرضى قتله... والله لا أرضى قتله»[٣].

وحينما أصبح الحصار اشدّ وطأة خرج الامام ومعه الحسن والحسين عليهم السلام فحملوا علىٰ المعارضين وفرّقوهم ثم دخلوا علىٰ الخليفة فأعفاهم من الدفاع عنه فخرج الامام وهو يقول: «اللهم انّك تعلم أنّا قد بذلنا المجهود»[٤].

وفي رواية أرسل الامام عليه السلام أولاده في الدفاع عنه فمنعوا المعارضين من الدخول الىٰ منزله، وقد أصابت الحسن عليه السلام عدّة جراحات في الدفاع عنه[٥].

الحفاظ علىٰ وحدة الخلافة:

في فترة الحصار توجه عدد كبير من المسلمين الىٰ الامام عليه السلام ليصلّي بهم

---

١ ـ الكامل في التاريخ ٣: ١٦٧.
٢ ـ تاريخ الخميس ٢: ٢٦٢ ـ حسين الديار بكري ـ مؤسسة شعبان ـ بيروت ـ بدون تاريخ.
٣ ـ الطبقات الكبرى ٣: ٦٨ ـ ابن سعد ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٤٠٥ هـ
٤ ـ تاريخ الخميس ٢: ٢٦٣.
٥ ـ البداية والنهاية ٧: ١٨١.

جماعة لعدم قدرة الخليفة على اقامتها، ولكنّ الامام علي عليه السلام رفض هذا الطلب وأجابهم: «لا اصلي بكم والامام محصور ولكن اصلّي وحدي»[1].

فقد رفض الامام أن يصلي بالمسلمين وان وجد المبرّر لذلك، من اجل المحافظة على وحدة الصف الاسلامي ووحدة الخلافة، وليحافظ على حرمة وقدسية الخلافة، وللحيلولة دون حدوث تصدّع في الجبهة الداخلية ودون حدوث خلل واضطراب في العلاقات بين الصحابة وبين المسلمين عموماً، فقد كان منقاداً للمصلحة الاسلامية العليا، ولوحدة الكيان الاسلامي.

وبقي الامام عليه السلام على موقفه في تهدئة الأوضاع واصلاحها الاّ انّ الظروف لم تسمح له بذلك وتأزمت اكثر فاكثر وادت الى مقتل الخليفة والى حدوث الفتنة الكبرى.

مراعاة المصلحة والوحدة الاسلامية في حرب الجمل:

جميع مواقف وقرارات الامام عليه السلام لا تخرج عن مراعاة المصلحة الاسلامية العليا، ووحدة الدولة والامامة، فهي الحاكمة على كل شيء، فقد راعاهما معاً في سلمه وحربه وكان حريصاً على عدم اراقة دماء المسلمين الاّ انّ المصلحة اقتضت ذلك.

والامام عليه السلام لم يقاتل معارضيه لمجرد رفض البيعة لأنّها أمر اختياري وانّما قاتلهم حينما بدأوا يخططون لتمزيق الأمة والدولة بتحويل هذا المخطط الى واقع عملي، فحينما نكث طلحة والزبير البيعة وارادوا تفريق المسلمين تهيأ الامام عليه السلام لاعادتهم الى الطاعة وللحيلولة دون تمزق الدولة والامامة، وممّا قاله في ذلك:

---

١ ـ تاريخ الخميس ٢: ٢٦٣.

«انهضوا الىٰ هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم، لعلّ الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق... الا وانّ صلحة والزبير وأم المؤمنين قد تمالأوا علىٰ سخط امارتي، وسأصبر ما لم أخف علىٰ جماعتكم»[١].

وقد حاول مرات عديدة للحيولة دون وقوع الحرب الاّ انّ الاوضاع لم تساعد علىٰ ذلك، فقد حاور الزبير وذكّره بحديث لرسول الله ﷺ فانصرف الزبير وانسحب من المعركة[٢].

ولم يدخل في حرب معهم الاّ بعد قيامهم بممارسات مخالفة لوحدة المسلمين حيث قتلوا سبعين رجلاً من اتباع عثمان بن حنيف والي البصرة من قبل الامام عليه السلام، واستمروا علىٰ التمرد، ولم يستجيبوا لنداءات الصلح فقد بعث الامام لهم شاباً ومعه مصحف يدعوهم للتحاكم اليه الاّ انهم قتلوه، فقال الامام: «الان حلّ قتالهم»[٣].

ولم يستمر في ملاحقتهم بعد هزيمتهم وحقن دمائهم، لانّ هدفه الاساسي هو الحفاظ علىٰ وحدة المسلمين ووحدة الدولة الاسلامية وقد قاتلهم بعد ان وجد الطريق مغلقاً فليس امامه الاّ القتال وهو الوسيلة الوحيدة لا خماد التمرد الذي يهدد وحدة الدولة الاسلامية.

مراعاة المصلحة والوحدة الاسلامية في حرب صفين والنهروان:

وجه الامام عليه السلام جرير بن عبدالله البجلي الىٰ معاوية يدعوه الىٰ الطاعة

---

١ ـ المنتظم: ٥: ٧٨.

٢ ـ مختصر تاريخ دمشق ١٨: ٤٨.

٣ ـ الكامل في التاريخ ٣: ٢١٧ ـ ٢٦٢.

ويدعوه الىٰ حقن الدماء، ثم وجّه جماعة اخرين الاّ انّ معاوية لم يستجب لذلك وقال لهم: «انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم الاّ السيف»[١].

وكتب الىٰ معاوية: «انّما انت رجل من بني امية، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه، فان زعمت انّك اقوى على ذلك، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم اليّ»[٢].

فقد اراد الامام عليه السلام معالجة الموقف معالجة هادئة سلمية الاّ انّ معاوية أبى الاّ التمرد علىٰ الخليفة وعلى الدولة الاسلامية، وقد شق وحدة المسلمين بتمرده هذا، فقاتله الامام دفاعاً عن وحدة المسلمين وحفاظاً علىٰ المصلحة الاسلامية العليا، وحينما وجد انّ الامام انتصر عليه التجأ الىٰ رفع المصاحف والتحاكم اليها وقد انطلت هذه اللعبة على عدد كبير من جيش الامام عليه السلام فأجبروه علىٰ التحكيم فتحاكم مع معاوية.

وبعد التحكيم رفض جماعته التحكيم نفسه ثم تمردوا علىٰ الامام وعلىٰ دولته وبدأوا يقطعون الطريق ويقتلون كل من وجدوه مؤيداً للامام عليه السلام، وقد بعث الامام اليهم من يكلمهم ليعودوا الىٰ الصف الاسلامي فعاد اكثر من نصفهم وبقي الآخرون علىٰ تمردهم فبعث اليهم الحارث العيدي يدعوهم للرجوع فقتلوه، ثم أجابوا الامام: «نحن مستحلون دماءهم ودماءكم»[٣].

وكانت توصيات الامام عليه السلام لجماعته: «كفّوا عنهم حتى يبدؤوكم»[٤] فكان حريصاً علىٰ عدم اراقة الدماء الاّ انهم أبوا الاّ الاستمرار في التمرد وتمزيق أواصر

---

١ ـ الامامة والسياسة ١ : ٩٨، مروج الذهب ٢: ٣٧٧.
٢ ـ الكامل للميرد ١: ٤٢٨.
٣ ـ البداية والنهاية ٧: ٢٨٧، مروج الذهب ٢: ٤٠٤.
٤ ـ البداية والنهاية ٧: ٢٨٨.

الوحدة فقاتلهم الامام عليه السلام من أجل وحدة الدولة والامة.

ومن توصياته عدم مقاتلة الخوارج لمجرد انهم ينتمون الىٰ هذه الفئة لانّ ملاك القتال هو التمرد على السلطة المركزية العادلة وخلخلة الاوضاع الداخلية المؤدية التى تمزيق الصف الاسلامي، وليس الملاك مجرد الانتماء أو تبيان وجهة النظر المخالفة، وقد تواترت الروايات انّه عليه السلام لم يمنع الخوارج من الاجتماعات داخل المسجد ولم يمنعهم من العطاء ما داموا غير متمردين عسكرياً، وكانت آخر وصاياه: «لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»[1].

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ٥: ٧٨.

الفصل الثاني

المصلحة الاسلامية ووحدة المسلمين في منهج ائمة أهل البيت عليهم السلام

موقف الامام الحسن عليه السلام من معاوية:

من نقاط الاشتراك بين السنة والشيعة وبقية المذاهب انّ الحسن عليه السلام اختير خليفة من قبل خيار الصحابة والتابعين، وبهذا الاختيار وجبت طاعته من قبل جميع المسلمين وفي جميع الامصار، وكل من رفض طاعته يعتبر عاصياً شاقاً لوحدة المسلمين، ويجب على المسلمين اعادته للطاعة، وقد تمرد معاوية على خلافة الامام فجهز الامام جيشاً لاعادته للطاعة وللحفاظ على وحدة الدولة لكي لا تتمزق الى دولتين: الاولى في العراق والثانية في الشام، ولكنّ الظروف لم تساعد على اخماد التمرد وقد تبدلت لتكون في صالح معاوية أو على الأقل استمرار القتال دون حسم لصالح القضية الاسلامية الكبرى، وقد وجد الامام الحسن عليه السلام في ايقاف القتال والقبول بالصلح مصلحة عليا للاسلام وللمسلمين ووحدة الدولة والامة الاسلامية فآثر الصلح لانه المنسجم مع المصلحة العليا والوحدة الاسلامية.

وأهم مصاديق المصلحة العليا:

اولاً: وحدة الدولة والامة

قال الامام الحسن عليه السلام: «الا وانّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبون في الفرقة».

فالقتال وحسب الظروف لم يكن في صالح الدولة التي يقودها الامام لانّ استمراره سيؤدي الىٰ اراقة الدماء دون حسم أو تراق ولكنّ المستفيد هو القوة المتمردة التي ستستولي علىٰ الدولة دون قيود وشروط، أو يؤدي القتال الى ضعف القوتين وبالتالي تحرك الدول الكافرة لحسم الموقف لصالحها، أو قيام دولتين ضعيفتين، وفي جميع الأحوال فانّ الأمر يؤدي الىٰ ضعف الدولة والوجود الاسلامي وكلاهما خسارة فادحة.

ثانياً: حقن الدماء

قال الامام عليه السلام: « وقد رأيت انّ حقن الدماء خير من سفكها، ولم أرد بذلك الاّ اصلاحكم وبقاءكم»[١].

وقال أيضاً: « انّ معاوية نازعني حقاً هو لي فتركته لصلاح الامة وحقن دمائها... ورأيت انّ حقن الدماء خير من سفكها، واردت صلاحكم وان يكون ما صنعت حجة علىٰ من كان يتمنى هذا الأمر»[٢].

وقد كانت شروط الصلح مصداقاً من مصاديق المصلحة الاسلامية العليا حيث جاء فيها «انّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم، وعلىٰ انّ اصحاب علي وشيعته امنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم»[٣].

والصلح مقدمة للحفاظ على الصفوة الخيرة من المصلحين والمغيرين وعلىٰ الحفاظ على حياة الداعين الىٰ الدين والرسالة، وهذا هو الظاهر من كلام الامام عليه السلام حيث يقول: « انّي خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض،

---

١ ـ كشف الغمة: ١٧٠.

٢ ـ انساب الاشراف ٣: ٤٣.

٣ ـ الفتوح ٤: ٢٩٣.

فأردت ان يكون للدين ناعي»[١].

وقال لحجر بن عدي: «ليس كل الناس يحبّ ما تحبّ ولا رأيه كرأيك وما فعلت إلاّ ابقاءً عليك»[٢].

ومن يتابع الأحداث يجد انّ اوضاع المسلمين الداخلية قد هدأت وانّ المسلمين قد كانوا أحراراً اكثر من عشر سنين وقد كان معاوية يستجيب لمطالب الامام الحسن عليه السلام في الاعفاء عن هذا الشخص أو ذاك، وهو الظاهر من الوقائع التاريخية[٣].

ولم يقدم نظام معاوية على قتل أحد الاّ بعد رحيل الامام الحسن الىٰ الملأ الأعلىٰ، امّا في حياته فلم يتجرأ علىٰ قتل أو سجن أحد من المعارضين وخصوصاً من الشيعة انصار الامام.

ورفض الامام الاستجابة لطلب معاوية في قتال الخوارج موضحاً سياسته في التعامل مع الوجودات الاسلامية المخالفة له، ومبيّناً المصلحة وراء صلحه، ومما قاله: «لو آثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك، فانّي تركتك لصلاح الأمة وحقن دمائها»[٤].

وفي رواية اخرى: « والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين»، وما أحسب ذلك يسعني، فكيف أن اقاتل قوماً أنت أولى بالقتال منهم»[٥].

وفي جميع الأحوال والظروف فانّ الصلح قد تم علىٰ شروط وضعت علىٰ أساس خدمة الاسلام وأهدافه العليا الآنية والبعيدة، وخصوصاً اذا تحولت الىٰ

---

١ ـ بحارالانوار ١٠: ١٠١.
٢ ـ شرح نهج البلاغة ١٦: ١٥
٣ ـ شرح نهج البلاغة ١٦: ١٩٥.
٤ ـ الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٩.
٥ ـ العقد الفريد ١: ١٨١.

واقع ملموس وطبقت من قبل النظام الحاكم وتم الوفاء بها.

موقف الإمام الحسين عليه السلام من معاوية:

تابع الامام الحسين عليه السلام أخاه الامام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية وطبقاً للشروط الموضوعة وقد هدأت الاوضاع الداخلية، وبقي الامام الحسين عليه السلام على عهده لم يعارض معاوية الاّ معارضة سلمية، ورفض جميع المطالب التي تدعوه الىٰ الخروج العسكري على حكومة معاوية، وكتب الىٰ من دعاه للثورة: «اني لأرجو ان يكون رأي اخي رحمه الله في الموادعة ورأيي في جهاد الظلمة رشداً وسداداً، فالصقوا بالأرض واخفوا الشخص واكتموا الهوى واحترسوا من الأظاء ما دام ابن هند حياً، فان يحدث به حدث وأنا حي يأتكم رأيي ان شاء الله»[1].

وكتب الىٰ معاوية كتاباً جاء فيه: «وما اردت لك محاربة، ولا عليك خلافاً».

وفي رواية اخرى: «أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت اليك عنّي امور، لم تكن تظنني بها، رغبة بي عنها، وانّ الحسنات لا يهدي لها، ولا يسدّد اليها الاّ الله تعالى، وأما ما ذكرت أنّه رقى إليك عنّي، فإنّما رقاه الملاقون المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أردت حرباً ولا خلافاً...»[2].

لم يتخذ الامام أيّ موقف مسلح لأنّه يخالف المصلحة الاسلامية العليا لانّ الموقف المسلح سيؤدي الىٰ قتله أو تأسيره وستفقد الامة علماً من أعلام الدين بحاجة اليه في تلك الظروف الحساسة، وسيسيطر معاوية على الحكم بدون

---

١ ـ انساب الاشراف ٣: ١٥٢.

٢ ـ مختصر تاريخ دمشق ٧: ١٣٧.

مراقب ومعارض يوقف الانحرافات أو يصلح الأمور نحو الوضع الأفضل، فبقتله يخسر المسلمون القدوة الصالحة ولهذا فليس من الصالح خروجه بالسيف ولا مصلحة في ذلك، ولهذا رفض الخروج المسلح وان وجد قاعدة مستعدة له، ورفض الثورة للمصلحة لا يعني السكوت أمام الانحراف، فقد استمر الامام بمعارضته للنظام معارضة حقيقية ضاغطة أوقفت كثيراً من الممارسات السلبية والانحرافات الواضحة المعالم سواء كانت صادرة من رأس النظام أو من أجهزته التنفيذية، وقد عاش الامام هدنة حقيقية أراح فيها الأمة من الحرب الداخلية التي لا تحقق نصراً على المدىٰ القريب أو البعيد، واوقف اراقة الدماء التي لا مصلحة في اراقتها في تلك المرحلة الزمنية التي حكمها معاوية.

نهضة الامام الحسين عليه السلام والمصلحة الاسلامية:

من ثوابت الشريعة والمنهج السياسى الاسلامي ان يكون الامام أو الخليفة أو الحاكم الاسلامي فقيهاً عادلاً كفوءاً في تدبير الامور[1]، وهذا الأمر محل اتفاق علماء الشيعة والسنة، وبالذات العدالة فانّها شرط أساسى وخصوصاً اذا كانت الامة قادرة علىٰ الاعتراض وابداء الرأي، وعلىٰ هذا الاساس فانّ تولّي الفاسق وتسلطه علىٰ رقاب المسلمين خلاف للمصلحة الاسلامية، لانّه لا يسعى لتقرير المفاهيم والقيم الصالحة في الواقع ولا يكون المتولي حريصاً علىٰ مصلحة الاسلام العليا، ومن هنا ينبغي عدم الركون لمثل هذا الحاكم وتبديله بغيره، والتبديل محل اتفاق جميع المسلمين ولكنّهم اختلفوا في اساليب التبديل والعزل من حيث تأثيراتها علىٰ الاوضاع العامة وخصوصاً في مسألة اراقة الدماء.

---

١ ـ الاحكام السلطانية: ٦، روضة الطالبين ٧: ٢٦٢، مآثر الاناقة في معالم الخلافة ١: ٣٩، مفتي المحتاج ٤: ١٣٠، نظرية الاسلام وهديه: ٥٧، الاسلام وأوضاعنا السياسية: ١٤٦.

والامام الحسين عليه السلام حينما قاد نهضته المباركة أراد تغيير المفاهيم والقيم الجاهلية التي سادت في عصره، وتغيير الحاكم الذي تولّى الحكم عن طريق الارهاب، وأعلن عن انحرافه عن الاسلام عقيدة وعن الاسلام سلوكاً، وقد أعلن عن كفره صراحة حينما تمثل ببعض الابيات ونفى فيها الوحي والتنزيل كما ورد في جملة من المصادر[١].

وقد صرّح الامام بانّه نهض من أجل اصلاح الاوضاع والسير على نهج جدّه وأبيه، وانّ نهضته فتح: «أمّا بعد فانّه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح»[٢].

وكان لدم الامام الدور الاكبر في ايقاف انحراف الحاكم أو تحجيمه، حيث لم يستطع الاستمرار في تآمره على المنهج الاسلامي، وقد يصح القول انّ الحاكم لم يمنح الامام اي فرصة لاتخاذ موقف آخر، فقد خيره بين البيعة وبين القتل.

ومع هذا الموقف الاّ انّ المتتبع لحركة التاريخ يجد انّ اعداداً كبيرة من الموالين الى الامام الحسين عليه السلام كانوا في مقدمة الجيش دفاعاً عن الدولة وعن ثغور المسلمين.

من سيرة الامام علي بن الحسين عليه السلام:

على الرغم من اشتراك الجيش الاموي في قتل أبيه الاّ انّ هذه الواقعة لم تمنع الامام من الانطلاق في آفاق المصلحة الاسلامية العليا فقد عرف عنه انّه كان يدعو للجيش المرابط بالثغور بالنصر والظفر، لانّ انتصاره سيكون انتصاراً للاسلام لا لشخص الحاكم وسيكون انتصاراً للمفاهيم والقيم الاسلامية بتقريرها في واقع

---

١ ـ المنتظم ٥: ٣٤٣، البداية والنهاية ٨: ١٩٢، شذرات الذهب ١: ٦٩.

٢ ـ بحارالانوار ٤٤: ٣٣٠.

الشعوب المنضوية تحت لوائه.

وقد اشتهر عنه انّه انقذ عبد الملك بن مروان من تهديدات ملك الروم الذي استغل حاجة المسلمين الىٰ النقد لاذلالهم، فاقترح عليه خطة جديدة للنقد انقذت المسلمين من التبعية الاقتصادية[1].

ومن مصاديق الانطلاق في آفاق المصلحة والوحدة الاسلامية انّ الامام لم يفكر باللجوء الىٰ دولة كافرة هروباً أو خلاصاً من ظلم واضطهاد الامويين.

وفي علاقاته داخل المدينة كان لا ينقطع عن الاعمال والمشاريع العامة كصلاة الجماعة وصلاة الجمعة وصلاة العيدين[2] فهو يتحرك في إطار المشتركات بينه وبين الآخرين ويسعى لتوحيد الصفوف ولو ظاهراً من خلال المشاريع أو العبادات التي تؤدىٰ جماعة.

من سيرة الامام محمد الباقر عليه السلام:

كان الامام يوجه اتباعه وانصاره الىٰ اقامة العلاقات مع المخالفين من اتباع السلطان أو من اتباع المذاهب الاخرى ومسايرتهم في نقاط الاختلاف لكي تكون المظاهر واحدة لا توحي بالتمزق والتشتت، وكما يقول: «خالطوهم بالبرانية»[3].

وكان يدخل في حوار هادىء مع الفقهاء من مختلف المذاهب والاتجاهات للوصول الىٰ نقاط الاشتراك والتوجه منها الىٰ العمل المشترك من أجل المصلحة الاسلامية العليا، وكانت له علاقات وثيقة معهم كعبدالله بن الأزرق وقتادة بن دعامة

---

١ ـ مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٢٣٠.
٢ ـ سير اعلام النبلاء ٤: ٣٩٧.
٣ ـ الكافي ٢: ٢٣٤.

البصري وعبدالله بن معمر الليثي[١].

ومن اجل الحفاظ على سلامة العقيدة وسلامة العلاقات الاجتماعية والمذهبية ومن أجل غلق الثغرات أمام المتربصين كان يحارب الغلاة الذين لا يحتمل هدايتهم ومنهم المغيرة بن سعيد العجلي[٢].

وحينما شددت السلطات الاموية على حركة الامام بملاحقة ومتابعة زائريه والداخلين عليه، كان ينيه بعضهم من الدخول عليه حفاظاً عليهم وان كانوا يخالفونه في الرأي والفتوى ومنهم الامام «ابو حنيفة» وهو الذي يقول: « اتيته فسلمت عليه، فقعدت اليه فقال: «لا تقعد الينا يا أخا العراق فانكم قد نهيتم عن القعود الينا»[٣].

وكان يسدّد الحاكم نحو الصلاح ويبدي نصائحه وتوجيهاته القيّمة لكي تكون افكاره وممارساته منسجمة مع الخط العام والاسس العامة للرسالة الاسلامية، وكان عمر بن عبدالعزيز محط نظر الامام لاستجابته للنصائح والارشادات المنطلقة من الامام ومن نصائحه قوله: «واتق الله عز وجلّ يا عمر، وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد المظالم... ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله، «فجثا عمر على ركبتيه ثم قال: ايه يا أهل بيت النبوة» فقال: يا عمر: من اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له»[٤].

وايماناً من عمر باخلاص الامام وتقديمه للمصلحة العليا على غيره كان

---

١ ـ اعيان الشيعة ١: ٦٥٣.
٢ ـ شرح نهج البلاغة ٨: ١٢١.
٣ ـ مختصر تاريخ دمشق ٢٣: ٨٣.
٤ ـ الخصال ١: ١٠٤.

يبعث عليه ليستشيره في بعض اموره[١].

من سيرة الامام جعفر الصادق عليه السلام:

كان الامام الصادق عليه السلام يحث أنصاره واتباعه على المشاركة في صلاة الجماعة والجمعة التي تقام من قبل الولاة حفاظاً على الالفة والاخوة وتحقيقاً للوحدة في أحد مجالاتها وهي ممارسة العبادة جماعة فيقول: «من صلّى معهم في الصف الأول كان كمن صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله في الصف الأول»[٢].

وقال ايضاً: «ما من عبد يصلّي في الوقت ويفرغ، ثم يأتيهم ويصلّي معهم وهو على وضوء الأكتب الله له خمساً وعشرين درجة»[٣].

وكان يدعوهم الى تعميق العلاقات مع المخالفين ومشاركتهم في آمالهم والامهم حيث يقول: «كونوا لمن انقطعتم اليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً، صلّوا في عشائرهم وعودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم ولا يسبقونكم الى شيء من الخير فأنتم أولى به منهم»[٤].

وقال: «اوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث واداء الامانة... صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فانّ الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري فيفرّحني ذلك ويدخل عليّ منه السرور وقيل هذا ادب جعفر».

---

١ ـ مختصر تاريخ دمشق ٢٣: ٧٧.
٢ ـ الهداية: ١٠.
٣ ـ المحجة البيضاء ١: ٣٤٣.
٤ ـ الكافي ٢: ٢١٩.

وكانت علاقاته مع ائمة المذاهب قائمة على المحبة والمودة والاحترام المتبادل، وفي ذلك قال مالك بن أنس: «كنت ادخل الى الصادق جعفر بن محمد، فيقدّم لى مخدّة، ويعرف لي قدراً، ويقول: يا مالك انّي احبّك، فكنت اسرُّ بذلك وأحمد الله عليه»[١].

وعلاقاته مع ابي حنيفة وسفيان الثوري علاقات متينة قائمة على اساس التعاون والتآزر من أجل تحقيق الأهداف المشتركة العليا، ولم يحدث تنافر ولا تباعد بين اتباعهما، وكانوا جميعاً متوجهين نحو الافاق العليا تتقدم خطاهم نحو مصلحة الاسلام.

ومن اجل انهاء مظاهر الاضطراب الفكري والبلبلة العقائدية وقف الامام موقفاً حازماً تجاه الغلاة فحاربهم ولعنهم[٢].

وكان ينهى أنصاره عن توسيع دائرة الخروج المسلح على النظام ويجعله محصوراً بفئة معينة لادامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يقاف انحراف الحكام بهذه الحدود وضمن المصلحة الاسلامية العليا، ولا يدعو الى تكثيف الجهاد المسلح لانّه قد يخرج عن حدود المصالح العليا.

قال عليه السلام: «كفّوا ألسنتكم والزموا بيوتكم، فانّه لا يصيبكم أمر تخصّون به أبداً ولا تزال الزيدية لكم وقاءً ابداً»[٣].

وكان ينصح الحكام بما هو صالح لخدمة المصلحة العامة وكان لا ينظر الى شخص الحاكم فليس المهم ان يحكم فلان أو فلان أو الامام، ولكنّ المهم تطبيق المفاهيم والقيم الاسلامية في الواقع، فكان يقول للحاكم العباسي المنصور: «نحن

---

١ ـ بحار الانوار ٤٧: ١٦.
٢ ـ مناقب آل أبي طالب ٤: ٢٣٩.
٣ ـ الكافي ٢: ٢٢٥.

لك أنصار وأعوان ولملكك دعائم وأركان ما أمرت بالمعروف والاحسان وأمضيت في الرعية أحكام القرآن، وارغمت بطاعتك أنف الشيطان»[١].

ومن حرص الامام علىٰ سلامة ارواح المسلمين وان كانوا مخالفين للامام أو معادين له، سأله محمد بن قيس: عن الفئتين من أهل الباطل أبيعهما السلاح، فقال: بعهما ما يكنهما: الدرع والخفتان والبيضة ونحو ذلك»[٢].

من سيرة الامامين: موسى الكاظم وعلي الرضا عليهما السلام:

علىٰ الرغم من ظروف الارهاب التي احاطت بالامام موسىٰ الكاظم عليه السلام من ملاحقة ومضايقة وسجن وتهديد بالقتل الاّ انّ الامام كان ينطلق علىٰ ضوء المصلحة الاسلامية فلم ينقطع عن الأحداث وعن المواقف الوحدوية كالعبادات التي تؤدىٰ جماعة، فكان يتهيأ للمشاركة في صلاة الجمعة منذ يوم الخميس، وفي رواية كان يقول لأصحابه: «انكم تتسابقون الىٰ الجنة علىٰ قدر سبقكم الىٰ الجمعة»[٣].

وكان الامام علي الرضا عليه السلام كثير النصح للحاكم العباسي المأمون بما فيه صلاح الاسلام والمسلمين، فقد صدرت منه توجيهات قيمة في كيفية ادارة البلدان المفتوحة[٤] وبما ينسجم مع المصلحة الاسلامية العليا وللحيلولة دون حدوث تصدع في الجبهة الداخلية.

ومما قاله للمأمون: «اتق الله فى امة محمد، وما ولاّك من هذا الأمر ونصبك به

---

١ ـ بحار الانوار ١٠: ٢١٨.
٢ ـ تحف العقول: ٢٧٩.
٣ ـ الشافي ٢: ١٩.
٤ ـ عيون اخبار الرضا ٢: ١٦٠.

، فانك قد ضيعت أمور المسلمين، وفوضت ذلك الىٰ غيرك»[١].

ومن أجل المحافظة على وحدة الدولة الاسلامية ومنعها من التفكك والتصدع بفتن داخلية نابعة من حب التسلط وحب الزعامة كان ينصح المأمون ويرشده الىٰ اتخاذ الموقف المناسب تجاه الاحداث والاشخاص، فقد اخبره بانّ هنالك مؤامرة لقتله تدبر له في الخفاء بعد ان اطلع الامام علىٰ تفاصيلها.

وكان التعاون بين المسلمين علىٰ اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، والدعوة الىٰ جعل المصلحة الاسلامية العليا ووحدة المسلمين هي الحاكمة علىٰ الافكار والعواطف والممارسات، وكانوا يوجهون انصارهم نحو الافاق العليا المشتركة والتعالي علىٰ الاطر الضيقة والتعامل مع الفواصل في حدودها الجزئية التي لا تمنع من اللقاء والاجتماع، وقد شهد لهم القاصي والداني بالاخلاص والنصيحة للدين وللدولة وللمسلمين.

* * *

١ ـ بحار الانوار ٤٩ : ٨٤.

الفهرست

المقدّمة

الفصل الاول:

المصلحة الاسلامية ووحدة المسلمين في منهج الامام علي

الاعتراض السلمي على نتائج السقيفة

البيعة والوحدة الاسلامية

موقفه من المحّرضين ضد الخليفة

اخماد الفتنة بين المهاجرين والأنصار

الدفاع عن الدولة الاسلامية

اسناد الدولة وحل المسائل المستعصية

استخلافه على المدينة في عهد الخليفة الثاني

الاخلاص في النصيحة والمشورة

المجال العسكري

المجال القضائي

مجال الثروة

ترشيد سيرة الدولة والاخلاص في المشورة

التعاون الميداني

مراعاة الوحدة في الموقف من الشورى

التعاون الميداني

مراعاة المصلحة الاسلامية والوحدة في أجواء الفتنة

مراعاة المصلحة والوحدة في أجواء الحصار
الحفاظ على وحدة الخلافة
مراعاة المصلحة والوحدة الاسلامية في حرب الجمل
مراعاة المصلحة والوحدة الاسلامية في حرب صفين والنهروان

الفصل الثاني:
المصلحة الاسلامية ووحدة المسلمين في منهج أئمة أهل البيت
موقف الامام الحسن عليه السلام من معاوية
موقف الامام الحسين عليه السلام من معاوية
نهضة الامام الحسين عليه السلام والمصلحة الاسلامية
من سيرة الامام علي بن الحسين عليه السلام
من سيرة الامام محمد الباقر عليه السلام
من سيرة الامام جعفر الصادق عليه السلام
من سيرة الامامين: موسى الكاظم وعلي الرضا عليهما السلام

أهل البيت عليهم السلام
نقطة التقاء المسلمين

الدكتور زهير سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

سنتناول في هذه المقالة سرداً لهيكلية الوجود الحقيقي لأهل البيت عليهم السلام، وأهمية هذا الوجود، والوظيفة الموكلة له، وهل أن هذه الوظيفة عفوية جاءت بناء على المسؤولية الاسلامية الملقاة في رقبة كل مسلم؟ أم انّها وظيفة الهية جعلها الله تعالى لمصلحة الدين وبناء الرسالة وحمايتها من اعدائها، وتثبيتها وترسيخها في الحياة حتى ولو في أذهان وعقول مجموعة صغيرة بحيث تبقى محافظة على حقيقة الاسلام ونصوعه باعتباره الرسالة الخالدة والخاتمة للرسالات السماوية.

لقد اعتمدنا لهذا السرد الأساس القرآني والنص الحديثي الذي يؤيده المسلمون أنفسهم عن مصادر الكتاب والحديث.

وقبل أن نبدأ بالحديث والبحث في هذا الموضوع لا بدّ من التعريف بأهل البيت أو معرفة من هم أهل البيت. ولذا سيكون منهج البحث كالآتي:

المدخل ـ من هم أهل البيت؟

ـ بالدليل القرآني.

ـ بدليل السنّة المطهرة.

ـ بناءً على ما جاء في سيرة السلف الصالح.

المبحث الأول ـ ماذا نقصد بنقطة الالتقاء؟

المبحث الثاني ـ أهل البيت مرجعية اسلامية عليا وقيادة متميزة.

ـ تأكيد القرآن.

ـ تأكيد السنّة.

ـ محل قبول كل المسلمين.

ـ أهل البيت لا يصدر عنهم الكذب.

المبحث الثالث ـ الحكمة الالهية تجمع البشر على المحبة وتوحدهم على الاصلاح.

ـ مبغض أهل البيت لا يعد من المسلمين.

المبحث الرابع ـ مناسبات أهل البيت مناسبات اسلامية وهي ركيزة للّقاء والوحدة.

ـ احياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام.

ـ الولاء لهم.

ـ دراسة حياتهم.

المدخل

من هم اهل البيت؟

قبل الشروع بالبحث لا بد من تحديد مفهوم أهل البيت، وليتني تركت بحث هذا الموضوع لأن أهل البيت عليهم السلام أصبحوا حقيقة لا يشك فيها أحد الاّ المكابرون والنواصب، والاّ فما معنىٰ عدم قبول الصلاة بدون الصلاة عليهم، كما يصور ذلك شعراً الامام محمد بن ادريس الشافعي بقوله:

يا آل بيت رسول الله حبكم — فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الشأن أنكم — من لم يصل عليكم لا صلاة له

أليس هم قربىٰ النبى الكريم الذي به اهتدينا الىٰ الصراط المستقيم؟ وحتىٰ يكون البحث متكاملاً ارتأيت أن امرّ ـ ولو سريعاً ـ علىٰ سرد ما يتعلق بهذا الموضوع. علماً بأنني لم أفرد له مبحثاً خاصاً به لأتحدث عنه تفصيلاً بل جعلته مدخلاً للبحث.

فمفهوم أهل البيت عليهم السلام جاء فى القرآن الكريم بنص آية التطهير كما هو متعارف عليها: ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً*﴾.

فقد كاد أن يقع إجماع المفسرين علىٰ أن أهل البيت المقصودين هم:

علي بن أبى طالب

فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وآله

الحسن المجتبىٰ سبط النبي صلى الله عليه وآله

الحسين الشهيد سبط النبي ﷺ

وللدقة في الموضوع نستشهد ببعض هذه التفاسير المعتمدة:

١ ـ ففي تفسير الطبرى وتفسير السيوطي، عن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة. ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً*﴾»[١].

وعن عطية عن أبى سعيد الخدري عن النبي ﷺ فى قوله تعالىٰ: ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً*﴾ قال: جمع رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم أدار عليهم الكساء، فقال: «هؤلاء أهل بيتي. اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» وأم سلمة علىٰ الباب، فقالت: يا رسول الله ألست منهم؟ فقال: «انك لعلىٰ خير» أو: «الىٰ خير»[٢].

وعن أبي أيوب الصيرفي، قال: سمعت عطية العوفي يذكر أنه سأل أبا سعيد الخدري عن قوله تعالىٰ: ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً*﴾ فأخبره أنها نزلت في رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٣].

وعن أبى داود عن أبى الحمراء، قال: رابطت المدينة سبعة أشهر علىٰ عهد النبي ﷺ. [فـ]ـقال: رأيت النبي ﷺ إذا طلع الفجر جاء الىٰ باب علي وفاطمة

---

١ ـ تفسير الطبري ٢٢ / ٦.

٢ ـ شواهد التنزيل: ٢ / ٣٨ / ٦٥٧، تاريخ بغداد ١٠ / ٢٧٨ وغيرهما.

٣ ـ أسباب نزول القرآن ٣٦٨ / ٦٩٦، تاريخ دمشق (ترجمة الامام الحسين عليه السلام) ٧٥ / ١٠٨.

فقال: «الصلاة الصلاة، ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً*﴾»[١].

وفي المناقب للخوارزمي: نقل عبدالرحمن بن أبي ليلى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: «أنا أول من يدخل الجنة وأنت بعدي تدخلها والحسن والحسين وفاطمة.. اللهم إنهم أهلي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم اكلأهم وارعهم وكن لهم، وانصرهم وأعنهم وأعزّهم ولا تذلهم، وأخلفني فيهم، إنّك على كل شيء قدير»[٢].

وجاء عن انس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج الى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾[٣].

كما جاء في شواهد التنزيل نقلاً عن ابن ابي عتيق عن جابر بن عبدالله: أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً وأبنيه وفاطمة فألبسهم من ثوبه ثم قال: اللهم هؤلاء أهلي هؤلاء أهلي»[٤].

وكذلك نقل عن جابر بن عبدالله الأنصاري قوله: كنت عند النبي في بيت أم سلمة، فأنزل الله هذه الآية ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾ فدعا النبي صلى الله عليه وآله بالحسن والحسين وفاطمة وأجلسهم بين

---

١ ـ تفسير الطبري ١٢ الجزء ٢٢ / ٦ الفصل الرابع: تسليم النبي على أهل البيت وتخصيصهم بالأمر بالصلاة.

٢ ـ المناقب للخوارزمي: ٦٢ / ٣١.

٣ ـ راجع: سنن الترمذي ٥ / ٣٥٢ / ٣٢٠٦، مسند ابن حنبل ٤ / ٥١٦ / ١٣٧٣٠، فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ / ٧٦١ / ١٣٤٠ و ١٣٤١، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٧٢ / ٤٧٤٨.

٤ ـ المصدر ٢ / ٢٨ / ٦٤٧.

يديه، فدعا علياً فأجلسه خلف ظهره وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ فقال لها: إنك على خير. فقلت: يا رسول الله، لقد اكرم الله هذه العترة الطاهرة والذرية المباركة بذهاب الرجس عنهم، قال: يا جابر لأنهم عترتي من لحمي ودمي. فأخي سيد الأوصياء، وابنىّ خير الأسباط وابنتي سيدة النسوان، ومنا المهدي»[١].

كما جاء فى صحيح مسلم عن يزيد بن حيّان عن زيد بن أرقم بعد ذكر حديث الثقلين: انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله (وعترتى) وأهل بيتي. فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، وأيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل المصر من الدهر ثم يُطلّقها فترجع الىٰ أبيها وقومها، أهل بيته أصله، وعصبته الذين حُرِمُوا الصدقة بعده»[٢].

وعن ابن لهيعة: حدّثنى عمرو بن شعيب أنه دخل على زينب بنت أبي سلمة فحدّثتهم أن رسول الله ﷺ كان عند أم سلمة فدخل عليها بالحسن والحسين وفاطمة. فجعل الحسن من شقّ. والحسين من شقّ، وفاطمة في حجره، ثم قال: ﴿*رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد*﴾[٣].

ولقد نقل أحاديث النبي ﷺ التى تتعلق بفضائل أهل البيت عليهم السلام البعيد والقريب وحتىٰ من مال بوجهه عنهم فلم يستطع أخفاء فضائل أهل البيت عليهم السلام صراحة وعلناً.

---

١ ـ اهل البيت بالكتاب والسنة ـ محمد الري الشهري ص ٤٣ عن كفاية الأثر فى النص علىٰ الأئمة الاثني عشر، لأبي القاسم علي بن محمد بن علي القمي (القرن الرابع الهجرى).

٢ ـ صحيح مسلم: ٤ / ١٨٧٤ / ٣٧.

٣ ـ راجع المعجم الكبير: ٢٤ / ٢٨١ / ٧١٣. والآية رقم ٧٣ من سورة هود.

فهذا سعد بن أبى وقاص[1] الصحابي الكبير الذي يعتبر من المسلمين الأوائل وممن هاجر الىٰ المدينة وشارك فى حروب النبي صلى الله عليه وآله.. نعم، نقل احاديث عن النبي صلى الله عليه وآله في حق أهل البيت وهوية أهل البيت رغم قلتها..

فقد روىٰ سعد بن ابى وقاص قال: قال رسول الله: لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك» مخاطباً علياً.

في حديث: «لا يدخل المسجد جنباً غير النبي وعلي» كما نقله صاحب كتاب «جامع المسانيد والسنن فى الجزء الخامس صفحة ١٢٨».

كما جاء في ترجمة الامام علي لابن عساكر في الجزء الأول صفحة ٢٠٧، في حديث أهل البيت ـ المباهلة مع نصارىٰ نجران... عن سعد قال: لما نزلت هذه الآية ﴿*فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم...*﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة

---

١ ـ سعد بن ابى وقاص هو سعد بن مالك بن أهيب من قريش الذي عاش ثمانين عاماً بعد أن توفى عام ٥٢ هـ أو ٥٨ هـ وصلىٰ عليه مروان بن الحكم والي المدينة آنذاك ودفن في البقيع وخلف وراءه ثروة تقدر بربع مليون درهم. كان أحد الشورىٰ الستة الذين جعلهم الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وقد طمع بالخلافة لنفسه بعد أن رأىٰ كثرة الطالبين بها وهو يعد نفسه مثلهم بل لم يكونوا بأفضل منه. وعندما صارت الأمور للامام علي بن أبى طالب كرم الله وجهه لم يبايع ولم ينصر الامام عليه السلام مع علمه بمكانة علي ومنزلته من النبي صلى الله عليه وآله وبعد شهادة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام واستتباب الأمور لمعاوية ابن أبى سفيان. بايع معاوية وما سأله شيئاً الا اعطاه، وتمرّ الأيام ويذهب سعد وافداً للشام على معاوية ليستمع اليه يؤنبه ويبكته ويهينه. وهو أمر غريب من سعد أن يفد على معاوية الذي كان يتمنّى يوم فتح مكة نظرة عطف من سعد ورفاقه. علماً بأن سعد بن أبى وقاص ممن حضر السقيفة وسار علىٰ نهجها وعظّم وقدر فى زمن الخليفتين الأول والثانى (رض) وعين والياً على الكوفة حتىٰ جاء الخليفة عثمان بن عفان فعزله عن ولاية الكوفة فبنى له قصراً بالعقيق قرب المدينة اعتزل به (راجع البداية والنهاية ٨ / ٧٨، ٧٩، ٨٠. كذلك دائرة المعارف الاسلامية ١ / ٣٠ ـ ٣١.

وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي»[١].

وعن سعد نفسه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهلي»[٢].

ثم يقول سعد بن أبى وقاص «نزل على رسول الله ﷺ الوحي فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه وقال «اللهم هؤلاء أهل بيتى»[٣].

ويذكر سعد بن أبى وقاص حديث «سد الابواب وترك باب علي، حيث قال سعد «إنّ رسول الله سد أبواب الناس وفتح باب على فقال في ذلك للناس: ما أنا فتحته ولكن الله فتحه»[٤].

كما قال سعد: «أمر رسول الله بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي»[٥].

وكذا عن سعد بن أبى وقاص قال: «أخرج رسول الله عمه العباس وغيره من المسجد فقال العباس: تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن علياً؟ فقال: ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه»[٦].

وقال سعد أيضاً: «قال رسول الله في علي بن أبى طالب ثلاث خصال وذكر حديث الطير»[٧].

---

١ ـ ترجمة الامام علي لابن عساكر ١ / ٢٠٧.
٢ ـ المصدر السابق ص ٢٠٨.
٣ ـ المصدر، ص ٢١٠.
٤ ـ راجع جامع المسانيد والسنن: ٥ / ١٢٨.
٥ ـ المسند الجامع ج ٦ ص ١٣٠.
٦ ـ ترجمة الامام علي لأبن عساكر، ١ / ٢١٤.
٧ ـ راجع سنن الترمذى ٥ / ٥٩٥ الحديث ٣٧٢١. «وكان عند رسول الله طير فقال: اللهم

إن أحاديث النبي الكثيرة التي قالها بحق علي بن أبي طالب عليه السلام لا يمكن الاتيان بها كلها في هذا البحث المختصر، وانّ ما أنقله ما هو الاّ بعض الأمثلة لذلك.. وأنا أنقل الأحاديث عن طريق المدرسة الصحابية إذا صح التعبير وليس عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وقبل ان اترك سعد بن أبي وقاص أنقل له هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله حيث قال سعد: سمعت رسول الله يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فتطاولنا فقال: أدعوا لي علياً فأتي به أرمد. فبصق في عينيه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه»[1].

كما نقل الحديث في المسند الجامع عن سعد بن أبي وقاص نفسه قال: سمعت رسول الله يقول لعلي: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله»[2].

وفي هذا المجال روايات متعددة بأعمال أنيطت بعلي من قبل الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله لا يسع الآن نقلها...

وينقل سعد عن النبي أنه قال لعلي: «أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ»[3].

وفي حديث آخر عن الحرث بن مالك. قال: أتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص، فقلت، هل سمعت لعلي منقبة؟ قال: قد شهدت له أربعاً لأن تكون لي واحدة منها أحبّ اليّ من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح. وذكر الحديث «ان رسول الله بعث أبا بكر ببراءة الىٰ مشركي قريش فسار بها يوماً وليلة ثم قال لعلي:

ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل معه.»

١ ـ ابن عساكر ـ ترجمة الامام علي ١ / ٢٠٧.

٢ ـ المصدر ٦ / ١٢٩.

٣ ـ جامع المسانيد والسنن ٥ / ١٢١.

أتبع أبا بكر فخذها وبلّغها، ورد عليّ أبا بكر، فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله أنزل فيّ شيء؟ قال: لا، الاّ خيراً الاّ أنّه ليس يبلّغ عني الاّ أنا أو رجل مني أو قال: من أهل بيتي»[١].

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تَسبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب اليّ من حمر النعم ـ سمعت رسول الله يقول له: [وقد] خلّفه في بعض مغازيه. فقال له عليّ: يا رسول الله، خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله: أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ الاّ أنه لا نبوة بعدى»[٢].

وفى نفس المصدر يكرر الحديث نقلاً عن سعد بن أبى وقاص قال: «خلف رسول الله علي بن ابي طالب في غزوة تبوك فقال: تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ غير أنه لا نبي بعدى»[٣].

وبنفس الراوية بلفظ «بمنزلة هارون من موسىٰ الاّ النبوة»[٤].

ويقول سعد وهو ممن عاش مع علي والرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وعرفهما وفهم موقع علي في الاسلام ومنزلته من الرسول. ومنزلة أهل البيت عليهم السلام، وهو يقسم قسماً شرعياً ويقول: اما والله إني لأعرف علياً، وما قال له رسول الله. أشهد أنه قال لعلي يوم غدير خم ونحن قعود فأخذ بضبعه ثم قال: أيها الناس من مولاكم؟ قالوا:

---

١ ـ ترجمة الامام علي لابن عساكر ١ / ٢١٤.
٢ ـ المسند الجامع ٦ / ١٢٦ ـ ١٢٧.
٣ ـ المصدر السابق ٦ / ١٢٧.
٤ ـ المصدر السابق ٦ / ١٢٨.

الله ورسوله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم عاد من عاداه ووال من والاه»[١].

كما نقلت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، قالت: سمعت أبي يقول: «سمعت رسول الله يوم الجمعة فأخذ بيد علي فخطب فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: أيها الناس إني وليكم قالوا: صدقت يا رسول الله، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا وليّي ويؤدي عني ديني وأنا موالي من والاه ومعادي من عاداه»[٢].

وأيضاً نقلت عائشة بنت سعد هذه في مورد آخر عن أبيها سعد بن أبي وقاص قالت: قال: كنا مع رسول الله بطريق مكة وهو متوجه اليها، فلمّا بلغ غدير خم وقف للناس ثم ردّ من تبعه ولحقه من تخلف، فلما اجتمع الناس اليه قال: أيها الناس من وليكم؟ قالوا: الله ورسوله ثلاثاً، ثم أخذ بيد علي فأقامه ثم قال: من كان الله ورسوله وليّه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[٣].

---

١ ـ ترجمة الامام علي لابن عساكر ١ / ٢١١.
٢ ـ المصدر السابق ١ / ٢١٢.
٣ ـ راجع الغدير الجزء الاول، ص ٣١.

المبحث الأول

ماذا نقصد بنقطة الالتقاء:

نقطة الالتقاء هي مركز اجتماع الأطراف المتفرقة أو هدف التقاء الخطوط المتباعدة.. ولهذا نقصد بالتقاء المسلمين جميعاً على اختلاف مذاهبهم ومواردهم وتوجهاتهم واجتهاداتهم وتفاسيرهم في دائرة أهل البيت، وأهل البيت عليهم السلام هم المركز الناطق لالتقاء المسلمين وتقاربهم مع بعض؛ لأنه يمكن أن يختلف المسلمون حول الصحابة الذين علا بعضهم الى درجات عالية جداً ليكون من الصالحين والشهداء وحسن اولئك رفيقاً وهبط بعضهم الى ما دون ذلك.. أما في أهل البيت عليهم السلام فلم يختلف بهم أحد من المسلمين، حتىٰ من حاربهم وقاتلهم لم يستطع إخفاء حقيقتهم وكتم فضائلهم ومناقبهم.

لذا فإننا نقصد بنقطة الالتقاء:

● **الاجتماع** ... أي أن الأمة تجتمع عليهم، تجتمع على سلوكهم وعلمهم ومدرستهم، وكونهم منبعاً ثرّاً لغيرهم.

يقول ابن أبي الحديد في مقدمة شرحه لنهج البلاغة: «وما أقول في رجل تعزىٰ اليه كل فضيلة وتنتهي اليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة. فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها كل من برز فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلىٰ مثاله احتذى».

ويقول محمد بن طلحة الشافعي في الامام الحسن المجتبىٰ عليه السلام: كان الله عز وجل قد رزقه الفطرة الثاقبة في إيضاح مراشد ما يعانيه. ومنحه النظرة الصائبة لاصلاح قواعد الدين ومبانيه، وخصه بالجبلة التي درت لها أخلاف مودتها بصور

العلم ومعانيه[١].

أما الزهري فيقول: ما رأيت أفقه من زين العابدين وكان اذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول: زين العابدين[٢].

وقال عبدالله بن عطاء المالكي: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين عليه السلام ولقد رأيت الحكم بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنه صبي بين يدي معلّمه[٣].

وقد قال الأستاذ محمد صادق نشأت المصري الأستاذ في آداب جامعة القاهرة ـ وهو يصف دار الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ـ: «كانت كجامعة كبيرة تموج بالحكماء وأهل العلم يجيب أسئلتهم ويحل مشاكلهم دون التفات الى نحلهم ومذاهبهم أو فروقهم ومقاصدهم، وقد جمع أصحابه المقربون اليه دروسهم في أربعمائة كتاب وسموها الأصول الأربعمائة»[٤].

وجاء في الصواعق المحرقة لابن الهيثمي[٥] وهو يقول في الامام الصادق عليه السلام: جعفر الصادق نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الكبار كيحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانيين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السختياني.

وذكر عبدالقادر احمد يوسف وهو يتحدث عن الامام الرضا علي بن موسى «وتاريخ الامام حافل بجلائل الاعمال، فمن علم لا يدرك مداه وعصمة متوارثة

---

١ ـ من حياة أهل البيت ـ محمد علي التسخيري، ص ٧٢. عن مطالب السؤول، ص ٦٥.
٢ ـ المصدر السابق عن تذكرة الخواص ص ١٨٦.
٣ ـ المصدر السابق ص ٧٣.
٤ ـ أشعة من حياة الامام الصادق، ج ٣ / ص ٥٨.
٥ ـ المصدر ص ١٩٩.

وقدسية لا تضارعها قدسية في عصره...»[١].

أما محمود بن وهب البغدادي الحنفي فقد قال عن الامام محمد الجواد ابن الامام الرضا عليه السلام: وهو الوارث لأبيه علماً وفضلاً وأجل أخوته قدراً وكمالاً[٢].

ويقول بختيشوع الطبيب في الامام العسكري: هو أعلم في يومنا هذا بمن هو تحت السماء[٣].

لقد كانت الأمة تعزّهم صلوات الله عليهم وتجلهم وتكرمهم وتعتبر حديثهم الصدق وعملهم الصحيح..

وإحدىٰ الشواهد على ذلك قصة هشام بن عبدالملك الخليفة الأموي والمرشح لان يكون ملكاً كيف تضايق من الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام حينما شاهد الشامى تفرج له الطريق ليؤدي المناسك وهو الأمير وأخو الحاكم المطلق ورغم حرسه وحشمه لم يهتم به المسلمون والحاجون وقد رد على هشام بن عبدالملك حينما سأل عن الامام عليه السلام الشاعر المعروف الفرزدق بقصيدة عصماء كادت الحمىٰ تصيبه، حيث قال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

الى أن يقول:

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

---

١ ـ الامام الرضا، ص ١.

٢ ـ التسخيري ـ المصدر ص ٧٣ عن جوهرة الكلام ـ ص ١٤٧.

٣ ـ المصدر السابق ص ٧٣.

وهاهم المناوؤن لأهل البيت عليهم السلام والغاصبون لحقهم يعترفون بفضلهم وإمامتهم...

فهذا المأمون العباسي يتعجب من أبيه عندما دخل الامام موسى بن جعفر عليه السلام على والده الرشيد ـ وهو باصطلاح الدول امبراطور الدنيا في زمانه ـ قام الرشيد واستقبله وأجلسه في صدر المجلس وقعد بين يديه وجرىٰ بينهما أشياء، ثم قال موسى بن جعفر (الكاظم) للرشيد ـ كما ينقل المأمون حيث يقول: لـ (أبي) ـ يا أمير المؤمنين! إن الله عز وجل قد فرض على ولاة عهده أن ينعشوا فقراء الأمة ويقضوا على الغارمين، ويؤدوا عن المثقل، ويكسوا العاري، ويحسنوا الى العاني، وأنت اولى من يفعل ذلك. فقال: افعل يا أبا الحسن. ثم قام فقام الرشيد لقيامه، وقبّل ما بين عينيه ووجهه. ثم [نادىٰ] عليَّ وعلى الامين والمؤتمن فقال: يا عبدالله، ويا محمد، ويا ابراهيم امشوا بين يدي ابن عمكم وسيدكم. خذوا بركابه، وسوّوا عليه ثيابه، وشيعوه الى منزله.

وعندما يأخذ المأمون العجب يسأل والده بلهفة عن سرّ هذا الرجل. فيجيبه: هذا امام الناس[1].

وحسبك استقبال خراسان في بلاد فارس والبلاد التي مرّ بها الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في سفره الى خراسان. فقد خرجت الناس عن بكرة أبيهم.... وغير ذلك كثير...

لقد اجتمع الناس قلباً عليهم جميعاً دون ادنى شك. لكن أعمال الحاقدين والحاسدين والمنافقين تعمل ما يحقق مصالحها. ولو أردنا الإطالة لطال بنا المقام.

● **التوافق**... ونقصد بذلك أن الأمة تتفق عليهم.. وإلاّ ما معنى أن البعيد

---

١ ـ المصدر السابق ص ٦٣ عن الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ٣٤١، رقم ٢٧٢.

والقريب والمحب والمبغض يؤيدهم ولا يستطيع أن يقدح بهم أو يشك في طهارتهم فقد أخرج الديلمي وهو من علماء السنة في مسند الفردوس عن النبي ﷺ قال: «كنت أنا وعلي نورين بين يدي الله تعالى ثم نقلنا الى صلب آدم، فلم يزل ينقلنا من صلب الى صلب، الى عبدالمطلب فخرجت في عبدالله وخرج علي في أبي طالب ثم اجتمع نورنا في الحسن والحسين فهما نوران من نور رب العالمين».

ويفسر المفسرون أن أهل البيت عليهم السلام هم الصالحون الذين طلب الأنبياء اللحوق أو اللحاق بهم. كما ينقل الشيخ الأزهري حسن شحاته؛ فهو يقول: (لقد اسعفنا القرآن بهذه الحقيقة ـ وهي: أن أهل البيت لا يعلوهم في المقام الا رسول الله محمد ﷺ، فهم أفضل من جميع الخلق بعد ذلك ـ فكبار المرسلين طلبوا من الله اللحوق بالصالحين. كما جاء في دعاء الخليل ابراهيم ﴿*رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين*﴾، والصديق يوسف ﴿*توفني مسلماً وألحقني بالصالحين*﴾ وسليمان الحكيم ﴿*وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين*﴾).

ثم يردف ويقول امام مسجد الرحمن بمنطقة كويري الجامعة فضلاً عن تاريخه في حرب رمضان ضد الصهاينة ووظائفه في الجيش وغير ذلك. يقول: (واعلم أنّ وصف «الصالحين» إذا ذكر في القرآن فالمراد به المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام وكذلك وصف «الأولياء» فهم أولياء الله لا غيرهم وقد توسل بهم الأنبياء جميعهم والمرسلون كلّهم... فالدين الصحيح خرج من بيتهم والعلم الصحيح نطقت به ألسنتهم والصراط المستقيم ثبتت عليه أقدامهم والبصيرة الصحيحة انطوت عليها قلوبهم. جسدهم جسد النبي وعقلهم عقل النبي ولسانهم

لسان النبي وأعضاؤهم اعضاء النبي صلى الله عليه وآله واحكامهم احكام النبي)[١].

● **المحبة**... فالأمة تقر بمحبتهم... ولا أريد الاطالة هنا إلاّ أن انقل بعض الاحاديث حيث يذكر العلامة الشيخ جلال الدين السيوطي في كتابه «احياء الميت بفضائل أهل البيت عليهم السلام» حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله يقول: أخرج البخاري[٢] في تاريخه عن الحسن بن على «رضى الله عنهما» قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكل شيء أساس وأساس الأسلام حب أصحاب رسول الله وحب أهل بيته»[٣]..

أمّا القرآن الكريم فيخاطبنا فيه ربنا سبحانه بقوله ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً الاّ المودة في القربىٰ*﴾.

ونقل الامام الثعلبي عن جرير بن عبدالله البجلي من حديث مفصل عنه صلى الله عليه وآله جاء فيه «ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له. ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً».

وجاء عن الزهري قال «سمعت أنس بن مالك يقول: والله الذي لا اله الا هو سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب عليه السلام»[٤].

وقد قال فيهم أحدهم:

هم النور نور الله جل جلاله ... هم التين والزيتون والشفع والوتر
مهابط وحي الله خزان علمه ... ميامين في أبياتهم نزل الذكر

---

١ ـ حديث للشيخ حسن فقيه الشيخ الازهري المصري نشر في مجلة المنبر ع: ١١ محرم ١٤٢٢.

٢ ـ في نسخة الظاهرية: ابن النجار ص ٣.

٣ ـ المصدر ص ٢٧.

٤ ـ التسخيري، مصدر سابق عن العمدة ـ لابن بطريق، ص ٣٧٠.

فلولا هم لم يخلق الله آدماً ولا كان زيد في الوجود ولا عمرو
ولا دحيت أرض ولا رفعت سما ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر

● **الهدف**... إن الامة تأخذ بقول نبيها لتجعل من أهل بيته الهدف للرضا والشفاعة. فقد جاء في تاريخ بغداد ان النبي صلى الله عليه وآله قال: شفاعتي لأمتي من أحبّ أهل بيتي وهم شيعتي[1].

كما قال صلى الله عليه وآله: الزموا مودتنا أهل البيت فإنّه من لقي الله يوم القيامة وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا»[2].

● **الثقة**... إنّ الأمة تثق بهم وتسمع قولهم وتصدق حديثهم وعند مراجعتنا لكتب الحديث لوجدنا الأحاديث المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام.

وأجمل ما جاء هو ما قاله الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حول أحاديث أهل البيت عليهم السلام بقوله: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عز وجل»[3].

كما أن أهل البيت عليهم السلام جعلوا ضوابط لأحاديثهم فعن الباقر عليه السلام قال: انظروا أمرنا وما جاءكم عنا فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده وردوه الينا حتى نشرح لكم من

---

١ ـ تاريخ بغداد: ٢ / ١٤٦.
٢ ـ المعجم الأوسط ٢ / ٣٦٠ ـ ٢٢٣ عن ابن أبي ليلى.
٣ ـ أصول الكافي ـ الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٣، ٥٨.

ذلك ما شرح لنا»[١].

وورد عن الامام الصادق عليه السلام قوله عن الرسول صلى الله عليه وآله قال: خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنىٰ فقال: ايها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله[٢].

وقال عليه السلام «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله. وإلاّ فالذي جاءكم به أولىٰ به»[٣].

وقال عليه السلام أيضاً «إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه»[٤].

● **الاحترام**... إنّ الأمة تحترم شخصيتهم من جهة وتحترم رأيهم من جهة ثانية.

فقد جاء في كتاب ينابيع المودة عن سلمان الفارسي قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فلما نظر اليّ قال: يا سلمان، إن الله عز وجل لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا جعل له اثني عشر نقيباً... قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، ما لمن عرف هؤلاء؟ فقال: يا سلمان. من عرفهم حق معرفتهم واقتدىٰ بهم، فوالىٰ وليهم وتبرأ من عدوهم فهو والله منّا، يرد حيث نرد، ويسكن حيث نسكن[٥].

● **الصدق**... وهو أن الأمة تصدقهم، يعني أنهم ينقلون الرسالة الصحيحة، ولم نر أحداً مسهم بسوء أو قدح فهم أهل العلم والراسخون بالعلم وهم الذين

---

١ ـ وسائل الشيعة ج ١٨ / ٨٧

٢ ـ أصول الكافي، ج ١، ص ٦٩.

٣ ـ أصول الكافي، ج ١، ص ٦٩.

٤ ـ الوسائل، ج ١٨ / ٨٤

٥ ـ كتاب أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الري شهري ص ٨٣ ـ ٨٤.

يعرفون الكتاب ويتلونه حق تلاوته.

إن نقطة الالتقاء بالمدلول العلمي ضد الافتراق... أي تعني المحاورة والتفاهم إذ ينبغي الافادة من هذا العامل، وذلك بسبب عدم الافتراق والتباعد.

إن نقطة الالتقاء تعنى رضا النبي صلى الله عليه وآله وطاعته.

إن نقطة الالتقاء تعني رضا الله تعالى.

نقطة الالتقاء تعني الافادة من أخلاقهم وزهدهم وتثقيف الناس على أخلاقهم باعتبارهم قدوة أخلاقية وثروة ومصدر مناقبي للأمة. فقد نزل الكثير من القرآن فيهم كما يقول ابن عباس «ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي»[١].

وقال الامام مالك بن أنس يصف الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. «ما رأيت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً»[٢].

وقال الامام أبو حنيفة: «ما رأيت افقه من جعفر بن محمد»[٣].

وقوله أيضاً: «لولا السنتان لهلك النعمان»[٤].

النتيجة:

بعد هذا الذي توصلنا اليه ومن اجل أن نحقق اللقاء الحقيقي عند هؤلاء العظام فيجب على المسلمين ما يلي:

---

١ ـ ابن حجر ـ الصواعق المحرقة، ص ١٢٧، ط القاهرة.

٢ ـ ابن شهرآشوب: المناقب ج ٤، ص ٢٤٨، ط ايران.

٣ ـ المصدر السابق.

٤ ـ الجندي: الامام الصادق ص ١٦٣.

١ ـ ينبغي نشر ثقافتهم.

٢ ـ ينبغي تعليم الجيل محبتهم والاقتداء بنهجهم باعتبارهم الصفوة لتحرير النفس.

٣ ـ ينبغي العمل على جعل قبورهم وآثارهم:

آ ـ مراكز علمية.

ب ـ مراكز سياحية.

ج ـ مزارات يستوصى منهم الفكر والطاعة والعمل.

٤ ـ إصدار ما يبين شخصيتهم وسيرتهم وجهادهم وسلوكهم في محاربة الظلم والطغيان وتثقيف المسلمين جميعاً.

٥ ـ جعل الأئمة من أهل البيت شعلة وقدوة لتحرير الاسلام والوطن الاسلامي من الغاصبين. واستثمار الجانب العاطفي وتذكير المسلمين ما جرى عليهم من الظلم والاذى الفادح من اجل الاسلام وتحرير الانسان المسلم من الطواغيت باعتبارهم نموذج حي بين ظهراني الامة على امتداد تاريخها.

٦ ـ فتح مراكز علمية للبحث بأسمائهم وتسمية جامعات بأسمائهم فالامة تفتخر بعظمائها واحياء مدارسهم كأحياء مدرسة الصادق عليه السلام التي تعتبر أول مدرسة تؤسس في الاسلام.

٧ ـ العمل على تنقية التراث من حقد أعدائهم وكشف ذلك للأمة لتكون على بينة من امرها.

٨ ـ رعاية حقوقهم والتعريف بها، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في هذا المجال قوله «والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله الا بمعرفة حقنا»[١].

---

١ ـ المعجم الاوسط ٢ / ٣٦٠ ـ ٢٢٣٠ عن ابن أبي ليلى عن الحسن بن علي وفي ينابيع المودة ٢ / ٢٧٢ ـ ٧٧٥ عن جابر.

كذلك قوله ﷺ: «سراج المؤمن معرفة حقنا واشد العمى من عمى عن فضلنا»[١].

ونقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله «من مات على فراشه وهو على معرفة حق ربّه ورسوله وحق أهل بيته مات شهيداً. ووقع اجره على الله سبحانه. واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت نيته مقام إصلاته سيفه فإنّ لكل شيء أجلاً لا يعدوه»[٢] كما قال الرسول ﷺ قوله في صحيح مسلم «اذكركم الله فى أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله فى أهل بيتي»[٣].

ثم قول الرسول الأعظم ﷺ «أنشدكم الله في أهل بيتى»[٤].

وأحاديث كثيرة عنه ﷺ لا يسع المجال لردها هنا وردت في رعاية حقوق اهل البيت ومعرفة هذه الحقوق والوفاء بها. فإنها امانة النبي ﷺ في رقبة كل مسلم ومسلمة يجب عليه رعايتها.

فجاء عنه ﷺ «إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي»[٥].

وقوله ﷺ «اللهم أهل بيتي وأنا مستودعهم كل مؤمن»[٦].

وفي حديث عنه ﷺ «من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهدا»[٧].

لقد وردت أحاديث كثيرة في هذا المضمار عسى أن نتحدث عنها في بحث

---

١ ـ جامع الأخبار: ٥٠٥ / ١٣٩٩.

٢ ـ غرر الحكم: ٩٠٦١.

٣ ـ صحيح مسلم ٤ / ١٨٧٣ ـ ٢٤٠٨.

٤ ـ المعجم الكبير ٥ / ١٨٣ / ٥٠٢٧ وكنز العمال ١٣ / ٦٤٠ / ٣٧٦١٩.

٥ ـ المعجم الكبير ٤ / ١٩٢ / ٤١١١ عن خالد بن عرفطة.

٦ ـ تهذيب تاريخ دمشق.

٧ ـ ذخائر العقبى: ١٨ عن عبدالعزيز باسناده. ينابيع المودة: ٢ / ١١٤ / ٣٢٣.

مفصل إن شاء الله تعالى.

٩ ـ التأكيد على نهج البلاغة باعتباره مصدراً إسلامياً كبيراً يحتوي على كلام المعصوم «علي» بعد تحقيقه واخراجه بشكله الناصع. كذلك مواقف الائمة من حكام عصرهم لننظر التأريخ بحقيقته دون التعارف والمجاملة.

١٠ ـ الافادة من تراث الامام زين العابدين لا سيما صحيفته السجادية ونشر ثقافة الدعاء.. دعاء أهل البيت عليهم السلام بين الأمة.

١١ ـ الافادة من دورهم في المجتمع تربوياً وقيادياً.

المبحث الثاني

أهل البيت مرجعية اسلامية عليا وقيادة متميزة:

حينما نراجع التأريخ وعلى مرّ العصور نجد أن هناك في بعض الاحيان السلطة لها وجودان: السلطة العلنية التي يديرها الرئيس أو الملك وسلطة أخرىٰ تلعب من وراء الأستار، وأحياناً السلطتان متمركزة بيد سلطة واحدة.

وفي الاسلام هناك قوة حقيقية وسلطة تملك هذه القوة وإن لم يكن لها حركة لكنها هي الرقيب على مصلحة الإسلام والمسلمين والرقيب على تطبيق أحكام الاسلام وعمل ما يمكن عمله في سبيل ذلك. فالقرآن أشار الى الولي والحاكم والسلطة التي يجب على المسلم الحقيقي والمؤمن الصالح الايمان بها والاعتقاد بها. كما في قوله تعالى ﴿*انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون*﴾[1].

فلا خلاف في نزول هذه الآية بالامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

كما أن أئمة أهل البيت كانت تتوفر فيهم لياقات ومقومات الامامة والقيادة وفق النظرية الاسلامية.

حيث العقلية الاسلامية والنضوج والدليل الشرعي الذي أكدته مدرسة أهل البيت عليهم السلام بل وحتى مدرسة الاجتهاد التي تقابل مدرسة النص، فأنها لا أظن تغض النظر مع هؤلاء الجهابذة العظام. فالسلطة في الاسلام لا تستمد من الناس أو من القوانين الوضعية كما تصورها الديمقراطية الوثنية لدىٰ اليونان. بل السلطة

---

١ ـ المائدة / ٥٥.

والقيادة في الاسلام مستمدة من الله تعالى، كما أن سلطة النبي صلى الله عليه وآله مستمدة من الله تعالىٰ وتشريع الاسلام من الله سبحانه كذلك السلطة التي يحكم بها الرسول صلى الله عليه وآله مفوضة من الله تعالى وفق أحكامها.

فقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

أنا سيد النبيين وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والائمة بعدهما سادات المتقين. ولينا ولىّ الله، وعدونا عدو الله، وطاعتنا طاعة الله، ومعصيتنا معصية الله عز وجل وحسبنا الله ونعم الوكيل [1].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعبدالرحمن بن عوف: يا عبدالرحمن أنتم أصحابي وعلي بن أبي طالب مني وأنا من علي، فهو باب علمي ووصيي، وهو وفاطمة والحسن والحسين هم خير الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً»[2].

وذكر الزمخشري: روي أن النبي لما دعا النصارىٰ للمباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر فلمّا تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبدالمسيح، ما ترىٰ؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارىٰ أن محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله، ما باهل قوماً نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم. ولئن فعلتم لتهلكن. فإن أبيتم الا إلف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فامّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارىٰ، إنّي لأرىٰ وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقىٰ على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة،

---

١ ـ أمالي الصدوق ـ ص ٤٤٨ عن أبي الطفيل عن الحسن عليه السلام.
٢ ـ ينابيع المودة. ٢ / ٣٣٣ ـ ٩٧٣.

فقالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك علي دينك ونثبت على ديننا، قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا. قال: فإنّي أناجزكم، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردّنا عن ديننا على أن نؤدي اليك كل عام ألفي حلّة، ألف في صفر، وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد ... فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده، إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران. ولو لاعنوا لمُسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر[١].

وجاء في شواهد التنزيل ج ١، ١٨٩ ـ ٢٠٢ في الآية ﴿*يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم*﴾[٢] عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شركائي الذين قرنهم الله بنفسه وبي وأنزل فيهم «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» فان خفتم تنازعاً في أمر فأرجعوه الى الله والرسول واولي الامر، قلت: يا نبي الله، من هم، قال: أنت أولهم[٣].

لقد أكد النبي صلى الله عليه وآله على أن أهل البيت عليهم السلام هم طرق النجاة... كما في حديث السفينة. حيث نقل حنش الكناني: سمعت أباذر رضي الله عنه يقول ـ وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني فأنا من عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق[٤].

---

١ ـ تفسير الزمخشري ـ تفسير آية المباهلة.

٢ ـ النساء / ٥٩.

٣ ـ شواهد التنزيل ـ المصدر ١ / ١٨٩ ـ ٢٠٢.

٤ ـ المستدرك على الصحيحين، ٣ / ١٦٣ / ٤٧٢٠.

ان الحديث عن هذا المجال يجرنا الى ذكر أحاديث كثيرة، نكتفي بذكر هذه.

أهل البيت عليهم السلام محل قبول كل المسلمين:

أهل البيت عليهم السلام هم آل محمد، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد واقعة الغدير جعل الامامة والولاية لعلي عليه السلام وناداه بالخلافة كما أعلنه أمير المؤمنين وناداه بالامارة وأعلنه سيداً للعرب وناداه بالسيادة... كما أن الرسول لم يكتف بذلك بل بيّن اثنى عشر اماماً وسماهم... وهو ما أشار اليه البخاري في صحيحه الجزء التاسع ص ٧٢٩ الحديث ٢٠٣٤ وكذا مسلم في صحيحه الجزء الثالث الحديث ١٤٥٢ والترمذي في صحيحه الجزء الرابع الصفحة ٥٠١ وأبو داود في مسنده الجزء الثاني الصفحة ٣٠٧ وأحمد في مسنده الجزء الأول الصفحة ٣٩٨ والمتقي الهندي في كنزه الجزء السادس الصفحة ٢٠١[1] «ولا خلاف بين أئمة أهل البيت حول هذا العدد أو حقيقته والخلاف في تأويل هذا العدد»[2].

ولعل الخليفة عمر بن الخطاب في سقيفة بني ساعدة خاطب الانصار قائلاً: إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الامر الاّ من كانت النبوة فيهم وأولي الأمر منهم لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين. من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلٍ بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة.

إن المسلمين يعلمون ذلك ويؤمنون به قلباً ويقبلونه كلياً ويقرون لعلومهم عليهم السلام.. فهؤلاء أئمة المذاهب الأربعة تتلمذوا على يد أئمة أهل

---

١ ـ الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية، أحمد حسين يعقوب، ص ٣٥٤.
٢ ـ المصدر السابق، عن الامامة والسياسة لابن قتيبة، ص ٦.

البيت عليهم السلام.

فالإمام أبو حنيفة انقطع طوال عامين الى مجلس الامام الصادق عليه السلام وهو يقول «لولا السنتان لهلك النعمان». كما يذكر ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول[1].

واستفاد من الامام الصادق جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم مثل مالك بن أنس وابي حنيفة.

وقال ابن حجر المكي في الصواعق[2] «وروىٰ عنه (الامام الصادق) الائمة الكبار كيحيىٰ بن سعيد وابن جريج ومالك والسفياني وأبي حنيفة وقد لقب الامام بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط كذلك فأن سفيان الثوري حضر مجلس الامام واستفاد منه».

ولما كان الشافعي من تلاميذ مالك بن أنس وأحمد بن حنبل من تلاميذ الشافعي فمعنى ذلك أن الامام الصادق عليه السلام هو أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة الذين يعمل بفقههم أخوتنا السنة.

وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال لأحد محبيهم حيث ادعىٰ الحب لأهل البيت عليهم السلام من أي محبينا أنت؟ فسكت الرجل فسأله سدير الصيرفي وكم محبوكم يا ابن رسول الله؟ فقال على ثلاث طبقات: طبقة أحبونا في العلانية ولم يحبونا في السر، وطبقة يحبونا في السر ولم يحبونا في العلانية وطبقة يحبونا في السر والعلانية هم النمط الاعلى. والطبقة الثانية النمط الاسفل أحبونا في العلانية وساروا بسيرة الملوك فألسنتهم معنا وسيوفهم علينا. والطبقة الثالثة النمط الاوسط أحبونا في السر ولم يحبونا في العلانية ولعمري لئن كانوا أحبونا في السر دون

---

١ ـ المصدر المذكور، ص ٢١٨.

٢ ـ الصواعق / ص ٣٠.

العلانية فهم الصوامون بالنهار القوامون بالليل ترى أثر الرهبانية في وجوههم أهل سلم وانقياد. قال الرجل: فأنا من محبيكم في السر والعلانية، قال جعفر عليه السلام إن لمحبينا في السر والعلانية علامات يعرفون بها. قال الرجل: وما تلك العلامات؟ قال عليه السلام: تلك خلال أولها أنهم عرفوا التوحيد حق معرفته واحكموا علم توحيده»[١].

أهل البيت عليهم السلام لا يصدر عنهم الكذب:

لقد عرف أهل البيت عليهم السلام بالصدق والاخلاص والامانة حتى ان الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لقب بالصادق في زمانه الذي عاش والذي كثر فيه الحديث وانواع الكلام والنقل والتدوين وغير ذلك فلقبوه عليه السلام بالصادق لصدقه ولذا قال:

حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله قول الله عز وجل[٢].

وقول الامام الكاظم عليه السلام في جواب خلف بن حماد الكوفي لما سأله عن مسألة مشكلة: والله، ما اخبرك الا عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن الله عز وجل[٣].

---

١ ـ تحف العقول ص ٣٢٥.
٢ ـ الكافي: ١ / ٥٣ ـ ١٤ عن حماد بن عثمان وغيره.
٣ ـ المصدر السابق ٣ / ٩٤ / ١.

وقول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: إنا عن الله وعن رسوله نحدث[١].

ويشير الامام الباقر عليه السلام بقوله: إنا أهل بيت من علم الله علمنا، ومن كلمه أخذنا، وقول صادق سمعنا فإن تتبعونا تهتدوا»[٢].

وقد روى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كبار العلماء ورواة الحديث كيحيى بن سعيد وأبن جريج ومالك والسفياني وأبي حنيفة وقد أشرنا في حديث سابق لبعض من هذه الامور.

وليس هناك شهادة أكبر من شهادة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ولا أعظم شهادة من قوله صلى الله عليه وآله كما رواه الترمذي ومسلم والدارمي وهم من أصحاب الصحاح الستة وكذلك أحمد في مسنده والبيهقي في سننه والحاكم في مستدركه والنسائي في خصائصه وأبن سعد في طبقاته والخطيب في تاريخه وأبو نعيم في حليته والهيثمي في مجمعه وغيرهم أن رسول الله أبلغ المسلمين قبل رحيله: «اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

فكان خطهم وحديثهم وسلوكهم وعاداتهم ومعاشرتهم كلّها تنبع من الاسلام معصومون في ذلك.

كما أنهم ما عرفوا مطلقاً في مخالفة الله تعالى وهذا ما أشار اليه محمد بن النعمان الملقب بالمفيد رحمه الله في كتاب أوائل المقالات «إن نبينا محمد صلى الله عليه وآله لم يعص الله عز وجل منذ خلقه الله عز وجل الى أن قبضه ولا تعمد له خلافاً ولا أذنب ذنباً على التعمد ولا النسيان وبذلك نطق القرآن، وتواتر الخبر عن آل محمد وهو مذهب جمهور الامامية، ويذهب البعض الى خلاف ذلك. وقال تعالى ﴿*إن الذين*

---

١ ـ رجال الكشي: ٢ / ٤٩٠ / ٤٠١ عن يونس بن عبدالرحمن.

٢ ـ اهل البيت في الكتاب والسنة، ص ١٨٢، عن مختصر بصائر الدرجات.

سبقت لهم منا الحسنى﴾[١] ثم قال سبحانه ﴿*ولقد اخترناهم على علم على العالمين*﴾[٢] والانبياء والائمة من بعده صلى الله عليه وآله معصومون في حال ثبوتهم وامامتهم من الكبائر والصغائر، والعقل يجوز عليهم ترك مندوب اليه على غير التعمد للتقصير والعصيان ولا يجوز عليهم ترك مفترض لان نبينا صلى الله عليه وآله والائمة من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب والمفترض قبل امامتهم وبعدها.

ولهذا يقول الشيخ المفيد، فأما الوصف لهم بالكمال في كل أحوالهم فأن المقطوع به كمالهم في جميع أحوالهم التي كانوا فيها حججاً لله على خلقه. منذ اكمل عقولهم الى أن قبضهم، علماً بأن آباء النبي صلى الله عليه وآله (الذين هم آباء الأئمة عليهم السلام) من آدم كانوا موحدين على الايمان بالله كما يذكر الشيخ المفيد. حيث أن النبي تنقل في أصلاب طاهرة الى ارحام مطهرة[٣].

لا تقبل الصلاة بدون الصلاة عليهم بعد النبي صلى الله عليه وآله:

لا غرو أن المسلمين اجتمعوا على أمور وافترقوا ببعض الامور ولقد اجتمع المسلمون على الواجبات كأصول الدين وفروع الدين وحب أهل البيت عليهم السلام اذ أن حب أهل البيت من الواجبات التي أوجبها الباري سبحانه وجعل مودتهم أجر النبي صلى الله عليه وآله ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى*﴾.

ويذكر ابن المنذر الذى أخرج الحديث وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم والطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى*﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك

---

١ ـ الانبياء / ١٠١.

٢ ـ ص / ٤٧.

٣ ـ أحمد حسين يعقوب ـ مصدر سابق ص ١٢٨.

هؤلاء الذين أوجبت علينا مودتهم؟ قال: «على وفاطمة وولداهما»[١].

وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ «لا يدخل قلب امرئ مسلم ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي»[٢].

والاحاديث في ذلك كثيرة وهو ما جاء بكتب الفقه المتعارفة لدى كافة المسلمين في وجوب الصلاة عليهم.

---

١ ـ احياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي، ص ٤، كما ينقل ذلك الزمخشري وعدة من أصحاب التفاسير.

٢ ـ المصدر أعلاه ص ٧.

المبحث الثالث

الحكمة الإلهية تجمع البشر على المحبة وتوحدهم على الإصلاح

انّ الاسلام الحنيف أكد بشكل واضح وجدّي على وحدة البشر بكل شعوبهم وأجناسهم فضلاً عن المسلمين انفسهم .. ولقد وردت الآيات العديدة كآية الاعتصام ﴿*واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم*﴾ وآيات كثيرة في هذا المجال. إن الله تعالى عمد الى إيجاد نظام يبث الرحمة بين أفراد مجتمع هذا النظام وينشر المودة والحياة الطيبة ويقرها... بل لا بد من نظام حق بيّن يكون نوراً ودليلاً للناس... الناس الذين آمنوا بهذا النظام وهذه العقيدة فكان الخالق العزيز جلت قدرته يقول ﴿*الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات*﴾.

الله تعالى الذي وصف نفسه بالرحمن الرحيم... يخرج الناس من الظلمات الى النور... من القسوة والخباثة والألم والحقد والطمع والعذاب... الىٰ الرحمة والود... من الكراهية والبغض الى الحب والرأفة.

لقد شاءت القدرة الربانية بنقل الانسان من الحياة الخبيثة الى الحياة المطمئنة.

فكان القرآن وهو رسالة السماء وأداة تربية الانسان يليّن النفس البشرية ويسخرها للبعض الآخر من أجل العدل والسلام بعد أن سخر الله تعالى جميع ما في الارض للأنسان ﴿*ألم تروا أنّ الله سخر لكم ما في السموات وما في*

الأرض﴾[١].

أراد المولى جل شأنه تحقيق خلافة الانسان على هذه الأرض، ويجمع الناس على المحبة ويوحدهم على الصلاح وعلى التقوى. فأمر سبحانه بالعدل والاحسان.

نعم لقد كرم الله بني آدم... وبالعمل الصالح يرتفع الانسان الى هذه الكرامة.

لقد كرم الله الانسان ... عموم الانسان، وحمّله الأمانة... الامانة التي تحقق ـ الخلافة ـ المعهودة في القرآن.

لا بد من وسيلة تجتمع عليها الامة.

لا بد من محطة ونقطة التقاء تقف عندها الامة ولا تتعداها على مختلف آرائها واجتهاداتها واختلافها.

لا بد من مرجع صادق.

يقول الله سبحانه: ﴿*يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين*﴾[٢] والصادقون كما يذكر بعض المفسرين هم «المعصومون».

فالصديقون هم أشبه بالشجرة الطيبة أصلها العلوم الصحيحة والعقائد المأخوذة من كتاب الله وسنة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله... بل إن الصديقية: هي كمال الاخلاص لله تعالى والإنابة اليه والاعتماد عليه جلت قدرته.

فأصبح معنى الصديقية... القيام بالدين كاملاً وهو الطالب لكمال الايمان.

فقد روى مسلم بنقله عن أبي سعيد الخدري، حيث ذكر النبي صلى الله عليه وآله أن الغرف العالية التي يترآها أهل الجنة من علوها وارتفاعها ونورها كالكوكب الدري في الأفق، فقالوا: يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم. فقال: بلىٰ والذي

---

١ ـ لقمان / ٢٠.

٢ ـ التوبة / ١١٩.

نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فهؤلاء هم المهديون، كما قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[1].

وها هم أهل البيت النبوي أئمة يهدون للخير والمعروف، وهم سفن النجاة وملاذ الامة... ودورهم واضح في المجتمع الاسلامي.

إن رحمة الله الواسعة لم تترك الامة لوحدها تهرول دون دليل ودون مرجع، وحاشا لله جلت قدرته أن يترك الناس لعقولهم وحسب.. يتبارون في الاجتهادات.. أراد الله تعالى وحدة الامة وليس افتراقها.

فكان أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، محطة، ونقطة ارتكاز.. ومرجع أمر الله تعالى بحبهم ومودتهم.... وهل يكفي الحب وهم الصادقون دون التماس علومهم ومنهجهم والوقوف عندهم؟

جعل الله تعالى أهل البيت وسيلة يجمع الله تعالى الناس عليها على المحبة والاخاء... ولا يرضىٰ الله للإنسان الذي كرمه أن تهبط إنسانيته ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ ومعلوم أن عادة البشر الاختلاف بالآراء والامزجة فليس من المعقول أن يترك الله الانسان يختار من يحبه ويجتهد في من يرغبه... لا بد من وصل وهمزة وصل للجميع مقبولة لدىٰ الجميع.

فجعل الله تعالى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ليمتحن عباده ﴿ثم لنبلوكم فيه﴾ وأراد الله تعالى أن يستخلف الانسان الارض بعد أن يقضي على عدوه اللدود وهو «ابليس» ﴿عسىٰ ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون﴾.

---

١ ـ الحج / ٢٤.

ثم قال المولى جل شأنه ﴿*فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى ابصارهم*﴾[١].

أما الذين صبروا على ذلك والتزموا ميثاق الله فيما آتاهم به رسوله الكريم فإن الله يجزيهم أحسن ما كانوا يظلبون. ﴿*ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون*﴾[٢].

فالعهد هو أشبه بالامانة وعلى الانسان أن لا يستخف بها. كما أكد القرآن الكريم لايجاد نظام ... هذا النظام يكون وسيلة لاشاعة الرحمة ونشرها من خلال المودة والحياة الطيبة، ومن خلال نشر الحق... والحق هو النور... وعندئذ سوف يخرج الانسان من ظلمات الارض الى النور ... ومن القسوة والعذاب والحياة الخبيثة الى الحياة المطمئنة.

عندها تلين النفس وتسخر النفوس بعضها للبعض الآخر على المحبة والاخاء والالتقاء بعد أن سخر الله ما في هذه الارض جميعاً للانسان.

مبغض أهل البيت عليهم السلام لا يعد من المسلمين:

وفي هذا المضمار وردت الاحاديث المتعددة فقد ورد عن جابر بن عبدالله الانصاري رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله تعالى يوم القيامة يهودياً»[٣].

وورد الحديث نفسه في مكان آخر[٤] عن جابر بن عبدالله الانصاري قال:

---

١ ـ سورة محمد / ٢٢ ـ ٢٣.
٢ ـ العنكبوت / ٧.
٣ ـ احياء الميت مصدر سابق.
٤ ـ مجمع الزوائد (٩ / ١٧٢).

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فسمعته يقول أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله تعالى يوم القيامة يهودياً. فقلت: يا رسول الله وإن صام وصلى. قال وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم احتجر بذلك من سفك دمه وأن يؤدي الجزية عن يد وهم صاغرون، الىٰ أن قال فاستغفرت لعلي وشيعته قال في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الاوسط.

ثم أخرج ابن عدي والبيهقي في «شعب الايمان» عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من لم يعرف حق عترتي والانصار فهو لاحدى ثلاث. أما منافق، وأما لزنية، وأما لغير طهور، يعني حملته أمه على غير طهور»[1].

لذا أحب أن أقول في مسألة بغض أهل البيت والسائر على دون تروية وتفكر فأقول: المعروف أن بني امية بعد اغتصاب الخلافة وجعلها ملكاً عضوضاً وملكية مستبدة قاموا بوضع أحاديث تسيء لاهل البيت عليهم السلام وتنال من شخصيتهم وتزوير مناسباتهم وما جاء في صيام عاشوراء مثلاً. وهو أمر مستهجن لمن أنصف وتأمل وفكر ولو قليلاً.

فقد نقل حديث يرويه مسلم عن أبي قتاده رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال «يكفر السنة الماضية».

ونقل أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسىٰ وبني اسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيماً له فقال النبي صلى الله عليه وآله: نحن أولى بموسى منكم . فأمر بصومه. رواه مسلم أيضاً.

وهذا مع الاسف حينما يؤخذ على علاته يثير الاستغراب والعجب وهل أن

---

١ ـ كنز العمال ٦ / ٢١٨، رقم الحديث ٣٨٢٠.

النبي يأخذ دينه من اليهود وهل أنّ النبي هو المشرع؟ أم الله المشرع. هذا فضلاً عن أن اليهود لا يصومون يوم عاشوراء ولم يسبق لهم أن صاموه.

وقد صدر في هذا الخصوص كتاب (صيام عاشوراء) لمؤلفه جمال الدين ابن عبدالله حيث حقق في الامر وبعد مطالعة كتب اليهود والأسفار من العهد القديم ويبقى الكاتب حيراناً ومتعجباً متسائلاً (أيعقل ان يقلد النبى ﷺ اليهود ويصوم عاشوراء ويأمر أصحابه بصيامه وهو اليوم الذي صامه اليهود حسب «الادعاء» بينما ينهانا عن اتباع سنن أهل الكتاب!

إذ روىٰ مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً حتى لو دخلوا جحر ضب اتبعتموهم، قلت يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟

وجاء في البخاري في باب قول النبي ﷺ «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء».

وعن أبي هريرة انه قال «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام. فقال النبى ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم...»

وإذن كيف يسأل النبي من اليهود عن سبب صيامهم في يوم عاشوراء ثم يصدقهم ويشرع الصيام في ذلك اليوم ويقول: «نحن أولى بموسى من اليهود».

ويذكر الكاتب في كتابه، أن البخاري أكد في حديث مروي في صحيحه عن ابن عباس قال: كيف تسأل أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله احدث تقرأ محصنا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ولا رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل اليكم.

بل ينقل مسلم في صحيحه حديثاً رقم ١١٣٤ حين صام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله أنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاذا كان العام القبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال: فلم يأت العام المقبل حتىٰ توفى رسول الله صلى الله عليه وآله.

كما جاء في كنز العمال حديث برقم ٢٤٢٣٠ لئن بقيت أمرت بصيام يوم قبله أو يوم بعده. ولم يأت العام القابل حتى توفي رسول الله.

وعلى الرغم من تضارب الروايات وتواريخها فبعضها يقول أن النبي صلى الله عليه وآله صام يوم عاشوراء السنة الثانية للهجرة بعدها بعد علمه بصيام اليهود.

كما أن الكاتب يستدل بشكل علمي على أن اليهود لم تصم عاشوراء لأن تواريخها لا توافق هذا اليوم لما لهم حساب غير ثابت بسبب اضافة شهر الى الشهور الاثني عشر كل مدة من الزمان حتى تتوافق أعيادهم بالربيع أو الشتاء.

ولعل القرآن يشير الى ذلك في قوله تعالى ﴿*ان عدة الشهور عند الله اثنىٰ عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم*﴾.

ثم يقول تعالى في آية أخرىٰ ﴿*إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين*﴾.

وبالتالي على فرض أن اليهود صامت عاشوراء فهذا يستدعي التلاعب بسنتهم مما يجعلهم يضيفون أو يزيدون ليوافقوا عاشوراء وهذا النسيء أشار اليه القرآن ووصفه بالكفر ﴿*انما النسيء زيادة في الكفر*﴾ حيث النسيء بمعنى الزيادة وهذا يستدعي فيما اذا قلدهم المسلمون أن يوافقون اليهود ويقروهم على النسيء وهو ليس كفراً فقط بل زيادة بالكفر.

ثم يستنتج الكاتب وبتحليل جميل عدم صحة هذه المناسبات كاستواء سفينة نوح على الجودي وعبور بني اسرائيل البحر وهو عيد خروجهم من مصر ويثبت أن ليس هناك أي ندب للصيام سوى نكاية بالحسين عليه السلام وأهل بيته في يوم مصابهم.

المبحث الرابع

مناسبات أهل البيت مناسبات إسلامية وهي ركيزة للّقاء والوحدة:

نقلنا في طيات حديثنا عن العصمة، والعصمة في أصل اللغة هي ما اعتصم به الانسان من الشيء كأنه امتنع به عن الوقوع في ما يكره. وليس هي جنس من أجناس الفعل... ومنه قولهم اعتصم فلان بالجبل اذا امتنع به ومنه سميت العصم وهي وعول الجبال لامتناعها بها[١].

والعصمة من الله توفيق يسلم به الانسان مما يكره اذا أتى بالطاعة والعصمة ضرورة للنبي صلى الله عليه وآله وكذا للامام... لأنه اذا صدر الذنب منهما شك ولم يلتزم بأقوالهما وهو ما يتنافى ومهمة التبليغ العليا.

لذا ورد في النبي صلى الله عليه وآله أنه لا ينطق عن الهوىٰ وأن الائمة الاثنى عشر من ذريته وأهل بيته ينقلون علمه وحديثه كما مر سابقاً.

وقال المفيد «فأما الوصف لهم (الائمة) بالكمال في كل أحوالهم فإن المقطوع به كمالهم في جميع أحوالهم التي كانوا فيها حججاً لله على خلقه، منذ أكمل عقولهم الى أن قبضهم[٢] ولهذا فأن الرسول صلى الله عليه وآله والائمة من أهل بيته هم حجج الله تعالى.

مخوفة هؤلاء العباد الصالحين ضرورة من الضرورات التي ينبغي للمسلم أن يعرفها، وأن مناسباتهم ينبغي معرفتها.

---

١ ـ أحمد حسين يعقوب، مصدر سابق ص ١٢٥.

٢ ـ راجع تصحيح الاعتقاد.

فينبغي احياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام:

فمناسبات أهل البيت عليهم السلام هي مناسبات اسلامية صرفة يمكن أن تكون ملتقى للمسلمين... ولماذا لا تكون كذلك وهم عترة النبي وأحباؤه وقادة الاسلام، وقد ورد ذلك في كل الاديان في تعظيم أهل أنبيائهم... فنشاهد النصارىٰ يلتمسون آثار المسيح في كل مكان ويقيمون الكنائس ويحيون مولده وحتى المسلمون نجدهم يعطلون في أيام ميلاد المسيح ... وكذا بقية الطوائف... إذن فكيف بأهل البيت وهم أولياء الله وهم أهل الذكر وهم أهل الدين السالم وهم أهل الطهارة والقدامة. وكما يقول الشاعر

هم النور نور الله جل جلاله ... هم التين والزيتون والشفع والوتر
مهابط وحى الله خزان علمه ... ميامين في أبياتهم نزل الذكر
فلولا هم لم يخلق الله آدماً ... ولا كان زيد في الوجود ولا عمرو
ولا دحيت أرض ولارفعت سما ... ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر

فهم سفينة النجاة وهم نجوم المهتدى وهم اولوا الأمر الواجب اطاعتهم وهم أولياء الله تعالى ....

فلماذا لا يتفق المسلمون جميعاً على احياء مناسباتهم وهي مناسبات اسلامية.

ونذكر من هذه المناسبات:

(١) ليلة الاول ويوم الاول من ربيع الاول السنة الاولىٰ للهجرة هو عيد سلامة النبي صلى الله عليه وآله بخروجه من البيت ومن مكة وعيد سلامة علي أمير المؤمنين عليه السلام وهو ينام فداءً على فراش النبي صلى الله عليه وآله ويواجه الرجال الاربعين الذين دخلوا عليه ليلاً فيفشلوا ويفل عزمهم وتصبح أحلامهم وخططهم سراب

﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

وهذه المناسبة فرح بها المسلمون جميعاً فرحاً شديداً ليلة الهجرة والمبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) بطولات علي في الخندق وخيبر وحنين... الخ حيث كان المسلمون فرحين وعلى يبارز عمرو بن عبد ود العامري وهم يكبرون وقد كبروا حينما قتل علي عليه السلام عمرو. وقال الرسول صلى الله عليه وآله يومها «ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين».

(٣) ثورة الحسين بن على الشهيد في كربلاء يوم العاشر من محرم الحرام عام ٦١ هـ حيث أحيا الاسلام من جديد كما يفسره قول النبي صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا من حسين). وقول أحد العلماء «الاسلام محمدي الوجود وحسيني البقاء».

(٤) يوم الغدير الأغر وهو عيد فرح المؤمنون به وبكى المنافقين حيث تبادل المؤمنون التهاني وهنؤوا علياً في هذه المناسبة بعد مبايعته من قبل المسلمين ولياً وحاكماً لهم.

(٥) يوم المباهلة وهو اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة الحرام.

وغير ذلك من المناسبات السارة في تاريخ الامة... فالامة تحيا بتاريخها وعظمائها.

تذكير المسلمين بالولاء لأهل البيت عليهم السلام:

الحقيقة ان الولاء لأهل البيت عليهم السلام هو الولاء للاسلام وللرسالة فهم الذين تحدث عنهم القرآن الكريم وتحدث عنهم الحديث الشريف «من أحبهم فقد احب النبي ومن أحب النبي فقد أحب الله.»

الولاء لاهل البيت هو الانتماء للاسلام فيقول الحبيب المصطفىٰ «والذي

نفسي بيده لا يدخل قلب أمرئ الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني».

ان الولاء لاهل البيت أمان من الانحراف واتباع الهوىٰ والعصبيات فهم حفظة الكتاب وحفظة سنة جدهم الرسول. فقد قال ﷺ «النجوم أمان لاهل الارض من الغرق وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس».

كيف يكون الولاء؟

لا بد أن يكون الولاء مبني على قاعدة عقائدية[١] ويؤمن بمنصب الولاية ويصل على تطبيق الحقيقة الاسلامية بذلك فيسير على نهج أهل البيت محباً لمحبهم وعدواً لمبغضهم فيمتلك قلب المحب حبهم واحترامهم والتزامهم.

أهل البيت ملك الامة الاسلامية جميعاً ليس لاحد دون أحد... لذا ينبغي مراجعة حياة أهل البيت عليهم السلام وتدريسها في المدارس. نعم:

١ ـ تدريس حياة أهل البيت عليهم السلام في المدارس.

٢ ـ التعليم والتعريف بفقههم الى جنب المذاهب الاخرىٰ.

٣ ـ دورهم في الحياة الاسلامية.

قال ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن»[٢].

وقال ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب من نفسه وتكون عترتي أحب اليه من نفسه ويكون أهلي أحب اليه من أهله وتكون ذاتي أحب اليه من ذاته»[٣].

والحمد لله رب العالمين.

---

١ ـ راجع الغريفي ـ التشيع ص ٦٠٧.

٢ ـ الصواعق المحرقة، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤.

٣ ـ الشبلنجي: نور الابصار ص: ١١٤.

«فهرست المباحث»

المقدمة

المدخل

المبحث الاول ـ ماذا نقصد بنقطة الالتقاء

المبحث الثاني ـ أهل البيت مرجعية اسلامية عليا وقيادة متميزه

المبحث الثالث ـ الحكمة الالهية تجمع

البشر على المحبة وتوحدهم على الاصلاح

المبحث الرابع ـ مناسبات أهل البيت مناسبات اسلامية وهي ركيزة للّقاء والوحدة

العلاقة بين أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأئمّة المذاهب الإسلامية

منى عبد الأمير

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الاطهار وصحبه الابرار.

من الحقائق الثابتة في حركة الانسانية انّ الانسان يختلف مع أخيه الانسان، في كثير من القضايا، في الفكر وفي العاطفة وفي الممارسات العملية، وهذا الاختلاف ناجم عن الاختلاف في الطاقات والامكانات العقلية والنفسية والروحية، اضافة الى الاختلاف في التنشئة الاجتماعية والتربوية، واختلاف المحيط الاسري والاجتماعي الذي يحيط بالانسان.

والاختلاف أمر طبيعي يحكم به العقل والمنطق السليم والتجربة التاريخية لحركة الأمم والاديان وخصوصاً حركة الامة الاسلامية منذ الصدر الأول للاسلام الى يومنا هذا، والاختلاف القائم على أسس موضوعية لا محذور فيه ما دام واقعاً في طريق البحث عن الحقيقة عن الرأي الأسلم والموقف الاصوب، بل قد يكون عاملاً مساعداً للفعالية والنشاط والحركة الدؤوبة لتحقيق الاهداف الكبرى الآنية والمستقبلية، ويبقى الاختلاف ظاهرة صحيحة وسليمة اذا كان مؤدياً للتنافس المشروع، ويتحول الى داء خطير ان اصبحت المنافع الضيقة والمصالح الذاتية هي المحرك الاساسي له، ويصبح مرضاً قاتلاً ان تحكمت فيه الأهواء والأمزجة بعيداً عن المقاييس والمعايير الثابتة.

وفي هذا البحث نرى انّ الاختلاف بين أئمة أهل البيت وائمة المذاهب

الاسلامية كان ظاهرة طبيعية لاختلافهم في المستويات العقلية، واختلافهم في النشئة الاجتماعية، واختلافهم في ظروف التلّقي والتعلّم، واختلافهم في تأثير العامل الوراثي على شخصياتهم، ومع هذا الاختلاف هنالك اختلاف في مستوياتهم العلمية من حيث درجة قربهم وبعدهم عن تشخيص الحكم الشرعي الذي هو واحد في مقام الثبوت، واختلافهم في الحكم على الاوضاع والمواقف والوجودات والكيانات القائمة.

وفي جميع ظروف وأجواء الاختلاف كانوا يلتقون معاً في العمل للاسلام والحرص على تقرير مفاهيمه في واقع الحياة لأنّهم جميعاً يجتمعون حول عقيدة واحدة ومصالح واحدة وأهداف واحدة ويواجهون تحديات واحدة من قبل الحكّام المعاصرين ومن قبل التيارات المنحرفة كالزنادقة والغلاة وعموم أعداء الاسلام، وكان الحب والاحترام المتبادل حاكماً على علاقاتهم العلمية والاجتماعية فلا تقاطع ولا تدابر، بل لا حساسية ولا خصومة، وكان أتباعهم تبعاً لهم في العلاقات الأخوية وكانت الزيارات قائمة بينهم جميعاً، بل انّهم تعرضوا لظروف عصيبة واحدة حيث طاردتهم السلطات القائمة وحاصرتهم بلا فرق بين إمام وآخر أو مذهب وآخر.

وقد تظافرت الجهود والطاقات من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ونشر مفاهيم الاسلام وقيمه واتحدت الخطى في نطاق الافق الأرحب متعالين على الفواصل الجزئية وتعاملوا معها في حدودها الضيقة، وكذلك اتباعهم.

وهذه العلاقة ينبغي ان تكون محوراً لنا جميعاً في طريق التقريب والتوحيد، فما دام ائمتنا متوحدين في محاورهم المشتركة فلماذا لا نتحد نحن في مواقفنا العملية ضمن المشتركات الثابتة للوصول الى الاهداف الكبرى التي جاهد ائمة أهل البيت وائمة المذاهب من أجل تقريرها في الواقع.

العلاقات في مجالي العلم والفقه:

لم تكن العلاقات في مجالي العلم والفقه علاقات انزواء وانكماش وتقوقع، وانّما كانت علاقات تفتح انعدم فيها عنصر الأنا والعنصر الشخصي، ولا وجود للنظرة السلبية مع الآخرين، فالجميع انطلقوا ضمن الأهداف المشتركة وكانوا يأخذون العلم ويقتفونه من مناهله ومنابعه على اختلاف مناهجها ومتبنياتها، فلا يوجد انفصال في الحياة العلمية، حيث يروي بعضهم عن بعض ويتبنى بعضهم آراء بعض، وقد اتفق الجميع على مرجعية ائمة أهل البيت عليهم السلام العلمية لأنّهم اخذوا العلم عن آبائهم وبالتالي عن عليّ بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أخذوا العلم عن أهل البيت مباشرة أو بصورة غير مباشرة وعلى رأسهم الامامين «أبو حنيفة ومالك».

وكان اتباع أهل البيت عليهم السلام وأتباع أئمة المذاهب يطلبون العلم والفقه سويّة بلا انزواء ولا تقاطع، فيدرسون عند هذا أو ذاك بغض النظر عن مذهبه ومتبنياته الفقهية والاصولية، وكان يحدّث احدهم عن الآخر أو عن إمام مذهب آخر، فمثلاً كان سفيان الثوري يحدّث عن الامام جعفر الصادق عليه السلام وعن الأعمش، وكان الاعمش يحدّث عنهما، وكان أبان بن تغلب يحدث عنهما أيضاً، وكان الامام ابو حنيفة يحدّث عن الامام الصادق عليه السلام وعن اتباعه، وهم بدورهم يحدّثون عن الامامين الصادق وأبي حنيفة.

فقد كانت العلاقات قائمة على قواعد الودّ والمحبّة والثقة المتبادلة، وكان أهل البيت يشجعون اتباعهم على تعميق مثل هذه العلاقات، وكانوا بأنفسهم يحضرون في مجالس من هم أقل منهم علماً وشأناً لكي يكونوا قدوة لاتباعهم في ازالة الحواجز والفواصل الجزئية، وعلى سبيل المثال كان الامام علي بن الحسين عليه السلام يجالس قوما دوناً ويستمع الى حديثهم، حتى قيل له: انّك تجالس

قوماً دوناً، فأجاب القائل ـ وهو نافع بن جبير ـ انّي اجالس من أنتفع بمجالسته في ديني[١].

وقال الزهري: حدثت عليّ بن الحسين بحديث فلمّا فرغت قال: أحسنت بارك الله فيك، هكذا سمعناه، فقلت: لا أراني حدثت حديثاً أنت أعلم به منّي، قال: لا تفعل ذلك، فليس من العلم ما لم يعرف انّما من العلم ما عرف[٢].

وكان الفقهاء والعلماء يستمعون الى نصائح أهل البيت عليهم السلام ويلتزمون بتوجيهاتهم وارشاداتهم، اعترافاً منهم بمرجعيتهم العلمية، فمثلاً كان الحسن البصري يقص في الحج، فمرّ به الامام علي بن الحسين، فقال له: يا شيخ... ثم دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن طواف البيت؟ فما قصّ الحسن بعدها[٣].

وفي كتب الحديث نجده يروي أحاديث كثيرة يسندها الى أئمة أهل البيت عليهم السلام وكذلك نجد ذلك في أحاديث سفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم.

وكان سفيان الثوري من تلامذة الامام جعفر الصادق عليه السلام ومن تلامذة زيد بن عليّ عليه السلام.

واشتهر عنه انّه كان يقول للامام: لا أقوم حتى تحدثني، فقد حدثه مرّة بحديث النعمة والرزق والضيق، فقال سفيان: «ثلاث وأي ثلاث»[٤].

ووردت له عبارات عديدة يكرر فيها القول: «حدثني جعفر بن محمد» و:«سمعت جعفراً يقول»[٥].

---

١ ـ مناقب آل أبي طالب ٤: ٧٥ ابن شهرآشوب، دار الاضواء، بيروت، ١٤١٢ هـ

٢ ـ كشف الغمة ٢، ١٠١، الأربلي.

٣ ـ وفيات الأعيان ٢: ٧٠، ابن خلكان، ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٩ م.

٤ ـ سير أعلام النبلاء ٦: ٢٦٢ ـ الذهبي ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٥ هـ

٥ ـ صفة الصفوة ٢: ١٧١.

وكان يسأله في كثير من مجالات العلم والمعرفة، وبالخصوص في الفقه والاحكام الشرعية وعن عللها[١].

ونتيجة للاختلاف في ادراك الحقائق والوقائع والأحداث، والاختلاف في المتبنيات الاجتهادية كان يعترض على بعض مواقف وممارسات الامام الصادق عليه السلام فكان الامام يجيبه عن اعتراضاته أو اشكالاته برحابة صدر[٢].

ولتعميم الفائدة من نفس حديث الامام عليه السلام نذكر نصه حسب رواية سفيان الثوري حيث يقول: سمعت جعفراً يقول: «الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وترك حديث لم نروه أفضل من روايتك حديثاً لم تحصه، إنّ على كلّ حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالفه فدعوه»[٣].

وكان الامام محمد الباقر عليه السلام يحاسب الامام أبا حنيفة على آرائه وخصوصاً في القياس، وكان يتقبل هذه المحاسبة وهذا الاعتراض، ويستسلم لتوجيهات وارشادات الامام الباقر، ويتعامل معه تعامل المرؤوس مع رئيسه[٤].

وأخذ الامام أبو حنيفة العلم عن أربعة من أئمة وفقهاء أهل البيت عليهم السلام وهم: محمد الباقر وجعفر الصادق، وزيد بن علي وعبدالله بن الحسن بن الحسن[٥].

وقد اعترف بفضل الامام الصادق عليه السلام عليه وعلى ايصاله الى هذه الدرجة والمنزلة العلمية والفقهية، فقال: «لولا السنتان لهلك النعمان»، ويرى الشيخ محمد ابو زهرة انّ هاتين السنتين كانتا عند ما خرج أبو حنيفة من العراق مهاجراً للمدينة،

---

١ ـ سير أعلام النبلاء ٦: ٢٦٦.
٢ ـ م . ن ٦: ٢٦٦.
٣ ـ تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٨١.
٤ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٦٨٩ ـ محمد ابو زهرة ـ بيروت.
٥ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٣٦١.

فانّه أقام ببلاد الحجاز، ولعله قد لازم الامام الصادق في هذه المدة[١].

وكان الامام الصادق يختبره في الكثير من المسائل من أجل زيادة العلم والمعرفة، فقد سأله عن محرم كسر رباعية ظبي، فقال: لا أعرف جوابها، فقال: أما تعلم انّ الظبي لا يكون له رباعية[٢].

وكان يشجعه على التعليم والتدريس، وكان يحضر حلقة الدرس التي يعقدها، وهو لا يعلم به، وحينما يعلم بحضوره يقف احتراماً واجلالاً له[٣].

وكان الامام ابو حنيفة يستمع الى إرشادات وتوجيهات الامام العلمية والفقهية والاصولية، ففي أحد المرات دخل القاضي عبدالله بن شبرمة والامام أبو حنيفة على الامام الصادق، فقال ابن شبرمة: هذا رجل من أهل العراق له فقه وعلم، فقال الامام: لعله الذي يقيس الدين برأيه... ثم قال له: اتق الله ولا تقس الدين برأيك. اتق الله يا عبدالله ولا تقس؛ نقف نحن غداً وأنت ومن خالفنا بين يدي الله عز وجل، فنقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الله عزّ وجلّ، وتقول أنت وأصحابك: سمعنا ورأينا، فيعمل بنا وبكم ما يشاء[٤].

وأخذ الامام مالك بن أنس العلم عن جماعة ومنهم الامام جعفر الصادق، ولكنّه اخفى الحديث عنه في عهد الحكم الاموي لظروف الارهاب التي امتاز بها الحكم انذاك، ولموقفهم العدائي من أهل البيت عليهم السلام، وبدأ بالحديث عنه في عهد العباسيين قبل استلامهم للسلطة وفي بدايتها كما دلت على ذلك بعض الاخبار[٥].

---

١ ـ الامام الصادق: ٣٨

٢ ـ شذرات الذهب ١: ٢٢٠، إبن العمّاد الحنبلي، دار الافاق الجديدة، بيروت.

٣ ـ الامام جعفر الصادق: ١٦٢، عبدالحليم الجندي ـ القاهرة ـ ١٣٩٧ هـ

٤ ـ الأخبار الموفقيات: ٧٧، ٧٨، الزبير بن بكّار ـ منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٦ هـ ط ١.

٥ ـ تهذيب التهذيب ٢: ٨٨، ابن حجر العسقلاني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠٤ هـ

وكان الامام الصادق يشجع طلاب العلم للحضور في حلقة الامام مالك الدراسية، وأخذ العلم منه، لازالة الحواجز والفواصل بين المسلمين عموماً وطلاب العلم خصوصاً، وهذا التشجيع يساهم مساهمة فعالة في تعميق أواصر الإخاء والمودة، وفي تقريب وجهات النظر لاتخاذ المواقف الواحدة تجاه الاحداث والوقائع والوجودات.

ومن الامثلة على ذلك ان الامام قال لتلميذه عنوان البصري (ان يجلس الى مالك)[١].

والامام الشافعي وان لم يتتلمذ على يد الامام الصادق مباشرة الأ انه أخذ العلم ممن اخذه من الصادق، فعن اسحاق بن ابراهيم قال: قلت للشافعي: ما حال جعفر بن محمد عندكم؟ فقال: ثقة، كتبنا عنه اربعمائة حديث[٢].

ومن يتتبع مسند الامام أحمد بن حنبل يجده ينقل العديد من الروايات عن ائمة أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان أئمة المذاهب يتعاملون مع أئمة أهل البيت كمراجع لهم وللأمة الاسلامية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، قول الامام الشافعي: أخذت احكام البغاة والخوارج من مقاتلة عليّ لأهل الجمل وصفين[٣].

وفي اثبات خبر الواحد كان يقول: وجدت علي بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة يعوّل على أخبار الآحاد[٤].

وذكر له أحدهم مسألة فأجاب عليها، فقال له: خالفت عليّ بن أبي طالب،

---

١ ـ الامام جعفر الصادق: ١٦١.
٢ ـ تاريخ الاسلام حوادث سنة ٢٠١ هـ: ٣٦٦.
٣ ـ الصواعق المحرقة: ٤٠، كتاب تطهير الجنان.
٤ ـ شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٧٤.

فقال: اثبت لي هذا عن عليّ بن أبي طالب حتي أضع خدي على التراب وأقول: قد اخطأت، وأرجع عن قولي الى قوله[١].

وكان الكثير من القضاة الذين يتبنون آراء بعض المذاهب يرجعون الى أئمة أهل البيت عليهم السلام لاخذ رأيهم في مختلف المسائل وعلى سبيل المثال كان القاضي ابن أبي ليلى لا يتنازل عن رأيه في القضاء لأحد الاّ للامام جعفر الصادق[٢].

علاقات الاحترام والتكريم والولاء:

كان أئمة أهل البيت عليهم السلام وأئمة المذاهب الاسلامية ينطلقون في ظل الاهداف الكبرى للرسالة الاسلامية متعالين على الفواصل الجزئية الطبيعية، ولهذا كانت علاقاتهم قائمة على الاحترام والتكريم وعلى الولاء المتبادل، فالاخاء والتآزر والتعاون هو القاعدة الاساسية في العلاقات العامة والخاصة، وعلى الرغم من وجود قوى لا يروق لها صفو العلاقات فانّها لم تستطع تفريق الصفوف وتشتيت الاتحاد وخصوصاً بين الائمة والاتباع من قبل الطرفين، فلم تستطع مؤامرات الحكام وأساليبهم المتنوعة في تبعيد القلوب وفي تفريق الصفوف وبقي الاحترام والتكريم هو الحاكم على العلاقات مهما اختلف الجميع في متبنياتهم الفكرية والسياسية والعلمية.

قال رجل للحسن البصري: انهم يزعمون أنك تبغض علياً، فبكى حتى اخضلّت لحيته، ثم قال: كان علي بن أبي طالب سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه، وربّاني هذه الامة وذا سابقتها وذا فضلها لم يكن النئومة عن أمر الله، ولا بالملومة في حق الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض

---

١ ـ الفهرست: ٤٤١، ابن النديم.

٢ ـ الامام جعفر الصادق: ١٦١.

مونقة وأعلام بيّنة[١].

وقال الحجاج للحسن، وعنده جماعة من التابعين، وذكر عليّ بن أبي طالب: ما تقول أنت يا حسن؟ فقال: ما أقول هو أوّل من صلّىٰ الى القبلة، وأجاب دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّ لعليّ منزلة من ربّه، وقرابة من رسوله، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها أحد، فغضب الحجّاج غضباً شديداً وقام عن سريره، فدخل بعض البيوت وأمر الناس بالانصراف[٢].

وكان يمتدح فاطمة الزهراء عليها السلام ويذكر فضلها حباً منه لأهل هذا البيت عليهم السلام وتعظيماً لأبنائها وأحفادها، وهو القائل: ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تورمت قدماها[٣].

وذكر هذه الفضائل وفي ظروف الارهاب الأموي يدل دلالة واضحة علىٰ عمق الاحترام والتكريم والولاء لأئمة أهل البيت عليهم السلام وفيما يلي نستعرض هذه العلاقات بشكل من الايجاز:

الامام جعفر الصادق وسفيان الثوري:

كان سفيان الثوري ملازماً للامام الصادق وله في قلبه حبّ وودّ، وكان يعترف بفضله وينشره وينشر فضائل أهل البيت، وقد نسب اليه انه كان زيدياً، والحقيقة انّه وان «اشتهر عنه الزيدية، الاّ أنّ تزيده إنما كان عبارة عن موالاة أهل البيت، وإنكار ما كان بنو أمية عليه من الظلم، واجلال زيد بن علي وتعظيمه، وتصويبه في أحكامه وأحواله»[٤].

---

١ ـ العقد الفريد ٢: ٩٥، أحمد بن عبد ربّه الاندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤ هـ

٢ ـ شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٣١.

٣ ـ ربيع الابرار ٢: ١٠٤، محمود بن عمر الزمخشري، منشورات الرضي، قم، ١٤١٠ هـ

٤ ـ شرح نهج البلاغة ٦: ٣٧١.

وسفيان الثوري من دعاة الوحدة بين المسلمين وكانت له خطوات ميدانية في ذلك مع الاحتفاظ بحبه وولائه لأهل البيت، حتى قال عنه عمرو بن حسان: كان سفيان نعم المداوي؛ اذا دخل البصرة حدّث بفضائل عليّ، واذا دخل الكوفة حدث بفضائل عثمان[١].

وقيل عنه «فيه تشيّع يسير»[٢].

الامام الصادق وابن أبي ليلىٰ:

كان ابن أبي ليلى قاضياً في عهد الامام الصادق عليه السلام وكان يكن الود والحب لأهل البيت وعلى رأسهم الامام الصادق عليه السلام، ويراه أهلاً للتبجيل والاحترام، ويرى وجوب محبته وموالاته، وقد جسد هذه الرؤية في ممارسات عملية ميدانية، فكان يتنازل عن ارائه الاجتهادية اذا علم بمخالفتها لآراء الامام الصادق، وكان يلبي ما يريده منه، ولا يعصي له امراً أو يخالف له نصيحة، فحينما ردّ شهادة محمد بن مسلم الثقفي ارسَلَ اليه الامام رسالة جاء فيها: «ما حملك على أن رددت شهادة رجل أعرف منك باحكام الله)، ولم يجد بذلك بأساً وتقبل كلامه برحابة صدر وخلوص نيّة وأرسل الى محمد بن مسلم ليشهد عنده ويجيز شهادته[٣].

الامام الصادق والامام أبو حنيفة:

كان الامام ابو حنيفة يرى وجوب حبّ وموالاة أهل البيت عليهم السلام وكان يشهد لهم بالفضل والأعلمية وبامامة المسلمين ايماناً منه بتجسيد هذا الحب في ممارسات ميدانية واقعية، فحينما أجبره أبو جعفر المنصور على مناظرة الصادق

---

١ ـ حلية الأولياء ٧: ٢٦.
٢ ـ سير أعلام النبلاء ٧: ٢٤١.
٣ ـ بحار الانوار ٤٧: ٤٠٣.

ناظره مكرهاً، وفي ذلك اعترف بفضله قائلاً: « ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد، لما اقدمه المنصور الحيرة، بعث اليّ فقال: يا أبا حنفية، انّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيّ له من مسائلك الصعاب، فهيأت له أربعين مسألة، ثم اتيت أبا جعفر وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما، دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لابي جعفر... فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا.

اليس قد روينا أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»[١].

وهذا المدح والثناء والاعتراف بمرجعيته العلمية يعبّر عن الحب والولاء للامام ولأهل البيت عموماً.

وكان يعترف بانّ الامام الحقّ هو جعفر الصادق، ويوجه الانظار اليه ويدعو الىٰ طاعته والارتباط به، كما دلت على ذلك بعض الاخبار والروايات المحايدة[٢].

الامام الصادق والامام مالك بن أنس:

قال الامام مالك: «والله ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد زهداًوفضلاً وعبادة وورعاً، وكنت أقصده فيكر مني ويقبل عليّ»[٣].

وقال: «كنت أدخل الى الصادق جعفر بن محمد فيقدّم لي مخدّة ويعرف لي قدراً، ويقول: يا مالك انّي احبّك، فكنت اسرُّ بذلك وأحمد الله عليه»[٤].

وكان يمتدح الامام ويثني عليه ويذكر جملة من فضائله ومناقبه فيقول: « لقد

---

١ ـ سير أعلام النبلاء ٦: ٢٥٨.

٢ ـ تاريخ العلويين: ٢٠٠، محمد أمين غالب الطويل، دار الأندلس، بيروت، ١٣٩٩ هـ

٣ ـ بحارالانوار ٤٧: ٢٠.

٤ ـ م . ن ٤٧: ١٦.

كنت آتي جعفر بن محمد، وكان كثير التبسّم، فاذا ذكر عنده النبي ﷺ اخضر واصفرّ، ولقد اختلفت اليه زماناً فما كنت أراه الاّ على احدىٰ ثلاث خصال: امّا مصلياً، واما صائماً، وإمّا يقرأ القرآن... وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله»[١].

وكان يحترم جميع من له صلة قربى بائمة أهل البيت، روي عن اسماعيل ابن موسى الفزاري قال: «رأيت يحيى بن عبدالله بن الحسن جاء الى مالك بن أنس بالمدينة، فقام له عن مجلسه واجلسه الى جنبه»[٢].

الامام الشافعي وأهل البيت عليهم السلام:

عرف الامام الشافعي بمحبته لأهل البيت عليهم السلام وكانت له علاقات حميمة معهم، ولكنّ هذه المحبة وهذه الموالاة لم تصل الى مرحلة العمل من أجل ايصالهم الى السلطة أو العمل علىٰ جعل الحكم في سلطانهم[٣] وكان لا يتحدث في مجلس يحضره أحد العلويين، ويقول: «لا أتكلم في مجلِس يحضره أحدهم هم أحقّ بالكلام»[٤].

وكان يصرّح بهذا الحبّ وهذا الولاء، ومن اشعاره ما روي عن الربيع بن سليمان قال: حججنا مع الشافعي فما ارتقىٰ شرفاً ولا هبط وادياً الاّ وهو يبكي وينشد:

يا راكباً قف بالمحصّب من منىٰ واهتف بقاعد خيفنا والنّاهض

---

١ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٣٩٧.
٢ ـ مقاتل الطالبيين: ٤٦٤.
٣ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٤٤٢.
٤ ـ الفهرست: ٤٤١.

سحراً اذا فاض الحجيج الى منىٰ فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أنّي رافضي[1]

وله اشعار اخرىٰ في هذا المجال ومنها:

نصلي علىٰ المختار من آل هاشمٍ ونؤذي بنيه انّ ذا لعجيب
لئن كان ذنبي حب آل محمدٍ فذلك ذنب لست عنه أتوب
هم شفعائي يوم حشري وموقفي وبغضهم للشافعي ذنوب

وانشد ايضاً:

لو فتشوا قلبي لألفوا بـه سطرين قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب وحبّ أهل البيت في جانب[2]

وفي المقابل لم يحدثنا التاريخ انّ أهل البيت عليهم السلام قد ذكروه بسوء.

الامام أحمد بن حنبل وأهل البيت عليهم السلام:

انّ ظروف الملاحقة والارهاب وأجواء المراقبة الشديدة لأئمة أهل البيت، حالت دون حدوث لقاء بينهم وبين الامام أحمد بن حنبل، فقد كان هو الآخر يعيش محنة حقيقية، ولكنّ عدم اللقاء وعدم الاجتماع لا يعني وجود تقاطع أو تدابر بل انّ الحب والتقدير والتكريم كان قائماً، وكان الامام أحمد كثير العلاقة مع عموم العلويين، حتى قيل للمتوكّل انّه يأوي العلويين ويدعو الى بيعتهم، وقد فتش

---

١ - سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٨، طبقات الشافعية ١: ٢٩٩.
٢ - ينابيع المودة: ٣٩٩، ٥٦٨.

منزله للتأكد من ذلك[١].

وكان يدافع عن عليّ بن أبي طالب في عهد المتوكل الذي عرف بمعاداته لأهل البيت، وقد قال في حقّه وحقّ أهل البيت:

«انّ الخلافة لم تزيّن علياً، بل عليّ زينها».

«علي بن أبي طالب من أهل بيت لا يقاسى بهم أحد»[٢].

«ما جاء لأحد من الصحابة من الفضائل مثل ما لعليّ بن أبي طالب»[٣].

والدفاع عن أهل البيت عليهم السلام ونشر فضائلهم في عهد المتوكل وغيره يدل دلالة واضحة على حبّه لهم وموالاتهم.

وحدة الموقف من السلطات الحاكمة:

اتفق العلماء والفقهاء من جميع المذاهب الاسلامية على صفات وخصائص وشروط الامام أو الخليفة أو الحاكم الاسلامي وهي: الاجتهاد والعدالة والكفاءة، امّا ائمة وفقهاء الشيعة فانهم اشترطوا العصمة في الامام وهي الدرجة العليا أو المرتبة العليا من مراتب العدالة، ورأيهم واضح، امّا ائمة وفقهاء السنة فقد اشترطوا العدالة، وهذا يظهر من آرائهم، وقد توهم البعض في فهم آراء علماء وفقهاء السنة حول الخليفة والحاكم، وظنوا انّهم يتبنون خلافة وحاكمية المنحرفين والجائرين كبني امية وبني العباس، وبالحقيقة انّ هذا التوهم جاء من خلط المفاهيم بالمصاديق أو خلط النظرية مع الواقع أو الموقف العملي، فاغلب فقهاء المذاهب استسلموا للأمر الواقع حينما لم يجدوا مصلحة في مواجهة

---

١ ـ البداية والنهاية ١٠: ٣٣٧، سير اعلام النبلاء ١١: ٢٦٧.

٢ ـ المناقب: ١٦٣.

٣ ـ ينابيع المودة: ١٤٢.

الحكّام وركنوا الى اصلاح الاوضاع بطريقة سلمية دون الاصطدام مع الحاكم الجائر، امّا من الناحية النظرية فانهم يشترطون العلم والعدالة والكفاءة في الحاكم وهذا يظهر من متبنياتهم الفكرية والفقهية التي ذكروها في كتبهم[١].

واذا تتبعنا مواقف أئمة المذاهب من الحكّام المعاصرين لهم، نجدها مواقف سلبية الاّ في نطاق محدود وفي حدود المصلحة الاسلامية العليا، وانّ ما يقال من انّهم أو بعضهم ساند الحكّام لا دليل عليه ولا صحة له، وهذا ما ستثبته في هذا البحث.

فجميع أئمة المذاهب كانوا سلبيين تجاه حكّام زمانهم، وكان الامام جعفر الصادق عليه السلام رائدهم في ذلك، ففي موقف له من المنصور يثبت موقفه السلبي؛ حيث كتب اليه المنصور: لم لا تغشانا كما يغشانا ساير الناس؟ فأجابه: ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الاخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا تراها نقمة فنعزّيك بها، فما نصنع عندك.

فكتب اليه: تصحبنا لتنصحنا، فأجابه: من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك.

فقال المنصور: والله لقد ميز عندي منازل الناس، من يريد الدنيا ممّن يريد الاخرة، وانّه ممّن يريد الآخرة لا الدنيا[٢].

وكان أئمة المذاهب معارضين لحكام عصرهم ولكن تلك المعارضة كانت معارضة سلمية لا تصل الى تغييرهم بالقوة، وفيما يلي نستعرض جملة من

---

١ ـ الاحكام السلطانية للماوردي: ٦، الاحكام السلطانية للفرّاء: ٢٠، روضة الطالبين، ٧: ٢٦٢، مآثر الاناقة في معالم الخلافة: ١: ٣٩، تمهيد الاوائل: ٤٧١، أصول الدين للبغدادي، ٢٢٧، مقدمة ابن خلدون: ١٥٢، شرح المواقف ٨: ٣٤٩.

٢ ـ كشف الغمة ٢: ٢٠٩.

مواقفهم:

الحسن البصري:

كان الحسن البصري معارضاً لحكّام زمانه الاّ انّه لا يرى وجوب الخروج عليهم، فقد استفتي في الخروج على الحجاجّ فقال: أرى أن لا تقاتلوه، فانّها ان تكن عقوبة من الله فما أنتم برادّي عقوبة الله بأسيافكم، وان يكون بلاءً فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين[١].

فقد اكتفى بالمعارضة السلمية وحث القرّاء وعموم الناس على مقاطعتهم فقد وجد جمعاً من القرّاء على باب ابن هبيرة، فقال لهم: ما يجلسكم ها هنا تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء... اما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم[٢].

ونهى عن الدخول في الفتنة حينما خرج يزيد بن المهلب على الحاكم الاموي بعد ما كان والياً له، فقيل له: والله لكانك راضٍ عن أهل الشام.

فقال: أهل الشام قبحهم الله أليس هم الذين احلّوا حرم رسول الله ﷺ يقتلون أهله... قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين، لا يتناهون عن انتهاك حرمة... عليهم لعنة الله وسوء الدار[٣].

وكان ينتقد السياسة الاموية ويستعرض سيرتها المخالفة لسيرة رسول الله ﷺ، فقد انتقد سياسة مؤسس الدولة الاموية في ادعاء زياد وقتل حجر

---

١ ـ الطبقات الكبرى ٧: ١٦٤.
٢ ـ حلية الأولياء ٢: ١٥١.
٣ ـ تاريخ الطبري ٤: ٨٤.

ابن عدي وأصحابه واستخلاف يزيد[١].

وكان ينتقد الحجّاج ويقول: الا تعجبون من هذا الفاجر يرقى عتبات المنبر فيتكلم بكلام الانبياء وينزل ويفتك فتك الجبارين، يوافق الله في قوله، ويخالفه في فعله.

وحول سياسة عبدالملك بن مروان والحجّاج قال: ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً وكتاب الله دغلاً واستحلوا الخمر بالنبيذ... واذا اقبل عدو الله ففي سرادقات محفوظة.

فارسل الحجّاج اليه شرطيين، فلما أدخل عليه، قال له: نعم الشيخ أنت، ولئن بلغني عنك ثانياً لافرّقنّ بين رأسك وجسدك.

وقد أراد الحجّاج قتله مراراً، الاّ انّ الله عصمه منه.

وحينما قتل الحجاج سعيد بن جبير، قال الحسن البصري: اللهم أعن على فاسق ثقيف، والله لو أنّ أهل الأرض اشتركوا في قتله لكبهم الله في النار.

وحينما اخبر بموت الحجّاج، سجد وقال: اللهم عقيرك وأنت قتلته فاقطع سنته وأرحنا من سيرته وأعماله الخبيثة[٢].

فعلاقته مع حكّام زمانه كانت علاقة سلبية وهي تنسجم مع مواقف أئمة أهل البيت من حكّام زمانهم، وموقفه هذا يصبّ في مصلحة أئمة أهل البيت لأنّه ساهم في كشف جرائم الجائرين بحقهم وبحق أتباعهم وأنصارهم، ولم تستطع الدولة الاموية أن تستميله لتخدع به عموم المسلمين، فلم يؤازرها بأي لون من المؤازرة الاّ بالحث على الجهاد في ثغور المسلمين وهو جهاد الاسلام ضد الكفر وهو واقع ضمن المصلحة الاسلامية العليا.

---

١ ـ ربيع الأبرار ٢: ٤٨٦.

٢ ـ حلية الأولياء ٢: ١٥٩.

سفيان الثوري:

كان سفيان الثوري يتألم على ما يجري بحق أئمة أهل البيت من ظلم وجور وينكر ذلك[١] وكان ينكر على حكّام بني العباسى مواقفهم من المسلمين عموماً ومن أهل البيت خصوصاً، ولكنّه كان لا يرى وجوب الخروج عليهم[٢].

وكانت علاقته بهم سلبية، فقد دخل ذات مرّة على أبي جعفر المنصور وقال له: اتق الله فانما انزلت هذه المنزلة وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار وابناؤهم يموتون جوعاً[٣].

وقال له: تبغضنا وتبغض دعوتنا، والثوري يقول: سلام سلام، ثم رفع رأسه فقال: «ألم تر كيف فعل ربك بعاد... انّ ربّك لبالمرصاد» ثم خرج عنه[٤].

وقال له ذات مرة: عظني، قال الثوري: وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت.

قال: فما يمنعك أن تأتينا؟ قال: انّ الله نهى عنكم فقال تعالى: ﴿*ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار*﴾[٥].

ونتيجة لشدّة معارضته للحكّام كانوا يتخوفون منه، فقد حَبَسَهُ المنصور في أحد المرات لكنّ الوالي اطلق سراحه على أن يختفي، وفي وقت آخر بعث الخشابين حيث خرج الى مكة وقال لهم: ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه[٦].

ودخل ذات مرّة على المهدي العباسى وقال له معترضاً: كم انفقت في

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ٦: ٣٧١.
٢ ـ سير اعلام النبلاء ٧: ٢٤٢.
٣ ـ م . ن ١: ١٠٦.
٤ ـ الجرح والتعديل ١: ١١٤.
٥ ـ العقد الفريد ٣: ١٠٩، سورة هود الاية: ١١٣.
٦ ـ سير اعلام النبلاء ٧: ٢٥١.

حجتك هذه، ثم خرج وتوارى، فنودي من جاء به فله ديته ومن وجد في منزله فقد برئت منه الذمة[١].

وقال له في موضع آخر: قد ملأت الأرض ظلماً وجوراً فاتق الله، قال المهدي: ارأيت ان لم استطع دفعه؟ قال: تخلّيه وغيرك[٢].

وكان كثير الاختفاء عن أعين الحكّام، وفي أحد مراحل الاختفاء جيء به الى المهدى، فقال: اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه فيها حكم، فخرج من عنده فرمى الكتاب في دجلة وهرب[٣].

وكان يقول: اذا لم يكن للعالم حرفة ولا عقار كان شرطياً لهؤلاء الظلمة، واذا لم يكن للجاهل حرفة كان رسولاً للفسّاق[٤].

وكان يقول: اذا دعوك لتقرأ عليهم «قل هو الله أحد» فلا تأتهم[٥].

وممّا تقدم يظهر انّ علاقته مع الحكّام كانت علاقة سلبية وكانت القطيعة هي الغالبة عليها، واذا اقتضت الضرورة اللقاء والاجتماع كان يستثمر هذا اللقاء على إداء الواجب الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان وكان لسانه أكثر عمقاً من السيف في التأثير عليهم، فقد كان سلبياً معهم الاّ انّه لم يفت بوجوب الخروج عليهم بل جعل الخروج مباحاً، وعلى سبيل المثال كان ابو اسحاق الفزاري قد قتل أخوه مع ابراهيم بن عبدالله بن الحسن فاتى الى سفيان فقال: قلت لا امرك بالخروج ولا أنهاك[٦].

---

١ ـ الجرح والتعديل: ١: ١٠٨.
٢ ـ سير اعلام النبلاء ٧: ٢٦٤.
٣ ـ مروج الذهب ٣: ٣٢٣.
٤ ـ ربيع الابرار ٢: ٥٤٥.
٥ ـ الطبقات الكبرى ٦: ٣٧٢.
٦ ـ تاريخ بغداد ١٣: ٣٨٥، الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

فهو يرى جواز الخروج على الحكّام الجائرين، فلو كان يرى الحرمة لنهى عنه، ولكنّه لا يرى الوجوب.

الامام أبو حنيفة:

كان موقف الامام أبي حنيفة مطابقاً لموقف أئمة أهل البيت من الحكّام المعاصرين، فقد كانت علاقته سلبية مع الحكّام والولاة، وكان يرى حرمة التعاون معهم، ومن آرائه: لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عدّ آجره لما فعلت[١].

قاطع الدولة الاموية ورفض ان يتولىٰ أيّ منصبٍ فيها، اراده ابن هبيرة ان يكون قاضياً ايام مروان بن محمد آخر حكام بني أمية فرفض فضربه مائة سوط[٢].

وكان يساند الحركات المسلحة الخارجة علىٰ الحاكم الاموي، فقد كان (يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علىّ وحمل المال اليه والخروج علىٰ اللص المتغلب المسمىٰ بالامام والخليفة)[٣].

وقال حول خروجه: ضاها خروجه خروج رسول الله يوم بدر، فقيل له: لم تخلفت عنه؟ قال: حبسني عنه ودائع الناس، وقال: لو علمت انّ الناس لا يخذلونه لجاهدت معه لانّه امام حق، ولكنّي اعينه بمالي، فبعث اليه بعشرة الاف درهم وقال للرسول: ابسط عذري له[٤].

وحينما بدأ العباسيون يعدون العدّة للقضاء علىٰ الحكّام الامويين ساندهم واشترك معهم في تحريض المسلمين وحثهم علىٰ الاشتراك في هذه الحركة[٥].

---

١ ـ تاريخ الخميس ٢: ٣٢٧، حسين الديار بكري، مؤسسة شعبان ـ بيروت.
٢ ـ وفيات الأعيان ٥: ٤٠٧.
٣ ـ تاريخ الخميس ٢: ٣٢٧.
٤ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٣٦٨.
٥ ـ دائرة المعارف الاسلامية ١: ٣٣٢.

وفي بداية حكومة ابي العباس السفاح اجتمع معه وأيده قائلاً:

(الحمد لله الذي بلغ الحقّ من قرابة نبيّه صلى الله عليه وآله وأمات عنّا جور الظلمة... وقد بايعناك على أمر الله، والوفاء لك بعهدك الىٰ قيام الساعة) وقد استمر على ولائه لبني العباسي، حتىٰ نزل الأذىٰ بآل عليّ[١].

فكان انزال الاذىٰ باهل البيت عليهم السلام هو الفاصل بين الامام أبي حنيفة والعباسيين، ولهذا كان يرفض أي لون من العلاقة بينه وبينهم وكان يعارض سياستهم ويخالفها ما دامت لا تحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله والامثلة علىٰ ذلك عديدة، ومنها انّ المنصور شرط على أهل الموصل ان خرجوا عليه تحلّ دماؤهم فخرجوا، فافتى له الفقهاء بالجواز الاّ ابو حنيفة قال: انهم شرطوا لك ما لا يملكون وشرطت عليهم ما ليس لك.

ودعاه للقضاء فقال: لا يصلح للقضاء الاّ رجل يكون له نفس يحكم بها عليك وعلى ولدك وقوادك، وليست تلك النفس لي.

وضلّ يكرر عليه القضاء فيأبىٰ، فلهذا عذبه ثم اخرجه من السجن ومنعه من الدرس والافتاء، وقدمات بعد ذلك بقليل[٢].

وفي رواية اكرهه على شرب سويق مسموم، فمضى به الى السجن فمات فيه[٣].

وتواترت الروايات انّه مات في السجن[٤].

وفي رواية عن زفر بن الهذيل قال: كان ابو حنيفة يجهر بالكلام أيام ابراهيم ـ

---

١ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٣٧٠.

٢ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٣٧٢، ٣٧٤.

٣ ـ ربيع الابرار ٣: ٦٠٥.

٤ ـ سير اعلام النبلاء ٦: ٤٠١.

بن عبدالله بن الحسن ـ جهاراً شديداً، فقلت له والله ما أنت بمنته حتى توضع الحبال في أعناقنا، فلم يلبث ان جاء كتاب المنصور الى عيسى بن موسىٰ فحمله الى بغداد خمسة عشر يوماً ثم سقاه فمات[١].

وقد تواترت الروايات على نصرته لابراهيم، جاءت اليه امرأة، فقالت: انّ ابني يريد هذا الرجل وأنا امنعه، فقال: لا تمنعيه[٢].

وقالت له امرأة: اشرت الى ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبدالله بن الحسن حتى قتل، فقال: ليتني مكان ابنك[٣].

وهو الذي ثبط بعض قواد المنصور عن الخروج لحرب ابراهيم ومنهم الحسن بن قحطبة[٤].

وكتب الى ابراهيم يشير عليه أن يقصد الكوفة ليعينه الزيدية، وقال له: ائتها سراً، وكتب ايضاً: اذا اظفرك الله بعيس وأصحابه فلا تسر فيهم سيرة أبيك في أهل الجمل، فانه لم يقتل المنهزم ولم يأخذ الاموال، ولكن سر فيهم بسيرته يوم صفين... فنظر المنصور بكتابه فسيره واشخصه وسقاه شربة فمات منها[٥].

وأهم من ذلك اعترافه بامامة جعفر الصادق عليه السلام كما تقدّم، فانّ هذا الاعتراف اضافة الى تأييده لحركة ابراهيم بن عبدالله بن الحسن يعتبر جريمة في نظر العباسيين أودت بحياته، وهذا ان دلّ على شيء انما يدل على موالاته لأهل البيت عليهم السلام والتعاطف معهم والاعتراض على ما يجري عليهم وما يواجهونه من

---

١ ـ تاريخ بغداد ١٣: ٣٣٠.
٢ ـ مقاتل الطالبيين: ٣٧٨.
٣ ـ تاريخ الخميس ٢: ٣٢٧.
٤ ـ مناقب أبي حنيفة ٢: ٢٢.
٥ ـ مقاتل الطالبيين: ٣٦٧.

ظلم واضطهاد، ولعل رفضه للقضاء داخل في هذا التعاطف حيث رفض التعاون مع حاكم ظلم أهل البيت وذويهم وأنصارهم، والاّ فانّه قادر على الدخول مع السلطان وكان العباسيون يترددون اليه، الاّ انه رفض جميع المغريات فكان موقفه كموقف ائمة أهل البيت من حكّام زمانهم.

الامام مالك بن أنس:

اعتزل الامام مالك ميدان الصراع المسلح بين الحكّام والخارجين عليهم، فلم يكن مع أيّ طرف منهم[١].

ومع ذلك كان يفتي بما يراه شرعياً ولا يراعي مصلحة الحكّام أو أهدافهم، فقد ضُربَ وعُذب في فتوىٰ لم توافق أغراضهم[٢].

وقد اختلفت الروايات أو اختلف الباحثون في موقفه من حركة محمد ذي النفس الزكية على أقوال:

بعض الروايات انّه افتىٰ بجواز الخروج مع محمد على المنصور، وقيل له: إنّ في اعناقنا بيعة للمنصور، فقال: انّما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين[٣].

وانّ هذه الفتوىٰ شجعت الناس على الخروج فأسرعوا الى الالتحاف بمحمد بن عبدالله بن الحسن[٤].

ويرىٰ الشيخ محمد ابو زهرة: انّه ضرب لتحديثه بهذا الحديث في وقت خروج محمد بن عبدالله بالمدينة، لا لانّه كان يحرض بذلك الحديث، بل الذي

---

١ ـ تاريخ مذاهب الاسلامية: ٤١٤.
٢ ـ شذرات الذهب ١: ٢٩٠.
٣ ـ تاريخ الخلفاء: ٢١٠.
٤ ـ مقاتل الطالبيين: ٢٨٣.

نعتقده أنّه حدث بهذا الحديث ورواه ونقله الناس عنه، فوجد الناس فيه ما يدل على أنه يجوز ان يتحللوا من بيعة المنصور زاعمين انها كانت بالغلبة والاكراه، ووجد الكائدون لمالك في ذلك فرصة للكيد له، فاخبروا والي المدينة بذلك... وهؤلاء ظنوا انّه بروايته يروّج للدعاية ضدهم ويمالئ بروايته في وقت خروج الخارجين[١].

والذي نراه انّه بروايته «ليس على مستكره يمين» أراد بالفعل تبيان حكم شرعي وهو جواز نقض البيعة لانّ القسم لم يتم لانهم اقسموا تحت الاكراه، ولا يخفى على الامام مالك انّه سئل عن ذلك في أجواء حركة محمد بن عبدالله بن الحسن، وانّ الناس سيفهمون جواز نقض البيعة، وهو ما حصل بالفعل. فالقرائن تدلُّ على انّه كان مسانداً لهذه الحركة المسلحة، وان موقفه من الحكّام كان سلبياً أو على أقل التقادير انّه كان محايداً لم يؤازرهم ولم يساندهم في صراعهم مع المعارضين..

الامام الشافعي:

صرّح الامام الشافعي بموالاة أهل البيت في أشعاره وأقواله، وهذا التصريح بنفسه يعد معارضة للحكّام الذين ارادوا طمس معالم أهل البيت والقضاء على منهجهم، ولكنهم لم يواجهوه بالعنف لتعدد الثورات في زمانه، وهنالك اخبار ترى انّه قدم للقتل بسبب هذه الموالاة، ولكن اخرج بشفاعة القاضي ابي يوسف فافرج عنه ولولاه لقتل[٢].

---

١ ـ مالك بن أنس: ٥٩، تاريخ المذاهب الاسلامية: ٤١٦.

٢ ـ لا سنة لا شيعة: ٥٧، الدكتور الزعبي، عن: مناقب الشافعي للرازي: ٢٥.

وكان موته باعتداء فحبس الوالي فتيان[١]، فجاء شباب متعصبون لفتيان واعتدوا على الشافعي، فلم يزل عليلاً الى ان مات[٢].

وهذا الاعتداء وان لم نملك ادلة ومعلومات عن اسبابه ودوافعه والاهداف المرجوة منه، الاّ انّه لا يستبعد ان يكون للحكّام دوراً في تحريك المعتدين. وخصوصاً انّهم لم يستطيعوا استمالته ليكون تابعاً لهم أو على الأقل التخلي عن موالاته لأهل البيت عليهم السلام.

الامام أحمد بن حنبل:

رفع الى المتوكل أنّ أحمد بن حنبل ربّص علوياً في منزله، يريد أن يخرجه ويبايع له، ففتشوا منزله فلم يجدوا أحداً[٣].

ووشي به انّه يشتم آباء المتوكل ويرميهم بالزندقة[٤].

وسجن الامام أحمد عدة مرات في عهد ثلاثة من حكام بني العباس، وعذب تعذيباً شديداً لقوله بعدم خلق القرآن، فقد سجن في عهد المأمون ولم يخرج الاّ في عهد المعتصم. وقد عذب في عهده ثم أفرج عنه[٥].

وسجنه لا يعقل بسبب قوله بعدم خلق القرآن، لانّ العباسيين لا يهمهم ما قيل في القرآن مخلوق أم قديم بقدر ما يهمهم بقاء سلطانهم، فلعل سجنه كان بسبب معارضته لهم في مواقفهم المخالفة للشريعة، أو بسبب نشره لفضائل أهل البيت.

---

١ ـ فتيان: شخص مخالف للشافعي في الرأي قام بالاعتداء عليه.
٢ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية: ٤٥٠.
٣ ـ سير أعلام النبلاء، ١١: ٢٦٧.
٤ ـ البداية والنهاية: ١٠: ٣٤٠.
٥ ـ سير أعلام النبلاء، ١١: ٢٣٨، ٢٥٩.

وفي جميع الاحوال والظروف كان موقفه سلبياً من الحكّام المتعاقبين على السلطة، فقد رفض تولي القضاء في عهد الأمين، وكان يرفض العطاء والهدايا من قبلهم، ولزم منزله لا يخرج الى جمعة أو جماعة، وامتنع عن التحديث في خلافة المأمون والمعتصم والواثق[١].

واراد منه المتوكل ان يقيم ليحدث الناس عوضاً عمّا فاتهم منه في أيام المحنة، فاعتذر انّه عليل[٢].

وخلاصة القول: انّ العلاقة بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وأئمة المذاهب كانت علاقة ودّ وتآزر، ولم تحدث بينهم قطيعة أو تدابر، وكان اتباعهم كذلك، فكانوا يتزاورون ويجتمعون معاً في المساجد وفي أماكن التجمعات الاخرى، فكانوا يعودون المرضى ويشيعون الأموات ويحضرون ولائم الزواج والافراح، وقد تواترت الروايات الدالة على هذا التعاون والتآزر وعلى عمق العلاقات الاجتماعية، ومن يتتبع كتب التاريخ والحديث يجد صحة ذلك، يقول الرواة والمحدثون ما نصه: « دخلت على ابي عبدالله وعنده ابو حنيفة»، «دخل ابو حنيفة على جعفر الصادق»، «دخل مالك على جعفر بن محمد»، «اكل ابو حنيفة طعاماً مع الصادق»، وكذلك قول بعض ائمة المذاهب من قبيل: «دخلت على جعفر بن محمد»، «اختلفت اليه زماناً»، وكانت لهم علاقات مع حريز والأعمش ومؤمن الطاق، وكان يأنس أحدهم بالآخر.

ولم يحدثنا التاريخ انّه حدث خلاف أو تنافر أو تقاطع بين أئمة أهل البيت وأئمة المذاهب أو بين اتباعهم، وجميع الخلافات حدثت بعد عصرهم وفي مراحل متأخرة من حركة ومسيرة المسلمين، وأغلبها كان بفعل أعداء الاسلام أو

---

١ ـ البداية والنهاية ١٠: ٣٣٧.

٢ ـ م . ن ١٠: ٣٣٨.

من فعل الحكّام المنحرفين الذين لا يقوىٰ سلطانهم الاّ بالفرقة والتمزق.

وفي عصر الصحوة الاسلامية المعاصرة عاد المسلمون الى ماكانوا عليه من وفاق ووداد وقد اختفت بعض الخلافات وهي في طريقها للزوال ان تظافرت جهود وطاقات الفقهاء والعلماء من أجل توحيد الصفوف وخصوصاً في المواقف العملية، وما اجتماع علماء وفقهاء ومفكري الامة في طهران في مؤتمر الوحدة الاّ دليل واقعي على التقريب والتفاؤل بالوحدة.

* * *

«الفهرست»

المقدّمة
العلاقات في مجالي العلم والفقه
علاقات الاحترام والتكريم والولاء
الامام الصادق وسفيان الثوري
الامام الصادق وابن أبي ليلى
الامام الصادق والامام ابو حنيفة
الامام الصادق والامام مالك بن أنس
الامام الشافعي وأهل البيت
الامام أحمد بن حنبل وأهل البيت
وحدة الموقف من السلطات الحاكمة
الحسن البصري
سفيان الثوري
الامام ابو حنيفة
الامام مالك بن أنس
الامام الشافعي
الامام أحمد بن حنبل

وحدة اسلامية
من أين نبدأ ؟

صالح أحمد عاشور

الكويت

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿*وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبية وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم*﴾. سورة البقرة: ١٤٣.

في ذكرى المولد الشريف لخاتم الأنبياء والمرسلين وأفضل الخلق اجمعين النبي الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نجتمع بمناسبته في ظل هذا المؤتمر المبارك.

في هذه المناسبة العظيمة تتهادى الى أذهاننا تلك الصور الجميلة التي رسمها خاتم الأنبياء للمجتمع الاسلامى حيث الانسجام التام بين أبنائه والترابط والتراص كالبنيان المرصوص وعظيم البركات والخيرات التي أحاطت بالمجتمع من كل صوب وحدب.

واليوم ونحن نتذكر تلك المنجزات العظيمة لا تغنّياً بأمجاد الماضين وإنما أملا وطموحا لأن نعيد شيئا من ذلك العهد في ضل وحدة إسلامية يتعاون فيها المسلمون ويتكاتفوا في قضاياهم المصيرية.

ولا شك أن من يدعون الى ذلك ويحملون راية هذه الدعوة ويشجعون عليها إنما هم المخلصون من أبناء الأمة والحريصون على رفعة وعزة شأنها وهم

المتفهمون والمتعقلون لما هو صالح الإسلام والمسلمين.

وتأتي الجمهورية الإسلامية الإيرانية على رأس أولئك ، فهي لم تألوا جهدا في هذا المضمار، ولا يفوتنا الدور العظيم الذي قام به مؤسسها وقائدها الراحل الإمام ا لخميني قدس سره الشريف الذي صادف ذكرى رحيله في الأيام القليلة الماضية.

إن أعداء الامة يحذرون كل الحذر من أي مشروع وحدوي في الامة فهم يضعون العراقيل والعصي في عجلة كل خطوة تعاون بين أبناء الأمة.

وأعداء الأمة ليسوا فقط أولئك المتترسون في الغرب ليحيكوا المؤامرات وإنما أيضا بعض مدعي الاسلام والانتماء إليه الذين يسعون جهدهم لتفريق الامة وبث الخلافات والصراعات ليهيؤوا الأرضية لأعداء الأمة من الخارج.

ولعل ما قام به النظام العراقي الظالم في حربيه العدوانيتين على جيرانه والذي كلف الامة مئات الآلاف من الأرواح التي ازهقت وبلايين الدولارات التي ذهبت هباء هذا الى جانب الدمار الكبير الذى اصاب المنطقة، وأسوأ تلك الأضرار التي ترتبت عن هذه المغامرات الطائشة هو الفرقة والشتات الكبير الذي منيت به امتنا الاسلامية.

ولا زلنا في الكويت كما هو الحال في الجمهورية الإسلامية الايرانية نعيش آثار هذه الحروب المفتعلة من قبل النظام العراقي ولا زال الجرح لما يندمل، فلا زال أسرانا يقبعون في سجون ومعتقلات صدام حسين.

إننا في ظل موضع المؤتمر المطروح بين أيدينا لنؤكد على ان الوحدة الاسلامية مشروع ضخم وكبير وحتى نصل الى هذا الطموح المنشود لا بد من خطوات وآليات تقربنا إليه وهنا نقترح التالي:

١ ـ إن تطوير العلاقات بين الدول الاسلامية على الصعيد الرسمي يساهم بشكل مؤثر في التقارب بين أبناء الامة ولعل ما شهدته العلاقات بين الجمهورية الاسلامية الايرانية والدول العربية والخليجية منها بشكل خاص في السنوات الأخيرة ساعد على تقارب شعوب المنطقة وهيأها لتقبل مشاريع التعاون والتكاتف في ما بينها، وهذا مثال يمكن أن يحتذى به في عالمنا الاسلامي. لذا فالحكومات والهيئات الرسمية في دولنا معنية بشكل مباشر لإزالة أسباب التوتر وسوء الفهم في ما بينها.

٢ ـ إن تطوير العلاقات التجارية والثقافية بين الدول الإسلامية يفتح أمامها طريقا ممهدا لمشاريع الوحدة، والواقع الاسلامي لا زال يعاني الكثير من التشرذم والتباعد رغم المصالح المشتركة والعوائد الاقتصادية الكبيرة والمهمة التي يمكن ان تجنيها بلادنا من التعاون في ما بيننا.

٣ ـ التركيز على المساحات المشتركة بين المسلمين، وهي كثيرة وعديدة، فهناك القضايا الإسلامية المركزية كقضية القدس الشريف والتي لا بد أن تصبح راية يلتف حولها المسلمون كافة. إن ما يعاني منه أبناء شعبنا في فلسطين المحتلة ليعد من أبشع الجرائم التي ترتكب بحق الإنسانية، وعالمنا الإسلامي يغط في نوم عميق كأن الأمر لا يعنيه، فأي وحدة إسلامية ننشدها دون أن يتحرك الضمير الاسلامي لنصرة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسولنا الكريم.

٤ ـ إن أهل البيت عليهم السلام والذي ينعقد هذا المؤتمر باسمهم الشريف يعدون من أهم المشتركات بين جميع المسلمين، فقد اتفقت كل الفرق الإسلامية

بمختلف مشاربها على إجلالهم وحبهم وتقديرهم فهم من قال عنهم الجليل الأعلى في كتابه الكريم ﴿*إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾ وقال على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى*﴾ وأي مودة اعظم من الاقتداء بهديهم والوحدة تحت رايتهم.

إنّ اتخاذ اهل البيت عليهم السلام محوراً للوحدة الاسلامية حري لأن يصبح مادة للبحث والدراسة، وإن المثقفين ورجال العلم والدين من أبناء الامة تقع على عاتقهم هذه المسؤولية التي لو قاموا بها على أكمل وجه لأصبحت قاعدة صلبه يستند عليها مشروع الوحدة الاسلامية.

إننا اليوم نعيش في أفضل مراحل التاريخ الاسلامي فهما وتعقلا وإنصافا في نظرته الى أهل البيت عليهم السلام ، فقد ولّى زمن يقتل فيه أهل بيت نبيّ هذه الامة، وولّى زمن يسبّون فيه من على منابر المسلمين، وولّى زمن يهمّشون فيه، ولا زلنا بحاجة الى اقتراب أكثر من فكرهم وعطائهم اللامحدود.

إننا نرى أن أهل البيت عليهم السلام المنبع الرئيسي الذي يمكن أن تنطلق منه كل مشاريع الوحدة بين المسلمين.

والله نسأل أن يوفق كل المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية للعمل على التقارب والتعاون وبالتالي الوصول الى وحدة اسلامية مباركة إن شاء الله.

والله ولي التوفيق .. والصلاة والسلام على نبينا الأكرم وأهل بيته الطاهرين.

صالح أحمد عاشور
عضو مجلس الأمة

الوحدة الاسلامية
وأثرها على الأمّة الإسلامية

الشيخ حسن أحمد أبو سبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأهل بيته الغر الميامين وأصحابه الكرام الذين آزروه ونصروه رضي الله عنهم أجمعين.

حضرات الاخوة العلماء والأئمة الشرفاء..

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته..

وبعد: نحيي سعادة السيد رئيس الجمهورية الايرانية الاسلامية الرئيس خاتمي ونحيي السادة الأئمة ونحيي ذكرى الامام العظيم الامام الخميني الذي فجر الثورة الاسلامية في هذه الجمهورية الاسلامية الفتية التي أكدت للعالم أجمع ان الاسلام هو المخرج والخلاص من الكفر وأن المسلمين اذا وضعوا ايديهم في ايدي بعض فان الاسلام سينتصر، وان راية الاسلام ستعلو وأن هذا العالم الحائر القلق المضطرب لن يخرج من الظلام الذي يعيش فيه الا بالوحدة الاسلامية التي حملها رسول الانسانية ومنقذ البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وذريته الذين جاهدوا في احقاق الحق وابطال الباطل وصبروا على مطارق المحنة وضربوا مثلاً في الصمود من اجل رفع راية الاسلام وفي مقدمتهم آل البيت الكرام وعلى رأسهم أخيه وابن عمه الامام سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه وعن شهداء كربلاء وأصبح الامام الحسين رضي الله عنه على كر الغداة ومر العشى الميت الحي والشهيد الخالدة ذكراه.

وكأنما شاء أحكم الحاكمين أن يجود الحسين بنفسه شهيداً حيث استوفى أجله ليكتب في الخالدين وليظل ضريحه محط انظار الغادين والرائحين، ولتبقى ذكراه مثلاً اعلى في التضحية والايثار والشجاعة والأقدام وليقدم دليلاً قوياً على عاقبة البغي والظالمين وستظل مكانته منارة الأوفياء لعهدهم الباذلين نفوسهم وارواحهم الغالية رخيصة في سبيل غاية يبتغون بها وجه رب العالمين.

أيها السادة العلماء إنه لمن دواعي السرور ان نلتقي في ربيع في أرض الجمهورية الاسلامية التي وضع لبناتها الامام الخالد الخميني والعالم الاسلامي يحتفل بميلاد النور لنجعل من هذا اللقاء العظيم أساساً للوحدة الاسلامية.

ولتقريب وجهات النظر والتوافق بين المذاهب الاسلامية التي لم تختلف في الاصول، ولكنها اختلفت في الفروع، ولذا وجب علينا أن نبحث مواضع الاختلاف وأن نخرج بشي يوحد بيننا كأمه هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجاهد في احقاق الحق وابطال الباطل إن الباطل كان زهوقا.

أيها السادة العلماء والأئمة لقد كان العالم يعيش في ظلام حالك السواد مليء بالرذيلة والفساد يقتلون بعضهم ويشربون الخمر ويلعبون الميسر ويئدون البنات فأشرقت الارض بنور ربها وارتفت راية الاسلام وعم الارض السلام بميلاد رسول الانسانية ومنقذ البشرية.

فقال الله تعالى: ﴿*لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم*﴾.

وهنا يقول سيدنا الامام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه: «وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ونجيبه وصفوته لا يوازي فضله ولا يجبر فقده، اضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية والناس يستحلون

الجريم ويستذلون الحكيم».

فعلينا أيها العلماء الأجلاء ونحن في هذا اللقاء العظيم الذي جمعتنا فيه جمهورية ايران الاسلامية يجب علينا ان نجدد العهد على تحقيق الوحدة الاسلامية واصلاح ذات البين التي يقول عنها سيدنا الامام علي كرم الله وجهه: «اوصيكم وجميع أهلي وولدي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم، والله الله في جيرانكم فانهم وصية نبيكم ما زال يوصى بهم حتى ظننا سيورثهم، والله الله في الصلاة فانها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم، والله الله في الجهاد بأموالكم وانفسكم وألسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتبادل لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم».

الاخوة الاجلاء يجب علينا ونحن نعمل من أجل الوحدة الاسلامية وقد تداعينا من جميع بلادنا الاسلامية ونحن نجلس على هذه البقعة الطاهرة أن نوصد أبواب الفتنة وأن نزيل كل خلاف بيننا حتى لا نمكن الاعداء منا.

وعلينا أن نؤكد الجهود الوحدوية في القرن الأخير من علماء المسلمين سنّة وجماعة وشيعة خاصة ما قاله الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وآية الله البروجردي في ليالي البشاور الذي جاء في قوله يجوز العمل بالفقه الشيعي.

أيها السادة الأجلاء ونحن نعيش فرحة في ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه.

لا بد أن نعلم أن محبة آل البيت هي من محبة الرسول وأولاده جميعاً وفي مقدمتهم السيدة فاطمة الزهراء حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحبها فقد

أحبني ومن ابغضها فقد ابغضني» فلقد ضرب الامام الحسين مثلاً اعلى في الجهاد وجاد بنفسه حيث استوفى اجله في الخالدين وظل ضريحه محط أنظار الغادين والرائحين.

ولتبقى ذكراه مثلاً في التضحية والإيثار والشجاعة والاقدام وليقوم دليلاً قوياً على عاقبة البغي والباغين هذا هو الحسين في أعطر ذكراه و علياء سماه وأولئك خصومه لا يذكرون الا باستنزال السخط واللعنات من عادل يمهل ولا يهمل ويملي للظالم المعتدي حتى اذا اخذه لم يفلته ولقد قام المجاهد الاكبر الامام الخميني رضي الله عنه فحارب الظلم والطغيان فما هادن وما استكان فانتصر على قوى الشرك ودول الاستكبار فتوكل على الله وهزم مؤامرات الغرب وانتصر على أعداء الاسلام وأقام الجمهورية الاسلامية شامخة قوية فتية، فكانت مفخرة وعزة وقوة وحضارة اسلامية ونموذجاً فريداً يجب ان يقتفي أثره المسلمون في انحاء المعمورة.

والآن فأن الجهاد الذي يقوم به شعب فلسطين لتحرير الأرض والعرض من دنس الصهيونية العالمية وتطهير الاراضي المقدسة من عبث الصهاينة واعادة القدس التي حررها صلاح الدين الأيوبي، والتي تنتظركم انتم معاشر المسلمين لتعيدوا بيت المقدس وتخرجوا منه اعداء الله واعداء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، ونحمد الله الذي جعل الامام الراحل الخميني ان يجمعنا في الثاني عشر والسابع عشر من ربيع في هذه الجمهورية العظيمة أمل الأمة الاسلامية وأن نزجي عظيم الشكر والتقدير للسيد الرئيس خاتمي الذي اتاح لنا هذه الفرصة العظيمة لنلتقي ونتفاكر ونتشاور في تحقيق الوحدة الاسلامية وعلينا أن نعمم ما قررناه في مؤتمرنا العظيم هذا في بلادنا، مدننا وأريافنا وفي حياتنا الاجتماعية وخاصة ونحن نواجه هجمة شرسة من الذين يريدون ان يفرقوا بيننا والله متم نوره

ولو كره الكافرون.

فالوحدة الاسلامية هي صمام الامان للامة العربية والاسلامية ونحن نعلم ان الاسلام هو الذي وحد بين الشعوب وجعل المسلمين سواسية كأسنان المشط. قال الله تعالى: ﴿*واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً*﴾.

ولا بد لتحقيق ما نتفق عليه في هذا المؤتمر العظيم أن نضع آلية نستطيع ان نحقق أهدافنا والآلية.

آلية قرآنية إسلامية في قوله تعالى: ﴿*تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا نعبد الا الله*﴾ وأن نتوحد في مذاهبنا الاسلامية توطأة لحوار الأديان وحوار الحضارات كما يتابع السيد خاتمي رئيس الجمهورية الاسلامية وذلك عن طريق المساجد وخطب الجمعة ودعوات الحكام والنصيحة لائمة المسلمين ونصيحة النفس اولا وانتم ثانياً ونبتعد عن الفتنة مقتدين بقول سيدنا الامام رضي الله عنه وكرم الله وجهه : «كن في الفتنة كابن اللبون».

أيها السادة شكراً لكم وشكراً للرئيس الخاتمي رئيس الجمهورية الاسلامية التي جمعتنا في ذكرى مولد رسول الانسانية ومنقذ البشرية وهي جمهورية إسلامية مؤهلة بكل المقاييس لقيادة العالم الاسلامي والله يوفقنا لنصرة الامة الاسلامية في ظل الجمهورية الاسلامية.

وقد التقينا في مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله واهل بيته الذين كرمهم الله وجعلهم قادة وسادة وأئمة لهذا الدين حيث جاء بشريعة أحلت الطيبات وحرمت الخبائث وبنت احكامها على دعائم متينة من الحق الشامل والعدل الكامل واليسر ورفع الحرج ومراعاة الأمانة والوفاء بالعهود والعقود ومنع الضرر والأذى وجلب المصالح للعباد ودرأ المفاسد عنهم. ولجلال هذه الرسالة و

عظيم خطرها اختار الله جل شأنه لتحمل أعبائها واداء أمانتها أفضل الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم وآله وأهل بيته الغر الميامين الذين قال في شأنهم: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها من احبهم فقد احبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن أبغضني فقد ابغض الله».

مرة أخرى ندعو الله ان يجعلنا من المحبين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداعين لنصرة شريعته الغراء. وحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه.

من هم في السودان:

ايها الاخوة العلماء الاجلاء والأئمة الكرماء..

لا بد لي في ختام حديثي الى سماحتكم أن أؤكد أن اهل السودان يحبون رسول الانسانية ومنقذ البشرية ويحبون آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته وصحابته الكرام.

فآل البيت في السودان هم السادة المراغنة الذين ينتسب جدهم الاكبر الامام السيد محمد عثمان الختم واهله رضي الله عنهم فهم يتصل نسبهم بسيدنا علي زين العابدين بن الامام الحسين ابن سيدنا الامام علي رضي الله عنه وعليه وآله السلام وهم ايضاً احفاد السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء الجنة كما ان ابنيها الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة فقد كان الامام الختم رضي الله عنه فوق أنه حفيد شهيد كربلاء فهو عالم نشر الاسلام في ربوع العالم العربي والاسلامي وفي افريقيا وله مؤلفات جمة منها كتابه تاج التفاسير في القرآن ومنها مؤلفاته في الفقه واللغة العربية وعلم الكلام والبلاغة والادب والتاريخ لأنه حفيد مدينة العلم التي بابها سيد العلماء والبلغاء صاحب نهج البلاغة ومنارة العلم والدين سيدنا

الامام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه وآل بيته.

وبعد ان انتقل السيد الامام الختم الى جوار ربه حمل الرسالة حفيد الائمة مولانا السيد علي المرغني الذي سلك طريق اجداده من آل البيت فنشر الاسلام وأسس المساجد ومدارس القرآن وقاد الحركة الوطنية لتحرير السودان من الاستعمار البريطاني فالتف حوله اهل السودان لأنه من آل البيت الكرام رضي الله عنهم وبعد وفاته رضي الله عنه حمل رسالة الاسلام والوطن ابنه السيد محمد عثمان المرغني وشقيقه السيد احمد المرغني وقد التف حولهما أهل السودان لما بذلوه من قبل وما يجاهدون في سبيله اليوم لأنهم فوق ذلك هم آل البيت مصابيح الهدى لأن محبتهم واجبة كما جاء في حديث الثقلين وكما قال صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

فاهل البيت في السودان اليوم هم موضع الثقة والمحبة لأنهم سلالة الرسول الأعظم واحفاد الامام الاكبر ابو الحسنين زوج الزهراء سيدة نساء الجنة وأحفاد الامام الذي ما هان وما لان وما استكان الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين سيد شباب اهل الجنة الذي قال فيه الشاعر الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلمُ
اذا رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
ينمى الى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجمُ
في كفّه خيزران ريحه عبق ... من كف اروع في عرنينه شممُ
ما قال لا قط الا في تشهّده ... لولا التشهّد كانت لائه نعمُ
فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجمُ

وفي السودان فان احفاد الشهيد الحي الامام الحسين شهيد كربلاء يقودون العمل من أجل نشر الاسلام ووحدة الصف الاسلامي والوطني يتقدمها السيد محمد عثمان المرغني شيخ الطريقة الختمية طريقة آل البيت وهو في ذات الوقت يقود مسيرة الحركة الوطنية في السودان ويبذل كل ما في وسعه لنبذ الفرقة والشتات بين ابناء الوطن في السودان وهو أيضاً يرجو ان يجتمع علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم لينظروا كيف تتقارب وجهات النظر للخروج من الخلافات الضيقة التي فرضتها ظروف سياسية في شتى انحاء العالم الاسلامي لأن اعداء الاسلام لا يريدون لكلمة المسلمين ان تتوحد، فلذا يجب علينا ان نعمل جاهدين ليكون هذا المؤتمر نواة صالحة لتوسيع المشاركة من كافة انحاء العالم الاسلامي، وكنا نتمنى ان يكون للمؤتمر الاسلامي دور فاعل في قضية الوحدة الاسلامية.

أهل البيت عليهم السلام
ومصلحة الأمّة

الشيخ حسن البغدادي

رئيس مركز الإمام الصادق عليه السلام

جبل عامل ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

وحدهم الائمة عليهم السلام شكلوّا عنفوان الأمّة في انماطها المختلفة، وكانوا عنوانها في اقلام الكتاب والباحثين طيلة عشرات من القرون، فتناولوا علاقتهم بربهم وبمجتمعهم.

سيرة ادهشت العالم وحيّرت العقول، فمواقفهم كانت محكومة لمخالفة النفس بشكل كامل،إنهم الميزان عندما يختلط الحق بالباطل، وخَيرٌ من عبرَّ عن مكانتهم رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قال: ان مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[1].

وأنت تقرأ سيرة الائمة عليهم السلام تجد البون الشاسع بينهم وبين المدرسة المناهضة لهم، ولا غرو فهم الذين تخلصوا من شروط الجسد وعالم الماديات وتفوقوا على شروط الموت، فالملائكة التي هي مخلوقات نورانية عندما أُمرت ان تسجد لهذا الكائن البشري إنما كان المقصود السجود لهذه الروحية المتميزة التي هي أساس وجود العالم واستمراره، وهذا معناه انه يلزم عدم استطاعة البشر ان يتمثلوا بهم .

تصّور ان حاكماً لدولة اسلامية اكبر من الشرق الاوسط، كان فيها هارون الرشيد يخاطب السحابة: إمطري حيث شئت فإنّ خراجك يعود لي، عليّاً يأتيه

---

١ ـ شرح الأخبار للقاضي التميمي المغربي ج ٢/٥٠١، ينابيع المودّة ج ١/٥٩٤.

اخوه عقيل وكان بصيراً وفقيراً يطلب منه مساعدة اضافية على بقية افراد المسلمين، ينهره علي عليه السلام ويذكره الآخرة، ولمّا الحَّ في الطلب احمى له حديدة وأدناها من جسده ليذكره نار جهنم قائلاً له: ثكلتك الثواكل يا عقيل...

هذه الممارسة العادلة لرئيس الدولة الاسلامية، التي لم تسمح لنفسها بالتصرف في مال المسلمين حتى ولو كان زهيداً كان نتيجة الانسجام في (التطابق بين النص والسلوك)..

فقد تقرأ نصاً لإنسان عظيم ومفكر قال نصوصاً في الادب والسياسة او الاجتماع، قد تدخل الى اعماق القلوب، وفي نفس الوقت قد تجد ضرورة الفصل بين النص وصاحبه، قد يكون فصلاً كاملاً حيث يمكن ان يكون لصاحب النص سلوك يتناقض جزئياً أوكلياً مع نصّه، باستثناء الائمة عليهم السلام فإن نصهم مطابق دائماً لمحتواه، حيث نستطيع ان نستبدل النص بهم.

وحدهم الذين كانوا في المعترك السياسي والاجتماعي والعلمي منسجمين تماماً مع قناعاتهم، فلا تجد لهم زلة لا عثرة، ولا تفكير بذات أو مصالح خاصة، فلولا هذا التطابق بين النص والسلوك لما امكن ان تقوم حركات الاعتراض والتغيير في المجتمع الإسلامي، صحيح ان التأريخ الإسلامي انحرف في محطات مختلفة عندما كان ينتصر فيها الباطل، ولكن هذا الانتصار ظل شكلياً، لهذا كانت العدالة غريبة في مجتمع المسلمين لا تجد لها ناصراً الا بكلماتهم (عليهم السلام) فقد حفر هذا التطابق عميقاً في العقل الإسلامي وفي الوجدان الإسلامي، حَيثُ غُلبت المصلحة العامة على الافراد.

منهجية العترة الطاهرة:

مصلحة الاسلام والمسلمين فوق كل اعتبار، لا مصالح خاصة، ولا تغليب

لمصلحة الافراد، وذهب القول المشهور للإمام علي عليه السلام بمثابة دستور سار عليه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) والسائرين على نهجهم، فعن علي عليه السلام: والله لأسالمن ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن جور الا علَي خاصة[1] وتحول هذا القول الى سلوك ونهج لا يخضع لظروف إستثنائية.

وهنا سأتحدث عن بعض المحطات في طبيعة العلاقة بينهم (عليهم السلام) وبين السلطات الحاكمة آنذاك، وسأكتفي بذكر نماذج تدلنا على حقيقة موقف الائمة (عليهم السلام).

الامام علي عليه السلام والخليفة الأول.

موقف اليعقوبي في تأريخه.

علي عليه السلام والخليفة الثاني.

موقفه عليه السلام من الشورى.

صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية.

نتائج شهادة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

خلاصة القول.

الإمام علي عليه السلام والخليفة الأول:

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقف علي عليه السلام متفرجاً على أوضاع المسلمين بل عمد الى الفصل التام بين الثوابت الدينية لخلافة الرسول، وبين إطارها السياسي الذي طالما زهد فيه، وتنفّر لخفق النعل من خلفه، فلم يستوحش لقلة الناس من حوله، معتبراً الميزان في الحرب والسلم ليست السلطة بل مصلحة الاسلام، فكما

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ـ للشيخ محمّد عبده / ١٧٨.

جاء في نهج البلاغة قوله: «خشيت إن لم انصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً او هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع ايام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب..»[١].

فبعدما ثبت حَقَّهُ بالخلافة أمامَ المسلمين انتقل الى المرحلة الثانية بعد وفاة السيدة الزهراء (عليها السلام) يبحث عن اسلوب التعايش مع المرحلة الجديدة ـ على قاعدة تناسي الماضي ـ فأرسل خلف الخليفة الاول وجلس إليه في جو ساده التسامح قائلاً له: «لم يمنعنا ان نبايعك إنكاراً لفضيلتك ولا نفاسة عليك لخير ساقه الله إليك، ولكنا نرى لنا حقاً في هذا الأمر فاستبددتم به علينا ودفعتمونا عنه»[٢].

فالامام كان يُدرك أن مشروع فتنة لا تُبقي ولا تذر ستُحاكُ ضد الاسلام والمسلمين، ولولا هذا الموقف الشجاع من تغليب المصلحة العامة، لما بقي أثر لرسالة الاسلام ولمزقته العصبيات والمصالح الخاصة، وفي نفس الوقت أراد (عليه السلام) ان يقطع الطريق على مثيري الضغائن والأحقاد كما حدث مع ابي سفيان بن حرب عندما طلب من العباس بن عبد المطلب ان يطلب من الامام القيام في وجه غاصبي الخلافة، وأدرك الامام (عليه السلام) أن هذه الدعوة ليست حرصاً على الاسلام بقدر ماهي احقاد وفساد في الارض، وكما جاء في نهج البلاغة رَدَّ (عليه السلام) بقوله: فإن أقل يقولوا علي حرص على الملك وإن أسكت يقولوا جَزَعَ من الموت هيهات بعد اللُّتيا والتي والله لأبن ابي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه[٣].

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ـ للشيخ محمد عبده / ٦٣٤.
٢ ـ الأئمة الاثني عشر ج ١/ ٣٢٠.
٣ ـ شرح نهج البلاغة ـ للشيخ محمد عبده / ٦٣٤.

موقف اليعقوبي في تأريخه:

اليعقوبي في تأريخة وإن عَدَّ الامام أحد الفقهاء الستة الذين يعود إليهم الخليفة في احكام الفقه[١] إلا أنه تجاهل الحضور الكبير والفعال للامام الذي لم يلتفت الى اموره الخاصة، كان كلّ همه توجيه الناس دينياً والدفاع عنهم، فكان يحمل سيفه على عاتقه في جوف الليل ليدافع عن مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله لقد صنع هذا الحضور عبئاً سياسياً واجتماعياً على الخليفة في موضوع تقليد الخلافة للثاني، حيث انبرى جمع من الكتاب وفيهم غير الشيعة للدفاع عن احقية علي بهذا الأمر[٢].

علي عليه السلام والخليفة الثاني:

لم يذكر أحد ان علياً عليه السلام أخذ موقفاً سلبياً من خلافة الثاني، بل آثر الصبر وكظم الغيض، حيث كان همّهُ أن يرى الاسلام ينتشر بسرعة خارج حدود الحجاز وعروش أولئك الحكام تتهاوى تحت اقدام الفاتحين، فوقف الى جنب الخليفة ناصحاً ومسدداً ومحاوراً لعلماء اليهود والنصارى، ونقل المؤرخون أن الخليفة الثاني كان يحترم رأي الامام كثيراً ويشكر تسديده له، كما في قصة كتابة التأريخ عندما أشار عليه علي عليه السلام أن تكون من هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

وأيضاً عندما أشار الامام عليه في أمر سواد الكوفة ان يبقى في ايديهم، فرَّد عليه الخليفة: «وفقك الله هذا الرأي»[٤].

---

١ ـ تاريخ اليعقوبي ج ٢/١٣٨.
٢ ـ عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه ـ الإمام عليّ بن أبي طالب.
٣ ـ تاريخ اليعقوبي ج ٢/١٤٥.
٤ ـ تاريخ اليعقوبي ج ٢/١٥٢.

موقفه عليه السلام من الشورى:

وبتقديري ان الشورى هي احدى المفردات الأساسية التي انتجها تغليب الامام للمصلحة العامة، والذي فرض عليه البقاء داخل حلبة الصراع من دون ان يكون أحد المتصارعين، والشورى هنا وإن نسفت نظرية عدم امكانية جمع الخلافة والنبوة في بني هاشم، حيث ان الخليفة الثاني قال لشاب من بني عبد المطلب: «إن قريش كرهت ان تجتمع بكم النبوة والخلافة»[1] إلا ان علياً عليه السلام اصر على موقفه من تغليب المصلحة العامة رغم مرارة ما يحدث، وصبره هنا اوصله الى موقع الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان.

هكذا نجد في بقية الائمة الأطهار عليهم السلام كيف أثروا المصلحة العامة على الخاصة، وكيف أثمرت هذه الجهود في تنمية المشروع الاسلامي وهذا ما لا حظناه في:

صلح الامام الحسن عليه السلام مع معاوية:

هذا الصلح الذي حقن دماء المسلمين وفرض تماسكاً في الصف الداخلي وأجبر السياسة الأموية بأن تكون على المحك أمام الثوابت الدينية، فإذا التزم قادة هذا النظام ببنود الصلح فيكون المطلوب قد تحقق، وان انقلب أهله عليه، فسيتيح فرصة كشف الحقائق أمام الناس، ورغم الهجوم العنيف من بعض المسلمين والمستشرقين ضدّ الامام الحسن عليه السلام الذين لم يفهموا حقيقة هذا الصلح، حيث اعتبروه الرجل الغير صالح للقيادة، فاعتبره أحد المستشرقين (هولكي) أنه لم

---

١ ـ الأئمة الاثني عشر ج ١/٣٣٢.

يكن كفؤاً للموقف لميله الى السلم[١]، وعده (ساكيس) أنه: غير جدير بإن يكون إبناً لعلي ذلك الرجل العظيم لانشغاله بملذاته واكتفائه بإرسال اثني عشر الفاً كطليعة لجيشه[٢] الخ الاقوال، وهذا بقي الامام الحسن حاضراً لأن يسمع أكثر من هذا الكلام المهم عنده مصلحة الاسلام والمسلمين.

وأنا هنا اتعجب كثيراً من الذين يدعون منهجاً في قراءة التأريخ كيف لم يكشفوا أهمية هذا الصلح الذي كشف زيف هذا النظام، وساهم الى حد كبير في تشكيل قناعة لدى المسلمين بضرورة تبديل هذا النظام، وهذا ما شاهدناه من دعوة الحسين عليه السلام الى العراق ليكون الخليفة بعد وفاة معاوية، هنا وإن ظلت هذه القناعة منقوصة حيث أدت الى شهادة الحسين عليه السلام، إلا انها كانت المفردة الثانية في اكتمال تشكيل القناعة، التي ولدت الجرأة لدى المسلمين على ممارستها، فكانت الانتفاضات المباركة بعد واقعة كربلاء (حركة التوابين، ثورة المختار، وقعة الحرة، ثورة زيد الشهيد ...).

خلاصة القول:

أن اهل البيت عليهم السلام تمتعوا بالصبر وكظم الغيض، من دون أن يكون تقيةً، وأثروا المصلحة العامة فعن علي عليه السلام يتحدث عن مواطن الامتحان التي مرّ بها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله: «وحملت نفسي على الصبر عند وفاته ولزمت الصمت والأخذ فيما أمرني به من تجهيزه...»[٣]، فإذا اقتضت المصلحة التنحي عن السلطة كما حدث في (صفين) فلا مانع من ذلك، واذا اقتضت الشهادة كما حصل سنة ٦١

---

١ ـ العراق في ظل العهد الأُموي للدكتور علي الخرطبولي ص ٧٤.
٢ ـ المصدر نفسه.
٣ ـ شرح الأخبار للقاضي التميمي المغربي ج ١/٣٤٦.

للهجرة مع الحسين فمرحباً بها، وان كان الاعتقال والسجن في سبيل الله كما صار مع الامام موسى الكاظم فيا حبذا.

هذا والائمة عليهم السلام لم يتخلّوا لحظة واحدة عن حث المسلمين على البحث عن الحق والالتزام به وكما جاء في شرح الارشاد عن الامام الباقر عليه السلام قوله: «بلية الناس علينا عظيمة ان دعوناهم لم يستجيبوا وان تركناهم لم يهتدوا بغيرنا»[1].

الشيخ حسن البغدادي
رئيس مركز الامام الصادق عليه السلام
للبحوث والتوثيق في تراث علماء جبل عامل

---

١ ـ الإرشاد ـ للشيخ المفيد ٣٦٦.

الوحدة
وأثرها في الأُمّة الإسلامية

سعيد بن ناصر المسكري

عُمان

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، والصلاة والسلام على افضل الخلق اجمعين سيدنا محمّد وعلى آله الطيبين وصحابته المتقين ومن سار على نهجهم الى يوم الدين.

اصحاب السماحة والفضيلة العلماء..

ايها الحضور الكرام..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد: بداية يسرني ان اتقدم بالشكر والتقدير الى المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية وعلى رأسهم سماحة الشيخ آية الله محمّد واعظ زاده الخراساني الامين العام للمجمع على الدعوة الكريمة لحضور المؤتمر الدولي الرابع عشر للوحدة الاسلامية التي هي هدف كل مسلم وهم كل مؤمن فلهم جزيل الشكر والامتنان.

ايها الحضور الكرام:

ان الله تعالى حينما ميز هذه الامة بالخيريّة فجعلها ﴿*خير امة اخرجت للناس*﴾ ارشدها الى اهم ما يثبت لها خيريتها هذه، وذلك بالاعتصام بكتاب ربها وسنّة نبيها ﴿*واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألّف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا*﴾. ولقد ادرك السلف

الصالح لهذه الامة ذلك الامتنان وتلك النعمة فالتزموا بها وعضوا على مبادئها بالنواجذ جاعلين قوله تعالى: ﴿*ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون*﴾ منهجاً لهم شعاراً وسلوكاً، فرسخت اقدام الاسلام واتسعت رقعته وهابه اعدؤه.

وقد استشعر اهل العلم في القرون الاولى للاسلام واجبهم تجاه دينهم فبرز الائمة الراسخون في العلم والعلماء المجتهدون ليواصلوا رسالة الاسلام الخالدة وليذودوا عن حياض الدعوة ودفع الشبهات عنها، متفقين جميعاً على اصول الاسلام ونصوصه القطعية، باذلين ما بوسعهم من جهد في فهم تلك النصوص ارضاءاً لربهم وإخلاصاً لدينهم وتوحيداً لأمتهم، ذلك كان هدفهم، فحري بالامة ان تحسن الظن بهم جميعاً، اذ كلهم من رسول الله مغترف غرفاً من البحر او رشفاً من الديم، ولا نزكي على الله احداً . فكان ذلك الاجتهاد اثراء للفكر ورحمة للأمة التي وجدت فيه وإما توسيعاً لما ضاق او تضييقاً لما اتسع .

غير انه وبمرور الزمن وبُعد اتباع كل امام او مجتهد عنه صار ذلك الاختلاف في الفهم ـ عند كثير من المسلمين ـ هدفاً والتمسك به ديناً يكفر من خالفه فنظر المسلمون الى اصول الاسلام بعين مذهبية، وكأن كل طريقة او مذهب دين مستقل بذاته ﴿*وكل حزب بما لديهم فرحون*﴾ حتى طمع فيها اعداؤها وزهدها ابناؤها واخذ الكثير منهم يستوردون الفكر من الشرق او الغرب، جهلاً بما يملكون من مقومات او تجاهلاً بما لديهم من ثروة فكرية ايمانية، وليس ادل على عزوف كثير من المسلمين عن مصادر الثقافة الاسلامية ومدارسها الفكرية مايحصره كثير منهم فرق الاسلام بين السنّة والشيعة، دون معرفة أن من المسلمين من ينتمون الى المذهب الاباضي وهو من اقدم المذاهب الاسلامية هذا المذهب الذي تتلمذ مؤسسه الامام جابر بن زيد على يد احد اعلام آل البيت وهو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومن طريق ابن عباس جاءت معظم احاديث المسند

المعتمد لديهم بجانب غيره، وهو مسند الامام الربيع بن حبيب الفراهيدي، كما ان كتب الاباضية مليئة بالشواهد على شجاعة الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وعلمه وحلمه والاخذ بآرائه الفقهة . كل ذلك يجعلنا ـ ونحن من المنتمين الى المذهب الاباضي ـ نؤكد ما ذكره المتحدثون السابقون من محبة المسلمين جميعاً لآله صلى الله عليه وسلم، كيف لا وهم يرددون ذلك في صلواتهم اكثر من خمس مرات في اليوم هذا في الفرائض ناهيكم بالسنن والنوافل.

ايها العلماء الاجلاء:

ان المسلم العادي ليتساءل، وحق له ان يتساءل: انه ومع كثرة لقاءات علماء الاسلام وتعدد مؤتمراتهم، لماذا لا يتحد المسلمون ويعودوا امة واحدة مؤثرة لا متأثرة ومتبوعة غير تابعة؟

واذا كانت الاجابة على ذلك من شواغل البال عند عامة المسلمين، فهي بلا ريب يجب ان تكون من اهم الاولويات والتوجهات عند علماء الامة ومجتهديها، خاصة في هذا العصر المتداخل بالثقافات والملي بالتحديات، إذ اصبحت التكتلات المتعددة واقعاً لا مناص منه، مع اختلاف المشارب والمعتقدات لتلك التكتلات.

اعداؤنا وحدوا اشتات باطلهم ونحن رغم وضوح الحق اشتات وهو ما يؤكد واجب المسلمين في التضامن والوحدة، متجردين من ضيق النظرة الاقليمية او المذهبية او غيرها، تأليفاً للقلوب ورأباً للصدع وجمعاً للشتات، وهنا يأتي دور مثل هذه المؤتمرات التي ستؤدي ثمارها اذا ما حظيت بالتحضير الشمولي الخالص الذي يخدم الامة الاسلامية قاطبة دون اي هدف آخر، وأن ما يُقَدّم من بحوث ودراسات تعالج هموم الامة يكون منصفاً وواقعياً بعيداً عن العواطف او التعصب للانتماءات، وأن ما يكتب عن المذاهب المتعدده، في الامة انما يُستقى

من مصادرها المعتمدة لدى كل مذهب، بعيداً عن ترسبات الماضي ومغالطات التاريخ ونقولات ادعياء العلم، حتى لا يسيء المسلمون فهم بعضهم البعض، فتبعد الشقة ويزيد جراح الامة كياً وأوارها لهيباً.

ايها الجمع الكريم:

إن التفاؤل بالخير يجعل الامة تنتظر الكثير من مثل هذه المؤتمرات المباركة، وان هذه الكوكبة من العلماء المشاركين في هذا المؤتمر جديرون بعلمهم وإخلاصهم ان يعينوا على وحدة الامة والتقريب بين ابنائها، ﴿*وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون*﴾. متمنياً لمؤتمركم هذا التوفيق والنجاح فالله ولي ذلك والقادر عليه، ﴿*وما ذلك على الله بعزيز*﴾.

ومكرراً شكري للجمهورية الاسلامية الايرانية على تنظيمها لهذا المؤتمر السنوي، وعلى ما قوبلنا به من حفاوة وترحيب.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعيد بن ناصر المسكري

الامين العام

لمركز السلطان قابوس للثقافة الاسلامية

الاحد ١٧ / ربيع الاول / ١٤٢٢ هـ

٢٠٠١/٦/١٠ م

أهل البيت عليهم السلام
في الكتاب والسنّة النبوية

محمّد مقصود أحمد الجشتي القادري

لاهور ـ باكستان

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي اوجب على الكافة حب اهل البيت الاخيار، والصلاة والسلام على حبيبه المختار وآله الأطهار واصحابه الكبار.

اما بعد: فأهنئ حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية باقامة حفلة جميلة ومؤتمر عالمي بمناسبة ميلاد النبي الاكرم والرسول الاعظم ومظهر ذات الله وصفاته الاتم صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال تعالى في شأنه: ﴿*وما ارسلناك الا رحمة للعالمين*﴾ وفي آية اخرى: ﴿*يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً*﴾ وايضاً قال: ﴿*قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين*﴾.

ثم اشكر باعماق قلبي للشيخ الفاضل والعالم الماهر صاحب الفضيلة آية الله واعظ زاده الخراساني الامين العام لمجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية الذي اعطاني فرصة لأستفيد من هذه الحفلة المباركة والآن انا اقدم المقالة في فضائل اهل البيت النبوي وهي تشتمل على فصلين:

الفصل الأوّل
في الآيات الواردة في فضائل أهل البيت

وهي كثيرة، اذكر منها احد عشر آية:

الاولى: قال الله تعالى: ﴿*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا*﴾.

اكثر المفسرين على انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم لتذكير ضمير ﴿عنكم﴾ وما بعده.

اخرج احمد عن ابي سعيد الخدري انها نزلت في خمسة : في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

هذه الآية منبع فضائل اهل البيت النبوي، لاشتمالها على غرر من مآثرهم والأعتناء بشأنهم حيث ابتُدئت بـ ﴿*انما*﴾ المفيدة لحصر ارادته تعالى في امرهم على اذهاب الرجس الذي هو الاصم او الشك فيما يجب الايمان به عنهم وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وتحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة واعطاء الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء في كل زمن لا يكون الا منهم.

الثانية: قوله تعالى: ﴿*ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما*﴾.

عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف

نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صل على محمّد وعلى آل محمّد» الى آخره، فسؤالهم بعد نزول الآية واجابته باللهم صل على محمّد وآل محمّد الى آخره دليل ظاهر على ان الامر بالصلوة على اهل بيته وبقية آله مراد هذه الآية وإلا لم يسألوا عن الصلاة على اهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر فلما اجيبوا به دل على ان الصلوة عليهم من جملة المامور به وانه صلى الله عليه وسلم اقامهم في ذلك مقام نفسه لأن القصد من الصلوة عليه مزيد لعظيمه ومنه تعظيمهم.

وقد اخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء محجوب حتى يصلي على محمّد واهل بيته اللهم صل على محمّد وآله».

الثالثة: قوله تعالى: ﴿*سلام على إل ياسين*﴾.

فقد نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بذلك سلام على آل محمّد.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿*واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا*﴾.

اخرج الثعلبي في تفسيره عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه قال: «نحن حبل الله الذي قال الله فيه: ﴿*واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا*﴾.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿*ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله*﴾.

اخرج ابو الحسن المغازلي عن الباقر رضي الله عنه انه قال في هذه الآية: «نحن الناس والله».

السادسة: قوله تعالى: ﴿*وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم*﴾.

اشار صلى الله عليه وسلم الى وجود ذلك المعنى في اهل بيته وانهم امان لأهل الارض كما كان هو صلى الله عليه وسلم امانا لهم روي الحاكم على شرط

الشيخين: «النجوم امان لأهل الارض من الغرق واهل بيتي امان لأمتي من الاختلاف الخ..».

السابعة: قوله تعالى: ﴿*واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى*﴾.

قال ثابت البناني اهتدى الى ولاية اهل بيته صلى الله عليه وسلم.

الثامنة: قوله تعالى: ﴿*فمن حاجك فية من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين*﴾.

قال في الكشاف : لا دليل اقوى من هذا على فضل اصحاب الكساء، وهم: علي وفاطمة والحسنان لانها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين واخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلى خلفها فعلم انهم المراد من الآية وان اولاد فاطمة وذريتهم ليسمون ابناءه وينسبون اليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة.

التاسعة: قوله تعالى: ﴿*ولسوف يعطيك ربك فترضى*﴾.

نقل القرطبي عن ابن عباس انه قال: رضى محمّد صلى الله عليه وسلم ان لا يدخل احد من اهل بيته النار.

العاشرة: قوله تعالى: ﴿*ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية*﴾.

عن ام سلمة رضي الله عنها قالت: كانت ليلتي وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندي فاتته فاطمة فتبعها علي رضي الله عنهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا علي انت واصحابك في الجنة الخ...» رواه الدارقطني.

احدى عشرة: قوله تعالى: ﴿*قل لاأسألكم عليه اجراً الا المودة في*

القربى﴾.

اخرج احمد والطبراني وابن ابي حاتم والحاكم عن ابن عباس ان هذه الآية لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك، هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما».

فقد ثبت من تلك الآيات البينات ان لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم طهارةً من الآثام وامناً من النار واستحقاقاً للصلوة والسلام والمودة وحبلاً لله تعالى وحصل لأهل الارض امان من العذاب ولهم نسبة نافعة في الدنيا والآخرة الى النبي صلى الله عليه وسلم.

وعند اهل السنة محبة آل النبي صلى الله عليه وسلم من كمال الايمان.

اخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال: «ادبوا اولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب اهل بيته وعلى قراءة القرآن».

واخرج البيهقي وابو الشيخ والديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه، وتكون عترتي احب اليه من نفسه، وتكون اهلي احب من اهله، وتكون ذاتي احب اليه من ذاته.

واخرج الديلمي مرفوعاً: «من اراد التوسل اليّ وان يكون له عندي يد اشفع له بها يوم القيامة فليصل اهل بيتي ويدخل السرور عليهم».

الفصل الثاني
في الأحاديث الواردة في فضائل أهل البيت

الحديث الاول: اخرج الديلمي عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي».

الحديث الثاني: اخرج الحاكم عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».

وللحاكم عن ابي ذر ايضاً: «مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

الحديث الثالث: اخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما: «اول من اشفع له يوم القيامة من امتي اهل بيتي ثم الاقرب فالاقرب من قريش ثم الانصار ثم من آمن بي واتبعني نم اهل اليمن ثم من سائر العرب ثم الاعاجم ومن اشفع له اولاً افضل».

الحديث الرابع: اخرج الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم خيركم لأهلي من بعدي».

الحديث الخامس: اخرج الطبراني والحاكم عن عبد الله بن ابي اوفى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سألت ربي ان لا اتزوج الى احد من امتي ولا يتزوج ألي احد من امتي الا كان معي في الجنة فاعطاني ذلك».

الحديث السادس: اخرج الترمذي عن حذيفة ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال: «ان هذا ملك لم ينزل الارض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه ان يسلم عليَّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة».

الحديث السابع: اخرج احمد والترمذي عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة».

الحديث الثامن: اخرج الشيخان عن فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «ان جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا اراه الا حضر اجلي وانك اول اهل بيتي لحاقاً بي فاتقي الله واصبري فانه نعم السلف انا لك».

الحديث التاسع: اخرج الشيخان عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «يا فاطمة ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين».

الحديث العاشر: اخرج الترمذي والحاكم عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احب اهلي إليّ فاطمة».

الحديث الحادي عشر: اخرج احمد والترمذي عن ابي سعيد والطبراني عن عمر وعن علي وعن جابر وعن ابي هريرة وعن اسامة بن زيد وعن البراء وابن عدي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة».

نسترشد من هذه الاحاديث ان ايذاء اهل بيته صلى الله عليه وسلم سبب لغضب الله تعالى واتباعهم وسيلة النجاة من النار، وايضاً هم اول مستحقي شفاعته صلى الله عليه وسلم.

واخيراً اقدم شكري الى فضيلة الشيخ آية الله واعظ زاده الخراساني حفظه

الله تعالى من جميع الآفات اقتراحات راجياً قبولها وتنفيذها.

* **الاولى**: لا شك ان لمجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية خدمات جزيلة متوفرة عالمية للوحدة الاسلامية فارجو من جنابكم ان تترجموا مجلتكم في لغات شتى وفي الاردية خاصة كي يستفيد الناس كثيرا لان كثير منهم لا يعرفون العربية والفارسية.

* **والثانية**: ينبغي لنا ان نحول وقت المؤتمر ونحدد بمناسبة الوقت عدد المحاضرين لأن كثير من المندوبين لا يصلون العصر في وقته ورأيي في هذا الشأن ان تكون الجلسة الاولى من التاسعة الى الثانية عشر وبعدها طعام النهار عند مقام المؤتمر وصلاة الظهر، والجلسة الثانية بعد الظهر الى صلاة العصر.

* **والثالثة**: اجراء جميع البرنامج والمقالات على الانترنيت.

شكراً جزيلاً وبارك الله لكم وتقبل سعيكم المشكور، فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

ولنعم ما قال الشيخ الشيرازي السعدي رحمه الله تعالى:

خدايا بحق بني فاطمة كه بر قول ايمان كنى خاتمه
اكر دعوتم رد كنى قبول من دوست ودامان آل رسول

وشاعر الهند وامام اهل السنّة ومجدد المأة الحاضرة الشيخ احمد رضاخان البريلوي قدس سره قال في قصيدته النورية:

تيري نسل باك مين هي بجه بجه نوركا
تو هي عين نور تيرا سب كهرانه نوركا

يعني: كل ولد من نسبكم طيب وطاهر لأنك نور وجميع اهل بيتك نور.
الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وعلى آلك واصحابك يا حبيب الله .

* * *

انا العبد الفقير الى الله تعالى
محمّـد مقصود احمد الجشتي القادري
الخطيب بجامع الكبير للشيخ علي بن عثمان الهجويري
المعروف به راتاگنج نجش رحمه الله في مدينة لاهور ـ باكستان
١٩ ربيع الاول ١٤٢٢ ـ ١٢ / ٦ / ٢٠٠١ م

المحور الرابع

طبقات
العلماء والشعراء من أهل البيت

دولة الأدارسة

خزعل غازي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

تمهيد:

تعرض التأريخ الشيعي منذ نشوئه الى احداث هامة في سياقاته الفاعلة، فلقد مرت على الشيعة حقب زمنية عجيبة تعرضوا من خلالها الى اقسى حملات التصفية الفردية والجماعية بسبب الحكومات المتعاقبة في القرون الماضية وأخطر فترة زمينة تعرضت الشيعة فيها الى ألوان الاضطهاد والقتل هي عصر الدولة الاموية.

وكانوا يتطلعون الى وضع جديد عبر الثورات المتتالية التي قاموا بها واهمها ثورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب في العراق (١٢٤)هـ لتصبح هذه الثورة اساساً ومنطلقاً في انقسام الشيعة الى حسنيين تبنوا المذهب الزيدي والى حسينيين (ائمة الشيعة الاثني عشرية).

وعند قيام الدولة العباسية (١٣٢) هـ وادى استئثار العباسيين بالخلافة دون العلويين الى تفجير الخلاف بين الطرفين اذ اشتد الصراع بين العباسيين والحسنيين. فنشط الحسنيون في الاعداد للثورة عبر ارسال الدعاة الى اطراف الدولة الاسلامية فكانت المغرب من ضمن تلك الاطراف التي شملها نشاط الزيدية.

كان الدعاة يوفدون من الشرق الى افريقية واول من وصلها من دعاة الزيدية عيسى بن عبدالله الذي انفذه محمد ذي النفس الزكية فأجابه خلق كثير من قبائل

البربر ومع ذلك عاد ادراجه الى الشرق ربما خوفا من عيون العباسيين بأفريقية او للمشاركة عن كتب في الثورات الزيدية. وقد بعث محمد ذي النفس الزكية اخاه سليمان الى بلاد المغرب فنزل بتلمسان بعد رحلة طويلة عبر مصر وبلاد النوبة والسودان ويبدو ان الخوف من عيون العباسيين كان وراء تحاشي سليمان اتخاذ الطريق الساحلي المباشر من برقة الى تلمسان. وفي تلمسان اخذ يدعو للحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب بعد مقتل محمد ذي النفس الزكية. وقد احرز نجاحاً ملحوظاً قبل دعوته الى الشرق للمشاركة في ثورة الحسين ضد العباسيين وحل محله ادريس بن عبدالله الذي كان يدعو كذلك لامامة الحسين بن علي لكن مقامه في تلمسان لم يطل حيث اضطر للعودة كذلك الى الشرق للمشاركة في معركة الفخ المشهورة[1].

إدريس وثورة الفخ:

في سنة ١٦٩ هـ ظهر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب بالمدينة بسبب سوء معاملة عمر بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عامل المدينة من قبل الهادي للعلويين وبويع الحسين بالخلافة في المدينة واقام بها ١١ يوماً ثم سار الى مكة فالتقى مع الجيش العباسي بقيادة سليمان بن المنصور بفخ وهو وادي في طريق مكة يبعد نحو ستة اميال فانهزم العلويون وقتل في هذه الواقعة معظم اصحاب الحسين بن علي بن الحسن وكان قد اشترك في القتال معه ادريس بن عبدالله بن الحسن واخوه يحيى بن عبدالله بن الحسن ونجح ادريس في الافلات مع المنهزمين من بني الحسن فاستتر بعض

---

١ ـ الادارسة حقائق جديدة، دكتور محمود اسماعيل: ٤٧ ـ ٤٨.

الوقت والح العباسيون في طلبه[١].

بعد فشل ثورة الحسين بن علي في وقعة الفخ عاد سليمان اخو محمد ذي النفس الزكية الى تلمسان مرة اخرى يدعو لامامة يحيى بن عبدالله بن الحسن الذي نجح في تأسيس دولة بطبرستان ثم لحق به ادريس بن عبدالله للمرة الثانية من اجل الدعوة لأخيه يحيى كذلك فلما علم بنهايته اقام الدعوة لنفسه[٢].

عندما وصل ادريس بن عبدالله تلمسان للمرة الثانية ومنها انتقل الى طنجة واتصل بزعيم قبيلة أوربة كان يعد العدة من خلال دعوة محكمة وتنظيم دقيق لتأسيس دولة علوية بالمغرب الأقصى دليلنا على ذلك انه ابان رحلته من مكة عبر مصر الى المغرب كان يرافقه مولاه راشد الذي لم يكن اختياره عبثاً اذ نعلم انه ينتمي في نسبه الى قبيلة أوربة وهو امر يتيح لادريس الاتصال باسحاق بن محمود بن عبدالحميد زعيم أوربة لتأسيس الدولة المنشودة وان دور راشد لم يكن مجرد ان يد له الى المغرب ذلك ان ادريس على دراية بمسالك المغرب الذي قدم اليه من قبل كداعية لمحمد ذي النفس الزكية وانما كانت مهمة راشد هي تمهيد الاتصال بين ادريس واسحاق الأوربي لتأسيس دولة بني ادريس[٣].

قيام الدولة الادريسية في المغرب:

عندما نزل ادريس بمدينة وليلي في سنة ١٧٢ هـ نزل على اسحاق بن محمود بن عبدالحميد الأوربي امير أوربة وكبيرهم فأجاره واكرمه فاقام عنده زهاء ستة أشهر تمكن خلالها من نشر دعوته وتمكن بفضل فصاحة لسانه وبلاغته

---

١ ـ الكامل في التأريخ ٦: ٩٠ ـ ٩٢، تاريخ المغرب الكبير ٢: ٤٦٦ ـ ٤٦٧.
٢ ـ الادارسة حقائق جديدة، دكتور محمود اسماعيل: ٤٨.
٣ ـ السابق ٤٨ ـ ٤٩.

من التأثير في نفوس البربر خاصة بعد ان عرفوا قرابته من الرسول ﷺ فاجتمعت عليه قبائل أوربة ومغيلة وصدينة وتبعها قبائل زناتة وهي زواوه لواته وسداراته ونفزة ومكناسة وغمازة وبايعوه بالامامة وتمكن ادريس من تأليف جيش كبير غزا به بلاد تامسنا فأفتتح شالة وسائر حصون تامسنا حتى وصل الى تادلا فافتتح حصونها ثم بلغ ماسة وكان اكثر مكان هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية والمجوسية ولم يكن الاسلام قد انتشر بعد في انحائها وعاد ادريس بعد هذه الغزوة الى وليلي في نفس السنة (١٧٢) هـ فأراح عسكره في محرم (١٧٣) هـ ثم خرج للغزو مرة ثانية فغزا حصون فندلاوة وحصون مديونة وبهلونة وقلاع غياثة وبلاد فازاز ثم عاد بعد ذلك الى وليلي فدخلها في منتصف جمادي الآخرة سنه (١٧٣) هـ واقام بوليلي بقية شهر جمادي الآخرة ونصف رجب التالي ريثما استراح جنده ثم خرج في منتصف رجب برسم غزو مدينة تلمسان ومحاربة من بها من قبائل مغراوة وبني يفرن الخوارج فحاصرها فخرج اليه صاحبها محمد بن خزر الزناتي مستأمناً وبايعه وبايعته قبائل البربر فقبل ادريس بيعتهم ودخل تلمسان وبنى فيها مسجداً ثم عاد الى وليلي وعلى هذا النحو تمكن ادريس من اقامة دولة قوية بالمغرب الاقصى[1] ووضع دستورها وقانونها ضمن رسالة له نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل النصر لمن اطاعه وعاقبة السوء لمن عصاه ولا اله الا الله المتفرد بالوحدانية الدال على ذلك بما اظهر من عجيب حكمته ولطف تدبيره الذي لا يدرك الا اعلامه وصلى الله على محمد عبده ورسوله وخيرته من خلقه أحبه وأصطفاه واختاره وارتضاه صلوات الله عليه وعلى

---

١ ـ تاريخ المغرب الكبير ٢: ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

آله الطيبين، اما بعد فاني: ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والى العدل في الرعية والقسم بالسوية ورفع المظالم والاخذ بيد المظلوم واحياء السنة واماتة البدعة وانفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد. واذكروا الله في ملوك غيروا وللامان خفروا ولعهد الله وميثاقه نقضوا ولبني نبيه قتلوا، واذكركم الله في ارامل احتقرت وحدود عطلت وفي دماء بغير حق سفكت، فقد نبذوا الكتاب والاسلام فلم يبق من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه. واعلموا عباد الله ان مما اوجب الله على اهل طاعته المجاهزة لاهل عداوته ومعصيته باليد واللسان فباللسان الدعاء الى الله بالموعظة الحسنة والنصيحة والحرص على طاعة الله والتوبة عن الذنوب بعد الانابة والاقلاع والنزوع عما يكرهه الله والتواصي بالحق والصدق والصبر والرحمة والرفق والتناهي عن معاصي الله كلها والتعليم والتقديم لمن استجاب لله ورسوله حتى تنفذ بصائرهم وتكمل وتجتمع كلمتهم وتنتظم فاذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعاً وللظالمين مقاوماً وعلى البغي والعدوان قاهراً. اظهروا دعوتهم وندبوا العباد الى طاعة ربهم ودافعوا اهل الجور على ارتكاب ما حرم الله عليهم وحالوا بين اهل المعاصي وبين العمل بها فان في معصية الله تلفاً لمن ركبها واهلاكاً لمن عمل بها. ولا يؤيسنكم من علو الحق واضطهاده قلة انصاره فان في ما بدا من وحدة النبي ﷺ والانبياء الداعيين الى الله قبله وتكثيره اياهم بعد القلة واعزازهم بعد الذلة دليلا بيناً وبرهاناً واضحاً قال الله عز وجل: ﴿*ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة*﴾ [1] وقال تعالى: ﴿*ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز*﴾ [2].

فنصر الله نبيه وكثر جنده واظهر وانجز وعده جزاء من الله سبحانه وثواباً

---

١ ـ آل عمران: ١٢٤.

٢ ـ الحج: ٤٠.

لفضله وصبره وايثاره لطاعة ربه ورأفته بعباده ورحمته وحسن قيامه بالعدل والقسط في تربية ومجاهدة اعدائهم وزهده فيما زهده فيهم ورغبته فيما يريده الله ومواساته اصحابه وسعة اخلاقه كما أدبه الله وأمر العباد باتباعه وسلوك سليم والاقتداء لهدايته واقتفاء أثره فاذا فعلوا ذلك انجز لهم ما وعدهم كما قال عز وجل: ﴿*ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم*﴾[١]، وقال تعالى: ﴿*وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان*﴾[٢]، ﴿*ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربىٰ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي*﴾[٣].

كما مدحهم واثنى عليهم كما يقول: ﴿*كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله*﴾[٤]، وقال عز وجل: ﴿*والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض*﴾[٥].

وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واضافه الى الايمان والاقرار لمعرفته وامر بالجهاد عليه والدعاء اليه، قال تعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق»[٦].

وفرض قتال المعاندين على الحق والمعتدين عليه وعلى من آمن به وصدق بكتابه حتى يعود اليه ويفيء كما فرض قتال من كفر به وصد عنه حتى يؤمن به ويعترف بشرائعه قال تعالى: ﴿*وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى*

---

١ ـ محمد: ٧.
٢ ـ المائدة:
٣ ـ النحل: ٩٠.
٤ ـ آل عمران: ١١٠.
٥ ـ التوبة: ٧١.
٦ ـ التوبة: ٢٩.

امـر الله فـان فـاءت فـاصلحوا بـينهما بـالعدل واقسـطوا ان الله يـحب المقسطين﴾[١].

فهذا عهد الله اليكم وميثاقه عليكم بالتعاون على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فرضاً من الله واجباً وحكماً لازماً واين من الله تذهبون؟ وانىٰ تؤفكون؟

وقد خانت جبابرة في الآفاق شرقاً وغرباً واظهروا الفساد وامتلأت الارض ظلماً وجوراً فليس للناس ملجأ ولا لهم عند اعداءهم حسن رجاء فعسى ان تكونوا معاشر اخواننا من البربر اليد الحاصدة للظلم والجور وانصار الكتاب والسنة القائميين بحق المظلومين من ذرية النبيين فكونوا عندالله بمنزلة من جاهد من المرسلين ونصر الله مع النبيين...

واعلموا معاشر البربر اني اتيتكم وانا المظلوم الملهوف الطريد الشريد الخائف الموتور كثر واتره وجده واهلوه فاجيبوا داعي الله فقد دعاكم الى الله فان الله عز وجل يقول: «ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء[٢] اعذنا الله واياكم من الضلال واهدنا واياكم الى سبيل الرشاد.

وانا ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عم رسول الله ﷺ ورسول الله وعلي بن ابي طالب جدّاي وحمزه سيدالشهداء وجعفر الطيار في الجنة عمّاي وخديجة الصديقة وفاطمة بنت اسد الشفيقة جدّتاي وفاطمة بنت رسول ﷺ وفاطمة بنت الحسين سيد ذراري النبيين امّاي والحسن والحسين ابنا رسول ﷺ ابوي ومحمد وابراهيم ابنا عبدالله المهدي والزاكي أخوي.

---

١ ـ الحجرات: ٩.

٢ ـ الاحقاف: ٣٢.

هذه دعوتي العادلة غير الجائرة فمن اجابني فله ما لي وعليه ما عليّ ومن أبىٰ فحظه أخطأ وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة انـي لم اسـفك له دمـاً ولا استحلل محرماً ولا مالاً واستشهدك يا اكبر الشاهدين واستشهد جبريل وميكائيل اني اول من أجاب واناب اللهم لبيك مزجي السـحاب وهـازم الاحـزاب مـصير الجبال سرابا بعد ان كانت صماً صلاباً اسألك النصر لولد نبيك انك على كل شيء قدير والسلام وصلى الله على محمد وآله[1].

من خلال مضامين رسالة ادريس الى قبائل البربر اكد على قضايا اساسية تخص المسلم والقائد الاسلامي الملتزم وهي الدعوة الى كـتاب الله وسـنة نـبيه واقامة العدل واحياء السنة واماتة البدعة.

كذلك اشار الى الواقع السياسي وسيرة الحكام في مـخالفتهم لكـتاب الله وسنة نبيه وقتلهم الابرياء. ثم وجه نصائح تربويه وسياسية لاتباعه واشياعه يظهر فيما سعة افقه الاسلامي والشعور بالمسؤولية اتـجاه الأمـة بـمختلف تـياراتـها ومذاهبها ونبه على قضايا مشتركة يستطيع من خلالها استقطاب الأمة.

ثم يفصح عن هويته ونسبه المحمدي العلوي الفاطمي الذي كـان عـاملاً اساسياً في التفاف الناس حوله.

بعد حركته الواسعة بين القبائل واعلان افكاره وآرائه واهدافه وهويته ونسبه استجابت له القبائل والطوائف وبايعته على نصرته والقتال دونـه وبـادر بـدوره باعلان دولة اسلامية شيعية في المغرب التي تعتبر اول دولة شـيعية فـي تأريـخ المغرب العربي، اقلقت الدولة العباسية في بغداد وخشت انفصال المغرب عـن مركز الدولة ووقوعه بيد البيت العلوي الذي لم تخمد ثوراته بعد لذا جد هارون

---

١ ـ دول التشيع في بلاد المغرب: ١٠٥ ـ ١٠٨.

الرشيد في القضاء على دولة ادريس الفتية بمختلف الوسائل بتجيش الجيوش ودس العيون والمتأمرين اذ ينقل المؤرخون محاولات هارون الرشيد المتكررة، ذكر الدكتور السيد عبدالعزيز سالم في كتابه المغرب الكبير: بعد ان تمكن ادريس من اقامة امارة قوية بالمغرب الاقصى واتصل بالرشيد ما بلغه ادريس في المغرب من دخول البربر في طاعته وافتتاحه مدن المغرب الاقصى بسيفه وابلغ حزمه وقوته فعظم عليه الامره وخاف ان يقضي الادارسة بفضل دعوتهم على النفوذ العباسي في افريقيه وطرابلس كما خاف ان يمتد نفوذهم الى مصر ولا شك ان اصطناع ادريس بن عبدالله بن الحسن لسياسة الغزو المسلح في نواحي تامسنا وتادلا وتلمسان يعبر عن رغبته في التوسع ومد نفوذه على المغرب كله. وكان لذلك صدى عميق في المشرق الاسلامي واصبح الخليفة العباسي قلقاً على مصير المغرب الاسلامي ومصر ففكر في اللجوء الى السيف في القضاء على الدولة الادريسية الناشئة ولكن الامر لم يكن من السهل على الخلافة الى هذا الحد فالنفوذ العباسي الفعلي لم يكن يتجاوز حدود مصر الغربية فاضطر الرشيد الى استشارة يحيى بن خالد البرمكي واخبره بامر ادريس واستشاره فيه وقال له: انه ولد علي بن ابي طالب وابن فاطمة بنت النبي ﷺ وقد قوى سلطانه وكثرت جيوشه وعلا شأنه واشتهر امره واسمه وفتح مدينة تلمسان وهو باب افريقيه ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار وقد عزمت ان ابعث له جيشاً عظيماً لقتاله ثم اني فكرت في بعد البلاد وطول المسافة وتنائي المغرب عن المشرق ولا طاقة لجيوش العراق على الوصول الى السوس من ارض المغرب فرجعت عن ذلك وقد هالني امره فاشر عليَّ برأيك فيه. فأشار عليه يحيىٰ بان يبعث الى ادريس رجلا تتوفر فيه صفات الذكاء والمكر والدهاء مع البلاغة والجرأة ليغتاله ووقع اختيار يحيىٰ على سليمان ابن جرير ويعرف بالشماخ وكان هذا الرجل من اهل الشجاعة والدهاء والفصاحة

فاخبره يحيى بالمهمة التي يعهد اليه بها، ووعده برفعة المنزلة والصلات السنية واعطاه اموالاً جزيلة وتحفاً مستطرفة وجهزه بما يحتاج اليه واعطاه قارورة فيها غالية مسمومة ثم وجه مع رجلا يثق بشجاعته فانطلق سليمان مع صاحبه من بغداد وهو يتظاهر بالطب وما زال يجد في السفر حتى وصل الى وليلي فاتصل بادريس فسأله عن اسمه ووطنه وسبب قدومه الى المغرب فذكر له انه من بعض موالي ابيه وانه اتصل به خبرة فأتاه برسم خدمته بسبب محبته لأهل البيت فأنس اليه ادريس وستر به واتخذه صاحباً ونديماً لا يجلس الامعه ولا يأكل الا اذا اكل معه اذ كان ادريس في هذا البلد البربري يحن الى مجالسة العرب ومحادثتهم وكان سليمان هذا قد ابدى من العلم والأدب والبلاغة والجدال ما جعل ادريس يرفعه الى تلك المنزلة. واخذ سليمان الشماخ يترصد فرصة لاغتيال ادريس بالسم فلم يتهأ له ذلك اذ كان راشد لا يفارقه وظل سليمان منتظراً الى ان وأتته الفرصة اخيراً غياب راشد ذات يوم في بعض شؤونه فدخل سليمان بن جرير على المولى ادريس فألقاه وحده فجلس بين يديه على عادته فتحدث معه مليا فلم ير لراشد اثراً فانتهز الفرصة واغتنم الخلوة فقال: يا سيدي جعلت فداك اني جئت من المشرق بقارورة طيب اتطيب بها ثم اني رأيت هذه البلاد ليس فيها طيب فرأيت ان الامام اولى بها مني فخذها تتطيب بها فقد آثرتك على نفسي وهو من بعض ما يجب لك عليّ ثم اخرجها من وعاء ووضعها بين يديه فشكره ادريس على ذلك ثم اخذ القارة وشمها وتحصل بمراده منه فتمت حيلته فيه وجعل يده في الارض وخرج كأنه يريد قضاء حاجة الانسان فسار الى منزله وركب فرساً له من عتاق الخيل وسباقتها كان قد اعدها لذلك وخرج من مدينة وليلي يطلب النجاة وكانت القارورة مسمومة فلما انتشق ادريس الطيب صعد السم الى خيشومه وانتهى الى دماغه فغشي عليه وسقط بالارض على وجهه لا يفهم ولا يعقل ولا يعلم احد ما

اصابه وقضى ادريس في غشيته الى عشى النهار فتوفي في مستهل ربيع الآخر من سنة ١٧٧ هـ وانتبه راشد مولى ادريس الى غياب الشماخ فعلم انه سمه وكان سليمان الشماخ وصاحبه قد قطعا على فرسيهما مسافة طويلة فركب راشد في طلبه مع جماعة من اصحابه حتى ادركه بوادي ملويه فضربه بسيفه ضربتين قطع بهما يده ولكنه لم يستطع ان يجهز عليه ونجح الشماخ في عبور الوالدي واحتمى في البربر فأمن الشماخ من مطاردة راشد وعصب جراحه ووصل الى بغداد فولاه الرشيد بريد مصر [١].

دولة الادارسة بعد اغتيال ادريس:

عند اغتيال ادريس لم يكن لديه ولد يخلفه من بعده لكنه ترك جارية له من جارياته اسمها كنزه حاملاً في السابع من اشهر حملها فجمع راشد قبائل البربر ما كان من امر هذه الجارية فقالوا له: ايها الشيخ المبارك تقوم بأمرنا كما كان ادريس يفعل فينا حتى تضع الجارية فان وضعت غلاماً ربيناه وبايعناه تبركاً بأهل بيت النبوة وذرية رسول الله ﷺ وان كانت جارية نظرنا لأنفسنا فقام راشد بأمرهم حتى وضعت كنزة وكان غلاما أشبه الناس بأبيه ادريس فأخرجه راشد الى رؤساء البربر فاعجبوا من شبهه الكبير بأبيه فقالوا: هذا ادريس كأنه لم يمت فسمي لذلك باسم أبيه وقام راشد مولاه بأمره وكفله الى ان فطن وشب فاحسن تأديبه وأقرأه القرآن واحفظه اياه ولم يتجاوز من العمر ثمان سنوات ثم علمه السنة والفقة واشعار العرب وايامهم وسير الملوك ثم دربه على ركوب الخيل والمصاولة والمجاورة واحكام الرماية بالسهام ولما تم ادريس من العمر عشر سنوات جدد له

---

١ ـ تاريخ المغرب الكبير ٢: ٤٧٠ ـ ٤٧٣.

راشد البيعة بجامع وليلي في شهر ربيع الاول سنة (١٨٦) هـ[١].

ظل راشد وصياً على ادريس الثاني حتى اغتيال راشد ثم آلت الوصاية على ادريس الثاني الى عربي يدعى ابوخالد يزيد بن الياس العبدي حتى شب ادريس الثاني عن الطوق وباشر الحكم بنفسه دون معارضة[٢] احد مما يدلل على ان ذلك يعتبر من سمات قوة الدولة واستمرارها ووجودها وقوتها بغياب ادريس الاول.

ادريس الثاني:

استقام امر المغرب لأدريس بن ادريس وتوطد ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه واتباعه ووفدت عليه الوفود من البلدان وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان فاستمر بقية سنة (١٨٨) هـ يستقبل الوفود ويبذل الاموال ويستميل الرؤساء والاقيال ولما دخلت سنة (١٨٩) هـ وفدت عليه وفود العرب من افريقيه والاندلس نازعين اليه وملتفين عليه فسرا ادريس بوفادتهم واحسن صلتهم فلما كثرت الوفود من العرب وغيرهم على ادريس وضاقت بهم مدينة وليلي اراد ان يبني لنفسه مدينةً يسكنها هو وخاصته ووجوه دولته وبعد بحث طويل على بقعة مناسبة تفي بالغرض المطلوب انتهى الى مدينة فاس ولما فرغ ادريس الثاني من بناء مدينة فاس وانتقل اليها بمجلسه واستوطنها بحاشيته وارباب دولته واتخذها دار ملكه واقام بها سنة (١٩٧) هـ ثم خرج غازيا بلاد المصامدة فانتهى اليها واستولى عليها ودخل مدينة نفيس ومدينة اغمات وفتح سائر بلاد المصامدة وعاد الى فاس فأقام بها سنة (١٩٩) هـ وفيها خرج في المحرم برسم غزو قبائل نغزه من اهل المغرب الاوسط ومن بقي هناك على دين الخارجية من البربر فسار

---

١ ـ السابق: ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

٢ ـ الادارسة حقائق جديدة، دكتور محمود اسماعيل: ٧٥.

حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر في احوالها واصلح سورها وجامعها واقام بها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس. وقد انتظمت لادريس الثاني كلمة البربر وزناته ومما دعوة الخوارج منهم واقتطع المغربيين من دعوة العباسيين من لدن السوس الاقصى الى وادي شلف واستمر بدار ملكه من فاس ساكناً، الى ان توفاه الله ثاني جمادي الاخرى سنه (٢١٣) هـ وعمره نحو ست وثلاثون سنه وقيل في سبب وفاته اكل عنباً فشرق بحبة منه فمات وخلف من الولد اثنى عشر ذكراً[١] وقيل انه توفي مسموما ودفن على حد قول المؤرخين في مدينة وليلي وذكر بعضهم انه دفن في مدينة فاس في مسجد الشرفاء ازاء الجدار الشرقي منه وقد أنشأ في ذلك بعض الشعراء:

منازل اهل الله آل رسوله فاحبب بهم اهلاً واحبب بهم مغنى
مدينة ادريس بن ادريس التي بها قبره نار وقبره مبنى[٢]

محمد بن ادريس:

لما توفي ادريس الثاني ابن ادريس قام الامر بعده ابنه محمد بعهد منه اليه[٣]، واوصته جدته كنزة ان يشرك معه اخوته في سلطانه فيقسم دولته الى اعمال يتولاها اخوته فولى اخاه القاسم سبته وطنجه وقلعه حجر النسر وبكسره وتيطاون وما يلحق بهذه المدن من بلاد وقبائل واختص اخاه عمرا ببلاد صنهاجه الهبط وغمارة وولي داود بلاد هوارة وتسول وتازى وما بينهما من قبائل مكناسة وغياثة، اما عبدالله فولاه انجات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس

---

١ ـ تاريخ دول الاسلام ١: ٢١٨ ـ ٢١٩.
٢ ـ تاريخ المغرب الكبير ٢: ٤٧٨ ـ ٤٧٩.
٣ ـ تاريخ دول الاسلام ١: ١٢٩.

الاقصى وولي ـ عيسى على آحيلا والعرائش وبلاد زواغه وخص عيسى بشالة وسالا وآزمور وتامسا وبرغواطة وخص احمد بمدينة مكناسة ومدينة تادلا وما بينهما من بلاد فازاز وولي حمزه على وليلي واعمالها وابقى تلمسان لابن عمه سليمان بن عبدالله، اما الباقون فقد ابقاهم في كفالة جدته كنزة لصغر اعمارهم عن الولاية اما هو فقد اكتفى بحاضرة فاس[١].

ان كثرة القبائل انذاك في المغرب لا يمكن السيطرة عليها من خلال الحكومة المركزية المتمثلة في الخليفة لذا كان هدف السياسة الجديدة في دولة الادارسة، تقسيم الحكم والولايات هو تقوية الاسرة الادريسية بأن تكون الولايات في ايدي افراد تلك الاسرة وقد ادى ذلك الى وضع حد لصراع القبائل حول المناصب في تلك الولايات والثاني الهيمنة التامة من قبل الأسرة الادريسية على كل المناصب وبالتالي تقويه الدولة.

انتهت فترة حكم محمد بن ادريس الثاني اثر وفاته، بمدينة فاس في ربيع الثاني سنه (٢٢١) هـ بعد أن عهد بالامر لابنه علي بن محمد المعروف بحيده[٢].

هذا تسلسل لملوك دولة الادارسة:

١ ـ ادريس الاول بن عبدالله بن الحسن الثاني بن الحسن بن علي بن ابي طالب.

٢ ـ ادريس الثاني بن ادريس الاول.

٣ ـ محمد بن ادريس الثاني.

---

١ ـ تاريخ المغرب الكبير ٢: ٤٨٠.

٢ ـ تاريخ دول الاسلام ١: ٢٢٤.

٤ ـ علي بن محمد بن ادريس الثاني.

٥ ـ يحيى بن علي بن محمد بن ادريس الثاني.

٦ ـ يحيى بن يحيى بن علي بن محمد بن ادريس الثاني.

٧ ـ علي بن عمر بن ادريس الثاني.

٨ ـ يحيى بن القاسم بن ادريس الثاني.

٩ ـ يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الثاني.

١٠ ـ الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس الثاني[١].

سياسة الادارسة ازاء العباسيين:

عرفت سياسة الادارسة ازاء العباسيين بالعداء بالرغم الانتماء المشترك بينهما الى البيت الهاشمي وسبب ذلك العداء يرجع الى ان كل منهما يعتبر نفسه اهلاً للخلافة الاسلامية وكذلك التنكيل والقتل الذي طال البيت العلوي من قبل العباسيين اخذ الادارسة بالتفكير بالانتقام لماحل بالبيت العلوي من مجازر على ايدي ابناء عمومتهم العباسيين. كذلك مشاركة العلويين في الثورة على الدولة الاموية والقضاء عليها سنة (١٣٢) هـ وبذل الجهد في ازالتها وتنصيب بني العباس انفسهم على الخلافة دون العلويين وابعادهم عن الحكم جعل طموح العلويين يكبر في حقهم بالخلافة.

---

١ ـ راجع موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها: ٥٧٠ ـ ٥٧١، تاريخ دول الاسلام ١: ٢١٥ ـ ٢٢٥.

« خاتمة »

الطابع الفكري في المغرب يتميز بغياب الصراع المذهبي على عكس الشرق قيام الصراع المذهبي (الشيعي ـ السني) (الاشاعره ـ المعتزله ـ الخوارج...)

وتميز بسيادة مذهب فقهي واحد المشتمل بالمالكية. ظاهرة حب اهل البيت والبيت العلوي الهاشمي عند عموم الناس وهذا من اثارة وبركة دولة الادارسة التي ابتنت على حب اهل البيت.

الانفتاح على اللغة العربية باعتبارها لغة الاسلام مما ادى الى انقراض اللغات المحليه ادى الى التمسك بالاسلام.

ان اشكالية الصراع الفكري القائمة في المغرب العربي هو صراع الاسلام والكفر وليس الصراع المذهبي او القومي. وتميز كذلك الشعب في المغرب العربى باستجابته للدعوة التي ترفع الاسلام شعارا لها وعنوانا لحركتها كما في حركه ادريس.

على ضوء القراءة التأريخية لحركة الاسلام والفكر الشيعي في المغرب العربي والظاهر السلمية وقبول الميول الشيعية بحب اهل البيت عليهم السلام واحترامهم منذ حركة الادارسة ودولتهم يمكن ان نجعل هذا نموذجا للتعايش الفكري في العالم الاسلامي. وكذلك التحسس الحاجات الاساسية للمجتمع الاسلامي في المغرب.

ونود الاشارة الى قضية نعتقد، بأهميتها في مؤتمرنا الذي يظهر من عنوانه مشروع حضاري، والقضية هي ان الاساس للوحدة السياسية والفكرية التي يمكن

ان تكون منطلقاً لحركة الاسلام السياسية والفكرية بعد تثبيتها واقرارها من قبل دعاة الوحدة منذ مشروع الوحده لجمال الدين والسلطان عبدالحميد وحتى مؤتمرنا هذا قضايا قد كثر الكلام فيها والذي ندعو اليه في اثارتنا هذه ان تكون بحوث تفصيلية تأريخية واجتماعيه ميدانيه يقوم بها العلماء والباحثون والمهتمون وبالتعاون مع الحركات الاسلامية بدراسة تأريخية لكل اقليم من اقاليم العالم الاسلامي ومعرفة الافكار الرائجة التي ساهمت في تشكيل شخصية ذلك الاقليم ثم توجيه خطاباً خاصاً لكل اقليم حسب تاريخه وذهنيته وايمانه بالافكار الوحدوية والخلافية.

وبهذا نرى ان يكون خطابان لمشروع الوحدة احدهما، الخطاب العام الذي تعودنا عليه، والاخر خاص الذي ندعو اليه عبر الدراسات التفصلية.

والحمد لله رب العالمين

خزعل غازي

« فهرسة البحث »

دولة الادارسة
تمهيد
ادريس وثورة الفخ
قيام الدولة الادريسية في المغرب
دولة الادارسة بعد اغتيال ادريس
إدريس الثاني
محمد بن إدريس
تسلسل ملوك دولة الادارسة
سياسة الادارسة ازاء العباسيين
خاتمة

الأُصول التاريخية بالمشرق وآل البيت بالمغرب

د. عبد الهادي التازي

المملكة المغربية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

كان اول قادم على المغرب، من ذرية الامام علي بن ابي طالب، هو المولى ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلوات، وذلك بإجماع المؤلفين الذين كتبوا عن تاريخ المغرب بعد ظهور الاسلام...

وقد كان وصول ادريس الى افريقيا عبر البحر الاحمر بعد وقعة فخ التي جرت يوم ثامن ذي الحجة ١٦٩ (١٠ يونية ٧٨٦). ومن طنجة التي نزل بها، بادئ الامر وجه نداءه التاريخي الى المغاربة، ولم يلبث ان تلقى البيعة يوم الجمعة رابع رمضان سنة ١٧٢ (٦ يبراير ٧٨٩) حيث انشأ مملكةً بالمغرب مستقلةً عن الخلافة العباسية ببغداد.

ويتأكد ان حركة الامام ادريس التي امتدت الى تلمسان وتجاوزته الى مفاتحة والي مصر للانضمام الى آل البيت، يتأكد ان تلك الحركة اغضبت العباسيين ببغداد!

ولأن المسافة بعيدة كان يصعب معها ارسال الجيش لمقاومة حركة ادريس، فقد بعثوا بمن احتال عليه وقام باغتياله! وقد حسبوا ان الامر انتهى، لكن الدولة استمرت بجهود ابنه ادريس الثاني الذي انشأ له سنة ١٩٢ (٨٠٨م) عاصمة تحمل اسم فاس بعد ان وفدت عليه حشود من الأندلس وإفريقية بل ومن العراق وفارس

ممن تعرضوا للاضطهاد والقمع والظلم في تلك الجهات[١].

ومن هنا نُعتت فاس بأنها ملاذ الخائفين، فقد اصبحت فعلاً كعبة القاصدين ولا سيما من الاشراف، او السادة كما يسمونهم بالمشرق، بمن تشملهم كلمة الاشراف او الشرفاء من أُسرٍ عديدة فيها الحسنيون وفيها الحسينيون.

وهكذا وجدنا ان هناك خمس فصائل اساسية:

الاولى: الأدارسة بمن فيهم الجوطيون بجميع فِرَقهم، ومن فيهم من غير الجوطيين وهم كثير كثير...

الثانية: المحمديون وهم العلويون الواردون من ينبع والذين يوجدون اليوم ومنذ أكثر من خمسة قرون على رأس الحكم بالمغرب..

الثالثة: الموسويون ويندرج فيهم القادريون...

الرابعة: العريضيون، ويشملون الأشراف الحسينين من صقليين وبني عمهم.

الخامسة: الكاظميون وهم الأشراف المنعوتون بالعراقيين...

ومن الملاحظ أن الأشراف بالمغرب وخاصة منهم الأدارسة الأوائل تعرضوا لمحنة كبرى أواخر الدوله الأدريسية بسبب تصميمهم على ان يحتفظوا باستقلال بلادهم ضد أطماع الأمويين بالأندلس فيهم وضد أطماع بعض الزعماء المحليين الذين كانوا يعملون لحساب جهاتٍ خارج المغرب .

ظلوا ولفترة قرن كامل يقاومون ويناضلون... وقد مرت بهم فترة من الفتراتِ الحاكمةِ كانوا يضطرون فيها للهجرة ألىَ الصحاري والجبال، بل يضطرون ألى تغيير انسابهم وأسماءهم حتى يفلتوا من القتل والسفك، وما بطش موسى ابن أبى العافيه بغائب عن أسماع كل المغاربه بل وعن المهتمين بتاريخ الغرب الاسلامي

---

١ ـ ابن أبي زرع: روض القرطاس، طبعة الرباط ص ٥١ ـ د. التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٤، ص ٢٢، رقم الايداع القانوني: ٢٥ ـ ١٩٨٦ ـ مطابع فضالة ـ المحمّدية.

كله!

والجدير بالذكر في هذا المقام أن المؤرخين المغاربه اهتموا جميعهم بأمر الأنساب، ولذلك نجد العشرات من التآليف التي تنصب على معالجة هذا الموضوع، نجد أنهم جميعهم وهم يتحدثون عن تاريخ بناء فاس مثلاً لابد وأن يستحضروا مؤسس المدينة، ويذكرون نسبه وذريته، كما نجدهم أي المغاربة، وهم يتصاهرون بعضهم مع بعض، يحرصون على ذكر شجرة الشريف منهم في صلب عقد الصداق بحيث نجد أن الزوج الذي ينتسب للدوحة الشريفة يحرص على ذكر والده وجده الى أن يصل الى الامام علي وزوجته السيده فاطمة الزهراء، وهكذا كان الأمر بالنسبة للزوجة الشريفة التي تحرص على أن يذكر أسلافها واحداً واحداً الى مولانا علي ومولاتنا فاطمة...

ولم يكن غريباً علينا أن السلطان المريني أبا الحسن علي بن السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، واسطة عقد الدولة المرينية وأحد سلاطينها الأجلاء ـ المتوفى بجبل هنتاته جنوب المغرب يوم ٢٧ ربيع الأول ٧٥٢ (١٣٥٢) ـ أن نجد هذا السلطان يقوم بعملية جرد لجميع الشرفاء القرباء والبعداء، ويبعث بقاضي الحضرة الفاسية العالم الاكبر، السفير الاجل ابا سالم ابراهيم بن ابي زيد عبد الرحمن بن ابي يحيى التازي، يبعث به لسائر اطراف البلاد مميزاً لأعيانهم ومختبراً لأنسابهم الى ان اتم جرداً لأمير المؤمنين يستوعب سائر الانساب والاحساب...

وقد اقتدى السلطان ابو سالم بن ابي الحسن بوالده فقام بدوره بتفقد الاشراف وجمع شملهم وتعهدهم بالصلات، بل وجعل عليهم نقيباً يحمي حقوقهم ويرعى منزلهم، وكان هذا النقيب هو ابو عبد الله بن محمد بن محمد بن

عمران بن عبد الواحد بن احمد بن علي بن يحيى [١].

والحقيقة ان الملوك المغاربة اقتدوا في هذا الصنيع بما هو معروف عند العلامة الماوردي المتوفي سنة (٤٥٠ هـ ١٠٥٨) في تأليفه «الاحكام السلطانية والولايات الدينية» [٢] الذي خصص الباب الثامن من كتابه للحديث عن انشاء النقابة على ذوي الأنساب...

لقد كان الماوردي صريحاً في تمييز أهل البيت عن غيرهم لدرجة انه افاد انه اذا تنازع احد من آل ابي طالب مع احد ينتمي الى غيرهم من العباسيين مثلاً فإنه لا تجب على احدٍ منهما الاجابة لحكم غير حكم نقيبه، الى آخر ما جاء في الباب من فقهٍ جديرٍ بالعودة اليه.

والمهم بالنسبة اليّ في هذا الموضوع ان ابرز المركز الاجتماعي لأهل البيت من خلال الاحداث التي عاشها المغرب ويعيشها عبر تاريخة الطويل العريض. وأشير الى ارتباط الاسر المغربية الشريفة بأصولها التي توجد بالمشرق، وهو الامر الذي يحتاج الى تظافر جهود النسابة في كل جهات العالم الاسلامي بل وغير العالم الاسلامي من اجل المزيد من الضبط والتحري والحزم.

وإذا ساغ لنا ان نقارن بين ما صدر في الديار المشرقية من تأليف عبر المحاولات التي ظهرت لحد الآن من اجل ضبط فضائل ابناء الرسول [٣] فإننا

---

١ ـ علي الجزناني: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م المطبعة الملكية، ص ٣٠.

٢ ـ المكتبة التوفيقية (سيّدنا الحسين) رقم الإيداع ١٩٧٨/٣٠٧٧.

٣ ـ ضامن بن شدقم الحسيني المدني (كان حياً سنة ١٠٩٠): تحفة الأزهار ورسول الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار بأجزائه الثلاثة إلى جانب الورض المعطار في تشجير تحفة الأزهار، تقديم وتشجير كامل سلمان الجبوري، بإشراف مركز تهران (١٩٩٩) ١٤٢٢ مركز نشر التراث المخطوط.

سنباغت بوفرة المراجع المغربية التي تناولت أحياناً كل فصيلة على حدة واحياناً على ما يتفرع عن تلك الفصيلة، واحياناً اخرى على الاسرة الواحدة تسكن في حي من احياء المدينة او قرية من القرى او مدينة من المدن...

ومن الطريف ان نجد في هذه المصادر والمراجع ما دون بالنظم كذلك على نحو ما نقرأه عند الشيخ ابي زيد عبد الرحمن الفاسي في موسوعته الشعرية المعروفة تحت اسم «الاقتوم في مبادئ العلوم» حيث نراه يخصص جانباً مهماً من هذا التأليف للحديث عن (علم انساب الشرفاء بالمغرب)، كما يخصص باباً على حدة للأشراف الأدارسة الجوطيين.

وحتى يكون عملنا دقيقاً، نرى من المفيد ان نستعرض بعض التآليف المتخصصة حول الانساب في المغرب مما يعتبر مرجعاً اساسياً حول الموضوع.

ويتعلق الامر بمخطوطة (الاشراف على بعض من حل بفاس من مشاهير الاشراف) الذي الفه عالم متخصص هو القاضي الطالب ابن الحاج الذي كان يمتاز بتعدد اصدقائه ومعارفه وتنوع مراجعه ومصادره[1].

والمهم في مقدمة الكتاب انها تستوعب ذكر عدد من النقول التي تعزز المعلومات التي اعتمد عليها المؤلف بما فيها التآليف السابقة واللاحقة.

وهكذا يتبين من خلال مقدمة التأليف المذكور فيما يتصل بأبناء سيدنا الحسن والحسين ان مرجعهم الى اثني عشر سبطاً: ستة من سيدنا الحسن وستة من سيدنا الحسين، فالحسنيون: واحد منهم من الحسن بن زيد بن الحسن السبط، وخمسة من الحسن المثنى، وهم عبد الله الكامل، وابراهيم، والحسن المثلث، وجعفر، وداوود.

---

١ ـ ترجم للقاضي ابن الحاج في كتاب السلوة للكتاني ١: ١٥٧، وفي تاريخ جامع القرويين للتازي ٣: ٨١٢، وكذا في معلمة المغرب.

والحسينيون كلهم من ابناء علي زين العابدين بن الحسين (بالياء) السبط، وهم محمد الباقر، وعبد الله، وزيد الشهيد، وعلي والحسين (بالياء) وعمر.

وممن اوسع الكلام من حفاظ النسب حول الاسباط الاثني عشر تاج الدين ابن معين الحسني في كتابه (هداية الطالب في نسب آل ابي طالب)، وشهاب الدين بن عنبة الحسني في كتابه (عمدة الطالب في نسب آل ابي طالب) والسمرقندي الحسني في كتابه (تحقّق الطالب فيمن ينسب الى عبد الله وابي طالب) والازورقاني الحسني في كتابه (بحر الانساب فيما للسبطين من الاعقاب...) وعلي الشامي في تأليفة (مبادرة الاسعاف بنظم اجداد بعض الاشراف) وسليمان الحوات في تأليفه (اثمد العُيُون في شرفاء أهل العيون) والسّجلماسي في كتابه (الابريز في مناقب الشيخ عبد العزيز).

وقد تبين ان مرجعهم الى ست فصائل:

الفصيلة الاولى: الادارسة، بنو الامام ادريس سالف الذكر.

ويأتي في صدر الادارسة الفريق يحمل نعت الجوطيين (نسبة الى جوطة) قرية عظيمة كانت على نهر سبو حيث توجد اليوم بلاد اولاد عمران كانت ميناءً هاماً يتوفر على دار لبناء السفن، كان يربط المنطقة بأعالي البحار عبر النهر المذكور، ادركها الخراب وتحيفها النهر على حد تعبير المؤرخين . كان اول من نزل بجوطة يحيى بن القاسم الملقب بالعدّام لكثر ما يقوم به اثناء الجهاد من اعدامات لخصوم الاسلام ومرجع هؤلاء الى خمس فرق:

● **الفرقة الاولى**: الطاهريون، نسبة الى جدهم ابي الجمال طاهر ... وقد تعددت النقابة في هذه الفرقة بفاس منذ قدومهم عليها من مكناس في النصف الثاني من القرن التاسع...

● **الفرقة الثانية**: الشبيهيون، نسبة الى جدهم السيد احمد الشبيه، ودعي الشبيه لأنه كان يشبه جده صلى الله عليه وسلم ... وبيت هؤلاء الشرفاء بمكناسة وزرهون وهم ولاة ضريح الإمام ادريس الاكبر... الى الآن.

● **الفرقة الثالثة**: العمرانيون، وينسبون الى جدهم عمران، وهؤلاء الاشراف من كبار الاعيان وأهل النباهة والشأن، كانت فيهم النقابة، وهذه الفرقة بفاس ذات فرعين:

* احدهما: الذين استمرت لهم الشهرة بهذه النسبة العمرانية الى الآن.

* وثانيهما: شرفاء دار القيطون والنسبة الى جدهم ابي العلاء ادريس سادس الابناء من عمران عنوان شهرتهم، الذي كان يسكن دار القيطون التي توجد الى الآن بحرم الضريح الادريسي.

● **الفرقة الرابعة**: الطالبيون، نسبة الى جدهم ابي طالب سادس الابناء من ابي عبد الله محمد الجد التاسع للفروع الجوطية كلها، وهو ابو طالب بن سليمان ابن محمد بن قاسم بن العباس ابن محمد المذكور. وهذه الفرقة من اهل الشرف الباذخ والشيم الطاهرة اصحاب الحسب الاصيل والمنصب الجليل ... اصحاب التواضع الذي يفوق تواضع سائر من رأينا من الاشراف ... كانوا، قبل العمرانيين والطاهريين ولاةً لضريح جدهم المولى ادريس قاطنين بدار القيطون.

وبعد خروجهم منها نزلوا بعدوة الاندلس بدرب السعود المعروف الى اليوم بهذا الاسم وكان الذي اخرجهم من دار القيطون عاهل بني مرين عندما سَعى في ذلك العلامة ابن مرزوق الذي تزوج بنت الشريف العمراني[1].

---

١ ـ كان من أعظم ما يؤثر عن آل أبي طالب أن جدّهم أبا الربيع سليمان ضايقه حطاب عند جامع الشرفاء فدخل عود في عينه فخرجت فوضع يداً عليها والاخرى على الحطاب خوفاً

واسم جدهم الذين تفرعوا عنه ابو عبد الله محمد عاشر الابناء من ابي طالب احمد بن ابي طالب بن احمد بن ابي طالب بن احمد بن ابي طالب بن محمد ابن ابي طالب المذكور، فالتسمية بأبي طالب تكررت في عمودهم بعد جدهم سليمان.

● **الفرقة الخامسة**: الفرجيون، نسبة الى جدهم ابي الفرج، ثالث الابناء من ابي محمد عبد الواحد الذين يجتمعون فيه مع الشبيهيين وخامس الابناء من ابي محمد عبد الواحد الذين يجتمعون فيه مع الطاهريين، وثامن الابناء من ابي عبد الله محمد الجامع للفروع الجوطية كلها...

وهو ابو الفرج بن ادريس بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاهد...

وقد توزعوا فمنهم من يقيم بمكناس ومنهم من يقيم بفاس، وهم ثلاثة فروع:

الغالبيون نسبة الى جدهم ابي غالب...

والفرع الثاني الفرجيون من مكناسة الزيتون ...

والفرع الثالث من الفرجيين الطالبيون نسبة الى جدهم ابي طالب ثالث الابناء من ابي الفرج ...

وجميع هؤلاء ومن انحدر منهم يحملون نعت الجوطيين نسبة الى جدهم.

وقد بقي من هذه الفصيلة الاولى من غير الجوطيين عدد كبير من الاشراف ممن حملوا في التاريخ اسماءً اخرى تميزهم، نعوتاً لحرف اشتهروا بها، أو لمواقع جغرافية عرفوا فيها او لأحداثٍ مرت بهم فالتصقت بهم، ونذكر من هؤلاء السادة

من الناس..!! وذهب به إلى داره إلى أن تفرق الناس، فأعطاه فيه قطعة ملف ليسكن روعه وأخرجه خفية...

الشرفاء المدعويين بالدباغيين.

وهم اصلاً من شرفاء آيت عتاب من ناحية تادلة لناحية الدِلاء، من بني الامير عيسى بن ادريس، المولى من قبل اخيه محمد على شالة وسلا وأزمور وتامسنا وما والى ذلك[1]...

وقد سكن الدباغيون بغرناطة على نحو ما كان بعض بني ادريس، سكنوها اختياراً، او اضطراراً ايام الاحداث السياسية...

ثم انتقلوا الى سلا ثم الى حومة العيون من فاس، سموا هكذا لأنهم كانوا يأخذون خراج دار الدبغ سلا، بأمر السلطان احمد بن سالم المريني.

ومن الشرفاء المدعوون بالكتانيين المعروفين بشرفاء عقبة بن صوال، وهم من بني الامير محمد بن ادريس الخليفة بالمغرب بعد اغتيال والده، ولما تغلب موسى بن ابي العافية المكناسي على فاس وقتل الأدارسة اربعمائة بحومة وادي الشرفاء من عدوة فاس القرويين فرَّ من فلت منهم من القتل كما اشرنا قبل الى جهات عديدة من المغرب في الجبال والصحاري!!

وقد كان فيمن فر من فاس ابو زكرياء يحيى بن عمرن بن عبد الجليل بن يحيى بن الامير محمد بن الامام ادريس ... ويحيى بن عمران أول من دعي بالكتاني ... ولعل ذلك لظهور الخيمة من الكتان أيام إمارة بعض اسلافه، ولم يكن الخباء قبل الا من الشعر والصوف ... وهم فروع اربعة : بنو ابي الحسن علي، وبنو حامد العربي، وبنو ادريس، وبنو عبد العزيز.

ومن الشرفاء المدعوون بالشفشاونيين: وهم من الأدارسة العَلَميين من بني محمدبن ادريس، ثم من بني موسى بن مشيش اخي قطب المغرب ابي محمد

---

١ ـ يذكر التاريخ أنّ الإمام إدريس وزّع أقاليم المغرب بإشارة من جدّته كنزة على إخوته. د. التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٤ ص ٢٥، رقم الإيداع القانوني ١٩٨٦/٢٥.

المولى عبد السلام بن مشيش.

ونسب هؤلاء الى جبل العَلَّم (بفتح العين واللام)، الجبل المعروف شمال المغرب على مقربة من مدينة تطاون، التجأ اليه الشرفاء بعد المحن التي عاشوها اواسط المائة الرابعة فعوضهم الله عن الخلافة الملوكية بالخلافة القُطبانية على حد تعبير بعض مترجميهم.

وينتسب الشفشاونيون الى مدينة شفشاون التي كانت قاعدة نضال ضد الطامعين في البلاد وقد اختطها بعض شرفاء بني راشد من بني القطب المولى عبد السلام بن مشيش بقصد تحصين المسلمين من الكفرة بعد عدوان هؤلاء بعد ان احتلوا سبته!!

وقد كان اول قادم لها منهم ابو العباس احمد الابن الحادي عشر من ابي بكر الذي يجتمع عنده الشرفاء كلهم...

ومن الشرفاء، المدعوون ايضاً بالشقوريين، وهم من الادارسة العَلَميين الموسويين من بني موسى بن مشيش بن ابي بكر الجد الجامع لهم، وهم كثيرون.. ويبدو ان التسمية آتية من ان لهم سلفاً اشقر... على نحو ما يقال في المنتسبين لبيت شقرون.

- ومن مشاهير الاشراف العَلَميين الموسويين اولاد كرمون من بني جبارة.
- واولاد الحراق من قبيلة سريف.
- واولاد العشارى والبكوري والتملالي.
- واولاد ابن عبد الله بو منديل.
- واولاد السيد الحسن المقيمون بالسلاليم.
- واولاد الحوات، لقب جدهم بذلك لانه كان يصطاد الحوت بثغر ترغة من بلاد غمارة ... ومنهم الشيخ الشهير سليمان الحوات...

ـ ومن الشرفاء المشهورين المدعوون بالوزانيين وهم من الأدارسة العَلَميين من بني سيدي يملح اخي المولى عبد السلام بن مشيش بن ابي بكر، ثم من بني القطب ابي محمد المولى عبد الله الشريف نزيل مدينة وزان من قبيلة مصمودة المتوفى سنة ١٨٠٩.

ومن مشاهير الشرفاء اليَملَحيين المعروفين بغير فاس، اولاد حمدان بجبل الحبيب، واولاد ابن الصغير واولاد المؤذن، واولاد اللحياني (لأنه عظيم اللحية) وأولاد الأشهب، واولاد القاضي واولاد حماد واولاد الشاعر واولاد الجبّاري ...

والوزانيون المستقرون بفاس يوزعون الى خمسة فروع :

الاول بنو السيد ابي العباس احمد الشاهد ...

والثاني بنو السيد ابي الحسن علي ...

والفرع الثالث بنو السيد ابي عبد الله محمد الطاهر ...

والفرع الرابع بنو السيد الحسني، ومن ذرية هؤلاء شيخنا المَدَني بن الحسني بمدينة الرباط ...

والفرع الخامس بنو السيد محمد بن الطيب ... ولهم اصرة مع اليملحيين سالفي الذكر.

ومن الشرفاء اولاد المجيّح ... وهم الأدارسة العَلَميين من بني سيدي علال ابن المولى عبد السلام بن مشيش ... ودعي بالمجيّح لجيحانه في الارض بين السوّى والاقبال على المولى، على حد تعبيرالشيخ الطالب بن الحاج في مخطوطته الاشراف موضوع الحديث.

وقد توزع قِسم من هذه الطائفة علىمختلف جهات المغرب وعرف تحت اسماء مختلفة...

ومن الاشراف الادارسة اولاد بن حليمة، واولاد الهراح، واولاد السرغيني،

اولاد الطالب، اولاد الحويك، واولاد ابن الطريبق،واولاد افيلال، واولاد الشنتوف والقموريون المدعوون بفاس بالقصريين، والقموريون جمع قمور: طائر معروف لقب بهم جدهم[١]...

ـ ومن الشرفاء اولاد اخريف واولاد معلى وهم كذلك من الادارسة العلميين من بني ابي الحسن علي بن ابي بكر احد اعمام المولى عبد السلام بن مشيش...

ـ ومنهم اولاد ابن ريسون نسبة الى والدة جدهم السيدة ريسون التي نشأ في احضانها الحفيد واولاد بن رحمون، واصله عبد الرجمن الذي تكرر في عمود نسبهم مراراً، وقد غيرته العامة على عادتها الى رحمون[٢].

الفصيلة الثانية: المُحمَّديون.

وهم بنو الامام محمد ذو النفس الزكية ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومنهم شرفاء سجلماسة الذين قدموا على سجلماسة من ينبع النخل، من مدشر يعرف ببني ابراهيم، وينبع النخل، كما نعلم اليوم، غير بعيد عن ينبع البحر التي تقع على البحر الاحمر، غير بعيد عن المدينة المنورة...

كان النبي صلى الله عليه وسلم اقطعه للإمام علي بن ابي طالب وسكنه بعض

---

١ ـ سبب التلقيب بذلك أنّ والديه سافرا به وهو رضيع، فمرّا بنهر عظيم فعبر والده بأُمّه وتركه ولمّا عاد الوالد ليأخذ الرضيع ليعبر به وجد النهر في الزيادة، فلم يقدر وبقي الرضيع في العدوة الاخرى نحو ثلاثة أيام وكان القمور، الطائر المعروف، يأتي إليه بطعام كلّ صباح ومساء، فعرف بذلك وجرى ذلك على من بعده من بنيه... كان سكنى سلفهم بأحد مداشر جبل العلم.

٢ ـ ليس من هؤلاء الأشراف سيدي قاسم بن رحمون دفين درب أمينة اللاصق في فندق النجارين في فاس.

بنيه من بعده، منهم بنو عياش الذين ينحدر منهم اشراف سجلماسة، وعرفوا بهذا الاسم لأنهم كانوا يُعيِّشون الناس في شدة المحل، وكان الناس عليهم عالةً ما بين ظاعن ومقيم.

وكان اول وارد منهم على سجلماسة الحَسَن بن القاسم.

كان وروده على فاس اواسط القرن السابع الهجري بداية عهد دولة بني مرين، وذلك في اعقاب احداثٍ شهدتها المنطقة اضطرت الشرفاء الى ان يلتجئوا الى حيث التجأ اجدادهم من ذي قبل!

وقد خلف الحسن القادم ولداً واحداً يحمل اسم محمد الذي خلف الحسن سمي جده، وخلف الحسن هذا ولدين: احدهما عبد الرحمن، وثانيهما المولى الشريف ومن هذا تكاثرت فروعهم.

ومن الجدير بالذكر ان الشريف هذا هو الاب التاسع للملك محمد السادس الجالس على كرسي الحكم اليوم...

ويعد من الاشراف المحمديين الإسماعليون، والمرانيون، والبلغيثيون واولاد مولاي الطاهر، والمدغريون وأولاد شاكر وبنو موسى وشرفاء صوصو... والفضيليون واولاد بنصر.

الفصيلة الثالثة : الموسويون.

وهؤلاء هم بنو موسى الجون بن عبد الله الكامل....

ومن هؤلاء، فرقة الاشراف القادريين نسبة الى الشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد، ويوصف موسى الوالد بجنكي دوست، ومعناه بلغة العجم العظيم القدر...

ومن الموسويون كذلك فرقة المومنانيين...

الفصيلة الرابعة : العُرَيضيون.

نسبة الى علي العُرَيضي القائم بالبصرة ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن سيدنا الحسين (بالياء) السبط والعريضي نسبة للعُرَيض: قرية على اربعة اميال من المدينة المنورة. وهؤلاء منهم الصقليون، وهؤلاء فرقتان: بنو عبد الله، وبنو ابي القاسم.

الفصيلة الخامسة : الكاظِميون.

وهؤلاء هم بنو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ومن هؤلاء الكاظميين الشرفاء العراقيون، وهم من مشاهير الاشراف. وهؤلاء الأشراف العراقيون من بني ابراهيم بن موسى الكاظم اخي علي الرضا، الملقب بالمُجاب لإجابة الناس دعوته، وقد يلقب ايضاً بالجزّار لكثر ما اريق من الدم في اليمن ايام ولايته...

وقد تحدث ابن بطوطة اثناء الكلام على نقباء الاشراف بالعراق ذاكراً: الشريف الفاضل ابا عبدالله محمد الهادي بن ابي القاسم بن نفيس الحسيني الكربلائي الشهير في المغرب بالعراقي[1]...

وبعد فهذا مجمل لتاريخ الاسر الشريفة الموجودة في المملكة المغربية، ويجب عليّ ان اقول بهذه المناسبة ان عدد العائلات التي تحمل هذه الصفة تفوق الحصر، ذلك ان تعاقب الازمان وهجرة الناس من مكان الى مكان غيَّر معالم الاسماء في كثير من الاحيان فقد نجد اسراً عربيةً ناشئةً بين اسر امازيغية، وقد نجد

---

١ ـ رحلة ابن بطوطة ١: ٤٢٩ ـ ٤٣٠ تحقيق د. التازي نشر أكاديمية المملكة المغربية ١٤١٧ ـ ١٩٩٧، رقم الإيداع القانوني ١٩٩٧/٣٢١ ـ القلقشندي ج ٨: ١٠٣ ـ د. التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ١: ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

اسراً امازيغية معروفة نشأت بين اسر عربية...

وبهذا نفسر حرص المواطنين المغاربه على توثيق انسابهم وتشهيرها، ولم يكن غريباً علينا ان نجد عشرات الكتب والمقيدات التي تهتم بأمر الانساب عبر الازمان على ما أسلفنا...

والمطلوب منا اليوم ان نعمل على جرد اسماء هذه الأسر بعضها الى بعض، ليس فقط على صعيد بلاد المغرب، ولكن كذلك على صعيد العالم الاسلامي كله ... ونعتقد ان هذا العمل ليس بالأمر الصعب ما دمنا نعرف ان هناك منظمات دولية الآن تعمل في هذا الاتجاه جاهدةً لإعداد سجلات لإعلام الاشخاص اعتقاداً منها ان ذلك مما يساعد على معرفة تاريخ الانسانية جميعها ولعلنا نأخذ من اليوم طريقنا لإنجاز هذا المشروع الاسلامي الكبير.

د. عبد الهادي التازي
عضو اكاديمية المملكة المغربية
فيلا بغداد ـ طريق ايت اورير
حي السويسي ـ الرباط ـ المغرب

الحمّاني العلوي
شاعر من سلالة الهاشميين

حيدر محلّاتي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ساهمت الكلمة الشعرية وعبر تاريخها المديد مساهمة فعّالة في بناء الحضارة الانسانية وخاصّةً في توطيد دعائم الثقافة ونشر العلوم والمعارف. وقد تبلورت هذه المشاركة بأوضح أشكالها عندما سلكت الكلمة الشاعرة مسلكاً هادفاً جسّدت فيه معناة مقصودة ـ فردية كانت أم اجتماعية ـ صادرة عن مفهوم عقائدي قويم.

حينئذٍ وجدت الكلمة محلّها من الحياة وهي تخرج من سذاجتها الفطرية ومن اطارها العاطفي الضيّق والمشحون بالمشاعر الغريزية الى عالم يصبو الى توظيف النتاج الفكري والابداع الفني لصالح المبادىء الانسانية والقيم البشرية الرفيعة.

ويبقى الشاعر وبكونه المبدع والمنتج للكلمة الشاعرة عنصراً فاعلاً في الكيان الثقافي للمجتمع وأداة حيّة تسعى جاهدة الى تحقيق الأهداف الانسانية السامية من خلال العمل الأدبي المتّسم بالتزامات عقائدية واجتماعية على حدٍ سواء.

ومن الطبيعي أن يتجسّد الالتزام العقائدي ـ بكل مفاهيمه ومصاديقه ـ في الشعر الديني وخاصّةً الشعر الولائي الّذي اتخذ من مبادىء الرسالة المحمّدية والقيم السامية لتعاليم أهل البيت عليهم السلام مادة غنيّة يستمد منها مفاهيم انسانية رفيعة ومعانٍ شعرية خالدة تبقى على مرّ العصور والأيّام.

ولتميّز الشعر بالتأثير المباشر في نفس السامع والمتلقي، وقابليته الفنية في اختصار المعنى وايصال المطلوب باسلوب آسر وأخّاذ، أصبح ـ وفي العصور المتقدّمة خاصّة ـ الوسيلة الإعلامية المثلى التي من خلالها يستطيع الشاعر أن يعبّر عن معاناته وهمومه وعن قضاياه الّتي لم تسمح السياسة بحلّها عن طريق العمل السياسي والتحرّك الإصلاحي البنّاء.

ومن اولئك الشعراء الّذين حملوا راية الإعلام الرسالي عالية خفّاقة بكل ما تنطوي عليها من مخاطر ومحن ومخاوف وتضحيات، الشاعر الحمّاني[١] علي ابن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال عنه المسعودي المؤرخ وهو يتحدّث عن الهاشميين في الكوفة: «كان علي بن محمد الحمّاني نقيبهم بالكوفة وشاعرهم ومدرّسهم ولسانهم ، ولم يكن أحد بالكوفة من آل علي بن أبي طالب عليه السلام يتقدّمه في ذلك الوقت»[٢].

نشأ الشاعر في بيت قديم العهد بالشعر والأدب. فقد كان يقول: «أنا شاعر وأبي شاعر وجدّي شاعر الى أبي طالب[٣]. ولم يكن الحمّاني بقوله هذا مبالغاً ومحض مدّعٍ، ففصاحة اللسان وبلاغة البيان عريقة الاصول عميقة الجذور في بني هاشم. وها هو أمير البيان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «وانّا لأمراء الكلام، وفينا

---

١ ـ نسبة الى بني حمّان الّذين كانوا يسكنون الكوفة.

٢ ـ مروج الذهب، بتحقيق محمد محيي‌الدين عبد الحميد، دارالمعرفة، بيروت، ج ٤، ص ١٥١.

٣ ـ الصنعاني: نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٩ م، ج ٢، ص ٤٢٩.

تنشّبت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه»[١].

امّا عن مسقط رأس الشاعر وتاريخ ولادته ووفاته فقد أغفل المؤرخون ذلك الّا أنّ القرآئن والشواهد ترجّح بأن يكون الشاعر ولد في الكوفة ما بين العقدين الثاني والثالث من المئة الثالثة للهجرة، وتوفي فيها سنة ٣٠١ هـ[٢].

وبالنسبة الى شعره الّذي وصل الينا فقد تنوعت أغراضه وتعددت مواضيعه الّا أنّ أهمها ينحصر في الشكوى والفخر والغزل والسياسة والعقيدة[٣]. ويغلب استعمال الغرضين الأخيرين على سائر أغراض شعره.

ويتضح من خلال مطالعة شعره المجموع اهتمام الشاعر بأنواع البديع واكثاره من استعمال التضمين لأبيات مشهورة والاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وما يهمّنا في هذا المقال هو اكتشاف منهجية الشاعر في نظمه للشعر العقائدي وخاصّة شعره في أهل البيت عليهم السلام حيث يشغل مساحة واسعة من ديوانه.

مرّ آنفاً أنّ الشاعر كان نقيب الهاشميين في الكوفة وبحكم هذا الموقع كان محتماً على الشاعر أن يبيّن أحقية أهل البيت عليهم السلام في قيادة الامة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومواصلة طريق الحق الّذي نهجه صلى الله عليه وآله وسلم من أجل توعية الامة

---

١ ـ نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، دار الهجرة، قم، ١٤١٢ هـ، ص ٢٥٤.

٢ ـ الشيخ الأميني: الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣، ج ٣، ص ٦٨. وقد ورد في مروج الذهب (ج ٤، ص ١٥٣) ان الشاعر توفي سنة ٢٦٠ هـ.

٣ ـ جمع شعره الدكتور محمد حسين الأعرجي ونشره في مجلة المورد البغدادية (مج ٣ / ع ٢ / ص ١٩٩ ـ ٢٢٠). كما جمعه أيضاً مزهر السوداني ونشره في مجلة كلية الآداب ـ جامعة البصرة (مج ٧ / ع ٩ / ص ٢٩١ ـ ٣٤٣).

وهدايتها الى الكمال المنشود، الى جانب الإشادة بتعاليمهم عليهم السلام وفضائلهم و مناقبهم والابانة عن مواقفهم الخالدة بغية الاعتبار والتطبيق العملي لها في شؤون الحياة كافة.

والمطالع لديوان الحمّاني يقف عند بدائع وروائع من الشعر الولائي الّذي كرّسه الشاعر لذلك الغرض المقدس حيث يعد وبحق التزاماً دينياً وعقائدياً لم يحد عنه الشاعر طوال مسيرته الفكرية والاجتماعية بالرغم من تحديات العصر وضغوط الاجهزة الظالمة.

وتستوقفنا محاور رئيسية لدى استعراضنا قصائد الحمّاني الولائية نستطيع أن نعدّها أُسُساً عامّة لمنهجية الشاعر في نظمه لهذا اللون من الشعر. ولابد من الاشارة الى أنّ هذه المحاور استخلصناها من مجموع شعره المتوفّر لدينا حالياً وهو بطبيعة الحال ليس جميع شعره. أمّا السمات البارزة في شعر الحمّاني الولائي فهي كالآتي:

١ ـ الاستدلال بالآيات القرآنية الكريمة لتبيين أفضلية أهل البيت عليهم السلام وبيان حقهم المشروع في الخلافة وولاية الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

يعدّ موضوع قيادة الامّة الاسلامية بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من المواضيع المهمّة الّتي كثر النقاش حولها واحتدم الخلاف فيها منذ وفاته صلى الله عليه وآله وسلم وحتى يومنا هذا. ولا شك أنّ هذا الموضوع كان على بساط البحث في عصر الشاعر الحمّاني وخاصة وأنّ الشاعر كان على رأس نقابة الهاشميين في الكوفة. فكان طبيعياً أن يحظى هذا الموضوع بأهمية خاصة من قبل الشاعر وينعكس بشكل واسع وكبير على شعره.

وقد تعرّض الشاعر الى هذا الموضوع في مواضع مختلفة من شعره مستدلاً بالآيات القرآنية الكريمة على أحقية أهل البيت عليهم السلام في خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، منها قوله:

وانّ بكم يا آل أحمد أشرقت ... وجوه قريش لا بوجه من الفخر
وإنّ بكم يا آل أحمد آمنت ... قريش بأيام المواقف والحشر
بأمركم يا آل أحمد أصبحت ... قريش ولاة الامر دون ذوي الذكر
إذا ما أناخت في ظلال بيوتها ... أنختم ببيت الطهر في محكم الذّكر[1]

وفي البيت الأخير اشارة واضحة الى قوله تعالى: ﴿*إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً*﴾[2]. وقد وردت أحاديث متواترة من مصادر الفريقين تدل على أنّ هذه الآية نزلت في الخمسة من أصحاب الكساء وهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقد صرّح بذلك عدد كبير من المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية الشريفة. أذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ما أورده أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في تفسيره من طرق الفريقين حيث قال: وقد اتفقت الامة بأجمعها على أنّ المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ... ذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره: حدثني شهر بن حوشب، عن ام سلمة قالت: جاءت فاطمة عليها السلام الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحمل حريرة لها، فقال:ادعي زوجك وابنيك. فجاءت بهم، فطعموا، ثم القى عليهم كساءً له خيبرياً فقال: «اللهم

---

١ ـ ديوان الحمّاني، تحقيق الدكتور محمد حسين الأعرجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨، ص ٧٢.

٢ ـ الأحزاب: ٣٣.

هؤلاء أهل بيتي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً» فقلت: يا رسول الله! وأنا معهم؟ قال: أنت الى خير.

وروى الثعلبي في تفسيره أيضاً بالإسناد عن ام سلمة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها، فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها حريرة، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك. فذكرت الحديث نحو ذلك. ثم قالت: فأنزل الله تعالى ﴿*انما يريد الله*﴾ الآية. قالت: فأخذ فضل الكساء، فغشّاهم به، ثمّ أخرج يده فألوى بها الى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، وحامتي، فاذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً» فأدخلت رأسي البيت، وقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنّك الى خير، إنّك الى خير[1].

ومن جملة الآيات القرآنية الاخرى الّتي استدل بها الشاعر الحمّاني في شعره آية الخمس من قوله تعالى: ﴿*واعلموا انّما غنمتم من شيءٍ فانّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كلّ شيء قدير*﴾[2]. وقد أشار الشاعر الى هذه الآية في قوله:

انـاس هـم عـدل القـرآن ومألف الـ	بيان وأصحاب الحكومة في بدر
ومـازهم الجـبار مـنهم بـخلّة	يـراهـا ذوو الأقـدار نـاهية الفخر
فأعطاهم الخمس الّـذي فـضّلوا بـه	بآية ذي القربى على العسر واليسر[3]

والمراد بذي القربى كما ورد في الأحاديث الشريفة وكذلك في تفسير آية

---

١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥ م، ج ٨، ص ١٥٦، ١٥٧.

٢ ـ الأنفال: ٤١.

٣ ـ ديوان الحمّاني، ص ٧٢، ٧٣.

الخمس وتفسير آية المودة من قوله تعالى: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً الاّ المودة في القربى*﴾[١] هم علي وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام. وقد نوّه الحمّاني الى آية المودة بقوله:

يا آل احمد الذين بحبّهم حكم الكتاب منزّلاً تنزيلا[٢]

وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان مصاديق القربى وذويه نشير الى بعض ما ورد في كتب أهل السنة، لأنّ المصادر الشيعية تعج بالأحاديث المتواترة والصحيحة في هذا الشأن.

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال لما نزلت: ﴿*قل لا أسألكم عليه أجراً الاّ المودة في القربى*﴾، قالوا: يا رسول الله ومن قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودتهم. قال: علي وفاطمة وابناهما[٣].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنّه سئل عن قوله ﴿*الاّ المودة في القربى*﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

ولابد من الاشارة هنا الى أنّنا لا نريد في هذا المقال ألاطالة من ذكر مصادر عدة للحديث الواحد، بل نكتفي بالاشارة الى مصدر أو مصدرين للتوثيق فقط. وكما مرّ قبل قليل أنّ أغلب الأحاديث المنقولة في هذا المقال مرجعها كتب أهل السنة لكونها حجة لهم وأنّها من الأحاديث الصحيحة والمشهورة عند الفريقين

---

١ ـ الشورى: ٢٣.

٢ ـ ديوان الحمّاني، ص ١٠٠.

٣ ـ الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣ م، ج ٣، ص ٤٧.

٤ ـ صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧ م، ج ٤، ص ١٨١٩.

حيث اعتمدها الشاعر في قصائده الولائية دون أن يقتصر على الأحاديث الواردة في كتب الشيعة فقط. وهذه الطريقة هي الطريقة المثلى التي تبناها الشاعر في استدلاله النقلي حيث الحياد والموضوعية من أهم سماتها البارزة.

ونعود الى موضوع استدلال الشاعر بالآيات الشريفة ذات الصلة بأهل البيت عليهم السلام حيث تطرق الى آية الانذار من قوله تعالى: ﴿*وأنذر عشيرتك الأقربين*﴾[١]. وفيها قال الشاعر:

وقال: وأنذر أقربيك فخلّصت بنو هاشم قرباه دون بني فهر[٢]

وفي خصوص آية الانذار ورد في الأخبار أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بني عبد المطلب في دار أبي طالب فأطعمهم وسقاهم ومن ثمّ خطب فيهم قائلاً: (يا بني عبد المطّلب، انّ الله بعثني الى الخلق كافة، وبعثني اليكم خاصّة، فقال عز وجلّ: ﴿*وأنذر عشيرتك الأقربين*﴾. وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأُمم، وتدخلون بهما الجنّة، وتنجون بهما من النار، شهادة أن لا اله الّا الله وأنّي رسول الله، فمن يُجبني الى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به، يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي» فلم يجب أحد منهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فقمت بين يديه من بينهم ـ وأنا إذ ذاك أصغرهم سنّاً، وأحمشهم[٣] ساقاً، وأرمصهم[٤] عيناً ـ فقلت: أنا يا رسول الله أوْازرك على

---

١ ـ الشعراء: ٢١٤.

٢ ـ ديوان الحمّاني، ص ٧٣.

٣ ـ رجل أحمش الساقين: دقيقهما.

٤ ـ الرمص: وسخ يجتمع في مجرى الدمع.

هذا الأمر. فقال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانية فأصمتوا وقمت فقلت مثل مقالتي الأولى، فقال: اجلس، ثم أعاد على القوم مقالته ثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقلت: أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر، فقال: اجلس، فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي».

فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: يا أبا طالب، ليهنك اليوم ان دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك)[١].

وثمة آية اخرى تناولها الحمّاني في شعره وهي قوله تعالى: ﴿*إنّما المؤمنون اخوة*﴾[٢]. وقد روي حديث عن النبي الأكرم ﷺ في خصوص هذه الآية المباركة عرف بحديث المؤاخاة، حيث ذكره الشاعر في قوله مخاطباً القرشيين:

إذا قلتم: منّا الرسول، فقولهم ... أبونا رسول الله فخر على فخر
وآخاهم مثلاً لمثل فأصبحت ... اخوّته كالشمس ضمّت الى البدر
فآخى علياً دونكم، وأصارهُ ... لكم علماً بين الهداية والكفر[٣]

وروايات حديث المؤاخاة كثيرة مروية عن طرق الفريقين ولا مجال لذكرها هنا جميعاً، ولكن بحكم المثل القائل: ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه، نذكر هنا للاستشهاد فقط ما ورد عن أهل السنة في هذا الخصوص.

جاء في حديث عن عمر بن عبد الله عن أبيه عن جدّه أنّ النبي ﷺ آخى

---

١ ـ الشيخ المفيد: الإرشاد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، قم ١٤١٣، ج ١، ص ٤٩، ٥٠.

٢ ـ الحجرات: ١٠.

٣ ـ ديوان الحمّاني، ص ٧٣.

بين الناس وترك عليّاً حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني. قال: ولم تراني تركتك، انّما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا اخوك. فان ذاكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله ولا يدّعيها بعدي الّا كذّاب[١].

هذه جملة من الآيات المباركات الّتي أكّد عليها الشاعر في قصائده الولائية لصلتها الوثيقة بأهل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام، ومكانتهم السامية بين شرائح الأمّة الاسلامية، ولما لهم من فضل عظيم و دور مؤثر في مجال الهداية والإرشاد والتوعية والتثقيف.

٢ ـ الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة

الاستشهاد بالسنّة النبوية الشريفة اسلوب استدلالي آخر استخدمه الشاعر لإثبات شرعية الأئمّة من آل البيت عليهم السلام في ولاية الأمر وقيادة الامّة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقد وظّف الشاعر اسلوبه هذا في معظم شعره العقائدي، حيث يندر العثور على قصيدة ولائية من شعر الحمّاني تخلو من هذا الاسلوب الاستدلالي المقنع.

ومن الأحاديث النبويّة الشريفة الّتي ركّز عليها الشاعر في شعره العقائدي هو حديث الثقلين الّذي أشار اليه في عدّة مواضع، منها قوله:

هم الثقلان الداعيان الى الهدى مقام وصيٍّ أو بيان مصاحف[٢]

---

١ ـ أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة، تحقيق الدكتور وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣ م، ج ٢، ص ٦١٧.

٢ ـ ديوان الحمّاني، ص ٨٩.

وقوله في موضع آخر:

قـــوم إذا اعـــتدلوا الحـمائل ... أصبحوامتقسّمين خليفة ورسـولا
نشأوا بآيات الكـتاب فـما انـثنوا ... حـتى صـدرن كـهولة وكـهولا
ثـــقلان لن يـــتفرّقا أو يـطفئا ... بالحوض من ظمأ الصدور غـليلا
وخـليفتان عـلى الأنـام بـقوله ... الحـق أصـدق مـن تكـلّم قـيلا
فأتـوا أكـفّ الآيسـين، فأصبحوا ... ما يعدلون سوى الكتاب عديلا[1]

وحديث الثقلين هو قول رسول الله ﷺ: «انّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[2]. وقد بلغ رواة هذا الحديث عن طرق الفريقين من الكثرة مما لا يسع المجال هنا الى تسمية المصادر وذكرها فقط حيث يشكل بحد ذاته بحثاً مستقلاً قائماً بذاته.

واضافة الى حديث الثقلين فقد استشهد الشاعر بحديث آخر هو حديث المنزلة من قول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى الّا أنّه لا نبي بعدي»[3] وقد اورد الشاعد مضمون هذا الحـديث فـي سياق بيان أفضلية الامام عليه السلام إزاء وجهاء قريش:

وأنـــزله مـنه عـلى رغـمة العـدى ... كهارون من موسى على قدم الدّهر
فمن كان في أصحاب موسى وقومه ... كهارون؟ لازلتـم عـلى زلل الكـفر
وأنـــزله مـــنه النـبي كـنفسه ... روايـــة أبـــرار تأدّت إلى البـرّ

---

١ ـ المصدر السابق، ص ١٠٠.

٢ ـ المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٦٩.

٣ ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: دار احياء التراث العربي، بيروت، بـدون تاريخ، ج ٤، ص ١٨٧.

فمن نفسه منكم كنفس محمدٍ ألا بأبي نفس المطهر والطّهر[١]

وحديث المنزلة غني عن التعريف وايراد الأسانيد لشهرته وتواتره. فقد نقله الفريقان نقلاً معلناً وجلياً بلغ محلاً من اليقين والإعتبار لا يرقى إليه أدنى شك.

وتستوقفنا مقطوعة شعرية ضمّنها الشاعر عدّة أحاديث نبوية شريفة يبرز من خلالها بوضوح أكثر حديثان نبويان، الأول: قول رسول الله ﷺ «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة»[٢] والثاني: قول ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»[٣] والمقطوعة الشعرية هي:

أنتما سيّدا شباب جِنان الـ خُلدِ يومَ الفوزين والرَّوعتينِ
يا عديلَ القرآنِ من بين ذي الخَـ لقِ ويا واحداً من الثقلينِ
أنتما والقُرآن في الأرضِ مُذ أنـ زل مثلُ السماء والفرقدينِ
قمتما من خلافةِ اللهِ في الأر ض بحقٍّ مقامَ مُستخلَفَينِ
قالَهُ الصادقُ الحديثَ، ولن يفـ ترقا دونَ حوضهِ واردينِ[٤]

ويتضح من الأبيات هذه أنّ الشاعر قد استرسل في ذكر خصائص ومميزات

---

١ ـ ديوان الحمّاني، ص ٧٣.

٢ ـ الطبراني: المعجم الأوسط، تحقيق طاهر بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥، ج ٤، ص ٣٢٥.

٣ ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج ١٤، ص ٣٢٠.

٤ ـ ديوان الحمّاني، ص ١٢٠.

أهل البيت عليهم السلام وخاصّة فيما يتعلق بالامام علي وولديه عليهما السلام ليستدل في النهاية بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤكّد على مواكبة أهل بيت النبوة لطريق الحق السوية.

وقبل أن نختم هذا الفصل يبدو مناسباً الاشارة الى أبيات ثلاثة ضمّنها الشاعر أحاديث صحيحة ومشهورة في فضل الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وكرامته وأحقيته في ولاية الأمر وخلافة الأمة الاسلامية. يقول فيها الشاعر:

ابنُ الذي ردّت عليـ ـه الشمس في يوم الحجاب
وابن القسيم النار في يوم المواقف والحساب
مولاهم يوم الغديـ ـر برغم مرتابٍ وآبي[1]

وكما هو واضح فانّ البيت الأول يشير الى معجزة طلوع الشمس بعد غروبها عصراً اكراماً لأمير المؤمنين عليه السلام. فقد جاء في الحديث عن أسماء بنت عميس: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم انّ علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس. قالت أسماء فرأيتها غربت ورأيتها طلعت بعد ما غربت[2].

امّا البيتان الآخران فقد نقل فيهما الشاعر حديثان شريفان من أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الأوّل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي قسيم النار»[3]. والثاني حديث الغدير المتواتر من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من

---

١ ـ المصدر السابق، ص ٣٥.

٢ ـ المعجم الكبير، ج ٢٤، ص ١٥٠.

٣ ـ ابو شجاع الديلمي: الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ج ٣، ص ٦٤.

عاداه»[١].

كانت هذه طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة الّتي تناولها الشاعر وتطرق اليها في شعره الولائي وهي أحاديث متواترة ومشهورة معتمدة من قبل الفريقين وموثوق بها عند الجميع. وقد اتضح من خلال هذه النخبة الحديثية المنتقاة حرص الشاعر على ركيزة الاقناع والتفهيم السليم في استدلالاته ومناظراته العقائدية.

٣ـ السرد الاستدلالي للوقائع التاريخية

لا شك أنّ الدور الّذي اضطلع به أئمة أهل البيت عليهم السلام في المواظبة على الدين الاسلامي المبين ونقله الى الأجيال مصاناً سليماً من كل سوء يعد دوراً مهماً وأساسياً. والمطالع للتاريخ الاسلامي يلحظ بوضوح تلك الجهود الّتي بذلها أئمة الهدى عليهم السلام في نصرة الرسالة المحمدية وبث الوعي الديني السليم بين شرائح المجتمع كافة.

وتستوقفنا ونحن نقرأ شعر الحمّاني جملة من الوقائع التاريخية المهمة الّتي توثقت بها عرى الإسلام الحنيف وارتكزت عليها شرائع الدين المبين وهي حوادث عظيمة وحاسمة في مناهضة المشركين ومقارعة ائمة الكفر والضلال من رموز الجاهلية ورؤوس قريش.

وقد أومأ الشاعر الى طائفة من الوقائع التاريخية التي شكّلت منعطفاً تاريخياً خطيراً في حياة الامّة الاسلامية وهي في طبيعة الحال أحداث تاريخية أبلى بها الهاشميون وفي طليعتهم الامام علي عليه السلام بلاءً حسناً. يقول الشاعر

---

١ ـ أحمد بن حنبل: مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، بدون تاريخ، ج ١، ص ١١٨.

مفتخراً:

سائلا عنّا قريشاً ... ولياليناالأول
نحن أصحاب حنينٍ ... والمنايا تنتضل
وببدر حين وَلّوا ... قللاً بعد قلل
ولنا يومٌ بصفّيـ ... ـن ويومٌ بجملْ[1]

وفي هذه الأبيات اشارات واضحة الى وقائع تاريخية خالدة كان لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام جولات فيها وصولات. منها وقعة بدر في السنة الثانية للهجرة وقوله تعالى: ﴿*ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة*﴾[2]، ومنها غزوة حنين في السنة الثامنة للهجرة الّتي لم يثبت مع النبي من المسلمين غير تسعة من بني هاشم، وفيهم يقول مالك بن عبادة الغافقي:

لم يُواسِ النبي غيرُ بَني ها ... شِم عند السيوف يومَ حُنَين
هربَ الناسُ غير تسعةِ رهط ... فهمُ يهتفون بالناس أين
ثمّ قاموا مع النبي على المَوْ ... ت فآبوا زَيْناً لنا غيرَ شَين[3]

ومن جملة الحروب الّتي وقعت في عهد الإمام علي عليه السلام حربي الجمل وصفّين اللتين وقعتا في سنة واحدة هي السادسة والثلاثين للهجرة. وتعتبر هاتان الحربان جزءاً من مسلسل الفتن الّتي اثيرت في عصر أمير المؤمنين عليه السلام لتقويض

---

١ ـ ديوان الحمّاني، ٩٧.
٢ ـ آل عمران: ١٢٣.
٣ ـ الإرشاد، ج ١، ص ١٤١.

حكومة العدل الإلهية الّتي شيّدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولدى استعراضنا شعر الحمّاني في خصوص الوقائع التاريخية الّتي شهدها العصر الإسلامي تستوقفنا وقعة تاريخية خطيرة يمكث عندها الشاعر بشيء من التريث والتأمل هي وقعة أحد. يقول الشاعر:

وأوقع يوم أحد بهم جلاداً	يزايل بين أعضاد الشؤون
فلم يترك لعبد الدار قرماً	يقيم لواء طاغية لعين
فأفضوا باللّواءِ إلى «صؤابٍ»	فعانقه معانقة الوضينِ
فخذّمه أبو حسن فأهوى	صريعاً للّيدين وللجبين
ونودوا لا فتى الّا علي	وليس كذي الفقار حمى جفون[1]

ويتضح من هذه الأبيات ان الشاعر قد ركّز على احدى الخصال البارزة في شخصية امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهي شجاعته واقدامه المنقطع النظير في الحروب. والواقع انّ الحديث عن بطولات أمير المؤمنين عليه السلام وتضحياته وجهاده يتطلّب بحوثاً ودراسات مستقلّة لا يسعها هذا المجال ولا يفي بحقها هذا المقال. فالغاية هنا تبيين منهجية الشاعر في تعامله مع النصوص التاريخية وروايات الأحداث لدى نظمه الشعر الولائي.

٤ ـ الإشادة بمناقب آل البيت عليهم السلام

يشكّل التعريف بمناقب أهل البيت عليهم السلام وفضلهم وسجاياهم الكريمة محوراً هاماً في شعر الحمّاني الولائي. ولعلّ الاهتمام بهذا الجانب يكون مردّه الى

---

١ ـ ديوان الحمّاني: ص ١٢١.

عمق تمسّك الشاعر بتعاليم أهل البيت وتفانيه في محبّتهم عليهم السلام باعتبار ذلك معلماً من معالم التقرب الى الله تعالى، ومنجاة في يوم الحشر العظيم.

ونستكشف من خلال مطالعتنا لقريض الشاعر الملتزم بخطى أئمة الهدى عليهم السلام انّه عاش الإسلام بجميع جوارحه فتجسّدت له عظمة أهل البيت من خلال الإسلام الّذي تشبّعت به روحه وقرارة نفسه، ورأى أنّ تعاليم أهل البيت عليهم السلام هي الامتداد الحقيقي لغنى الفكر الإسلامي والنظم المثلى في بلورة المشروع الحضاري الإسلامي الّذي يضمن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وتركيز الشاعر على هذا المنحى من النظم يتأتى من خلال ايمانه بأنَّ التمسك بأفكار وأعمال أهل البيت عليهم السلام هو الملاذ الوحيد والمنجى الحقيقي من الانحراف عن النهج الإسلامي الحق. فهم عليهم السلام عدّته في الدنيا وملاذه في يوم القيامة:

سادتي عُدّتي عمادي مَلاذي ... خمسةٌ عندَهم تُحطّ الرّحالُ
سادتي سادةٌ بهم ينزلُ الغيـ ... ـثُ علينا، وتُقبَلُ الأعمالُ
سادتي حُبّهم يَحُطّ الخطايا ... ولدَيهم تُصدّق الآمالُ
سادةٌ قادةٌ اليهم إذا ما ... ذُكِرَ الفضلُ تُضرَب الأمثالُ
وبهم تُدفَعُ المكارهُ والخيـ ... ـرةُ عنا وتكشَفُ الأهوالُ
وبهم طابت المواليدُ وامتا ... ز لنا الحقُّ والهدى والضلالُ
وبهم حُرّمَ الحرامُ وزال الـ ... شكُّ في ديننا وحلَّ الحلالُ[1]

ويلاحظ من خلال إلقاء النظر على هذا اللون من شعر الحمّاني حرص

---

١ ـ المصدر السابق، ص ٩٦.

الشاعر على تعميق فكرة الامتداد الرسالي المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام والذين يعدون امتداداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسباً ونسباً وعلماً ومعرفة. وقد أكّد الشاعر في مواضع عديدة ومواقف كثيرة على الصلة الوثيقة والمميزة الّتي تربط الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . نجد ذلك متجلّياً في معظم شعره الولائي كقصيدته الدالية المعروفة الّتي يبدأها بذكر قرابة أبي الأئمّة أمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

بين الوصيِّ وبين المصطفى نسبٌ ... تختالُ فيه المعالي والمحاميدُ
كانا كشمس نهارٍ في البروج كما ... أدارَها ثم إحكامٌ وتجويدُ
كسيرِها انتقلا من طاهرٍ عَلمٍ ... الى مطهَّرةٍ آباؤها صيدُ
تَفرّقا عندَ عبد اللهِ واقترنا ... بعدَ النبوةِ توفيقٌ وتسديدُ
وذَرَّ ذو العرشِ ذراً طابَ بينهما ... فانبثَّ نورٌ له في الأرض تخليدُ
نورٌ تفرَّقَ عند البعث وانشعبت ... منه شعوبٌ لها في الدّين تمهيد[1]

ويتابع الشاعر بعد عرضه للنسب الهاشمي الشريف ذكر الخصال الحميدة الّتي تحلّى بها الهاشميون من شجاعة واقدام وجود وإنعام ومناقب كريمة يتصف بها الأشراف الأفذاذ:

هم فتيةٌ كسيوف الهند طال بهم ... على المطاولِ آباءٌ مناجيدُ
قومٌ لماء المعالي في وجوهِهِمُ ... عندَ التكرُّم تصويبٌ وتصعيدُ
يدعُونَ أحمدَ ان عُدَّ الفخارُ أباً ... والعودُ ينبتُ في أفنانِه العُودُ

---

١ ـ المصدر السابق، ص ٥٦، ٥٧.

المُـنعِمونَ اذا مـا لم تكـن نِـعمٌ والذائدونَ اذا قـلَّ المـذاويـدُ[١]

ويستمر الحمّاني بعد ذلك في عدّ مناقبهم عليهم السلام ومالهم من مواقف مشرّفة ومآثر خالدة لينتهي آخر المطاف الى الغاية والمقصد الحقيقي من النظم وهو بيان مظلومية أهل البيت عليهم السلام في ضياع حقّهم المشروع من الخلافة وقيادة الامة الإسلامية:

في كلِّ يـومٍ لهـم بأسٌ يـعاشُ بـه وللـمكارم مـن أفـعالِهم عـيدُ
مُـحسَّدونَ ومـن يَـعقِد بـحُبِّهُم حبلَ المودّةِ يُضحِ وهـو مـحسودُ
لا يُـنكرُ الدهـرُ ان ألوى بـحقّهم فالدهرُ مُذ كان مذمومٌ ومحمود[٢]

والتأكيد على أحقية أهل البيت عليهم السلام في ولاية الأمر وهداية الأمّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي السمة البارزة الّتي يختم بها الشاعر قصائده الولائية أو بالاحرى الشأن الأسمى الذي يدأب الشاعر في ابرازه بشكل معلن وجلي ليجعل شعره ذاقيمة دينية وتاريخية يصلح أن يكون مادة غنية يستمد منها الحقائق والصحيح من الوقائع:

يا آلَ أحـمد أنـتم خـيرُ مشـتملٍ بـالمكرمات وأنـتم خـير مـعتَرفِ
خـلافةُ اللهِ فـيكم غـيرُ خـافيةٍ يُفضي بها سلفٌ منكم الى خَـلَفِ
طِـبتُم فـطابَ مـواليكـم لطـيبتكم وباءَ أعداؤكم بالخُبثِ في النَّطَفِ

---

١ ـ المصدر السابق، ص ٥٧، ٥٨.

٢ ـ المصدر السابق، ص ٥٨.

رأيتُ نفعي وضـري عـندكم فـاذا ما كان ذاك فعنكم أين منصرفي[١]

ونخلص من هذا القول الى أنّ الشاعر لم يذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام في شعره لمجرد الذكر والسرد بل عمد الى تأصيل وتعميق الرؤى الدينية والمفاهيم الإسلامية المنبعثة من سيرتهم عليهم السلام بغية الأخذ بها وترجمتها عملياً على أرض الواقع وفي مجالات الحياة كافة.

ولم يكن الشاعر ـ كما لاحظنا ـ مغالياً ومسرفاً في بيانه بل شاهدنا الإعتدال قائماً في معظم أشعاره العقائدية وخـاصة فـيما يـتعلّق بشـعره الولائـي لأهـل البيت عليهم السلام. وكما مرّ سابقاً فانّ الشاعر يهدف بأسلوبه هذا وأدائه البياني المميز الى تعميق الحقائق الإسلامية وتأصيلها في المجتمع لتصبح فـي النـهاية مـنهل ارتواءٍ ومورد استلهام من قبل المسلمين.

٥ ـ فخر الشاعر بانتسابه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام

يُعدّ الفخر وهـو اشـادة الشـاعر بـخصال نـفسه والتـحدّث بـمآثر قـومه ومكارمهم وطيب عنصرهم ورفعة حسبهم وشـهرة شـجاعتهم وغـير ذلك مـن الصفات الحميدة الّتي تتسم بها القبيلة، من أبرز أغراض الشعر العـربي وفـنونه. وهذا اللون من الأدب كان شائعاً منذ أقدم عصور الشعر وحتى يـومنا هـذا مـع تغييرات وتحويرات طرأت عليه بمرور الزمان واختلاف الظروف.

ونلحظ من خلال مطالعتنا لشعر الحمّاني عنياته بأدب الفخر كثيراً. ولكن الفخر الّذي نتوقف عنده في أشعاره الولائية يختلف تماماً عن الفخر الشائع بين

---

١ ـ المصدر السابق، ص ٩٢.

الشعراء والّذي سبق تعريفه آنفاً. فالفخر عند الحمّاني ليس عنصرياً أو قبلياً ضيق الحدود، بل لا يمت أساساً الى النزعة الذاتية المحدودة النطاق والمشحونة بالمفاخرات الفردية والطائفية.

انّ الفخر عند الحمّاني مستقل قائم بذاته يمتاز بقيمة معنوية ودلالة عبادية وهي الفخر بالانتساب للنبي الأكرمﷺ وأهل بيته الأطهارعليهم السلام[1]. ولا شك انّ هذه الميزة تمنح شعر الحمّاني الولائي بعداً قيمياً آخر فضلاً عن أبعاده الدينية والتاريخية المتعددة الّتي مرّ ذكرها.

فالشاعر يفتخر بكونه من سلالة النبي الكريمﷺ صاحب الرسالة الخالدة، وانّ آباءه هم الهاشميون من ذوي الحسب والنسب الرفيع الّذين شهدت لهم ميادين الوغى مواقف لن تنسى في نصرة رسول اللهﷺ والذود عن الدين الإسلامي المبين واعلاء كلمة الله في الأرضين:

لقد فاخرَتنا من قريشٍ عِصابةٌ ... بسطٌ خدودٍ وامتدادِ أصابعِ
فلمّا تنازعنا الفخارَ قضى لنا ... عليهم بما نَهوى نداءُ الصوامِعِ
ترانا سكوتاً، والشهيد بفضلِنا ... عليهم جهيرُ الصوتِ في كلِّ جامعِ
بأنّ رسولَ الله لا شكَّ جدُّنا ... ونحنُ بنوهُ كالنجومِ الطوالعِ[2]

وفي خصوص هذه الأبيات ورد في مصادر مختلفة أنّ المتوكل العباسي سأل الإمام علي بن محمد الهاديعليه السلام عن أشعر الناس. فقال الامام: الحمّاني،

---

١ ـ محمود البستاني: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الاسلامي، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ١٤١٣، ص ٥٨٠.

٢ ـ ديوان الحمّاني، ص ٨١.

وأشار الى الأبيات المذكورة. فقال المتوكل: وما نداءُ الصوامع يا أبا الحسن؟ قال: أشهد أن لا اله الّا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، جدّي أم جدّك؟ فقال المتوكل: هو جدّك لا ندفعك عنه[١].

ويتضح من هذه الرواية أنّ تقديم الامام عليه السلام للحمّاني باعتباره أشعر الناس وأفضلهم يعود الى القيمة المعنوية الّتي حملتها هذه الأبيات ونظائرها والى التزام الشاعر بتوظيف شعره وخاصة اللون الفخري منه لصالح المفاهيم الإسلامية والتعاليم الدينية القيمة.

وهذه ظاهرة فريدة في حدّ ذاتها. فقلما نجد شاعراً يتجنب الذاتية والفردية في الفخر ليتخذ من الموضوعية والمثالية عنصراً باعثاً ومحرّكاً في منظوماته الفخرية.

وفضلاً عن اشارة الشاعر في شعره الولائي الى نسبه الشريف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام فقد ذكر مراراً وفي جوانب مختلفة من قصائد فخره، بطولات الهاشميين ومآثرهم الخالدة في الدفاع عن الاسلام منذ ظهوره وحتى عصر الشاعر:

إذا ما علا الأعواد منا ابنُ حرّةٍ ... فأسفَر عن بدرٍ ولا حظَ عن صقرِ
رأيتَ عدوّ الدين أخنعَ كاسفاً ... وذا الدينِ والاسلامِ مُنبلجَ الصّدرِ
لنا سيّدا هذا الأنامِ أبوّةً ... وسيّدتاهم في المواقف والحشر
وما عالَنت كفٌّ بإنكارِ فضلِنا ... من الناس إلّا وهي مُذعِنةُ السرّ
وإنّا أُناسٌ ما تَزالُ نفوسُنا ... مَحَبَّسةً بين المكارم والفخرِ[٢]

---

١ ـ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥، ج ٤، ص ٤٠٦.
٢ ـ ديوان الحمّاني، ص ٧١.

والحق انّ مفاخرة الشاعر بهذه الخصال يعدّ لوناً من ألوان الفخر الرفيع أو ما يمكن أن نطلق عليه الفخر الإيجابي لما يحمل في ثناياه قيما أخلاقية سامية ومُثُلاً معنوية رفيعة. ولا شك أنّ لمثل هذا الفخر الملتزم مردوداً ايجابياً على صعيد التوعية والتثقيف. فالشاعر صادق في فخره وصادق في قوله وهو قول حق أراد الشاعر انشاده على مسامع الناس بعد أن أثقلتها أبواق التهم الملفّقة وطبول الدعاية المزيّفة.

انّ الشاعر يفتخر بحسبه ونسبه لانّه من سلالة بلغت العز والمجد بأفعالها وأعمالها المشرّفة. ويكفيه فخراً أن يكون من ذرية يتربع على عرش مجدها ومفاخرها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه وخليفته من بعده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

بلغنا السمآءَ بأحسابنا ... ولولا السماءُ لَجُزنا السماءا
فحسبُكَ من سؤدَدٍ أنّنا ... بحُسنِ البلاءِ كشَفنا البَلاءا
يطيبُ الثناءُ لآبائنا ... وذكْر عَليٍّ يَزينُ الثناءا
إذا ذُكِرَ الناسُ كنا ملوكاً ... وكانوا عبيداً، وكانوا إماءا[1]

وثمرة القول ان الشاعر قد وفق في تعاطيه هذا اللون من الفخر أعني الفخر الإيجابي الملتزم وذلك بسوق هذا النمط من الشعر نحو الحقائق الدينية والمثل الإسلامية القيمة، وابعاده عن زخرف القول وباطل الكلام. وهي خصوصية امتاز بها الشاعر عن سائر أقرانه ولداته من شعراء عصره على الرغم من الأجواء

---

١ ـ المصدر السابق، ص ٣٣، ٣٤.

السياسية القاتمة والأوضاع الإجتماعية المتردية الّتي عاشها الشاعر وخيّمت على نشاطه السياسي والفكري، الّا انّها لم تفلّ من عزمه ولم تبعده عن الطريق الّذي شقّه لنفسه وهو لا شك طريق شائك وصعب، زاخر بالمخاوف والمخاطر، حافل بكل مكروه، لا يجتازه الّا من منّ الله عليه برسوخ الإيمان وثبات القدم.

وبعد هذه الجولة من البحث حول منهجية الشاعر في قصائده الدينية وخاصة الولائية منها يمكن أن نستنتج أنّ الشاعر كان قد وظّف نفسه لتبيين الحقائق الدينية المتعلّقة بأحقيّة أهل البيت عليهم السلام بولاية الأمر وهداية الأمّة الإسلامية بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. وقد حاول الشاعر وبموضوعية ملحوظة أن يثبت هذا الحق المشروع باستناده الى الآيات القرآنية المجيدة الواردة بحق أهل البيت عليهم السلام وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة المختصّة بأئمة الهدى عليهم السلام، الى جانب الاشادة بمواقفهم المشرّفة ومآثرهم الخالدة في صيانة الدين الإسلامي من كلّ آفة ومكروه.

لقد استطاع الشاعر وبحكم منصبه كنقيب للعلويين في الكوفة وما أوتي من قدرة بيانية ومقدرة جدلية وكلامية أن يدحض تقولات المنكرين وادعاءات الجاحدين لفضل أهل البيت عليهم السلام من خلال اسلوب بياني مؤثر ولغة شعرية رقيقة تترك في القلب شعوراً طيّباً واحساساً لطيفاً وعميقاً. فرحم الله الحمّاني وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير جزاء المحسنين.

* * *